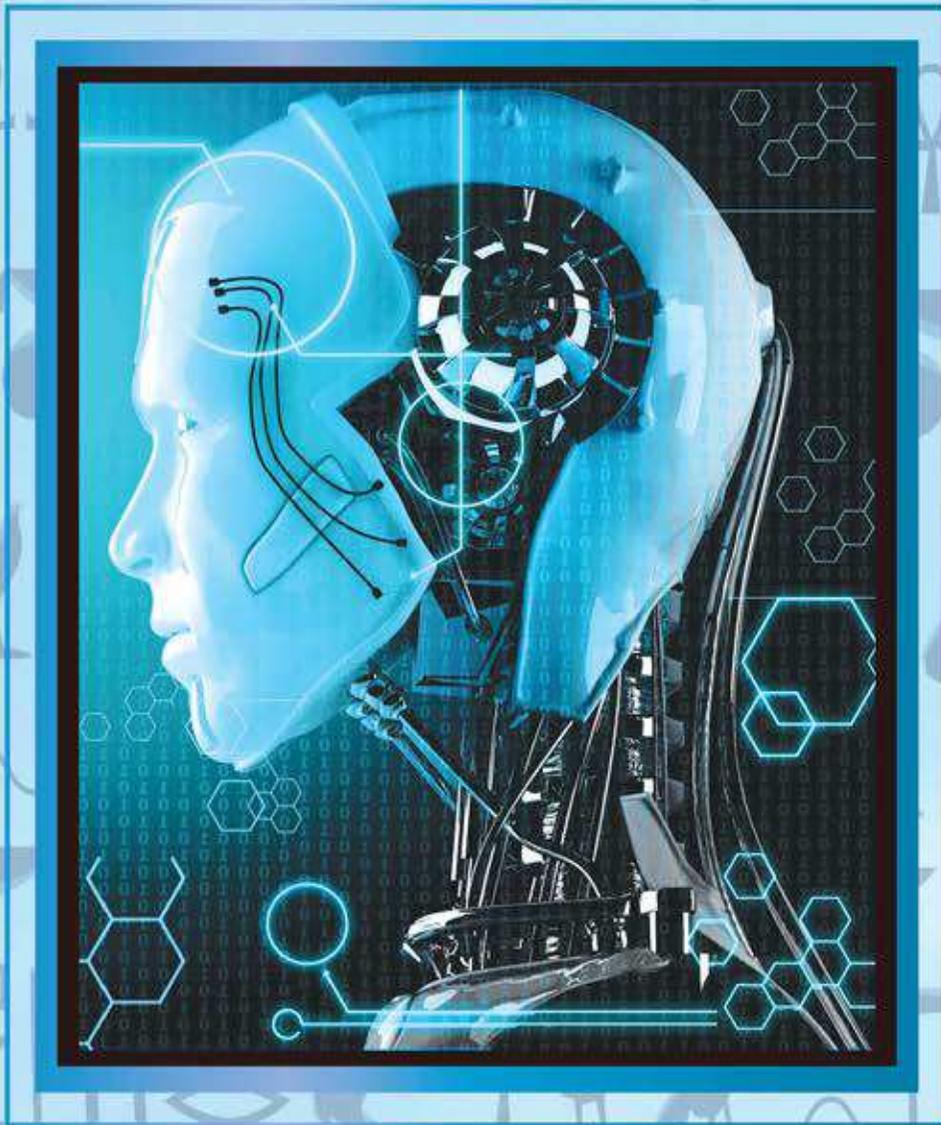


# الدبلوماسية

السنة السابعة والعشرون - العدد 270 - 272

أغسطس - أكتوبر 2018 الثمن 10 جنيهاً



## فرص وتحديات الذكاء الاصطناعي

# الدبلوماسية

مجلة شهرية متنوعة تصدر منذ مارس 1992 عن

## النادى الدبلوماسى المصرى

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسية

**سفير سعد الفراجى**

مستشار التحرير

**عادل عبد الصمد**

سكرتير تحرير تنفيذى

**شادى غالى**

رئيسة مجلس إدارة النادى الدبلوماسى بالانابة

**سفيرة منى عمر**

المستشار القانونى

**رجائى عطية**

المستشار الفنى

**جمال عبد النبى**

نواب رئيس التحرير

**سفير هشام الزميتى**

**سفير عبد الفتاح عز الدين**

**سفير رضا الطائفى**

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسية»:  
مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820

تليفاكس +202 27735457



[www.diplomategypt.com](http://www.diplomategypt.com)



[facebook.com/diplomat.magazine.egypt](https://facebook.com/diplomat.magazine.egypt)



[diplomatmagazine92@gmail.com](mailto:diplomatmagazine92@gmail.com)

4 الذكاء الاصطناعي والتنمية والعلاقات الدولية .. بقلم السفير سعد الفراجي  
8 ..... الحقيبة الدبلوماسية

## سياسة

- 14 سوريا.. معركة أخرى على إعادة الإعمار..... د. محمد حسين أبو الحسن  
17 غزة أولاً.. بين الجوانب الإنسانية والأهداف السياسية.... لواء محمد إبراهيم  
20 الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للسلاح .... هادية الشريبي  
25 ليبيا ومكافحة الهجرة غير الشرعية... وزير مفوض د. محمد قح  
28 جهود حلحلة الأزمة الليبية ..... مسلم هنيدي  
33 حرب الحسابات الخاطئة بين أمريكا وإيران..... محمد صابرين  
36 واشنطن وطهران بين التصعيد والحوار ..... د. أحمد سيد أحمد  
39 قطر والانقلابات..... سفير أسامة توفيق بدر  
40 تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركية ..... منى سليمان  
43 أقطيات إيران وأسطورة الدولة الفارسية ..... محسن عوض الله  
47 إثيوبيا وإريتريا.. عودة نصف العقل..... سفير عوض الحسن  
50 الأمن العربي الأفريقي ..... سفير د. صلاح حليمة  
52 آفاق التقارب الأمريكي - الكوري الشمالي ... سفير رضا الطايفي  
56 العلاقات الروسية الصينية في عالم متغير ..... سفير د. عزت سعد  
58 سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين ..... سفير رجا حسن  
61 أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟ ..... أ.د. نورهان الشيخ  
64 العالم العربي والحرب الباردة الجديدة ..... أ.د. هشام مراد  
68 اتفاقية المركز القانوني الخاصة لبحر قزوين ..... أ.د. أيمن سلامة  
70 شراكة متجددة بين مصر والبرتغال ..... سفير على العشري  
71 الحكمة الصينية تسهم في استقرار الشرق الأوسط..... د. دينج جون  
78 منتدى التعاون العربي الصيني..... د. أحمد خميس  
80 تفعيل مبادرة الحزام والطريق..... سفير د. نعمان جلال

## ملف العدد: الذكاء الاصطناعي

- 81 الذكاء الاصطناعي.. إلى أين؟ ..... د. حسن المصري  
84 عصر الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي ..... د. عادل عبدالصديق  
87 ثورة الذكاء الاصطناعي..... سفير د. عزمى خليفة  
90 قدرة الآلة على محاكاة العقل البشري ..... هبة عبدالعزيز

## ضيف العدد: تاكهيرو كاجاوا سفير اليابان

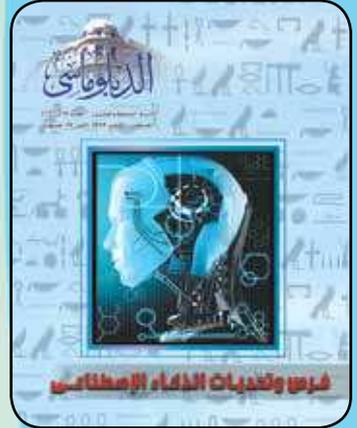
- 92 تجربة التعليم بالأسلوب الياباني.....

## اقتصاد

- 98 بين صفقة القرن وخطة مارشال..... منى الدالى  
100 تداعيات حرب ترامب التجارية ..... أحمد عبدالسلام  
102 الحرب التجارية بين كبار المنتجين..... أمل عبداللطيف  
106 عمالقة الاقتصاد العالمى عام 2050 .....



عدد 270 - 272



الغلاف للفنان

جمال عبدالنبي

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها  
دون أدنى مسئولية على المجلة،  
والخرايط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

توجه المراسلات والمقالات باسم رئيس التحرير  
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان فى المجلة يرجى الاتصال برقم  
0100 0722134

ترحب «الدبلوماسية» بإسهامات واقتراحات  
السادة أعضاء السلك الدبلوماسي  
والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى  
المجلة بثقافتهم وتجاربهم الدبلوماسية

جميع الحقوق محفوظة

## حماية البيئة

107 كوكبنا يعاني تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية- تقرير انتربرايز.....

## منظمات دولية

112 مقتطفات عن تقرير ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق في التنمية ..... سفير سعد الفرارجي

## دراسات وتوثيق

117 المناطق الخالية من الأسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة .... سفير د.سامح أبو العينين

120 البحر الأحمر والقرن الأفريقي وتهديدات المضائق...سفير د. عادل السالوسى

122 مبادرة الحزام والطريق الصينية ..... د. عدلى أنيس

124 نحو توثيق دقيق لتاريخنا المعاصر..... سفير محمد أبو الذهب

## قراءات

126 المانيا والشرق الأوسط .....سفير عبدالفتاح عزالدين

127 مائة عام من الأدب الروسى .....سفير عبدالفتاح عزالدين

128 واحة الغروب.. لبهاء طاهر..... سوسن رحى

130 لماذا كان ماركس على حق؟ .....سفير د. وليد عبدالناصر

132 محطات في حياتى.. سمير علام ..... عادل عبدالصمد

## بنات النيل إعداد نادية الرئيس

134 أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين.....

137 الرسم بالألوان الزيتية ..... سالى سالم

## تاريخنا العظيم

138 لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية ..... أ.د. محمد إبراهيم على

145 مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة.....سفير محمد عهدى خيرت

148 بولاق أبو العلا .....أ.د. راندا بليغ

160 بوغوص بك يوسفیان.....مستشار ناجى غابة

## ثقافة وفنون

162 مفاعل الزمن الجميل لتخصيب الخيال..... سفير د. محمد حسونة

164 جماليات الإبداع العربى والإسلامى .....أ.د. يوسف نوفل

168 زرافة محمد على فى موكب قطر الندى..... عادل عبدالصمد

171 وداعاً أحمد سعيد..... سفير محمد الشاذلى

172 فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان

174 دبلوماسية الرياضة «مونديال 2018» ..... سفير د. يوسف الشرقاوى

176 معرض فنى للإحياء بصور سياسية..... سفير يسرى القويضى

177 لا تنه عن خلق وتأتى مثله..... سفير د. فتحي مرعى

178 شئ من الشعر عند الدبلوماسيين .....فاروق صالح باسلامة

179 مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام.....شريفة التابعى

# أجهزة Apple دلوقتي بالتقسيت مع CIB

اشترى أجهزة Apple من الموزعين المعتمدين وادفع  
بالتقسيت على ١٢ شهر بدون فوائد مع بطاقة CIB الائتمانية.



Tradeline  
STORES

switch iSHOP

العرض ساري حتى ٣٠ سبتمبر ٢٠١٨  
نطبق الشروط والأحكام

بنك نثق فيه

[f](#) [v](#) [in](#) /CIBEgypt | [WWW.CIBEG.COM](http://WWW.CIBEG.COM)

١٩٦٦٦

# Shape your own insurance solution



Whether it's your family or your employees you seek to protect, choosing the right formula of insurance solutions is key to getting the result you're after.

Medmark has done the hard work for you & offers you unbiased advice on a selection of the most reputable international and local medical & life insurance brands.

What's more, our Stronger Together philosophy means we'll be with you every step of the way to ensure you get the value and service quality you need.

Call us now for a professional insurance consultation and proposal comparison.

**stronger together**

# برنامج المكافآت

## BM REWARDS CLUB

■ يتم احتساب نقاط مكافآت عن كل عملية شراء منفذة محلياً ودولياً ببطاقات بنك مصر المحددة بالبرنامج اعتباراً من الأول من يونيو ٢٠١٨

■ النقاط المكتسبة يمكن استعاضة قيمتها بالعديد من الوسائل:

- السفر حول العالم
  - (تذاكر طيران - فنادق - تأجير سيارات)
  - قسائم شراء إلكترونية
  - الحصول على منتجات مميزة من خلال زيارة الموقع الإلكتروني لبرنامج المكافآت
  - شحن التليفون المحمول
  - يمكن تحويل النقاط الخاصة ببرنامج المكافآت إلى أي من برامج مكافآت الجهات الأخرى المحددة بالبرنامج
- للتسجيل وإدارة النقاط يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: [www.bmrewardsclub.com](http://www.bmrewardsclub.com)

استخدم بطاقتك..  
وتمتع بالمزايا

برنامج  
مكافآت  
bm



  
بنك مصر  
BANQUE MISR  
نعمل معاً لخير بلدنا

  
BM 19888  
Phone  
www.banquemisr.com

 /BanqueMisr.1920  /banquemisr1920

## الذكاء الاصطناعي والتنمية والعلاقات الدولية

تعيش الإنسانية على إيقاع التطورات العلمية والتكنولوجية منذ انطلاق الثورة الصناعية الأولى، التي جاءت بدورها كنتيجة منطقية لكل من حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى وعصر «النهضة» وما ارتبط به عضويًا من حركة «الإصلاح الديني» في أوروبا. وقد تزايدت وتيرة تلك التطورات العلمية وتطبيقاتها العملية في الآونة الأخيرة بمعدلات متسارعة وغير مسبوقة وانتقلت في مراحل متتابعة ومتلاحقة حتى وصلنا حاليًا إلى ما بات يسمى بحقبة الثورة الصناعية الرابعة.

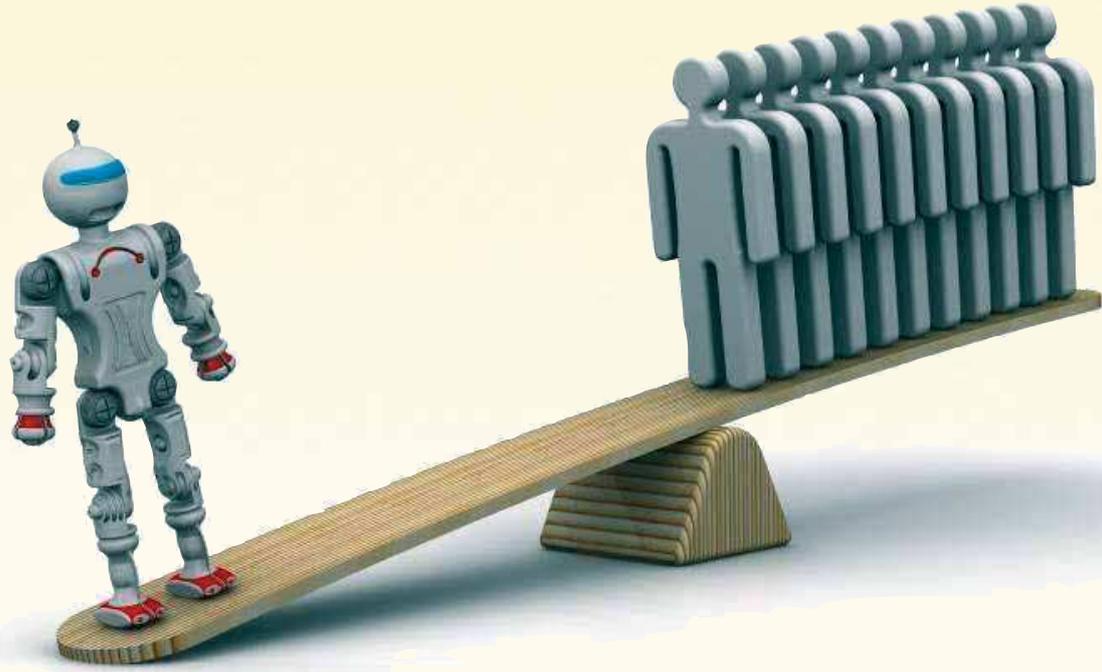
والإستراتيجية أيضاً. ومن بين معطيات ومفردات الثورة الصناعية الرابعة، يبرز مفهوم «الذكاء الاصطناعي» الذي يُستخدم عادة لوصف أنظمة الحاسب الآلي التي تعرض قدرات معينة ومتميزة ظلت مرتبطة بشكل أساسي بالذكاء البشري، مثل الإدراك والفهم والتعلم والمنطق وحل المشاكل. وتعد خدمات محرك البحث جوجل وسيري وأليكسا والسيارات ذاتية التشغيل ومنظمات الحرارة الذكية مجرد أمثلة لبعض أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي التي بدأت في تغيير واقع الحياة اليومية للبشر وللمجتمعات الإنسانية بشكل عام، وفي البلدان الصناعية المتقدمة بصورة خاصة. وبفضل النظم ذاتية التشغيل، أصبحت تكنولوجيا «الذكاء الاصطناعي» قادرة أيضاً على أداء العديد من المهام الإدارية التي كانت تتطلب وقتاً طويلاً من العاملين، وكذلك على إنجاز المهام بوتيرة أسرع وجودة أعلى وتكلفة أقل. وتتوقع دراسة لمعهد «أكسنتشر للأداء الرفيع»، الذي يهتم بالنظرة المستقبلية لقطاع الأعمال، أنه يمكن من خلال توظيف أمثلة لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أن يتضاعف المعدل السنوي للنمو الاقتصادي في البلدان الصناعية المتقدمة بحلول عام 2035 وذلك بناء على دراسة تعتمد على نماذج اثنتي عشرة دولة متقدمة. لكن مثل ذلك التأثير الإيجابي المتوقع على معدلات النمو الاقتصادي سيجلب معه أيضاً تغييرات غير مسبوقة وقائمة على التكنولوجيا لاقتصاديات الدول النامية والأقل نمواً، من خلال التعامل مع عدد من التحديات الحيوية التي تواجه تلك البلدان. فلقد فاق أداء نظم الحاسب الآلي أداء البشر في العديد من المهام التي تؤثر في الحياة

وقد أحدثت هذه الثورة تغييراً نوعياً ملموساً وعميقاً في حياة البشر في البلدان المتقدمة أو البازغة أو النامية على حد سواء بسبب تأثيرها على مختلف جوانب حياتهم حالياً وفي المستقبل، لاسيما في مجالات الصناعة والخدمات والاتصالات، وكذلك في مجالات الطب والعلاج والرعاية الصحية والتعليم والبحث العلمي. ولعل من بين الأمثلة الحريّة بالذكر لإيضاح مدى تأثير تلك الثورة في المجالات التي امتدت إليها: القدرة على استرجاع وترميم الأنسجة الحيوية التي لم تعد قادرة على أداء وظائفها عبر تقنية الخلايا الجذعية، والتفاعل مع واقع الفجوات التكنولوجية فيما بين الأجيال المختلفة وآثاره وتوظيفه في سياق أعم وأشمل لتعظيم قدرات اكتساب المعرفة، والهندسة الجينية والحيوية التي ساهمت في استنباط سلالات من البذور أو الثمار ذات الصفات المرغوبة، وطفرة التكنولوجيا المعلوماتية المتوالية، والذكاء الاصطناعي، وعلوم التحكم الآلي والحوسبة، وكيفية التعامل مع البيانات الضخمة ومعالجتها واستغلالها. وعلى صعيد آخر، فمن المؤكد أن تلك الثورة الصناعية الرابعة ستعيد رسم الخريطة العالمية لتوزيع مصادر الثروة والدخل ووسائل الإنتاج وأدواته، بل وستعيد تعريف مفهوم مركزى في المجتمع، بل وفي الحياة، ألا وهو «العمل» بمكوناته ومحدداته ومعاييره الأساسية والفرعية. وكنتيجة لذلك، سيكون هناك رابحون وخاسرون. ومن المؤكد أيضاً أن هذه الثورة سوف تطرق أبواب مختلف المجتمعات البشرية، ليس فقط من الجوانب الاقتصادية، إنما من الجوانب الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية على حد سواء، بل ومن الجوانب الأمنية



بقلم السفير

سعد الفراجي  
رئيس التحرير



والتي يمثل الشباب الغالبية العظمى من سكانها، وينطبق ذلك على الغالبية العظمى من البلدان الأفريقية والعربية، والتي تحتاج إلى توفير فرص العمل بمعدلات متسارعة وبصورة مستمرة، لاستيعاب معدلات البطالة المرتفعة أصلاً ولاستيعاب الأعداد المتزايدة كل عام للقادمين لسوق العمل من الشباب.

ولا بد هنا من إضافة حول أحد التحديات التي يفرضها التنامي والتداخل المتزايدان لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في مناحي الحياة في الدول النامية والمتقدمة على حد سواء. فمثل ذلك التنامي والتداخل والوتيرة التي يتخذانها ينبغي أن تسترعى اهتمام كل القائمين على العمليات التعليمية بمختلف مراحلها لأنها باتت تتعلق بكيفية صياغة سياسات ومناهج التعليم. فإذا كان استمرار تحصيل العلم والمعرفة كأحد أهداف التعليم سيظل قائماً فإن الهدف الآخر وهو إعداد المتعلمين للانخراط في سوق العمل يحتاج إلى جهود مبتكرة لتطوير ذلك الإعداد من حيث المناهج ومحتواها وقابليتها للتطوير ليواكب ما هو متوقع من متطلبات متغيرة على جانب سوق العمل. بل إن الأمر قد يستدعي التفكير في أن تكون مؤسسات التعليم ذاتها منفتحة وفي علاقة مستمرة لا تنتهي بمجرد حصول الخريج على مؤهل بعينه بحيث يمكنه العودة مرة أو مرات أخرى لإكساب نفسه مهارات جديدة تتواءم الوظائف أو المهن المُستحدثة.

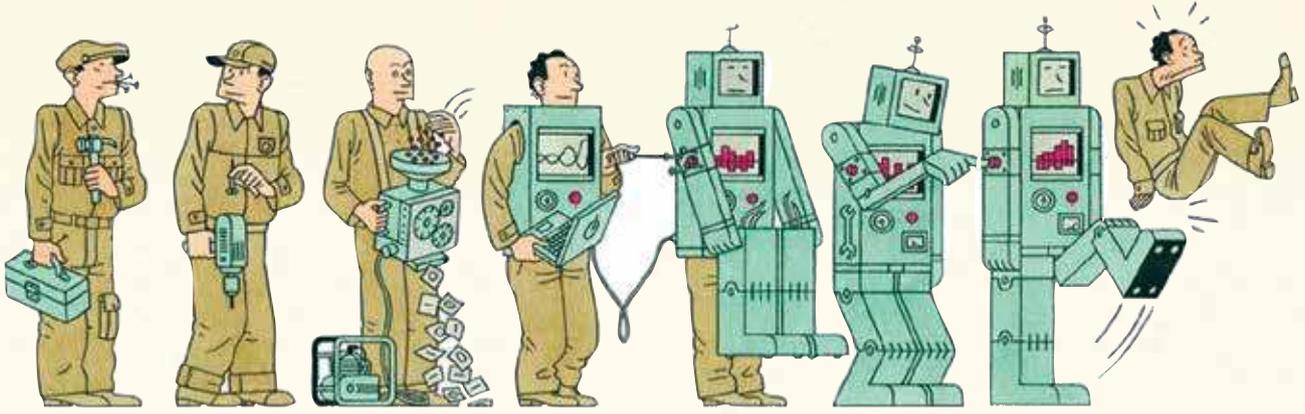
إن الواقع على مدار العقود القليلة الماضية ينبئ بأن البشرية قد دخلت

لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أن تقود إلى حدوث ثورة جديدة من شأنها أن تؤدي إلى انخفاض حاد في الطلب على اليد العاملة الأمر الذي قد يعمل على خلخلة العقود الاجتماعية القائمة. وإذا كانت البلدان الأكثر ثراءً، والفئات الأعلى مهارة داخل هذه البلدان، هي المرشحة للاستفادة بشكل أكبر من تلك التحولات؛ فقد تجد البلدان النامية والأقل نمواً، لاسيما الفئات الأشد فقراً فيها، أنه لا سبيل لديها في كثير من الأحيان، حتى قبل دخول التطورات السابقة إلى حيز الواقع، كي تحصل على التكنولوجيا الأكثر تقدماً أو المهارات المطلوبة أو الوصول للبيئة المواتية التي تمكنها من الاستفادة من تلك التكنولوجيا، بينما تتحمل نفس تلك الفئات في ذات الوقت القسط الأوفر من المخاطر الناتجة عن الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا.

لكن ثمة خطر جوهري يتمثل في تفاقم أوجه عدم المساواة، سواء فيما بين البلدان المختلفة أو حتى داخل كل بلد. كما أنه من المتوقع أن تشهد البلدان النامية، التي تتخذ من برامج التنمية كثيفة العمالة القائمة على التركيز على قطاع التصدير مساراً للتخلص من الفقر، المزيد من تفاقم أوجه عدم المساواة مثل التفاوت في الدخل والثروات. وللتدليل على ذلك، أشار تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية عام 2016 إلى أن 9% من الوظائف في الدول أعضاء المنظمة يمكن تنفيذها آلياً وهي دول تُعد في مجملها صناعية متقدمة. وعلى الجانب الآخر، يمثل هذا الأمر إشكالية خاصة للبلدان ذات الدخل المنخفض،

اليومية للأفراد والمجتمعات في مجالات مثل النقل والاتصالات والطاقة والتمويل والرعاية الصحية والتعليم والبحث العلمي، فضلاً عن موضوعات أكثر حيوية مثل الدفاع والأمن؛ بل إن تلك التكنولوجيا باتت تتطور بوتيرة متسارعة تعجز عن مواكبتها التطورات التي يجري إدخالها على التشريعات القانونية. وبالتالي، لم يعد من قبيل المبالغة القول بأن «الحاسب الآلي وغيره من الأجهزة الرقمية المتطورة تفعل للقوة الذهنية.. ما فعله محرك البخار إبان الثورة الصناعية للقوة البدنية» حسبما ورد في تقرير لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

فعلی غرار ما نتج عن الثورة الصناعية الأولى، سوف يعيد الذكاء الاصطناعي تحديد شكل العلاقة بين رأس المال واليد العاملة في العالم على أسس جديدة، وإن بدرجات متفاوتة في البلدان المتقدمة والبلدان النامية والأقل نمواً. فهناك صلة وثيقة، بل وعضوية، بين المكاسب الاقتصادية المترتبة على استخدام الروبوت أو ما يُسمى مجازاً الإنسان الآلي وبين استبدال جزء من القوة العاملة. ففي حين أن المكاسب الإنتاجية والاقتصادية التي يحققها الروبوت ستساعد الشركات على المحافظة على قدرتها التنافسية وعلى توفير العديد من الوظائف الأعلى أجراً في بعض البلدان المتقدمة، فإن قياس المنافع الاقتصادية المترتبة على استخدامها بدقة لا يزال يشكل تحدياً، خاصة في مواجهة الآثار الاجتماعية لاستخدام الروبوت والتي من المتوقع أن تكون أكثر سلبية. إذ يمكن



## الذكاء الاصطناعي والتنمية والعلاقات الدولية

الاصطناعي في سياق أشمل وهو العلاقات الدولية. وفي هذا السياق، ترصد دراسة صادرة عن المعهد الملكي للعلاقات الدولية في لندن «تشتاتهم هوس» الأدوار الممكنة للذكاء الاصطناعي في مجال العلاقات الدولية من خلال دراسة تأثيره في مستقبل الحروب والأمن الإنساني والاقتصاد؛ فضلاً عن التنويه إلى ما بات متداولاً عن استغلال للذكاء الاصطناعي في حملات دعائية من شأنها التأثير على العمليات الديمقراطية. وهذه إشارة إلى تلك الاستخدامات التي توصف عادة بأنها مُغرصة لأنها تسعى إلى استغلال البيانات المتاحة عن الأفراد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي على سبيل المثال لتوجيه رسائل تسهم في توجيه هؤلاء الأفراد على نحو معين؛ فبناءً على ما يتم جمعه من معلومات عن الناخبين يتم من خلال برمجيات الذكاء الاصطناعي التعامل مع هذه المعلومات لتصنيف الناخبين ثم صياغة رسائل موجهة ومناسبة بهدف التأثير على أسلوب التصويت في المناسبات الانتخابية وهو ما يمكن أن يفتح الباب للقدح في سلامة العمليات الديمقراطية.

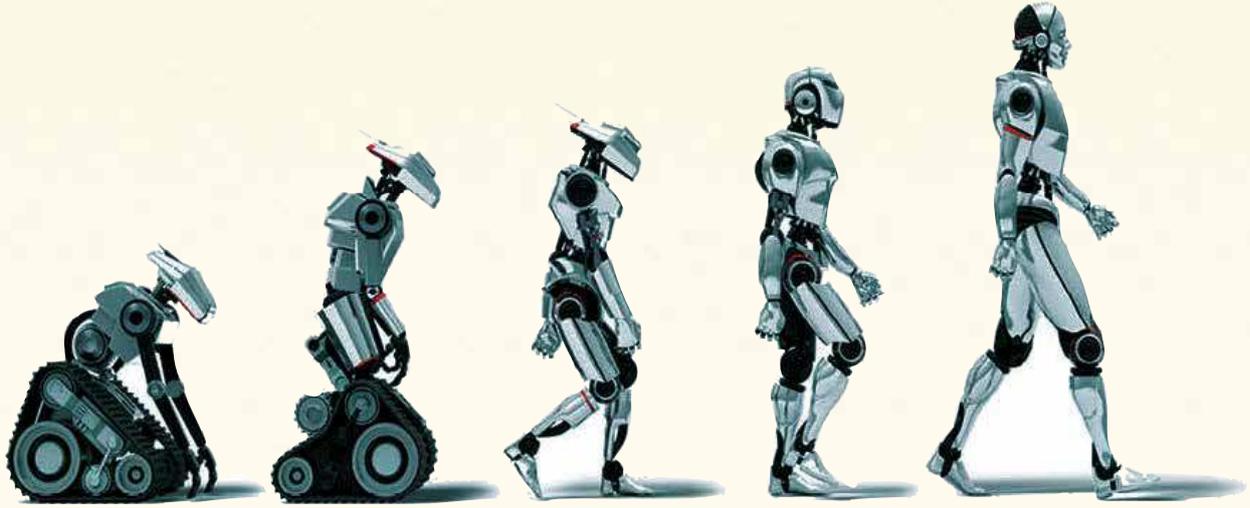
وترسم دراسة المعهد الملكي للعلاقات الدولية إطاراً يتوخى ثلاثة أنواع من الأدوار للذكاء الاصطناعي في سياق العلاقات الدولية أولها هي: الأدوار التحليلية التي تشمل التعامل مع كميات ضخمة من المعلومات، وهي أدوار من شأنها تغيير أسلوب رؤية صناعات القرار للعالم؛ وثانيها هي الأدوار في مجال التنبؤ حيث يمكن للذكاء الاصطناعي الانخراط في نماذج معقدة للمفاوضات مثلاً مع وجود بعض التحفظات على دقة تلك التنبؤات حتى الآن؛ وأخيراً الأدوار العملياتية للذكاء الاصطناعي والتي من أمثلتها أنظمة الأسلحة المستقلة ألياً والتي يثير تطويرها قضايا أخلاقية وقانونية لاسيما وأنها مستقلة تماماً بخلاف الطائرات المسييرة مثلاً والتي يتم

من الفئات غير المُدربة مثلاً لإدماجهم في وظائف جديدة الأمر الذي ينطوي في حد ذاته على صعوبات جمة في ظل عدم كفاية البنية الأساسية للتعليم والتدريب في الكثير من الدول النامية.

كما يُصَفى الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعي أهمية خاصة على مفهوم حيوى وأساسى فى العلاقات الدولية، ألا وهو «نقل التكنولوجيا» الذى يمثل محور التماس بين موضوع الذكاء الاصطناعي ذى الأهمية المتصاعدة لجهود التنمية فى الدول النامية وبين مؤسساتها الرسمية القائمة على العمل الدبلوماسى، وفى المقدمة منها مصر. وقد تعرض مفهوم «نقل التكنولوجيا»، ومن وجهة نظر مصالح الدول النامية، لانتكاسة تمثلت فى تعثر ثم فض المفاوضات الدولية التى دارت لسنوات فى إطار مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية للتوصل إلى اتفاق حول مدونة قواعد سلوك دولية لنقل التكنولوجيا. ورغم ما تقدم، يجدر التنويه إلى أن مطلب نقل التكنولوجيا يظل مطروحاً من جانب البلدان النامية فى إطار العديد من المنظمات الدولية ذات العضوية العالمية وفى مقدمتها الأمم المتحدة وأجهزتها؛ فضلاً عن طرح الموضوع بقوة على جدول أعمال وكالات دولية متخصصة فى سياق منظومة الأمم المتحدة مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (الوايبو). وهنا، من جديد، تبرز أهمية القدرات المختلفة للكوادر الدبلوماسية كعنصر من عناصر القوة الناعمة لكل دولة ومنظمة إقليمية أو شبه إقليمية، وكذلك للكوادر الدبلوماسية العاملة فى الأمانات العامة لتلك الوكالات الدولية المتخصصة.

فى ضوء ما سبق، لا يبدو مُستغرباً إذن أن يتسع مجال البحث لاستقراء التحديات التى يمثلها الاعتماد المتزايد على الذكاء

بالفعل مرحلة يسهم فيها التغيير الهائل الذى تحدثه التكنولوجيا فى التغلب على العديد من التحديات، بما فيها تلك التحديات التى تواجهها اقتصاديات الدول النامية وتلك الأقل نمواً. ويقدر ما قد يُفترض من تأثير سلبي للذكاء الاصطناعي على اقتصاديات البلدان النامية فإنه يمكن أيضاً أن يكون لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، على وجه الخصوص، العديد من الآثار الإيجابية المهمة والمؤثرة. إلا أنه لا بد من التنويه إلى استمرار وجود عدد من العقبات أمام تطبيق هذه التكنولوجيا ومن بينها أن البنية التحتية المتوفرة لدى الدول النامية ليست قادرة بالضرورة على تحقيق التكامل بين جميع أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي. ومن ثم، يجب إيلاء أولوية قصوى لبناء البنية الأساسية المطلوبة والملائمة فى البلدان النامية وتلك الأقل نمواً لإدماج بعض أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي ولتطوير الجيل القادم منها حتى يتسنى استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل إيجابى اقتصادياً واجتماعياً فى تلك الدول. ولعل من أبرز مجالات الاستفادة الممكنة للبلدان النامية بشكل عام من الذكاء الاصطناعي، على سبيل المثال لا الحصر، قطاعات لها دلالاتها وتأثيرها المباشر وغير المباشر مثل: إمكانية زيادة محصول الأراضى الزراعية فى البلدان النامية وتلك الأقل نمواً وتوفير أساليب فعالة لمواجهة انتشار الأمراض وعلاجها. ولا شك أن مثل هذه التطبيقات ذات الفائدة لن تتأتى دون تكلفة اجتماعية، الأمر الذى يستوجب الاستعداد اللازم من الدول النامية للآثار السلبية المحتملة سواءً على صعيد إعادة تأهيل العاملين



التهيؤ لتداخل الذكاء الاصطناعي في العديد من أوجه الحياة وللأبعاد المستقبلية لتأثيراته؛ فضلاً عما يطرحه ذلك من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، ومن ثم، تتزايد الحاجة إلى تخصيص موارد بشرية ومادية مناسبة لمواكبة القفزات الناجمة عن الاعتماد على تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وفي القلب من ذلك، أهمية بلورة رؤية بعيدة المدى وكيفية التعامل مع تلك الثورة الصناعية الجديدة. وحرى بأفق مثل هذه الرؤية ألا يقتصر فحسب على استخدام مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي القائمة والمستقبلية. فتعظيم العائد وتحقيق الاستفادة المثلى من التداخلات المتزايدة والمفيدة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في مناحي الحياة لا بد أن يتواكب مع استتدراك تأثيراتها المحتملة؛ فضلاً عن صياغة الأطر القانونية والتنفيذية والدبلوماسية التي تضمن مساندة تطورات تلك التكنولوجيا، بل وتستبقها إن أمكن، وطنياً وإقليمياً ودولياً. إن الأهمية التي يكتسبها موضوع الذكاء الاصطناعي باتت تفرضه على موائد البحث والنقاش العام والمتخصص على حد سواء وقد تناولته أقلام عدة حفزت «الدبلوماسية» على أن تسهم بقدر في إلقاء مزيد من الضوء عليه. ولعل من شأن المقالات التي يضمها ملف هذا العدد أن تفتح نوافذ جديدة للقارئ كي يطل على الموضوع من زوايا متعددة ما بين تحولات القوة التي يمكن أن يحدثها الذكاء الاصطناعي، وإمكانات الاستفادة من الفرص الواعدة له، والنظر إلى مستقبل الذكاء الاصطناعي، وقدرة الآلة على محاكاة العقل البشري وطريقة عمله.

توثيق علاقات العمل بين القطاعين العام والخاص، لاسيما في مجالات الدفاع والأمن. • ضرورة وضع مدونات سلوك لضمان إمكانية التشارك في فوائد تطبيقات الذكاء الاصطناعي بشكل واسع مع تفادي مخاطرها المحتملة؛ على أن تراعى عملية وضع تلك المدونات ما قد يكون هناك من اختلافات جذرية بين محاولة تنظيم تداول أنظمة الذكاء الاصطناعي وبين الممارسات التنظيمية السابقة في مجالات مثل تنظيم تجارة الأسلحة أو حرية حركة السلع في سياق تحرير التجارة العالمية، وإن كان ذلك لا يمنع من الاستعانة بالدروس المستفادة من مثل هذه الأمثلة. • ضرورة إيلاء اهتمام خاص من جانب مطوري ومنظمي تطبيقات الذكاء الاصطناعي لمسألة العلاقة بين كل من الذكاء البشري والاصطناعي، فكل منهما يختلف جذرياً عن الآخر لأن الذكاء البشري قائم على «المعرفة» في الأساس في حين أن الذكاء الاصطناعي يقوم على «المعلومات». ومن ثم، يتعين تصميم تطبيقات التعامل بينهما بحرص شديد ومراجعتها بشكل دوري لتفادي التداعيات الخطيرة واردة الحدوث نتيجة أخطاء التفاهم البشري - الاصطناعي لدى استخدام العديد من التطبيقات. ولعل تلك الإشارة المهمة في التوصية الأخيرة إلى الاختلاف الجذري بين «المعرفة» وبين «المعلومات» كأساس للذكاء البشري والاصطناعي على التوالي من شأنها أن تبدي قدرًا من التحسب الذي يصاحب طرح موضوع الذكاء الاصطناعي، لكنه يُمثل في ذات الوقت حافزاً نحو ضرورة الاستعداد على كافة المستويات لما سيكون لتلك التكنولوجيا من تداعيات. فلا جدال إذن حول ضرورة

تشغيلها عن بُعد من خلال عامل بشري؛ ويُشار إلى أن القضايا الأخلاقية تثور هنا لأن اتخاذ قرارات تتعلق بحياة الإنسان في حالة الأسلحة المستقلة تماماً سيخضع لبرمجيات الذكاء الاصطناعي وليس لرؤية فرد أو أفراد لديهم محددات يصعب حتى الآن تصور إدراك البرمجيات لها. وتخلص الدراسة من خلال توحيها ما قد يكون لتقنية الذكاء الاصطناعي من آثار اقتصادية وعلى موازين القوى في العالم إلى عدد من التوصيات الموجهة إلى الحكومات والمنظمات الدولية غير الحكومية على النحو التالي: • ضرورة ألا تقتصر خبرات الذكاء الاصطناعي على عدد محدود من الدول أو ضمن قطاعات ضيقة من المجتمعات وهو ما يضع على الحكومات مسئولية الاستثمار في تطوير وتوطين خبرات الذكاء الاصطناعي وتوسيع قاعدة تلك الخبرات. • نظراً لعدم وجود عائد مادي مباشر على القطاع الخاص فإنه ينبغي على الحكومات أن تخصص الموارد المالية اللازمة بالتعاون مع الشركات لتطوير ونشر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في أطر ذات أهداف إنسانية مثل تقصير الزمن اللازم للاستجابة للاحتياجات الإنسانية في حالات الطوارئ. • إتاحة المعرفة الشاملة حول إمكانيات وحدود تطبيقات الذكاء الاصطناعي مع إيلاء أولوية أكبر لقضية الإدراك بالجوانب الأخلاقية لدى مطوري الذكاء الاصطناعي. • في ضوء الصفة التجارية لمعظم عمليات تطوير الذكاء الاصطناعي فمن المهم التأكد من أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي ذات المهام الحرجة تتوخى السلامة والجوانب الأخلاقية وذلك من خلال

## حقبة الوزير

### مصر ترفض قانون يهودية الدولة في إسرائيل

أعربت مصر عن رفضها لتبني الكنيست الإسرائيلي لقانون «الدولة القومية للشعب اليهودي»، الذي ينص على أن إسرائيل هي الوطن القومي للشعب اليهودي الذي يعود له حصراً حق تقرير المصير، لتداعياته التي تكرس من مفهوم الاحتلال والفصل العنصري، وتقوض من فرص تحقيق السلام والوصول إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، فضلاً عما ينطوي عليه من آثار محتملة على حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وهو حق ثابت نصت عليه مقررات الشرعية الدولية وغير قابل للتصرف.

كما أبرزت القاهرة المخاطر المحتملة الناجمة عما نص عليه القانون بشأن الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، لما له من تداعيات خطيرة على مستقبل التسوية الشاملة والعادلة للقضية الفلسطينية، وعملية السلام، لاسيما الجهود المبذولة لمحاولة تشجيع الأطراف على استئناف المفاوضات، مؤكدة موقف مصر الراسخ تجاه دعم حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة، وعلى رأسها قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية.

وطالبت مصر المجتمع الدولي بالاضطلاع بدوره في الحفاظ على الحقوق التاريخية والقانونية للشعب الفلسطيني، والعمل على استئناف المفاوضات والدفع بعملية السلام على أساس حل الدولتين وفقاً لمقررات الشرعية الدولية ذات الصلة.

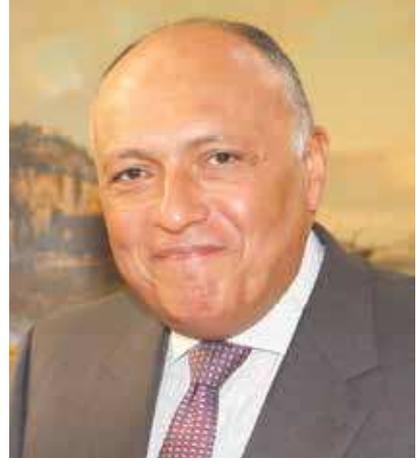
\*\*\*\*\*

أيضاً موضوع أمن البحر الأحمر وأهمية التنسيق والتشاور بين الدول المشاطئة له، والأوضاع في منطقة القرن الأفريقي، وملف مياه النيل وتطورات مفاوضات سد النهضة، حيث حرص وزير الخارجية على إحاطة نظيره السوداني بنتائج زيارته الأخيرة إلى أبيس أبابا.

من جانبه، أشاد د. الدرديري بحرص الجانبين المصري والسوداني على انعقاد اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة في موعدها، وما يعكسه ذلك من جدية في تنفيذ توجيهات القيادة السياسية في البلدين بشأن وضع الشراكة الإستراتيجية موضع التنفيذ. كما أشار وزير خارجية السودان إلى أهمية انعقاد اجتماع آلية التشاور السياسي بين البلدين في الخرطوم قريباً، وكذا اللجنة الرباعية بمشاركة وزيرى الخارجية ورئيسى جهازى المخابرات فى البلدين، مشيراً إلى أن استمرار التواصل والتنسيق على كافة المستويات من شأنه أن يحقق الشراكة الإستراتيجية المنشودة ويزيل أية معوقات أو تحديات تواجه تفعيل برامج التعاون المشترك، بما يضمن العودة بالنفع والمصلحة على شعبى وادى النيل.

الإيجابية على المستوى الثنائي، مثل الاتفاق على توقيع مذكرة تفاهم للتعاون بين مركز التدريب ودعم القرار الدبلوماسى بوزارة الخارجية السودانية، ومعهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية المصرية خلال أعمال اللجنة الرئاسية العليا في أكتوبر المقبل، فضلاً عن تنظيم دورات تدريبية للدبلوماسيين السودانيين بمقر المعهد بالقاهرة، منوهاً بنجاح أعمال اللجنة الفئصلية ولجنة المنافذ البرية، والأثر المتوقع لذلك على المواطنين.

وفيما يتعلق بالقضايا الإقليمية، رحب وزير الخارجية بالجهود الحثيثة للأشقاء فى السودان لتحقيق السلام فى جنوب السودان، وما تمخضت عنه تلك الجهود من توقيع الأطراف الجنوب سودانية على اتفاق تقاسم السلطة، مؤكداً تأييد مصر الكامل لتلك الجهود. كما أشاد الوزير شكرى بجهود الحكومة السودانية لتحقيق الاستقرار فى كافة أرجاء البلاد خاصة فى مناطق دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، داعياً جميع الأطراف السودانية للاستجابة لمبادرات الحكومة السودانية للحوار والتسوية. وقد تناولت المباحثات



تضمنت حقبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

### السودان

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية د. الدرديري محمد أحمد وزير الخارجية السودانى الشقيق، حيث استهل اللقاء مشيداً بتطور العلاقات التاريخية، وهو ما عكسته النتائج الإيجابية للاجتماع التحضيرى للجنة المشتركة على مستوى كبار المسؤولين الذى عقد بالقاهرة، مؤكداً أهمية وضع ما تم الاتفاق عليه موضع التنفيذ، حتى يلمس المواطنون ثمار التعاون المشترك فى مجال التنمية. وأكد وزير الخارجية أهمية الحفاظ على دورية انعقاد الاجتماعات التنسيقية بين وزارتى خارجية الدولتين، معرباً عن تطلعه لزيارة الخرطوم لعقد اجتماع لجنة التشاور السياسى، وكذلك عقد اجتماع اللجنة الرباعية المكونة من وزارتى الخارجية، ومديرى جهازى المخابرات، والتي عقد اجتماعها الأول بالقاهرة فى 8 فبراير 2018 كما تناول خلال اللقاء عدداً من التطورات

### إثيوبيا

كما أكد الجانبان حرصهما على تفعيل الصندوق الثلاثى لتمويل المشروعات التنموية والاستثمارية بين مصر والسودان وإثيوبيا، وزيادة التبادل التجارى والاستثمارات المصرية فى إثيوبيا. كما تم بحث التطورات الإقليمية فى منطقة القرن الأفريقي، والجهود الجارية لتعزيز الأمن والاستقرار والسلام فى تلك المنطقة، لاسيما مع قرب تولى مصر رئاسة الاتحاد الأفريقي مطلع العام المقبل، وما توليه مصر من أهمية لتعزيز الأمن والاستقرار بدول القارة.

إفريقيا. كما تم مناقشة تطورات مسار المفاوضات الثلاثية الخاصة بسد النهضة فى إطار حرص المتبادل على تنفيذ اتفاق إعلان المبادئ لعام 2015، ومخرجات الاجتماع التساعى الأخير الذى عقد بأديس أبابا فى مايو 2018، حيث تم التأكيد على أهمية الدفع قدماً بمسارات التفاوض القائمة وتذليل أية عقبات لضمان التوصل إلى التفاهم المطلوب حول مشروع سد النهضة بشكل يضمن تحقيق المصالح التنموية لإثيوبيا والحفاظ على أمن مصر المائى.

نقل سامح شكرى وزير الخارجية واللواء عباس كامل رئيس المخابرات العامة رسالة من الرئيس السيسى إلى رئيس الوزراء الإثيوبى تناولت تعزيز العلاقات المصرية الإثيوبية، وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه على مستوى القيادتين، وتطورات مفاوضات سد النهضة، بالإضافة إلى القضايا الإقليمية وحرص الجانب المصرى على متابعة مسار تعزيز العلاقات مشيداً بالخطوات والمبادرات البناءة التى ينتهجها رئيس الوزراء الإثيوبى لتعزيز الاستقرار والسلام فى منطقة شرق

## ليبيا

أعربت مصر عن قلقها العميق ازاء التطورات السلبية والخطيرة التي شهدتها ليبيا في الفترة الماضية، وبخاصة المواجهات المسلحة التي تشهدها العاصمة طرابلس وضواحيها، وأكدت القاهرة أهمية استعادة الاستقرار واضطلاع مؤسسات الدولة بواجباتها رعاية لمصالح الشعب الليبي الشقيق، وعلى رأسها المؤسسة العسكرية والمؤسسات الأمنية، والنأي بليبيا عن فوضى الميليشيات حتى يتمكن الشعب الليبي الشقيق من استعادة السيطرة على مقدراته ووضع يده على ثرواته لبناء الدولة الليبية الحديثة المستقرة الموحدة التي يتطلع إليها الجميع.

## بوروندي

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية «باسكالنيا بيندا» رئيس الجمعية الوطنية البوروندية حيث استهل اللقاء بتأكيد الاهتمام بتطوير العلاقات البرلمانية بين البلدين وارتياح مصر لمستوى التعاون والتنسيق القائم، وتطلع مصر لتعزيمه في كافة المجالات خاصة التعاون في مجال الدعم الفنى ونقل الخبرات وتدريب الكوادر البوروندية فى عدد من المجالات على رأسها قطاع الصحة من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية، مشيراً إلى أنه تم تسليم آخر شحنة مستلزمات طبية فى أبريل 2018، تضمنت أجهزة غسيل كلوى. كما نوه الوزير شكرى إلى استجابة مصر لطلب بوجمبورا تقديم كميات من الصاج المعرج لتستخدم كأسطح للمنازل لحمايتها، والتي تم شحن جزء منها فى أغسطس 2018.

وأكد الوزير شكرى اهتمام مصر بدعم قطاعى الزراعة والطاقة فى بوروندى فى ضوء حرصها على نقل خبراتها للأشقاء فى بوروندى وكافة دول حوض النيل، بالإضافة إلى تعزيز التبادل التجارى وزيادة الاستثمارات، بما يرقى لمستوى العلاقات السياسية الممتازة.

ومن جانبه، أكد رئيس الجمعية الوطنية البوروندية على عمق العلاقات التاريخية بين البلدين، وتقدير بلاده للدعم المصرى وتطلعه لاستمرار هذا الدعم لتحقيق الاستقرار والتنمية. كما أشار رئيس الجمعية الوطنية إلى اهتمامه بتلقى البرلمانيين البورونديين التدريب فى مصر، وكذا تطلع بلاده إلى زيادة الاستثمارات المصرية فى بوروندى وتشجيع القطاع الخاص على زيارتها لاستكشاف مجالات الاستثمار المتاحة. وأكد رئيس الجمعية الوطنية استمرار موقف بلاده المتفهم لأهمية مياه النيل للشعب المصرى، ودعم بوروندى لكل جهد يستهدف الحفاظ على أمن مصر المائى.

## إيطاليا

عقد وزير الخارجية سامح شكرى، مباحثات مع نظيره الإيطالى «إنزوموافرو ميلانيزي» فى زيارة تعد الأولى على هذا المستوى منذ عام 2015، حيث أعرب عن تطلعه لأن تمثل الزيارة قوة دفع جديدة لتطويع العلاقات حيث تعد إيطاليا الشريك الثانى لمصر أوروبياً والرابع عالمياً بحجم تبادل تجارى 4,75 مليار يورو، وتعد أكبر مستورد من مصر بقيمة 1.8 مليار دولار، وخامس أكبر مستثمر أجنبى فى مصر بقيمة 7 مليارات يورو. وفى هذا الإطار، أشاد شكرى بقرار الحكومة الإيطالية بافتتاح مكتب لوكالة ضمان الصادرات الإيطالية SACE بالقاهرة، حيث تقدم الوكالة ضمانات حكومية للشركات الإيطالية التى ترغب فى الاستثمار فى مصر، معرباً عن تطلعه لتفعيل مجلس رجال الأعمال المشترك المتوقع منذ عام 2016. كما أشاد الوزير شكرى بالدور المحورى الذى تلعبه إيطاليا لمساندة مصر فى مساعيها للتحويل إلى مركز إقليمى لتداول الطاقة ونقلها إلى القارة الأوروبية، مشيراً إلى استمرار عمليات التنقيب والاستكشاف التى تقوم بها شركة ENI، فضلاً عن العقد الموقع مؤخراً بين وزارة البترول وشركة TECHNIP الإيطالية لرفع القدرة التكريرية لمعمل MIDOR بالإسكندرية بتكلفة تتجاوز 1.5 مليار دولار.

ونوه وزير الخارجية إلى أن الرئيس السيسى أعلن أن 2019 عام التعليم المصرى، مشيراً إلى أن هناك اهتماماً بالغاً من قبل الحكومة المصرية بمشروع إنشاء جامعة إيطالية فى مصر عبر إطلاق شراكة بين جامعة حكومية والجامعات والمؤسسات الأكاديمية الإيطالية المهمة بالمشروع. وتناول الوزيران أيضاً سبل تعزيز التعاون الاقتصادى والتنموى، حيث أعرب وزير خارجية إيطاليا عن رغبة بلاده فى ضخ المزيد من التمويل لدعم قطاع الصناعات الصغيرة والمتوسطة فى مصر، وكذا دعم قطاع الزراعة وتزايد الاعتماد على الصادرات الزراعية المصرية.

وفىما يتعلق بقضية الهجرة غير الشرعية، أوضح شكرى أن مصر استطاعت أن توقف تدفقات الهجرة غير الشرعية من السواحل المصرية منذ سبتمبر 2016، مما يعزز من مصداقية مصر فى هذا المجال، مشيراً إلى أن مصر تتحمل الكثير من الأعباء وأثبتت أنها شريك رائد للاتحاد الأوروبى، وأن مصر تتعامل مع قضية اللاجئين فى المنطقة من منظور إنسانى وترفض أى حلول قائمة على إيداع المهاجرين واللاجئين فى معسكرات أو مراكز تجميع وعزلهم عن المجتمع.

وفىما يتعلق بالملفات الإقليمية، تناول الجانبان تطورات الأوضاع فى ليبيا حيث استعرض الوزير شكرى رؤية مصر تجاه الأزمة الليبية والجهود التى تبذلها لتحقيق الاستقرار، مرحباً بالتعاون مع الجانب الإيطالى للتوصل إلى صيغة شاملة تحقق الاستقرار السياسى والأمنى فى ليبيا، وتواجه الإرهاب، وتعيد بناء مؤسسات الدولة الليبية، وتعالج الخلل القائم فى توزيع الموارد بين المناطق الليبية المختلفة، وتتيح إجراء الانتخابات النيابية والرئاسية فى أقرب فرصة. كما تطرقت المباحثات إلى تطورات القضية الفلسطينية، حيث استعرض الوزير شكرى نتائج اتصالاته مع الأطراف الإقليمية والدولية لوقف عمليات التصعيد وتشجيع الأطراف على استئناف المفاوضات وإعادة إطلاق عملية السلام ومسار الرعاية المصرية لعملية المصالحة الفلسطينية. وقد ناقش الوزيران أيضاً الأوضاع فى القارة الأفريقية، وعلى وجه الخصوص منطقة القرن الأفريقى والصومال، حيث توافقت الرؤى بشأن سبل دعم الاستقرار ومكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية والتهرب فى تلك المنطقة التى تهم البلدين.

ومن جانبه، أعرب الوزير ميلانيزي عن سعادته البالغة بزيارة القاهرة وتطلعه لأن تمثل تلك الزيارة أساساً لانطلاق العلاقات بين البلدين لأفق أرحب، ووجه «ميلانيزي» الدعوة للوزير شكرى للمشاركة فى منتدى روما لحوار المتوسط فى شهر نوفمبر القادم. واتصلاً بقضية الباحث الإيطالى جوليو ريجيني، أعرب وزير الخارجية الإيطالى عن تطلعه إلى إنهاء هذه القضية فى أقرب فرصة ممكنة ومحاسبة المسؤولين عنها، مشيداً بالتعاون القائم بين الجهات القضائية فى البلدين. ومن جانبه، أكد الوزير شكرى أن مصر ملتزمة باستمرار التعاون بين البلدين، وتعززت بذل كافة الجهود لإظهار الحقيقة حول الجريمة وتقديم مرتكبيها إلى العدالة. كما أعرب شكرى عن تقديره للحكومة الإيطالية على تسليم مصر القطع الأثرية التى ضببتها السلطات الإيطالية فى ميناء مدينة ساليرنو عام 2017، مؤكداً أهمية استمرار تعاون الجانب الإيطالى فى القضايا المماثلة.

## الولايات المتحدة الأمريكية

على الساحة الفلسطينية، ولاسيما استمرار حالة التصعيد ضد المدنيين العزل بقطاع غزة، والتوتر الناجم عنها، والممارسات الأخيرة التي تهدد الحقوق التاريخية والقانونية للشعب الفلسطيني، محذراً من سلبيات مرحلة الجمود الحالية التي تمر بها عملية السلام وما تنطوي عليه من تداعيات خطيرة على أمن واستقرار المنطقة.

استعرض جرينبلات من جانبه نتائج الاتصالات التي قام بها مع عدد من الأطراف الإقليمية والدولية للتمهيد لطرح الرؤية الأمريكية لدعم عملية السلام، معرباً عن تقدير الإدارة الأمريكية البالغ للجهود التي تبذلها مصر لتحقيق المصالحة الفلسطينية، والتي اعتبرها خطوة أساسية ومحورية لمعالجة الوضع في غزة، وجزءاً لا يتجزأ من أية خطة شاملة لتحقيق السلام. كما تطرق الحديث إلى مستقبل الأونروا والموقف الأمريكي منها، حيث أكد وزير الخارجية من جانبه على الدور المهم الذي تضطلع به الأونروا لدعم الاحتياجات المعيشية الأساسية للاجئين الفلسطينيين، والتي هي قضية لا يمكن فصلها عن أي تصور لحل شامل وعادل ودائم للقضية الفلسطينية. وقد أكد الوزير شكري ضرورة وجود أفق سياسي واضح لتحقيق التسوية السلمية، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعزز من فرص استئناف المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. وأردف أن اللقاء تناول أيضاً سبل تحسين الوضع الاقتصادي ومستوى معيشة المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث أكد وزير الخارجية على الأهمية التي توليها مصر للتخفيف من وطأة الأزمة الإنسانية التي يعاني منها الشعب الفلسطيني.

أهمية دعم تطلعات الشعب السوري وحماية وحدته الوطنية والحفاظ على مؤسساته من خلال التوصل إلى حل سياسي على أساس المرجعيات الدولية، يتوافق عليه كافة أطراف الأزمة. كما بحث الوزيران تطورات الشأن الفلسطيني، حيث أشار شكري إلى الجمود الذي يصيب عملية السلام وخطورة استمرار الوضع الحالي الذي تغيب فيه الرؤية الدولية الموحدة لكيفية استئناف المفاوضات. وقد أشاد بومبيو بالجهود التي تقوم بها مصر لتحقيق المصالحة الفلسطينية. وتخفيف معاناة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. كما حرص شكري على استعراض الجهود المصرية القائمة من أجل تقريب وجهات النظر بين الأطراف الليبية المختلفة والمساعدة على توحيد المؤسسة العسكرية الليبية لتمكينها من أداء مهامها في استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على الإرهاب. وقد رحب وزير الخارجية بالجهود المصرية المبذولة للمساعدة في حل الأزمة الليبية.

## عملية السلام

واتفق الوزيران على تكثيف التواصل خلال المرحلة القادمة بشكل يضمن توفير الدعم الكامل للعلاقات المصرية الأمريكية، والتشاور بشأن القضايا الإقليمية لإيجاد حلول لأزمات المنطقة تعزز من استقرار الشرق الأوسط.

عقد سامح شكري وزير الخارجية مباحثات مع «مايك بومبيو» وزير الخارجية الأمريكي عكست الرغبة المشتركة في أن تشهد العلاقات الثنائية قوة دفع جديدة خلال المرحلة المقبلة، وذلك من خلال تكثيف الزيارات الثنائية، وعقد جولة جديدة من الحوار الإستراتيجي وآلية 2+2 على مستوى وزيرى الخارجية والدفاع في أقرب فرصة ممكنة. كما حرص «شكري» على إطلاع «بومبيو» على مستجدات الأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر، مستعرضاً ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى تتبناه الحكومة المصرية، كما تناول اللقاء بشكل مستفيض الجهود المصرية فى محاربة الإرهاب، لاسيما على ضوء النجاح المتحقق فى العملية العسكرية الشاملة «سيناء 2018».

من جانبه أكد بومبيو أن مصر شريك إستراتيجي للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط، وأن هناك حرصاً من الإدارة الحالية على تعزيز علاقتها مع مصر، مؤكداً على التزامها بدعم مصر سياسياً واقتصادياً وتنموياً من خلال آليات التعاون القائمة بين البلدين، بما فى ذلك برنامج المساعدات الأمريكى لمصر بشقيه الاقتصادى والعسكرى، وبما يعزز من القدرات المصرية فى مواجهة التحديات الأمنية وتعزيز الاستقرار الإقليمي، مشيداً بالتقدم الملحوظ فى أداء الاقتصاد المصرى على مدار الأعوام الأخيرة.

وقد نالت القضايا الإقليمية حيزاً كبيراً من مناقشات الوزيرين، حيث تطرقا للأوضاع فى سوريا على ضوء التطورات على الأرض وتقييم مسار العملية السياسية. وأعاد الوزير شكري تأكيد محددات الموقف المصرى تجاه سوريا الذى يتأسس على

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية «كاروجايا سورييا» رئيس البرلمان السريلانكى، حيث أعرب عن تقدير مصر للعلاقات التاريخية بين الدولتين، وهو ما عكسه الاحتفال العام الماضى بمرور 60 عاماً على بدء العلاقات الدبلوماسية، مؤكداً تطلع مصر لتعزيز التعاون خاصة فى مجالات الصحة والسياحة والتعليم وتعزيز التبادل التجارى، وأشار إلى أهمية عقد الجولة الثانية للجنة المشاورات السياسية وانعقاد اللجنة المشتركة للتعاون الاقتصادى، وكذا تفعيل عمل مجلس رجال الأعمال المصرى السريلانكى الذى تأسس فى أبريل 2008، وإعطاء دفعة للعلاقات الثنائية. كما رحب وزير الخارجية بمبادرة الجانب السريلانكى لإطلاق جمعية الصداقة البرلمانية مع مصر فى مايو 2018، والتي تضم 14 نائباً يمثلون الأطياف السياسية والعرقية والدينية فى سريلانكا.

وأكد الوزير شكرى أهمية الإرث المصرى فى جزيرة سيلان، حيث أشرف الزعيم أحمد عرابى خلال إقامته على الجزيرة بعد نفيه من مصر على إنشاء مدرسة حديثة فى كولومبو عام 1891، والتي تحمل اسم «المدرسة الزاهرة»، فضلاً عن تحول منزله إلى متحف يضم مقتنياته الشخصية ولوحات ووثائق، وحيث أعرب عن تطلع مصر للاستفادة من هذا الإرث الثقافى والتاريخى الكبير ثقافياً وسياحياً، وهو ما يتطلب القيام بمراجعة الاتفاق الثقافى الموقع عام 1961، وذلك إضافة مجالات جديدة للتعاون. كما تناول الوزير شكرى جهود الحكومة المصرية للتطوير فى مختلف المجالات خاصة من خلال تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى وجذب الاستثمارات الأجنبية، معرباً عن استعداد مصر لزيادة الاستثمارات وتبادل الخبرات فى شتى المجالات. كما أبرز جهود الحكومة المصرية فى مجال تمكين الشباب والمرأة. وفيما يتعلق بمكافحة الإرهاب والفكر المتطرف، أوضح وزير الخارجية جهود مصر فى هذا المجال سواء على المستوى الأمنى أو الفكرى من خلال دور الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية فى مكافحة الفكر المتطرف. كما ثمن التعاون القائم بين البلدين فى المحافل الدولية. ومن جانبه، أكد رئيس البرلمان السريلانكى أهمية العلاقات التاريخية، مشيراً إلى حرصه على تعزيز العلاقات الثنائية فى كافة المجالات على ضوء الفرص الكبيرة المتاحة للتعاون، وأخذاً فى الاعتبار الموقع المتميز للدولتين وما يوفره من مزايا فى هذا الصدد.

اجتمع سامح شكرى وزير الخارجية مع مديرى ومسئولى كبرى الشركات الأمريكية المستثمرة فى مصر أو الراغبة فى الاستثمار، ومنها شركات أبانشى وإكسون موبيل وهانى ويل وميت لايف وكارجيل ولوكهيد مارتن حيث استعرض ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى تبنته الحكومة المصرية من أجل تحسين البيئة الاقتصادية لتصبح أكثر استقراراً وجاذبة للاستثمارات الأجنبية، متطرقاً لسبل الارتقاء بمستوى التبادل التجارى والاستثمارى وداعياً رجال الأعمال لزيادة استثماراتهم فى إطار الشراكة الإستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة التى تقتضى تعزيز التعاون فى مختلف قطاعات الاقتصاد وعدم قصرها على مجالى الطاقة والبترو، مستعرضاً قانون الاستثمار الجديد الذى يخلق بيئة مواتية تشجع رجال الأعمال على الاستثمار فى مصر، بالإضافة إلى سن قانون جديد للخدمة المدنية من أجل الارتقاء بمستوى العاملين بالجهاز الإدارى للدولة، وقانون جديد لأسواق رأس المال يسهل على المستثمرين إجراءات الدخول فى مشروعات جديدة. كما أشار وزير الخارجية إلى الأولوية التى تمنحها الحكومة المصرية حالياً للارتقاء بقطاعى الصحة والتعليم، وهو ما يقود بالتبعية إلى الارتقاء بمستوى القوة العاملة لجعلها قادرة على الاستجابة للمنافسة فى ظل تحديات الاقتصاد العالمى، مشيراً إلى أن هذه الإجراءات الإصلاحية بدأت تؤتى ثمارها، حيث ارتفع معدل النمو الاقتصادى فى البلاد، وانخفض معدل البطالة، كما ارتفع حجم احتياطي النقد الأجنبى. واستعرض وزير الخارجية المشروعات القومية التى تنفذها الحكومة المصرية حالياً، خاصة مشروع العاصمة الإدارية الجديدة، ومشروعات البنية التحتية فى مجال النقل، موضحاً أن مشروع محور قناة السويس يعد من أبرز المشروعات الضخمة التى ستحول مصر إلى مركز إقليمي وعالمي للتجارة والصناعة. ودعا شكرى رجال الأعمال لإنشاء منطقة اقتصادية أمريكية فى المنطقة الصناعية التابعة لمحوّر قناة السويس. كما أكد وزير الخارجية أن مصر تستهدف أن تكون مركزاً إقليمياً للطاقة، فى أعقاب اكتشافات احتياطيات كبيرة من الغاز البحرى فى شرق المتوسط، بالإضافة إلى ما هو مخطط لأن تتحول مصر إلى منصة لتصدير الطاقة النظيفة والمتجددة من أفريقيا إلى أوروبا.

وقد أشاد ممثلو القطاع الخاص الأمريكى وأعضاء الغرفة بالتقدم المحرز على مسار تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى والمالى، وما تشهده مصر من نقلة نوعية وطفرة حقيقية نتيجة تنفيذ عدد من المشروعات القومية العملاقة التى تمثل عنصر جذب أساسى للاستثمار الأجنبى، مشيرين إلى التقدم الملحوظ الذى أحرزته الدولة خلال الفترة الأخيرة بشهادة المؤسسات المالية الدولية. كما شهد اللقاء نقاشاً حول سبل دعم علاقات التعاون بين مصر والولايات المتحدة، حيث استعرض شكرى كافة جوانب العلاقات المصرية الأمريكية، مشيراً إلى أنها ذات طبيعة إستراتيجية، وتمثل حجر الزاوية للاستقرار والسلام فى المنطقة، فضلاً عن أنها تعكس إدراك الطرفين لأهمية تلك العلاقة وضرورة توفير كافة عناصر الدعم لها. كما حرص وزير الخارجية على استعراض النجاح الذى حققته مصر فى مجال مكافحة الإرهاب.

## الأمم المتحدة

الدولية ذات الصلة. ومن جانبه أعرب المسئول الأسمى عن تقدير ودعم الأمم المتحدة للجهود المصرية إزاء الدفع بعملية المصالحة الوطنية الفلسطينية وإنهاء الانقسام، وحرصها على تكثيف التنسيق مع مصر خلال هذه المرحلة الحرجة، وفى هذا الإطار اتفق الطرفان على مواصلة التشاور والتنسيق بين الجانبين خلال المرحلة المقبلة من أجل الدفع بعملية السلام فى المنطقة واستئناف المفاوضات لإرساء دعائم الأمن والاستقرار فى المنطقة بأكملها.

عقد الوزير سامح شكرى لقاء مع «نيكولاى مادينوف» المنسق الخاص للأمم المتحدة لعملية السلام فى الشرق الأوسط، للتباحث بشأن المستجدات على الساحة الفلسطينية وسبل الدفع بعملية السلام، حيث استعرض الرؤية والمسعى التى تقوم بها مصر من أجل تحقيق التهدئة بالأراضى الفلسطينية، فى ضوء ما شهده قطاع غزة مؤخراً من تصعيد ضد المدنيين العزل، محذراً من خطورة استمرار الوضع القائم دون استئناف عملية السلام على أساس حل الدولتين، والتوصل إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية وفقاً لمقررات الشرعية

## برنامج الغذاء العالمي

والتنمى للبرنامج فى دعم جهود دول المنطقة فى تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

ومن جانبه قدم المسئول الأسمى عرضاً للمشروعات التى يضطلع بها المكتب فى مصر والمنطقة، مشيراً إلى الاهتمام الخاص الذى يوليه البرنامج لدعم برامج التضامن الاجتماعى التى تتبناها الحكومة المصرية، وكذلك توفير الاحتياجات الغذائية للاجئين على الأراضى المصرية خاصة السوريين.

إجمالية قدرها 454 مليون دولار يتحملها البرنامج، والتى تعد إحدى أكبر الخطط الإستراتيجية للبرنامج فى منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، كما استعرض خطة مصر حال توليها منصب نائب رئيس مكتب المجلس التنفيذى للبرنامج للعام الجارى ورئيساً للمجلس التنفيذى عام 2019، مؤكداً استمرار مصر فى تقديم الدعم اللازم لإدارة البرنامج ومكاتبه الإقليمية والوطنية، فى ضوء الدور الإنسانى

عقد سامح شكرى وزير الخارجية لقاء مع «مانجستا بهايلى» الممثل المقيم ومدير مكتب برنامج الغذاء العالمى فى مصر؛ لمناقشة جهود الحكومة المصرية فى توسيع شبكة الحماية الاجتماعية وتحقيق الأمن الغذائى، حيث أعرب «شكرى» عن شكره للدعم الذى قدمه البرنامج ومدير المكتب فى مصر خلال جلسة اعتماد الخطة الإستراتيجية لمصر للفترة ما بين 2018-2023 بتكلفة

## منظمة التعاون الإسلامى

ظاهرة الإسلاموفوبيا. ومن جانبه، استعرض أمين عام المنظمة المبادرات والمشروعات التى تنخرط فيها فى التوقيت الحالى لتفعيل ودعم التعاون بين الدول الإسلامية فى المجالات المختلفة، مقدماً الشكر لمصر ودورها المشهود فى دعم أنشطة منظمة التعاون الإسلامى وتعزيز دورها. وقد أعرب وزير الخارجية من جانبه عن تقدير مصر للجهود التى تبذلها الأمانة العامة من أجل متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن منظمة التعاون الإسلامى بأكبر قدر من الحيادية، منوهاً إلى حرص مصر على التشاور والتنسيق الدائم مع الأمين العام وتقديم يد العون والمساعدة له فى أداء مهام منصبه بما يصب فى النهاية فى صالح المنظمة.

الإسلامية والتى تمتد تداعياتها لتؤثر على المنطقة برمتها، وضرورة التوصل إلى حلول سياسية لمختلف هذه الأزمات من أجل تعزيز أمن واستقرار العالم الإسلامى. كما تطرق شكرى إلى استضافة مصر للمؤتمر الرابع لوزراء المياه بمنظمة التعاون الإسلامى خلال الفترة من 14 - 16 أكتوبر 2018 مشيراً إلى تطلعه لأن تسهم مخرجات المؤتمر فى دعم قدرات الدول الأعضاء إزاء قضية إدارة موارد المياه العابرة للحدود.

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية السيد يوسف العثيمين أمين عام منظمة التعاون الإسلامى حيث أكد أهمية الدور الذى تلعبه منظمة التعاون الإسلامى باعتبارها المنبر الأساسى للعمل الإسلامى المشترك، وحرص مصر على دعم كافة الجهود الرامية إلى تطوير آليات العمل بها من أجل خدمة قضايا الأمة والشعوب الإسلامية، ودعم مصر لما يقدم من أفكار بناءة من أجل دفع العمل داخل منظمة التعاون والارتقاء بمستوى الأداء، منوهاً فى هذا السياق إلى أهمية مواجهة أية محاولة لتوظيف المنظمة وأجهزتها المختلفة لتحقيق مصالح ذاتية لا تتسق بالضرورة مع أهدافها ومقاصدها العليا. وتناول اللقاء الأزمات التى تشهدها العديد من الدول

وأكد وزير الخارجية أيضاً على أهمية مد جسور التعاون والتنسيق بين منظمة التعاون الإسلامى وبين الأزهر الشريف ومرصده لمكافحة الإرهاب والتطرف، بما يساعد على نصرة قضايا العالم الإسلامى ومواجهة

\*\*\*\*\*

## الإعداد لمؤتمر التعاون جنوب - جنوب

فيما بين دول الجنوب بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة ونهضة شعوب الجنوب وصياغة تصور واضح لتطوير التعاون فيما بين دول الجنوب من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة وفقاً لأجندة التنمية الدولية 2030، ولمواجهة التحديات المختلفة بعد 40 عاماً من التوقيع على إعلان «بوينس أيرس» للتعاون جنوب-جنوب» عام 1978.

الأمم المتحدة للتعاون جنوب - جنوب، وشارك فيه مسئولون من الخارجية المصرية وأكثر من 60 دولة ومنظمة دولية وإقليمية، إضافة لمؤسسات التمويل ووكالات التنمية الدولية لعرض رؤية مصر، كرئيس حالى لمجموعة ال-77 والصين وباعتبارها الرئيس القادم للاتحاد الأفريقى، لسبل تطوير التعاون

استضافت وزارة الخارجية بالتعاون مع الأمم المتحدة أعمال الاجتماع التشاورى الحكومى للإعداد لمؤتمر الأمم المتحدة رفيع المستوى للتعاون جنوب - جنوب، حيث افتتح الاجتماع السفير هانى سليم مساعد وزير الخارجية للتعاون الدولى للتنمية، وخورخى شدياق مبعوث أمين عام

## وكالة أونروا

مصر الراسخ تجاه دعم القضية الفلسطينية بشكل عام، وحقوق اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص. وأضاف المتحدث أن مصر حريصة كل الحرص على التواصل مع كافة الأطراف الدولية خلال الفترة المقبلة لدعم أونروا، واتخاذ كل ما هو ضروري للحفاظ على وتيرة العمل الإنساني للوكالة كركيزة من ركائز الاستقرار لأوضاع اللاجئين الفلسطينيين، والعمل على استمرار ولايتها وهياكلها القائمة.

عرب المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية عن قلق مصر البالغ إزاء الأوضاع الإنسانية للاجئين الفلسطينيين، والتي تزداد صعوبة يوماً بعد يوم، لاسيما مع تزايد التضييق على وكالة أونروا وعدم تمكينها من الاضطلاع بدورها الهام في رعاية الشئون الحياتية والضرورية للاجئين، مشيراً إلى أن القرار الأمريكي الأخير جاء في توقيت حرج، تتضافر فيه الجهود الدولية من أجل الحفاظ على وتيرة العمل الإنساني للوكالة، ومؤكداً موقف

## التحالف الدولي ضد داعش

دعت مصر إلى وضع مدونة سلوك لوسائل الإعلام المرئية والرقمية للقضاء على خطاب الكراهية والتحريض وأكدت محورية دور المؤسسات الدينية المصرية في مكافحة الفكر المتطرف، وذلك خلال اجتماع مجموعة عمل إستراتيجية الاتصال والإعلام التابعة للتحالف الدولي ضد داعش، والتي انعقدت بواشنطن، حيث تم تأكيد أهمية ما تمثله هذه المرحلة الدقيقة من عمر التحالف، بعد توجيه ضربات قاسمة لتنظيم داعش ميدانياً، وأن يدرك أعضاؤه خطورة المرحلة ومتطلباتها التي تقتضى خوض غمار معركة إعلامية وفكرية شرسة ضد خطاب التطرف والكراهية والعنف والتصدي بشكل جاد لخطاب الكراهية والعنف، لأن دواعش أخرى قد تظهر بغض النظر عما تحقق من انتصار عسكري، وأنه لا سبيل للقضاء على داعش أو غيره من التنظيمات دون التصدي لهذا الخطاب الشاذ بكافة صوره وأشكاله وأياً ما كان مصدره. وطالب وفد مصر مجموعة عمل إستراتيجية الاتصال والإعلام بضرورة وضع مدونة سلوك أو معايير استرشادية للتصدي لخطاب الكراهية المنتشر في بعض القنوات الفضائية ومنصات التواصل الاجتماعي المختلفة، وعدم السماح لمروجي الكراهية والعنف بالتخفي خلف ستار حرية الرأي والتعبير، وضرورة وضع محددات وضوابط واضحة لإزالة أي وجه للالتباس بين مفردات الكراهية والعنف ومبدأ حرية الرأي والتعبير الذي نحرص عليه جميعاً. كما طالبت مصر شركات التواصل الاجتماعي ببذل المزيد من الجهد من أجل التوصل إلى آلية فعالة لحذف العدد اللانهائي من رسائل الكراهية والعنف عبر منصاتهما المختلفة بشكل فوري وتلقائي، وكذا التعامل مع إشكالية القنوات التحريضية التي تبث سموم الكراهية والعنف عبر الأقمار الصناعية في بعض الدول الأوروبية، منوهاً إلى أهمية معالجة الثغرات القانونية والعوائق البيروقراطية التي تسمح لهذه القنوات بالاستمرار في الترويج لأفكار التطرف والإرهاب. كما أكدت مصر أهمية أن يكون لمجموعة العمل مساهمة إيجابية لإثراء النقاش الدائر حول مختلف جوانب مكافحة الإرهاب بالعديد من المنظمات الدولية، وعلى رأسها الأمم المتحدة، وتفعيل المبادرات التي طرحتها بعض الدول أعضاء التحالف بشكل فردي، ومنها على سبيل المثال ما قدمته مصر من إسهامات خلال عضويتها في مجلس الأمن عامي 2016 و2017 ورئاستها للجنة مكافحة الإرهاب آنذاك، والتي أسفرت عن اعتماد القرار رقم 2354 بشأن الإطار العام لمواجهة أيديولوجية التطرف. كما تم تأكيد ضرورة توحيد الرسالة الإعلامية لدول التحالف والتحدث بصوت واحد لقطع الطريق أمام المزايدين الذين يلعبون على غموض المصطلحات والتباينات الواضحة في مواقف دول التحالف، واستغلالها لتبرير ممارساتهم الهدامة وأيديولوجياتهم المنحرفة، وضرورة التوقف عن استخدام المعايير المزدوجة والعبارات الفضفاضة والملتبسة في وصف الإرهاب دون سند علمي أو قانوني واضح، والتي تصل في بعض الأحيان إلى تشبيه أعمال الإرهاب بأحداث التمرد. كما نقل وفد مصر وجهة النظر المصرية القائمة على حتمية المواجهة الشاملة مع الإرهاب أمنياً وفكرياً، مشيراً إلى ما تمتلكه مصر من مؤسسات دينية لها باع طويل في مواجهة خطاب الكراهية والتطرف وتقديم صحيح الدين، وعلى رأسها مؤسسة الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية، وحجم التأثير الواسع لتلك المؤسسة العريقة وما تتمتع به من إجلال وإكبار على مستوى العالم الإسلامي، وهو ما ينبغي على التحالف الدولي تعظيم الاستفادة منه.

## اجتماع

## مجلس السلم والأمن الأفريقي مع مجلس الأمن

شهد مقر الأمم المتحدة بنيويورك أعمال الاجتماع التشاوري السنوي المشترك الثاني عشر بين كل من مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقي ومجلس الأمن. بمشاركة مصر على ضوء عضويتها في مجلس السلم والأمن الأفريقي، وحيث ركز الاجتماع على التباحث حول تطورات الأوضاع في كل من جنوب السودان والكونغو الديمقراطية، بالإضافة إلى مسألة تمويل أنشطة السلم والأمن التابعة للاتحاد الأفريقي، وجهود المجلسين في منع النزاعات، فضلاً عن العملية القائمة للإصلاح المؤسسي لكل من الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي. وقد التقى مجلس السلم والأمن بكل من نائب سكرتير عام الأمم المتحدة والمجموعة الأفريقية بنيويورك ومجموعة الدول الأفريقية الأعضاء بمجلس الأمن، إضافة إلى جولات تفاوضية مع الدول الأعضاء بمجلس الأمن للإعداد للبيان السياسي المشترك بين المجلسين، وهي الجهود التي أدت في النهاية إلى التوافق حول اعتماد البيان بنجاح في ختام الاجتماع والذي جاء في توقيت مهم للغاية، حيث تشهد جهود تعزيز المشاركة بين الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي زخماً كبيراً، لاسيما في موضوعات السلم والأمن والموضوعات التنموية، وهي المسائل التي تضطلع مصر في إطارها بدور رئيسي، لاسيما وأن مصر أحد الآباء المؤسسين لمنظمة الوحدة الأفريقية وكذا إحدى أكبر الدول المساهمة في ميزانية الاتحاد الأفريقي ككل، بالإضافة إلى رئاستها لمجموعة ال-77 والصين.

## سوريا.. معركة أخرى على إعادة الإعمار

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، عقد الحلفاء المنتصرون اجتماعاً لمنع تكرار الحرب الرهيبة، سأل الرئيس الأمريكي ترومان الزعيم السوفيتي ستالين عن أفضل السبل لإنجاز ذاك الهدف، سرح ستالين بخياله بعيداً، ثم نفت دخان غليونه بكثافة، وقال: «المنتصر يفرض شروطه وإرادته، لذلك فإن قواتنا ستثبت احتلالها للجزء الشرقي من ألمانيا، بينما تستمر قواتكم في هيمنتها على الجزء الغربي». اتفق المنتصرون على أن تقسيم ألمانيا هو الحل، للحيلولة دون اندفاع شعبها المقاتل إلى محاولات التوسع في أوروبا والعالم مرة ثانية، بينما طالبوا جيران بولندا بالكف عن اعتبارها «كعكة» يتسابقون على قضمها ونهشها.

وحدها، إنما في الشرق الأوسط برمته، للدفاع عن وجودها في القوقاز وأوكرانيا وآسيا الوسطى، ومنع توسع الإرهاب نحو أراضيها، رسم بوتين الخريطة ووضعها في جيبه، لاعباً على تناقضات الجميع، وفي عباته تتدثر الصين، بلغ التقارب الأمريكي- الروسي حداً غير مسبوق في قمة «هلسنكي»، تأسيساً على تفاهات روسية- إسرائيلية صلبة، بلورتها ثمانى قمم جمعت نتيهاو بيوتين، فإسرائيل لاعب أساسي في المأساة السورية، مثلما برز في تهريب أفراد «الخوذ البيضاء».

تحولات وشيكة في الاصطفافات الإقليمية والدولية، بسوريا وحولها، نجحت قوات النظام السوري في بسط سيطرتها على خط الحدود مع الأردن والجولان، كما انتقل الأردن من داعم لفصائل مسلحة بالجنوب السوري، إلى وسيط في إتمام تسويات، تطور أمله موازين القوى وتغير خريطة المواقف. في السياق ذاته تأتي مفاوضات الأكراد مع النظام للوصول إلى اتفاق، يمكن النظام من السيطرة على المناطق الكردية، مع التزامه بحفظ حقوق القومية الكردية في إطار «السيادة السورية». والجميع بانتظار «أم المعارك» السورية، وربما آخرها، في إدلب التي تضم أكبر تجمع لمقاتلي «القاعدة» والجماعات الإرهابية.



د. محمد حسين أبو الحسن  
مدير تحرير الأهرام  
m\_ha7@hotmail.com

العراق، وتابعه خلفه باراك أوباما بتشجيع ما عرف بـ«الربيع العربي»، النتيجة كما هو معلوم خليط مفعج من الكوارث والأوهام، تحت ظلال الاحتلال والديكتاتورية، ازدهر الإرهاب والخراب، والتدخلات الأجنبية. فالأزمة السورية تكتب آخر فصولها، وتتهيأ لترسيخ قواعد اللعبة «الستالينية»، لكن أعظم مشكلة أمام الانتقال من ميدان الرماية بالقنابل والرصاص إلى ميدان إعادة الإعمار، هو تضارب أجندات الفاعلين الكثرين على الأراضي السورية، تروم الولايات المتحدة أن تكون سوريا «حائط صد» أمام الصعود الإيراني والجوبوليتيكن الروسي والصيني وإنهاء القضية الفلسطينية، على النقيض تسعى روسيا إلى أن ترث ليس في سوريا

سوريا اليوم - في مخيلة الكثرين بالمنطقة وخارجها- مزيج من ألمانيا وبولندا في آن واحد، تنظر دوائر صنع القرار في واشنطن ومعظم العواصم الغربية إلى الدور السوري في الشرق الأوسط بوصفه شبيهاً بدور ألمانيا داخل أوروبا، دولة تتحدى جاراتها وتقلق أمنها: تركيا والعراق ولبنان والأردن وإسرائيل. ترى هذه الدوائر أن التنافس الحاد والتدخلات الغاشمة في الحالة السورية، طيلة السنوات الثماني الماضية، أتت لضبط التوتر والإزعاج الذي تنتشره سوريا بالمنطقة، ومحاوله جاراتها ضمان سلامة الحدود معها، وقضم ما يمكن من «كعكة إعادة إعمارها»، بعد أن انخرط هؤلاء الأقارب والأباعد في مهمة هدم الكيان السوري على رؤوس أهله، كل من زاوية مصالحه ومطامعه.

وتأسيساً على «قاعدة ستالين»، كان الموقع الجيوسياسي لسوريا، وسبقه، ذا أهمية حاسمة في معادلة الصراع مع إسرائيل، ومواجهة مخطط الهيمنة الأمريكية بالمنطقة، تصورت أمريكا، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أنه يمكنها أن تعيد صياغة الشرق الأوسط، بـ«الفوضى الخلاقة»، ثم يذهب الغرب إلى النوم مرتاحاً، لا يتطفل أحد على أحلامه السعيدة، حاول ذلك جورج بوش الابن بديمقراطية الدبابة في

## تركيا على كل الموائد

وتأكل تركيا على كل الموائد، سعت منذ بداية «الثورات العربية، للاستعانة بحلفائها «جماعة الإخوان» الإرهابية، لخلق صدام بين الدول العربية والإخوان فيتدمر الاثنان وتتخطم الجيوش، لتيزغ «خلافة عثمانية جديدة»، عبر تدمير العراق وسوريا، وإلحاق قسم من أراضيها بتركيا، وهي تتابع بقلق، ميل واشنطن لتسليم سوريا لروسيا، نظير تقليص الوجود العسكري لإيران وحلفائها بسوريا، وتحويل الدور الإيراني من عسكري إلى اقتصادي وسياسي، بعد أن نجحت طهران في بناء تفاعلات وامتدادات تتمتع بوزن من أفغانستان إلى باكستان والعراق واليمن، وصولاً إلى سوريا ولبنان. وتواجه أنقرة أسئلة صعبة حول إمكانية التعاون مع نظام الأسد، ومصير ألوف المقاتلين من الجماعات الإرهابية الذين يدينون بالولاء لها، بعد سقوط ملازم الأخير المتوقع في إدلب؟، وتلويح النظام السوري بأنه لن يقبل بالانتهاكات والوجود التركي بالشمال السوري، قال بشار الجعفرى المنسوب السوري بالأمم المتحدة، في معرض إجابته عن سؤال بخصوص «الانتهاكات» التركية لاتفاق أستانا: «سبق للعثمانيين أن بقوا في أراضينا أربعمئة سنة، وطردناهم، هذه المرة لن نسمح لهم بالبقاء أربعمئة سنة، ولا أربع سنين، وسنطردهم».

## أدوات تهريجية خارج الزمن

لقد أفصحت الأزمة السورية عن حقائق صادمة في المشهد العربي، كثير من الأنظمة العربية، وفي مقدمتها النظام القطري مثلت أدوات تهريجية خارج الزمن، تواطأت مع الغزاة الأجانب، وانهمرت سيول المال الخليجي على جماعات العنف والإرهاب في سوريا - وغيرها- تحقيقاً لأجندات لا تمت للمصلحة السورية أو العربية بصلة، اعترف حمد بن جاسم وزير



سوريا، ويريد أن يسلمها إلى آخرين، ليحققوا مصلحته لا مصلحتهم. بينما يتحفظ بعض أركان إدارته على «انسحاب أمريكا» من شرق الفرات الغنى بالنفط والغاز، ومن هؤلاء البنجاحون. الجنرال جوزيف فوتيل قائد القيادة المركزية الأمريكية صرح بأن «الجزء الصعب، لم يأت بعد»، في إشارة إلى دور بلاده المنتظر، بإعادة الإعمار في مرحلة ما بعد الصراع. دول خليجية رحبت بالمقترح الأمريكي والمشاركة بالأموال والقوات، لإبراز دورها وإرضاء واشنطن وعرقلة المشروع التوسعي الإيراني، سواء عبر جيوش نظامية أو مرتزقة «بلاك ووتر»، وفقاً لوسائل إعلام غربية.

## مصر تحظى بثقة يفقدها آخرون

هنا نأتى إلى الدور المصرى بسوريا، كانت مصر وسوريا دولة واحدة، أحقاباً طويلة، منذ رمسيس الثانى حتى عبدالناصر، يبدأ الأمن القومى المصرى من هضبة الأناضول، وأثبتت الأحداث طيلة العقود الأربعة الماضية أن تآكل أدوار القاهرة فتح شهية الطامعين بالمنطقة، ولأنها الوحيدة التي لم تتلوث يدها بدماء السوريين، تحظى مصر بثقة يفقدها الآخرون، دخلت شريكاً برعاية «مناطق

الخارجية القطرية الأسبق بأن بلاده أنفقت عشرات المليارات من الدولارات مع آخرين، وأن الجميع تهاوشوا على الطريدة السورية، لكنها أفلتت منهم! أسهم «البترو دولار» فى تحويل دول عربية «شقيقة» إلى «كانتونات»، يرتبط ولاؤها وتقسيمها بلعبة الصراع بين الجيوبوليتيك الدولي والإقليمي المسعور، ما يفضى إلى إنتاج «موزاييك» يقاتل بعضه بعضاً بلا نهاية، مع شيطنة «الإسلام» الذى يُراد تحويله من دين إلى أداة سياسية للسيطرة على مليار وأربعمئة مليون مسلم، لسببين: الأول مجابهة الصين وروسيا بذرائع دينية، والثانى الإمساك بالمسلمين كمستهلكين أبديين لصناعات الغرب، بالإبقاء على دولهم على درجة عالية من التخلف والتبعية. من هذا المنطلق يمكن النظر إلى موقع سوريا الإستراتيجى الحاكم فى المنطقه، وإلى ثرواتها التى يسيل لها لعاب المتنافسين، مصائد الغاز الطبيعى تحت أراضيها وفى المتوسط واعدة للغاية، كل يطمح فى نصيب معتبر من الكعكة. ترامب رجل «فهلوي»، يريد الانسحاب والأموال وجيوشاً بديلة، ثم يأخذ ثمرة جهودها وينسبها لنفسه، يحتل ربع أراضى



اجتماع وزراء دفاع روسيا وسوريا وإيران في طهران

## سوريا.. معركة أخرى على إعادة الإعمار

خفض التوتر»، لإطفاء الحريق المشتعل، ومد يد العون لمن تقطعت بهم السبل، في خطوة مرحلية على درب كشف الغمة، نسجت القاهرة بهدوء شبكة علاقات إقليمية ودولية، تشكل رافعة لأدوارها، تجعلها محل ترحيب غالبية القوى المتنافسة - ليس كلهم بالطبع- الطريق مملوء بالأشواك، لكن لا بديل عن النهج المصري لتبريد الجبهات، ووقف التشتت العربي والاحتراب الإقليمي، وكبح الهوة في فلك القوى الكبرى التي تعيد حياكة الشرق الأوسط على مقاسات مصالحها، بينما ترقص إسرائيل على جثث الجميع.

يلوح خط نهاية الأزمة السورية من بعيد، في صورة تسوية ما، برعاية موسكو ورضا واشنطن وحلفائهما، بينما يجنب هدير المدافع والكر والفر بين وفود النظام والمعارضة في ردهات التفاوض، احتراباً من نوع آخر، الصراع الشرس للفوز بنصيب من «كعكة إعادة الإعمار»، قدرت التقارير تكلفتها المبدئية بنحو 400 مليار دولار. ماراثون عالمي بين

أيضاً، والتي تتجاوز قيمتها تريليون دولار، بعض الخبراء المصريين قدروا نصيب مصر من إعمار العراق بنحو 30 مليار دولار، وسوريا 125 ملياراً، وليبيا 120 ملياراً: عمالة وشركات وشراكات من الباطن مع كيانات عالمية.. إلخ. مما يحقق مصلحة شعوب هذه البلدان جميعاً، ويعيد للدور المصري زخماً يحتاجه خلال الفترة الراهنة التي يجري فيها إعادة تشكيل المنطقة، وربما كان فرض دمشق رسوماً إضافية أخيراً على السيراميك المصري، رسالة للقاهرة أن المتوقع منها أكبر من الراهن.

تنضج شروط التسوية السورية وتتلور رويداً رويداً، خصوصاً وأن العالم - وأوروبا بالذات- ضج من طوفان اللاجئين الذين بدأ بعضهم رحلة العودة بالفعل إلى الديار، سوريا ترمومتر الشرق الأوسط، جرح لا تطببه الأعشاب، تتحول تدريجياً من «ميدان رماية» دولي، إلى مشارف إعادة الإعمار، إنها «معادلة ستالين» تتجسد مرة أخرى، في طرقات الشام وعلى مناراتها، لكن هذه المرة برعاية الثعلب بوتين، مع أن دمشق لا تزال تنسج على أنوال الحزن والألم، بانتظار «نجدة» الأصدقاء والأشقاء الحقيقيين، لا المزيفين.

روسيا وإيران وتركيا وأمريكا وأوروبا والصين، على سبيل المثال، أفادت صحيفة «يني شفق» بأن تركيا بدأت مد شبكة طرق إلى المناطق التي تسيطر عليها شمال سوريا، لفتحها أمام الحركة التجارية ورجال الأعمال الأتراك - خاصة مع تدرى أوضاع الاقتصاد التركي- بعد نجاح عمليتي «درع الفرات» و«غصن الزيتون» العسكريتين في حلب السورية، في حين طالبت فصائل سورية تركيا بإعلان الوصاية على مناطقهم في إدلب وحماة وسواهما، بينما تكتفي الدول العربية بدور المشاهد أو المخرب، على نحو لا يليق.

وبمجرد أن تضع الحرب أوزارها، فإن المدن السورية سوف تبنى من جديد، البنية التحتية، محطات الكهرباء والماء وشبكات الصرف الصحي والطرق والكبارى، والمصانع، ومشاريع الإسكان.. وكلها مجالات تحوز فيها الشركات المصرية خبرات مرموقة، ويمكن أن تشكل رافداً مهماً لتنمية الاقتصاد في مصر وسوريا، بل إن معظم مشكلات الاقتصاد المصري يمكن أن تنتهي، لو اغتمت القاهرة الفرص المتاحة لإعادة الإعمار ليس في سوريا فحسب، بل في ليبيا والعراق

## لا يمكن الفصل بين الموقفين الأمريكي والإسرائيلي

# غزة أولاً... بين الجوانب الإنسانية والأهداف السياسية

أثيرت خلال الفترة الأخيرة مسألة شديدة الأهمية تدور كلها حول عنوان واحد وهو غزة أولاً وبعبارة أكثر شمولاً وضوح إهتمام المجتمع الدولي بقطاع غزة والتركيز على كيفية تحسين الأوضاع المعيشية أو الإقتصادية داخل القطاع، ولاشك أن هذا الموضوع يحمل في جانبه المعلن معطيات إنسانية وإقتصادية لرفع شأن القطاع ولكنه من جانب آخر يحمل أبعاداً سياسياً قد لا تتضح كل معالمها حالياً ولكنها بالقطع تؤثر على مستقبل القضية الفلسطينية كلها وليس على الوضع في قطاع غزة فقط.

معبر رفح البرى من أجل تسهيل تحركات سكان القطاع إلى العالم الخارجى مع إغلاقه على فترات لإعتبارات أمنية ولوجيستية.

المحور الثانى ويرتبط بالوضع الإقتصادى حيث تتبنى مصر مبدأ ألا تندهور الحياة اليومية لسكان القطاع فى ظل طبيعة حصار الجانب الإسرائيلى والإجراءات التى يتخذها ولاسيما إغلاق معبر كرم أبو سالم على فترات ولذا تتدخل مصر من جانبها سواء لإدخال بضائع ومساعدات ضرورية للقطاع أو تضغط على إسرائيل لتخفيف إجراءاتها التعسفية.

المحور الثالث ويتعلق بالتدخل العاجل لتجسيم أية إحتتمالات لإنفجار الوضع العسكرى بين إسرائيل والقطاع حيث تسارع مصر بالتدخل للمساعدة من أجل التوصل إلى تهدئة بين الجانبين كلما تصاعد التوتر بينهما سواء بالقصف الإسرائيلى للقطاع أو إطلاق صواريخ وغيرها من القطاع فى إتجاه إسرائيل ومن المؤكد أنه بدون الجهود المصرية لم تكن هناك أية فرصة للوصول إلى هذه التهدئات المتكررة، ولا يمكن لأحد أن ينكر الدور المصرى الرئيسى فى إقرار التهدئة فى أعقاب الحروب الإسرائيلىة الثلاثة على القطاع أعوام 2009 و2102 و2104.

المحور الرابع وهو فتح قنوات إتصال دائمة مع كافة الفصائل والتنظيمات الفلسطينة الموجودة فى القطاع دون إستثناء من أجل تنفيذ إتفاق المصالحة الذى تم التوصل إليه فى الرابع من مايو عام 2011.

المحور الخامس وهو التواصل الدائم مع السلطة الفلسطينة برئاسة الرئيس أبو مازن من أجل تنسيق أهم الخطوات الضرورية فى كافة التحركات التى تتم .



نواء محمد ابراهيم

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية

mohamedeldewery@yahoo.com

المحدد الثانى أن مصر تتعامل مع القطاع فى إطار تعاملها مع القضية الفلسطينة ككل. فمصر لم ولن تتعامل مع القطاع ككيان منفصل عن كل الجسم الفلسطينى حيث أن القطاع والضفة الغربية يمثلان سوباً وليس أحدهما الدولة الفلسطينة المستقلة المنتظرة.

المحدد الثالث أن مصر لم ولن يكون لها أية أطماع أو مصالح خاصة فى القطاع، ولذا فهى تتحرك بكل جدية بل أن دورها أصبح مطلوباً ومرغوباً بقوة من جانب كافة الأطياف الفلسطينة.

المحدد الرابع أن الإمتداد الجغرافى بين سيناء وقطاع غزة يمثل إهتماماً أمنياً خاصاً لمصر حيث أن إستقرار الأوضاع فى غزة يؤثر على إستقرار الأوضاع الأمنية فى سيناء والعكس، ولنا فى مسألة إنتشار الأنفاق وأنشطة الجماعات الإرهابية فى سيناء خير دليل على ذلك.

وفى نفس الوقت من المهم إلقاء الضوء على محاور التحرك المصرى فى هذا المجال:

المحور الأول ويتعلق بالمجال الإنسانى حيث إتخذت مصر قراراً بفتح

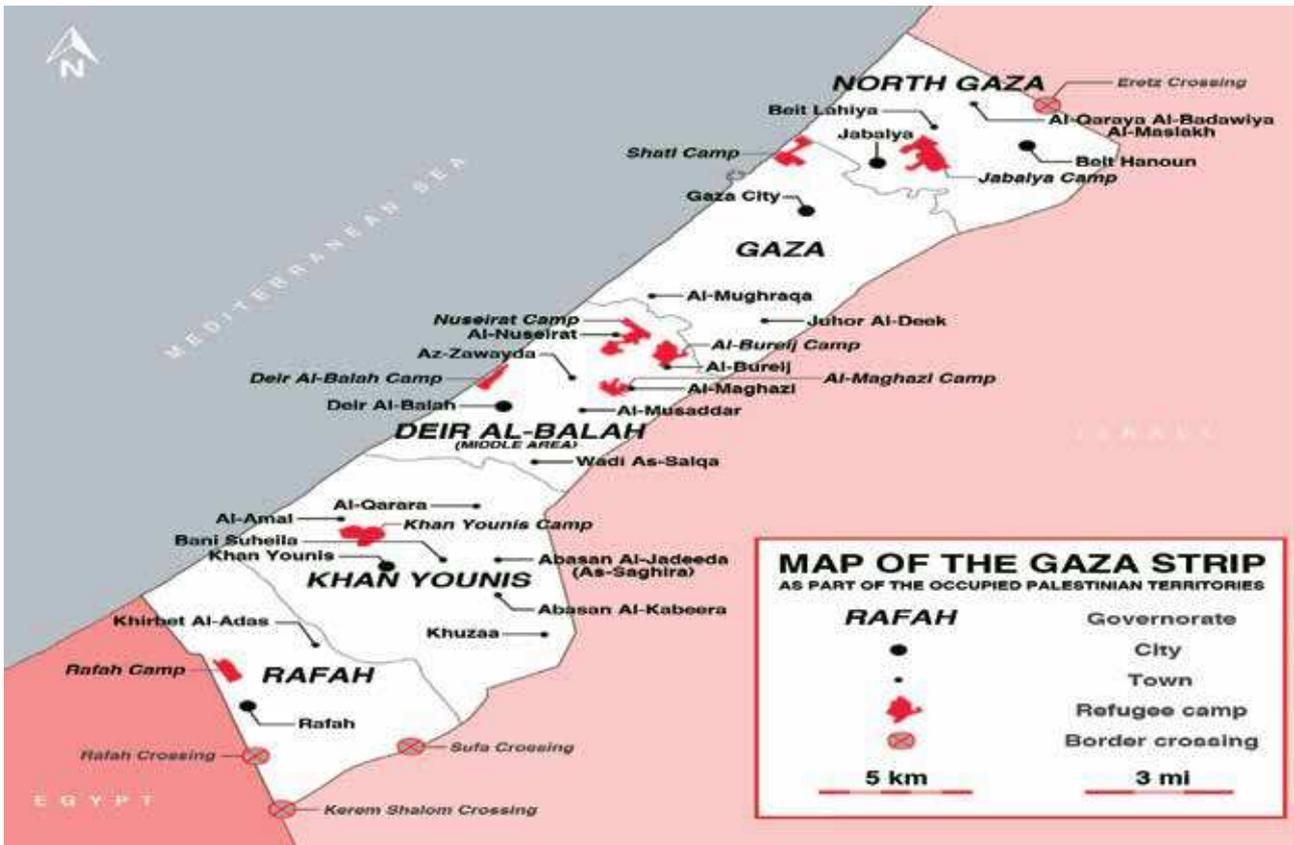
السؤال الذى يفرض نفسه فى البداية يتعلق بأسباب هذا الإهتمام المفاجئ بالقطاع ولماذا شاهدنا كل هذا التدافع نحوه، وفى رأى أن هناك مجموعة من الأسباب لهذا التوجه نوضح أهمها فى سببين رئيسيين أولهما أن التركيز الدولى على الأوضاع الإنسانية فى القطاع أمر لا يمكن أن يثير أية شبهات من حيث المبدأ ولكنه قد يكون غطاء جيد لأية مشروعات سياسية غير مقبولة عربياً وفلسطينياً يمكن تمريرها فى مرحلة لاحقة، وثانيهما أن الحديث بهذه الكثافة عن قطاع غزة يبعثنا تماماً عن الحديث حول القضية الفلسطينة نفسها وأية تسويات أو مفاوضات مرتبطة بها وهو ما يتمشى فى مجمله مع أهداف بعض القوى والأطراف وخاصة الجانب الإسرائيلى.

وفى هذا الإطار من الضرورى إلقاء الضوء على المواقف الرئيسة للأطراف الأربع المهتمين بهذا الموضوع (مصر - إسرائيل - فلسطين - الولايات المتحدة) بحيث سيؤدى بنا توضيح وشرح مواقف هذه الأطراف إلى تحديد مستقبل عملية غزة أولاً وهل سيكتب لها النجاح من عدمه؟ وكيف يمكن التعامل معها أو مواجهتها إذا لزم الأمر؟

### أولاً: الموقف المصرى:

هناك أربعة محددات للموقف المصرى تجاه القطاع كما يلى:

المحدد الأول أن قطاع غزة بحدوده البالغة 14 كم مع الحدود المصرية فى الإتجاه الشمالى الشرقى يدخل فيما نسميه بدائرة الأمن القومى المباشر مثله مثل الحدود المصرية مع ليبيا فى الغرب وإسرائيل فى الشرق والسودان فى الجنوب وهى دائرة تتعامل معها مصر بإستراتيجية محددة وجادة لا تهاون فيها.



أنها هي وحدها المسؤولة عن كل فلسطين بما في ذلك قطاع غزة بالطبع وأن أية تحركات إقليمية أو دولية تجاه غزة أو تنفيذ مشروعات ضخمة يجب أن تمر عبر بوابة السلطة الشرعية في رام الله.

أن حركة حماس تتعمد عدم تنفيذ إتفاق المصالحة الذي تم توقيعه في القاهرة في الرابع من مايو عام 2011 نظراً لرغبتها في إستمرار حكمها وسيطرتها على القطاع.

أن ما يثار حول إتفاق تهدئة بين إسرائيل وحركة حماس لمدة عشر سنوات أمر مرفوض تماماً نظراً لأنه يحقق مصالح حماس ولكنه من جانب آخر سوف يؤدي إلى تقويض حقيقي القضية الفلسطينية وتميرير ما يسمى بصفقة القرن التي ترفضها السلطة الفلسطينية شكلاً وموضوعاً.

أن أية جهود لإتمام المصالحة الفلسطينية وإنهاء الإنقسام يجب أن تؤدي في النهاية إلى وجود سلطة واحدة وقانون واحد وسلاح واحد وهو أمر لن يتأتى مادامت حماس ترفض التنازل عن مواقفها. وفي الجانب المقابل ترى حركة حماس ما يلي:

أن السلطة الفلسطينية تفرض حصاراً على القطاع مما يحول دون توفير الحياة المعيشية الكريمة لسكان القطاع ولاسيما في الموضوعات المتعلقة

حركة حماس في القطاع بإعتبار أنها تمثل السلطة الفعلية الحاكمة هناك كما أنها المسؤولة عن كافة الجوانب الأمنية والإقتصادية في القطاع وهو ما يتمشى في النهاية مع المصلحة الإسرائيلية.

أن ما يهم إسرائيل حالياً من قطاع غزة وتسعى حكمة ناتانياهو لإنجازه بكافة الطرق يتمثل في مسألتين رئيسيتين أولهما تحييد القطاع كأحد المهددات الأمنية لإسرائيل (إطلاق الصواريخ والبالونات الحارقة من القطاع تجاه إسرائيل) وثانيهما الإفراج عن جثث الجنود الإسرائيليين وبعض المفقودين المتواجدين لدى حركة حماس بأي أسلوب حتى من خلال صفقة تبادل أسرى.

### ثالثاً: الموقف الفلسطيني

لا يمكن الحديث حول موقف فلسطيني موحد تجاه التطورات الجارية فهناك موقف للسلطة الفلسطينية برئاسة الرئيس أبو مازن الذي يسيطر على الضفة الغربية وهناك موقف آخر لحركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة الذي يلقي حالياً كل الإهتمام والتركيز من قبل الأطراف الدولية المختلفة، ومن المؤكد أن هناك إختلافاً واضحاً في المواقف والتوجهات والأهداف بين كل من السلطة الفلسطينية وحتى حركة فتح وبين حماس.

تتمثل قناعات السلطة الفلسطينية فيما يلي:

## غزة أولاً... بين الجوانب الإنسانية والأهداف السياسية

### ثانياً: الموقف الإسرائيلي

لاشك أن إسرائيل تعد أكثر المستفيدين من مسألة التركيز على غزة أولاً في ضوء ما يلي:

أن هذا الأمر يؤدي إلى إبعاد التركيز على القضية الفلسطينية ومفاوضات السلام وهو نفس الموقف الذي تتبناه حكومة ناتانياهو التي أسقطت عملية السلام من حساباتها بل إتجهت إلى مزيد من التشدد من خلال إقرار الكنيست في 17 يوليو 2018 لقانون القومية اليهودية الذي يعد أحد أهم القوانين السيئة المتخذة ضد الفلسطينيين وعرب إسرائيل.

أن أية مطالبات يمكن أن يوجهها المجتمع الدولي لإسرائيل في هذا الشأن سوف تتركز في الموضوعات المتعلقة برفع الحصار عن القطاع وفتح المعابر والبحث عن ميناء بحري لتسهيل حركة نقل البضائع للقطاع وكافة القضايا الإنسانية والإقتصادية وهي كلها قضايا بعيدة عن مطالباتها بأية مرونة في مواقفها السياسية. أن التركيز على القطاع بوضعيته الحالية سوف يؤدي إلى تثبيت حكم

إطار متوافق عليه ثنائياً على الأقل في خطوته الرئيسية على أن يتمثل الهدف النهائي في عودة القطاع إلى الجسم الفلسطيني.

أن تحرص مصر على التجاوب مع كافة الجهود الإقليمية والدولية لتحسين الأوضاع المعيشية في القطاع ولكن من الجانب الإنساني فقط وألا يصل الأمر إلى محاولة تمرير بعض الأطراف تسويات سياسية تؤدي إلى تقويض القضية الفلسطينية وخلق دويلة فى غزة فى مرحلة قادمة أو على الأقل تثبيت الوضع الحالى وأنا على يقين بأن القيادة السياسية المصرية واعية تماماً لهذا الأمر وأنها ستقف بقوة وحزم تجاه أية محاولات تستشعر أنها تضر بالقضية العربية المحورية وهى القضية الفلسطينية.

أن تبدى كل من حركتى حماس وفتح أقصى درجات المرونة فيما يتعلق بتنفيذ إتفاق المصالحة حيث أن كافة الجهود ستكون قاصرة ومؤقتة مادام الإنقسام للعين جاثماً بقوة فوق الأرض الفلسطينية. أن تحرص كل من حركتى حماس والجهد الإسلامى وفصائل المقاومة على عدم وصول الوضع العسكرى مع إسرائيل إلى مرحلة التفجر التى لا يمكن العودة عنها حتى لا يتعرض الوضع فى القطاع لمزيد من التدهور مع ضرورة إلتزام كل الفصائل بكافة محددات الرؤية المصرية للتهدة مادام هناك إلتزاماً من الطرف الآخر.

والخلاصة، تظل مصر بثقلها الإقليمي والدولى مؤهلة لأن تتحرك بالتوازى مع كل الجهود الكبيرة التى تقوم بها حالياً من أجل إعادة الحياة مرة أخرى إلى المسار السياسى لحل القضية الفلسطينية فى إطار مبدأ حل الدولتين مهما كانت الصعوبات وذلك حتى لا تفرض علينا أية أطراف أخرى تسويات مؤقتة أو صفقات دائمة أو رؤى مشبوهة أو منقوصة تنال من حقوق الشعب الفلسطينى تحت شعار الجوانب الإنسانية، ومن المؤكد أن القيادة السياسية برئاسة الرئيس عبد الفتاح السيسى لن تقبل مطلقاً بأقل مما يمكن أن يقبله الجانب الفلسطينى وستكون مصر كما عودتنا على مدار التاريخ الأكثر حرصاً على المصالح والثوابت الفلسطينية بالقدر الذى تحرص فيه على الأمن القومى المصرى.



المادية عن السلطة الفلسطينية وعن وكالة غوث اللاجئين التى تعتبر ضرورية لحياة الفلسطينيين فى غزة.

أما فيما يتعلق بصفحة القرن فإن الجانب الأمريكى يحجم عن الإعلان عن تفاصيل هذه الصفقة التى لازال مايتسرب عنها يعتبر مخالفاً للموقفين العربى والفلسطينى، ولاشك أن الإدارة الأمريكية إستشعرت أن هذه الصفقة لن يمكن تمريرها بسهولة فى ضوء قناعة الزعامات العربية والفلسطينية بإستحالة قبول أية تسوية سياسية تتعارض مع الثوابت الفلسطينية ولا سيما فيما يتعلق بقضيته القدس واللاجئين التى تحاول كل من واشنطن وتل أبيب إبعادهما عن أية مفاوضات سياسية بل جاء قانون القومية اليهودية ليزيد من تعقيدات الموقف السياسى فى عملية السلام فى الشرق الأوسط.

### التحرك المصرى تجاه مسألة غزة أولاً

فى النهاية فمن الضرورى الإقرار بحقيقة ثابتة وهى أن ما يحدث فى قطاع غزة يؤثر على الأمن القومى المصرى سلباً أو إيجاباً ولذلك هناك مجموعة من التوصيات المرتبطة بالتحرك المصرى تجاه مسألة غزة أولاً أوجزها فيما يلى:

حتمية إستمرار الدور المصرى فى غزة بدون فترات إنقطاع مع شمول هذا التحرك كافة المجالات الممكنة من أجل المشاركة الفعالة فى ضبط الأوضاع فى القطاع مع التركيز بصفة مبدئية على جوانب ثلاثة وهى ضبط الحدود وتحقيق المصالحة الفلسطينية وعدم تدهور الوضع الإقتصادى.

ضرورة التنسيق المصرى مع السلطة الفلسطينية حتى تكون كل التحركات فى

بالمرتبات والموظفين والكهرباء. أن حماس وافقت على كافة المقترحات المصرية من أجل إتمام عملية المصالحة إلا أن حركة فتح هى التى تتعنت فى موافقتها ولا تريد من المصالحة إلا مايسمى بتمكين الحكومة وإعادة سيطرتها على كل مقدرات الأمور فى غزة دون حل المشكلات الأساسية التى تقف عقبة فى طريق المصالحة.

أن الحركة لن تقبل بالأ تقوم بالرد على الإعتداءات الإسرائيلية على القطاع بل ستحاول الوصول إلى مرحلة الردع ومواجهة هذه الإعتداءات بكل ماديها من أسلحة كما أنها على إستعداد للدخول فى تهدئة مع الجانب الإسرائيلى فى إطار صفقة شاملة مقبولة من جميع الفصائل. أن الحركة لن توافق على أية عمليات تبادل للأسرى مع إسرائيل إلا بشروطها والتى يتمثل أهمها فى الإفراج عن الأسرى المحررين فى صفقة شاليت عام 2011 والتى أعادت إسرائيل إعتقال العشرات منهم مرة أخرى

### رابعاً: الموقف الأمريكى

لا يمكن لنا أن نفصل بين الموقفين الأمريكى والإسرائيلى سواء فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ككل أو مسألة قطاع غزة أولاً فهناك تناغم وتوافق بين الموقفين تماماً، ومن ثم كان الموقف الأمريكى واضحاً وهو يتحدث عن وجود العديد من المشروعات التى ستؤدى إلى رفع المعاناة عن سكان القطاع وتحسين الظروف المعيشية والإقتصادية وهو الجانب الذى لا يمكن لأى من الأطراف أن يرفضه بإعتبار أنه يمثل الجانب الإنسانى الضرورى للقطاع رغم تناقض ذلك مع الإجراءات التعسفية التى إتخذتها الإدارة الأمريكية بشأن قطع بعض المعونات



### الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للأسلحة..

سجل حجم الإنفاق العسكري العالمي ارتفاعاً كبيراً خلال عام 2017 يعد هو الأعلى منذ الحرب الباردة ووفقاً لإحصائيات معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام فإن حجم الانفاق الدفاعي في هذا العام المذكور وصل إلى 1.7 تريليون دولار أمريكي والذي ارتفع بنسبة 1.1 في المائة مقارنة بعام 2016.

دولار ثم اليابان بـ 45 مليار دولار ثم ألمانيا بـ 44 مليار دولار ثم كوريا الجنوبية بـ 39 مليار دولار بينما تأتي كل من إيطاليا والبرازيل في المرتبتين العاشرة والحادية عشرة بـ 29 مليار دولار تليهما استراليا بـ 27 مليار دولار ثم تركيا بـ 18 مليار دولار.

#### سباق تسلح متنامي

يعتقد المحللون والخبراء العسكريون بأن حجم الإنفاق العسكري العالمي من المتوقع أن يرتفع بنسبة 3.3% خلال عام 2018 وذلك من خلال تعزيز الولايات المتحدة لحجم إنفاقها العسكري حيث أقر الكونجرس الأمريكي ميزانية وزارة الدفاع «البنجاجون» للسنة المالية عام 2018 بما يقدر بقيمة 700 مليار دولار وهي الأعلى خلال ما يقرب من عشرة أعوام وذلك لتتناسب مع الأهداف الرئيسية التي تسعى إدارة الرئيس دونالد ترامب لتحقيقها والتي تتعلق بـ «أمريكا الأقوى عسكرياً»



#### هادية الشريني

sherfayez@yahoo.com

العسكري إلى 69 مليار دولار عام 2017 مما جعلها تحتل المرتبة الثالثة عالمياً بدلاً من روسيا التي لم يتجاوز إنفاقها العسكري في نفس العام 66.3 مليار دولار..

وفى حلبة السباق الدولي نحو الإنفاق العسكري تحتل الهند المرتبة الخامسة بحجم إنفاق يصل إلى 63 مليار دولار وتليها فرنسا بـ 57 مليار دولار ثم المملكة المتحدة بـ 47 مليار

وتشير التقارير الدولية إلى أن مستويات الإنفاق الدفاعي ظلت ثابتة في الفترة ما بين 1999 حتى عام 2011 ولكن ارتفاعها إلى مثل هذا المستوى عام 2017 يعد بمثابة مؤشر للغلق لما يترتب عليه من تأثيرات سلبية محتملة على تحقيق الاستقرار العالمي ومساعي حل النزاعات سلمياً.

ووفقاً لتقرير معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام فإن الولايات المتحدة مازالت تتصدر قائمة الإنفاق العسكري عالمياً بأكثر من 600 مليار دولار وتليها الصين التي تعد ثاني أكبر دولة في حجم الإنفاق العسكري والتي تنفق 228 مليار دولار بنسبة 13 في المائة من الناتج المحلي خلال عام 2017.. ونتيجة للتهديدات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط والتهديد الإيراني لمنطقة الخليج واندلاع الحرب في اليمن فقد حققت المملكة العربية السعودية رقماً قياسياً حيث وصل حجم إنفاقها

و«الانتشار العسكرى الأمريكى فى جميع أنحاء العالم».. وبالتوازي مع هذه السياسة الأمريكية تسعى دول كبرى كالصين وروسيا بالعمل على تحدى الهيمنة الأمريكية العسكرية وتحدى الحلفاء الغربيين حيث أشارت العديد من التقارير العسكرية الدولية إلى أن روسيا عادت من جديد ومنذ بداية القرن الحادى والعشرين للعمل على زيادة إنفاقها العسكرى وشرعت فى تنفيذ برنامج تسليح حكومى طموح فى الفترة من 2011 حتى 2020 يهدف إلى إجراء عملية إصلاحية لقواتها المسلحة بما يقدر بـ 705 مليارات دولار يخصص 647 مليار دولار منها لوزارة الدفاع وباقى المبلغ يخصص لقوات أخرى مثل حرس الحدود وقوات الأمن الداخلى وذلك على مدى الفترة الزمنية المذكورة.. كما تتبنى الصين أهدافاً طموحة تهدف إلى التأكيد على أحقيتها فى أن تكون دولة عظمى صاعدة وذلك من خلال انتهاجها سياسة لتطوير الجيش فى ظل رئاسة «شى جين بينج» حيث قامت على سبيل المثال بتطوير طائرة من طراز تشنجدو وهى طائرة شبح لديها القدرة على التخفى من الرادارات مما يجعلها منافساً قوياً للولايات المتحدة التى كانت تحتكر هذا المجال..

كما تمتلك الصين صاروخاً جو - جو جديداً من طراز PL-15 وحققت أهدافاً طموحة فى مجال البحرية حيث بلغ عدد السفن الحربية والمدمرات والفرقاطات والغواصات التى صنعتها الصين منذ عام 2000 أكثر مما صنعته اليابان وكوريا الجنوبية والهند معاً كما تنشئ الصين حالياً أول قاعدة عسكرية لها خارج البلاد فى جيبوتى.

ووفقاً للتقرير السنوى الشامل للمعهد الدولى للدراسات الإستراتيجية فى لندن والذى تأسس عام 1958 فإن وزراء دفاع حلف شمال الأطلسى قد بحثوا خلال اجتماعاتهم خلال الفترة الماضية فى بروكسل سبل تعزيز قدرات قواتهم الخاصة وذلك فى إطار رد فعل

دول الحلف على السياسة الروسية التى يرونها سياسة عدوانية.. وقد أوضح الأمين العام للحلف «نيس ستو لتنبرج» بأن دول الحلف وضعت خططاً تهدف لزيادة الإنفاق الدفاعى ليصل إلى نسبة 2% من إجمالى الناتج المحلى لكل دولة من الدول الأعضاء بحلول عام 2024.. كما حفز ارتفاع حجم الإنفاق العسكرى العالمى دولاً كأستراليا واليابان وهما حلفاء للولايات المتحدة على زيادة حجم الإنفاق العسكرى. وذكرت صحيفة فايننشال تايمز البريطانىة فى هذا الصدد أن استراليا لديها النية فى رفع مستوى الإنفاق الدفاعى السنوى بنسبة 80% على مدى العقد القادم كما تسعى اليابان للعمل نحو زيادة الإنفاق العسكرى والاستمرار فى مثل هذا الخط على مدى السنوات القادمة.. ومع تصاعد بؤر التوتر فى منطقة الشرق الأوسط انتقلت عدوى سباق التسليح المحموم للمنطقة حيث سجلت السعودية ارتفاعاً فى الإنفاق العسكرى بنسبة 9.2 فى المائة عام 2017 وسجلت إيران ارتفاعاً بنسبة 19% والعراق بنسبة 22%.. وبالرغم من أن إسرائيل تحاول دائماً إخفاء أى معلومات عن حجم إنفاقها العسكرى إلا أن ميزانيتها العسكرية فى تصاعد مستمر منذ عام 2012 وحتى وقتنا هذا.

### قضية شائكة ومعقدة

وفى إطار هذا السباق المحموم نحو التسليح وتعاظم الإنفاق العسكرى تبرز قضية مهمة تثير مشاعر القلق لدى المزيد من دول العالم وهى تلك التى تتعلق بتجارة الأسلحة غير المشروعة بصفتها قضية دولية شائكة ومعقدة تؤرق الإنترنت وأجهزة المخابرات فى كافة دول العالم ولاسيما وأن هذه الأسلحة غالباً ما تصل بين أيدي الإرهابيين والمتمردين والمليشيات المسلحة وهو أمر جد خطير يهدد الأمن الدولى.

وتقدر قيمة الأسلحة المتداولة بصفة غير مشروعة بين أيدي الجماعات

الإرهابية والمتمردين بما يتعدى 40 مليار دولار وأغلبها ينحصر فيما يعرف بالرشاشات والقنابل والذخيرة ويروح ضحيتها سنوياً ما يتعدى نصف مليون إنسان وهذه الأسلحة التى يتم تداولها بصفة غير مشروعة عن طريق تجار الموت معظمها من صناعة الدول الخمس الكبرى وبعض الدول النامية.

وتهريب السلاح بصفة غير مشروعة يتم بطرق شائكة وملتوية حتى يصل فى نهاية الأمر إلى أيدي المليشيات والعصابات المنظمة المتطرفة من أمثال تنظيم القاعدة وطالبان و داعش والمليشيات الإرهابية والمتمردة فى أفريقيا التى لا تعد ولا تحصى والثوار والمتمردين عبر العالم بشكل عام.. ومن المعروف أن تجارة السلاح بصفة غير مشروعة تنشط فى الدول التى تتعرض لاضطرابات وقلق وبمنظرة سريعة على المنطقة العربية سوف نجد دولاً مثل ليبيا وسوريا واليمن والعراق فسوف نجد أن ظروفها استدعت إلى انتشار الأسلحة بصفة غير مشروعة وتهريب البعض منها إلى دول الجوار مما يزيد من حدة مشكلة انتشار الأسلحة وتساعد العمليات الإرهابية فى المنطقة من جراء تداول الأسلحة بصفة غير مشروعة.. ومما لا شك فيه أن هناك علاقة بين تنامي الإرهاب وتداول الأسلحة بصفة غير مشروعة والتى يتم توفيرها سواء عن طريق سماسة السلاح وتجار الموت أو عن طريق السرقة والتصنيع المحلى وغير ذلك من الأساليب المتوفرة داخل أو خارج الدولة.

ومن الجدير بالذكر وكما هو واضح فإن تجارة السلاح لا تقتصر على التجارة الرسمية فيما بين الدول ولكن هناك تجارة سرية تتم فى الخفاء سواء فيما بين بعض الدول أو ما بين بعض الدول ومنظمات عسكرية وإرهابية أو ما بين الشركات المنتجة للسلاح وهذه المنظمات وبواسطة عملاء متخصصين فى هذا المجال وقد يكون ذلك بمعرفة السلطات الرسمية فى البلد المصدر



### طرق تهريب السلاح غير المشروع

الحرب الباردة و ظهور تحديات ومعالم جديدة لشكل العالم علاوة على ظهور عصابات الجريمة المنظمة وانتشار تجارة المخدرات وازدياد الأيديولوجيات المتطرفة وقد أدى توافر هذا النوع من الأسلحة إلى تفاقم الصراعات العرقية وتقوية مراكز تجار الحروب كما أسهم في زيادة الخسائر المدنية بشكل مروع وخطير وقد كان ذلك واضحاً وبشكل كبير في المناطق المليئة بالنزاعات في القارة السمراء وفي أفغانستان والبلقان وأمريكا اللاتينية وغيرها وذلك على مدى العقد الأخير من القرن العشرين.

#### جنى الأرباح من صناعة الموت

ومن هنا تثار عدة تساؤلات مهمة عن السر الكامن فيما وراء تسابق الدول المصنعة للسلاح في إنتاج هذا الكم الهائل من الأسلحة الصغيرة رغم خطورتها التي لا تخفى على أحد حيث أضحت المنظمات الإرهابية هي المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة لهذه الأنواع من الأسلحة.. ويعتقد المحللون بأن الدول الكبرى تتسابق على إنتاج السلاح دون حدوث مواجهة مباشرة بينها ولكنها تسعى إلى تصدير التوتر والحروب للآخرين من أجل تصريف منتجاتها من السلاح ومن ثم فإن هناك اتفاقات غير مكتوبة بين الدول الكبرى تمنع المواجهة بينها ولكن هذه المواجهات مسموح بها بشرط أن يكون الموت والقتل والدمار من نصيب شعوب الدول الصغرى بمعنى أن

الحرب الباردة و ظهور تحديات ومعالم جديدة لشكل العالم علاوة على ظهور عصابات الجريمة المنظمة وانتشار تجارة المخدرات وازدياد الأيديولوجيات المتطرفة وقد أدى توافر هذا النوع من الأسلحة إلى تفاقم الصراعات العرقية وتقوية مراكز تجار الحروب كما أسهم في زيادة الخسائر المدنية بشكل مروع وخطير وقد كان ذلك واضحاً وبشكل كبير في المناطق المليئة بالنزاعات في القارة السمراء وفي أفغانستان والبلقان وأمريكا اللاتينية وغيرها وذلك على مدى العقد الأخير من القرن العشرين.

ومن الجدير بالذكر فإنه وفقاً للتقارير الدولية فإن الأسلحة الخفيفة هي المفضلة لدى الكثيرين لأنها رخيصة الثمن ولا تشكل عبئاً مادياً على ميزانيات الدول الفقيرة أو الجماعات المسلحة المتورطة في الحروب والصراعات وبما أنها سهلة النقل والإخفاء والاستعمال والإصلاح ولأنها صغيرة الحجم فهي دائماً لها الأولوية لدى المهربيين والجماعات الإرهابية المدعومة من دول وشبكات الجريمة المنظمة ورجال حرب العصابات حيث أضحت هذه الجماعات

### الإنفاق العسكري العالمي الأعلى منذ الحرب الباردة

أو بدون معرفتها ولذلك نشأت سوق موازية لتجارة الأسلحة الرسمية وهي السوق السوداء حيث يمكن شراء الأسلحة المختلفة دون الثقلية وبأسعار تخضع لقانون العرض والطلب وتعتبر تجارة الأسلحة الخفيفة من أنشط أنواع التجارة لسهولة نقلها وتهريبها ورخص ثمنها.

#### ماذا بشأن الأسلحة الصغيرة؟

في آخر تعريف للأسلحة الخفيفة والصغيرة والذي أقره معهد الأمم المتحدة لنزع السلاح ذكر أنها هي الأسلحة التي تضم المسدسات والبنادق الهجومية والرشاشات والبنادق الآلية ونصف الآلية إضافة إلى القواذف الصاروخية المحمولة المضادة للطائرات والدبابات أو مدافع المورتر والألغام.. وبرزت مشكلة الاتجار غير المشروع في الأسلحة الخفيفة والصغيرة وتحولت إلى ظاهرة في حقبة التسعينيات مع ظهور المتغيرات الدولية التي نشأت إثر إنهاء



يظل الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للأسلحة..

التوصل إليه في اجتماعات يوليو 2001 فكان اجتماع القاهرة عام 2003 للوقوف على مدى تطبيق الدول العربية لبرنامج عمل الأمم المتحدة لمنع الاتجار غير المشروع بالأسلحة الصغيرة والخفيفة وتوالت الاجتماعات في مقر الأمم المتحدة بنيويورك سنوياً في الفترة ما بين 2005 و2006 وحتى عام 2012 حيث توصلت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى مشروع معاهدة لتنظيم تجارة السلاح عالمياً ليتم التصويت عليها لاحقاً في عام 2013.. وعلى المستوى العربي وفي إطار جامعة الدول العربية انعقدت العديد من الاجتماعات التي تركز على مكافحة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة وصدقت غالبية الدول الأعضاء على الاتفاقية لمكافحة الإرهاب والتي دخلت حيز النفاذ عام 1999 كما انضمت جميع الدول العربية إلى الاتفاقية الدولية ذات الصلة بمكافحة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الصغيرة والخفيفة وأكدت على التزامها ببرنامج عمل الاتفاقية بخلاف قيام بعضها بإبرام مذكرات تفاهم وتعاون في مجال التنسيق الأمني مع جهات أمنية كالإنتربول.

### جهود مصرية مثمرة

منذ اندلاع الثورة الليبية في فبراير 2011 تعاني ليبيا الجار الغربي لمصر

للبنية. ومن ثم فإن المجتمع الدولي اعتمد في عام 2001 بروتوكول الأسلحة النارية والذي يعد برنامج عمل للأمم المتحدة لمنع الاتجار غير المشروع بالأسلحة الصغيرة والخفيفة بكل جوانبه ويهدف لمكافحة ذلك الاتجار والقضاء عليه. وتلى ذلك انعقاد الندوة الإقليمية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة والصغيرة والتي نظمتها إدارة شئون نزع السلاح بالأمم المتحدة واستضافتها العاصمة الجزائرية من 11 إلى 13 أبريل 2005 حيث أكد المجتمعون على خطورة تداول هذه الأسلحة والتي تؤدي إلى مقتل الملايين من البشر معظمهم من المدنيين من النساء والأطفال وأن ظاهرة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة والصغيرة تأخذ أبعاداً خطيرة في مناطق وبؤر التوتر والصراع حيث يتحرك السلاح في هذه المناطق بشكل لا يمكن مراقبته.. ودعا المجتمعون إلى ضرورة التمييز الواضح والصريح بين سلاح المقاومة الذي يحارب المحتل وسلاح الجماعات الإرهابية وبأهمية التعاون الدولي والإقليمي وتنظيم أساليب عمليات استيراد وتصدير تلك الأسلحة.. وتوالت اجتماعات حظر التجارة غير المشروعة للأسلحة الخفيفة والتي تستكمل ما تم

الصغار يحاربون ويقتلون بينما الكبار يصنعون ويربحون.

ولقد ظلت صناعة السلاح في الولايات المتحدة والدول الغربية هي الأولى بين الصناعات وظلت الدول الفقيرة تصطف في الطوابير لشراء السلاح بدلاً من الغذاء.. ويعتقد المحللون السياسيون أن ازدياد وتسارع الإنفاق العالمي على التسليح كما تشير إحصاءات عامي 2017 و2018 يعد من أهم المعوقات في طريق التنمية والتي تسعى دول العالم إلى تحقيقها فمع ازدياد الإنفاق العسكري وإنتاج المزيد من الأسلحة فإن هذا يترجم في سعي هذه الدول لخلق أسواق لتصريف هذه الأسلحة وبالتالي إثارة المزيد من التوتر وبؤر النزاع حول كافة أنحاء العالم ومما يفتح الأبواب أيضاً أمام تجارة غير مشروعة للسلاح بمعنى وصول هذه الأسلحة إلى أيدي المنظمات الإرهابية والمتمردين أي أن الدول الكبرى المصنعة للسلاح هي المصدر الرئيسي لتجارة الموت والقتل والمغذى الرئيسي للإرهاب حول العالم دون معرفة حقيقية كيف يتم استخدام هذه الأسلحة وكما الدمار الذي تشهده دول العالم جراء ذلك.

### الحد من الانتشار

بدأت الأمم المتحدة منذ تشكيلها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتحديداً منذ أواخر الخمسينيات عقد اجتماعات تمهيدية لإقرار قوانين منظمة لتجارة الأسلحة المشروعة وغير المشروعة وركزت في البداية على الأسلحة النووية وجهود ضبط التسليح.

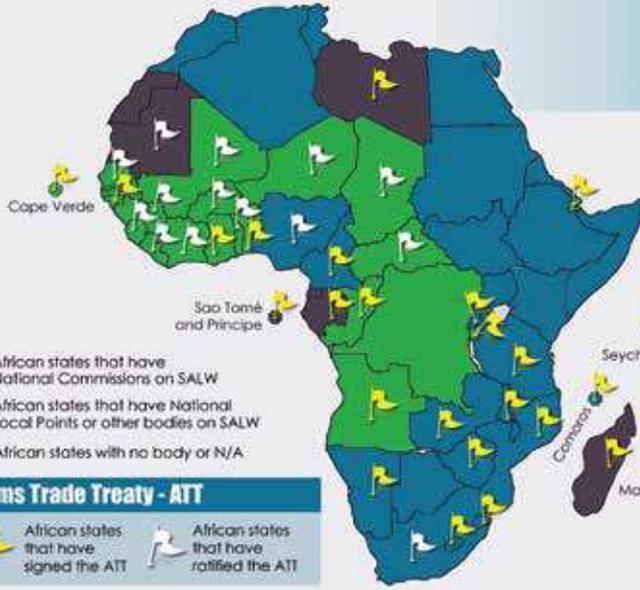
وفى 9 يوليو 2001 عقدت الأمم المتحدة مؤتمراً في نيويورك يناقش خلاله القضاء على التجارة غير المشروعة في الأسلحة الخفيفة وعقب أسبوعين من المباحثات توصل المؤتمر إلى وثيقة تشكل أرضية يمكن استخدامها مستقبلاً لمراقبة الأسلحة الخفيفة وضعها حينذاك معهد بحوث التسليح للأمم المتحدة بأنها ليست اتفاقية ولكنها بمثابة خلفية قوية



# Silence The Guns

International, Continental and Regional Policies

#IPSSnet



**SDG** Significantly Reduce Illicit Financial and Arms Flows by **2030**  
Goal 16.4

**Agenda 2063** Silencing the guns by **2020**  
A Peaceful and Secure Africa

**AU** African Common Position on the Illicit Proliferation, Circulation and Trafficking of SALW  
2000  
Bamako Declaration

**SADC** Protocol on the Control of Firearms, Ammunition and Other Related Materials  
2001  
Southern African Development Community

**RECSA** Prevention, Control and Reduction of SALW in the Great Lakes Region and the Horn of Africa  
2004  
Nairobi Protocol

**ECOWAS** Convention on Small Arms and Light Weapons  
2006

**ECCAS** Central African Convention for the Control of Small Arms and Light Weapons  
Not yet entered into force  
Kinshasa Convention

Ammunition, Parts and Components that can be used for their Manufacture, Repair or Assembly

## مبادرة الاتحاد الإفريقي "إسكات الأسلحة بحلول عام 2020" تحظى بدعم كبير

والمفجرات.

كما استطاعت القوات المسلحة وعن طريق عملية سينا 2018 من ضبط الحدود الشرقية والحد من العمليات الإرهابية التي تهدف إلى تهديد أمن واستقرار البلاد وفي نهاية الأمر فإنه بالرغم من الجهود الدولية والإقليمية والوطنية الحثيثة التي تبذل للحد من التجارة غير المشروعة للسلاح حتى لا تصل إلى يد الجماعات الإرهابية المستفيد الأول من هذه الظاهرة ولكن تظل المسؤولية الأخلاقية تقع بالأساس على عاتق الدول الكبرى المنتجة للسلاح وأهمية التزامها بضوابط حركة بيع السلاح ومنعها من الوقوع في أيدي شبكات الإرهاب وتجار الموت لأن الإرهاب لن تقتصر آثاره على مناطق بعينها بل تمتد آثاره لكافة دول العالم وهناك حاجة ماسة لإيقاف حدة تعاظم الإنفاق العسكري وتوجيه هذه النفقات لحماية البشرية من شر العنف والإرهاب عن طريق دعم جهود التنمية الدولية وحق الإنسان في الحياة على كوكب الأرض في طمأنينة وسلام.

ولاسيما تهريب الأسلحة بهدف إيصالها للجماعات الإرهابية من أجل زعزعة الاستقرار والأمن المصري.. وقد تمكنت قوات الأمن والقوات المسلحة المصرية ولاسيما حرس الحدود من إحباط العديد من عمليات التهريب على مدى السنوات الماضية والتي تضمنت تسلل عربات دفع رباعي محملة بكميات هائلة من الأسلحة والذخائر عبر الحدود الغربية والتي كانت تستهدف قوات الجيش والشرطة في المنطقة.. وهناك تنسيق مستمر وعلى أعلى مستوى بين السلطات الليبية والمصرية من أجل ضبط الحدود المترامية بين البلدين.. ووفقاً للمصادر الأمنية فإن مراقبة الحدود المصرية الغربية تتم عبر استخدام وسائل تقنية متقدمة من بينها مجسات أرضية فضلاً عن تسيير دوريات أمنية على مدار الساعة بمشاركة القوات الجوية التي تشارك أيضاً في مراقبة الحدود. وقد تمكنت الدوريات الأمنية على الحدود مع ليبيا من إحباط إحدى محاولات تهريب غير شرعي للأسلحة تحتوي على كمية كبيرة من المتفجرات والأسلحة النارية والتي تحتوي على كلاشينكوف ورشاشات جرينوف وبنادق قنص تركية والعديد من الألغام

## الإنفاق العسكري العالمي الأعلى منذ الحرب الباردة

أوضاعاً أمنية متدهورة وأزمة سياسية طاحنة وقد حرصت مصر على بذل جهود مثمرة لحل الأزمة الليبية سواء من خلال التنسيق مع دول الجوار الليبي والشمال الأفريقي كما سعت للاتصال بكافة الأطراف الليبية من أجل إيجاد تسوية سياسية ترضى جميع الأطراف كما عملت مصر على دعم الجهود الدولية المبذولة في هذا الإطار إيماناً من القيادة السياسية بأن استقرار ليبيا يدعم بما لا يدع مجالاً للشك الأمن القومي المصري. وعلى الصعيد الأمني فقد أكدت المصادر الأمنية المصرية على أن 70% من مساحة مطروح مناطق صحراوية وهي تحت السيطرة المتاحة للقوات المسلحة وبصفة خاصة قوات حرس الحدود التي هي على معرفة بكل الدروب الصحراوية وأماكن خطوط السير التي يسلكها المهربون القادمون من ليبيا ويتم التنسيق الدائم بين رجال الأمن المصري وقوات حرس الحدود وإحكام السيطرة على عمليات التهريب المستمرة عبر الحدود المصرية والليبية



# ليبيا ومكافحة الهجرة غير الشرعية وتهريب الأسلحة

شاهدنا جميعاً كيف أدت أحداث الربيع العربي إلى انهيار أمنى فى عدد من دول منطقة الشرق الأوسط وفوضى عارمة فى المنطقة امتدت تداعياتها لتطال الدول الأوروبية، حيث أصبحت التهديدات الإرهابية وموجات الهجرة غير الشرعية وعمليات تهريب الأسلحة هى الشواغل الأمنية الرئيسية لدول منطقة الشرق الأوسط وأوروبا. وقد ارتبطت هذه المشكلات بالأزمتهن السورية والليبية على وجه الخصوص.

والإنقاذ أمام سواحلها. وكانت القطع البحرية الإيطالية تنقذ ضحايا الهجرة غير الشرعية فى منطقة أعالي البحار (وتنقلهم إلى السواحل الإيطالية لعدم قانونية إعادتهم إلى ليبيا)، وهو العمل الذى يتفق مع نص المادة (98) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار التى تطلب من كل الدول الأعضاء تكليف ربان سفنها بأن يقوموا «قدر وسعهم ودون تعريض السفينة أو ركابها أو طاقمها للخطر» بتقديم «المساعدة لأى شخص وُجد فى البحار معرضاً لخطر الضياع»، فضلاً عن «التوجه بكل ما يمكن من السرعة لإنقاذ أى أشخاص فى حالة استغاثة». وكما كان متوقفاً، فقد مثلت العملية «مار نوستروم» عامل جذب أدى إلى زيادة أنشطة عصابات الهجرة غير الشرعية على طريق وسط البحر المتوسط.

أمام هذا التحدى المصحوب بانتقادات من الدول الأوروبية الأخرى وبصفة خاصة بريطانيا، إلى جانب شكاوى إيطاليا من غياب التضامن الأوروبي معها، وبعد مرور سنة واحدة على نشأة العملية الإيطالية «مار نوستروم»، أنشأ الاتحاد الأوروبى العملية «ترايتون» عام 2014، تحت قيادة إيطاليا، وبإسهامات طوعية من (16) دولة أوروبية أخرى. لكن العملية «ترايتون» اختلفت من حيث منطقة عملياتها التى كانت أقرب إلى السواحل الإيطالية، كما اقتصر ولايتها على عمليات المسح الميدانى وجمع المعلومات الاستخباراتية دون تكليف



وزير مفوض د. محمد قلد

البلقان، فلم يكن متصوراً أن تتوقف عمليات الهجرة غير الشرعية من منطقة الشرق الأوسط وغيرها باتجاه أوروبا خاصة وأن الحروب فى المنطقة لا تزال مستعرة وتدفع بأعداد كبيرة للزوح هرباً من الهلاك، كما أن الطموح الجامح فى الهجرة لأوروبا لأغراض اقتصادية كان على أشده بعدما ثبت نجاح مئات الآلاف من المهاجرين فى الوصول إلى ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية الثرية الليبرالية. ولذا انتعش فجأة طريق «وسط البحر المتوسط» - أى الطريق عبر منطقة وسط البحر المتوسط - انطلاقاً من السواحل الليبية بالأساس إلى موانئ جنوب إيطاليا ومن أكثرها تأثراً لامبيدوزا.

من الثابت أن إيطاليا هى الأخرى كانت تعاني من عمليات الهجرة غير الشرعية بشكل متزايد منذ اندلاع الثورة الليبية عام 2011، وبمتوسط حوالى (100) ألف لاجئ سنوياً، ولذا أنشأت الحكومة الإيطالية فى عام 2013 عملية «مار نوستروم» البحرية للبحث

لذلك، تركز هذه المقالة على تداعيات هاتين الأزمتهن على تدفقات الهجرة غير الشرعية وعمليات تهريب الأسلحة فى البحر المتوسط، والإجراءات التى اتخذتها الدول الأوروبية والمجتمع الدولى لمواجهة هذه الظواهر والأنشطة الإجرامية فى منطقة أعالي البحار المتوسط قبالة السواحل الليبية، وبشكل خاص تكييف هذه الإجراءات من الناحية القانونية وعلاقتها باتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982.

### تدفقات الهجرة غير الشرعية فى البحر المتوسط:

تزايدت موجات الهجرة غير الشرعية من سوريا إلى الدول الأوروبية بشكل غير مسبوق عقب اندلاع الثورة السورية، وبلغت هذه الموجات أوجها فى خريف عام 2015 الذى شهد تدفقات بشرية ضخمة عبر طريق «غرب البلقان»، حتى أن ألمانيا وحدها استقبلت حوالى مليون لاجئ فى غضون بضعة شهور، مما أدى إلى اضطرابات سياسية وأمنية فى الدول الأوروبية ومن بينها بصفة خاصة اليونان وألمانيا وإيطاليا. على إثر ذلك، سارعت الدول الأوروبية لإبرام اتفاق مع تركيا فى مارس 2016 تم بمقتضاه إغلاق طريق «غرب البلقان» مقابل عدة عطايا لتركيا من أهمها مساعدات بإجمالى (6) مليارات دولار على دفعتين.

بغض النظر عن ملاسبات وشروط الصفقة السياسية التى وقعها الدول الأوروبية مع تركيا مقابل وقف موجات الهجرة غير الشرعية عبر طريق غرب

## ليبيا ومكافحة الهجرة غير الشرعية وتهريب الأسلحة

واضح بالبحث والإنقاذ. وعلى الرغم من ذلك، استمرت موجات الهجرة غير الشرعية عبر طريق وسط البحر المتوسط بل وتزايدت خصوصاً بعد غلق طريق غرب البلقان في مارس 2016 لتسجل حوالى (154) ألفاً خلال عام 2015 ثم حوالى (181) ألفاً عام 2016، كما ارتفع عدد ضحايا الغرق في هذا الطريق إلى (2794) فرداً عام 2015 ثم إلى (4567) فرداً عام 2016. نفهم من ذلك أن الدول الأوروبية تجنبت الالتزام الكامل بنص المادة (98) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار فيما يتعلق بواجب إنقاذ المهاجرين المعرضين للغرق، إلا أن هذا التحايل لم يساعدها، حيث أدت الظروف المحيطة إلى تفاقم تدفقات الهجرة غير الشرعية، مما عمق من الاضطرابات السياسية الداخلية في الدول الأوروبية، كما لم تسلم هذه الدول من انتقادات واتهامات المنظمات الحقوقية بتحمل المسؤولية عن ضحايا الغرق المتزايدين.

### رفض ليبيا دخول الأوروبيين للمياه أو الأراضي الليبية

أمام هذه المعضلة، سارعت الدول الأوروبية لتعديل المسار بهدف وقف تدفقات الهجرة غير الشرعية بكل السبل، وأنشأ الاتحاد الأوروبي العملية «صوفيا» في مايو 2015. وهذه المرة جاءت العملية بولاية واسعة امتدت لتتضمن تكاليف داخل المياه والأراضي الليبية، حيث تضمنت ولاية العملية أربع مراحل متتابعة زمنياً تبدأ بجمع المعلومات، ثم ملاحقة مراكز تهريب المهاجرين والاتجار في البشر في أعالي البحر المتوسط، ثم مواصلة أعمال الملاحقة داخل المياه الإقليمية والداخلية الليبية، وأخيراً القيام بأعمال تتبع داخل الأراضي الليبية نفسها من أجل ضمان تدمير المراكب المستخدمة من جانب الشبكات الإجرامية، مع ملاحظة أن أعمال المرحتين الثالثة والرابعة اقترنت بشرط الحصول على تفويض من مجلس

الأمن أو رضاء ليبيا. وكما كان متوقعاً، رفضت السلطات الليبية تفويض العملية الأوروبية لدخول المياه أو الأراضي الليبية، كما لم يتسن استصدار قرار من مجلس الأمن يتضمن مثل هذا التفويض. في الوقت الذي كانت العملية «صوفيا» لا تزال في مراحلها التنفيذية الأولى، صدر قرار مجلس الأمن رقم (2240) في 9 أكتوبر 2015، وهو القرار الذي تضمن تفويضاً للدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية بتفتيش المراكب التي تكون لديها أسباب معقولة للاعتقاد بتورطها في تهريب المهاجرين أو الاتجار في البشر في أعالي البحر المتوسط. وعلى الرغم من عدم تضمن القرار الأممي تفويضاً بالعمل داخل المياه أو الأراضي الليبية، فقد حقق عدة مكاسب للجانب الأوروبي من أهمها دعم شرعية ولاية العملية «صوفيا» القائمة على ملاحقة مراكز تهريب المهاجرين والاتجار في البشر القادمة من ليبيا، وإن كان الجانب الأوروبي ليس بحاجة لتفويض من المجلس للقيام بهذه المهام في أعالي البحار. كما تضمن القرار تفويضاً ليس فقط لتوقيف المراكب التي لا تحمل علماً وإنما أيضاً تلك التي تحمل العلم الليبي، انطلاقاً من قاعدة أسسها القرار وهي أن ليبيا هي القاعدة الرئيسية للأنشطة التي يهدف لردعها. يُلاحظ أن القرار (2240) تضمن نصاً واضحاً في الفقرة العاملة (11) بأن التفويضات التي يمنحها «لا تسرى إلا على حالة تهريب المهاجرين والاتجار في البشر في أعالي البحر قبالة الساحل الليبي، ولا تمس حقوق الدول الأعضاء أو التزاماتها أو مسؤولياتها بموجب القانون الدولي، بما في ذلك أي حقوق أو التزامات بموجب اتفاقية قانون البحار». في المقابل، فإن اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار تضمنت في فصلها السابع والخاص بأعالي البحار نصوصاً بحظر نقل الرقيق (المادة 99)، وقمع القرصنة (المادة 100)، وقمع الاتجار غير المشروع بالمخدرات أو المواد التي تؤثر على العقل (المادة 108)، وقمع البث الإذاعي غير المصرح به من أعالي البحار (المادة 109)، بينما لم

تشر الاتفاقية صراحةً لجريمتي تهريب المهاجرين والاتجار في البشر. غير أن المادة (110) من الاتفاقية تجيز التدخل ضد السفن الأجنبية في أعالي البحار في حالة وجود معاهدة دولية تبيح ذلك، وهو الشرط الذي تحققه هنا اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وبروتوكولاتها الثلاث (اتفاقية باليرمو لعام 2000)، علماً بأن البروتوكول الأول يختص بمنع وقمع ومعاينة الاتجار بالأشخاص، والثاني يختص بمكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو.

لم تكثف الدول الأوروبية المتضررة من عمليات تهريب المهاجرين والاتجار في البشر بالإجراءات السابقة، خاصة وأن العملية «صوفيا» لم تنجح في خفض تدفقات الهجرة غير الشرعية، ولذا سعت الدول الأوروبية الأعضاء في حلف الناتو ومن بينها بصفة خاصة إيطاليا وألمانيا للحصول على دعم الحلف المتواجد بقوة في البحر المتوسط من خلال عملياته «المسعى النشط»، وهو المطلب الذي استجاب له الحلف بالفعل بإصدار قرار من قمته في وارسو في يوليو 2016 بتحويل عملية «المسعى النشط» إلى عملية «حارس البحر» التي تتضمن ولايتها تقديم الدعم للعملية الأوروبية «صوفيا» في إطار التضامن الأطلسي. كما استعاضت الدول الأوروبية عن التفويض الذي كانت تطلبه لمكافحة تهريب المهاجرين والاتجار في البشر داخل المياه والأراضي الليبية بتجهيز وتسليح وتدريب قوات خفر السواحل الليبية، بالتوازي مع وضع قوات من عدة دول من بينها إيطاليا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة على الأراضي الليبية تحت أغطية مختلفة لتحقيق أهداف العملية «صوفيا» وغيرها من المصالح الخاصة بهذه الدول. وبمرور الوقت وتراكم الإجراءات والتحركات الأوروبية، بدأت إرهاصات الغلق التدريجي لطريق وسط البحر المتوسط اعتباراً من العام الماضي 2017.

### تهريب الأسلحة

#### في البحر المتوسط:

من المعلوم أن ليبيا كانت مستودعاً



موجات الهجرة عبر سواحل ليبيا

تفويض واضح من مجلس الأمن أو رضاه واضح من جانب السلطات الليبية. وذلك على الرغم من أن الاتجار في الأسلحة يعد جريمة تجيز التدخل ضد السفن الأجنبية وفقاً لنص المادة (110) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، بمقتضى البروتوكول الثالث الملحق باتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية (اتفاقية باليرمو لعام 2000)، تماماً مثلما هو الحال فيما يخص جريمتي تهريب المهاجرين والاتجار في البشر.

إجمالاً، فإن تداعيات ظاهرة الهجرة غير الشرعية لاتزال تعتمل على الساحة الإقليمية بشكل أدى إلى الإطاحة بحكومات وأخرها في إيطاليا، وصعود تيارات يمينية متشددة لسدة الحكم في دول مثل بولندا والنمسا وإيطاليا، في الوقت الذي تواصل دول جنوب المتوسط وفي مقدمتها مصر جهودها لكبح جماح هذه الظاهرة وما يرتبط بها من تهديدات. ومن الزاوية القانونية، فمن الملاحظ أن بعض الدول الأوروبية التي طالما قدمت نفسها للعالم باعتبارها حامية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية تتهرب من التزاماتها وفقاً للقانون الدولي سواء فيما يتعلق باستقبال طالبي اللجوء والحفاظ على أرواحهم أو مكافحة تجارة الأسلحة في البحر المتوسط.

والذي تضمن تفويضاً للدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية بتوقيف السفن التي يكون لديها أسباب معقولة للاعتقاد بأنها تحمل أسلحة إلى أو من ليبيا. وبعد تلكو دام عدة أشهر، بدأت العملية الأوروبية «صوفيا» تطبيق هذا القرار، إلا أن الدول الأوروبية كانت تتكتم على التطورات المرتبطة بذلك، على النقيض من تطورات مكافحة تهريب المهاجرين والاتجار في البشر والتي كانت متاحة وبغزارة على مواقع الإنترنت. وعندما حدثت تسريبات عن مركبين متورطين في تهريب الأسلحة ولا يتم توقيفهما، دفعت الدول الأوروبية بأنهما مركبان يحملان العلم الليبي وينطلقان من نقطة إلى أخرى داخل المياه الليبية وليس من الخارج إلى داخل ليبيا أو من داخلها إلى الخارج وفقاً لنص الولاية التي تضمنها قرار مجلس الأمن (2292). وتجب هنا ملاحظة أن ليبيا خاضعة لعقوبات من مجلس الأمن بحظر السلاح، وأن قواعد هذا الحظر هي الأخرى تقصر تطبيقه على إمداد ليبيا بالأسلحة أو الحصول على أسلحة ليبية.

يوضح ما سبق أن الدول الأوروبية لم تكن متحمسة لمقترح تكليف العملية الأوروبية «صوفيا» بتوقيف السفن التي يُعتقد أنها تحمل أسلحة في منطقة أعالي البحار قبالة السواحل الليبية، في الوقت الذي سارعت هذه الدول لإنشاء عملية وراء أخرى لمكافحة الهجرة غير الشرعية في نفس هذه المنطقة وحتى داخل ليبيا ذاتها بطرق ملتوية ودون

هائلاً للأسلحة في عهد الرئيس الراحل القذافي، خاصة الأسلحة الصغيرة والمتوسطة مثل الآر بي جي والصواريخ المحمولة كتفأ القادرة على إسقاط الطائرات المدنية على ارتفاعات منخفضة والمدافع المضادة للطائرات وصواريخ جراد، وهي الأسلحة التي انتشرت في أنحاء المنطقة بعد الثورة الليبية لتصبح أحد أهم أسباب أعمال العنف التي تعانى منها دول المنطقة ومن بينها مصر، كما تُعد العامل الرئيسي وراء اشتعال منطقة الساحل والصحراء الأفريقية حالياً.

وفي الوقت الذي كانت الدول الأوروبية تتكوى بموجات الهجرة غير الشرعية عبر البحر المتوسط، كانت دول منطقة الشرق الأوسط هي الأخرى تدفع ثمناً باهظاً للفوضى الناتجة عن الثورة الليبية، ولذا طالبت هذه الدول نظيراتها الأوروبية مراراً وتكراراً بالعمل على كبح عمليات تهريب الأسلحة في البحر المتوسط، خاصة بعدما أطلق الاتحاد الأوروبي عملياته «صوفيا» لمكافحة تهريب المهاجرين والاتجار في البشر قبالة السواحل الليبية، مقترحةً توسيع ولاية العملية الأوروبية لتشمل توقيف مراكز تهريب الأسلحة، إلا أن الدول الأوروبية لم تبد استجابة في بادئ الأمر نظراً لأنها ليست متضررة من تهريب الأسلحة ومقصدها الأساسي هو مكافحة الهجرة غير الشرعية. ثم بدأت الدول الأوروبية تستشعر راحة مطلب دول المنطقة من زاوية دعم جهود استعادة الأمن والسلام في ليبيا والدول المجاورة، وبالتالي احتواء موجات الهجرة غير الشرعية وتهيئة الظروف لعودة المهاجرين غير الشرعيين إلى دول المنشأ، وبناء عليه قبلت الدول الأوروبية الاضطلاع بهذه المهمة، مع اشتراط استصدار تفويض صريح من مجلس الأمن للعملية «صوفيا» لهذا الغرض، وذلك على النقيض من حالة مكافحة الهجرة غير الشرعية التي رأت الدول الأوروبية أنها لا تحتاج لتفويض من مجلس الأمن للقيام بها.

وبالفعل، أصدر مجلس الأمن قراره رقم (2292) في 14 يونيو 2016

## جهود حلحلة الأزمة الليبية

في مؤشر على قرب تنفيذ الجيش الوطني الليبي لعملية عسكرية موسعة لتحرير مدينة «درنة»، أحر معاقل الجماعات المتطرفة في منطقة ساحل شرق ليبيا، زار القائد العام للجيش، المشير «خليفة حفتر»، بشكل مفاجئ نهاية أبريل الماضي وفور عودته من رحلة الاستشفاء بباريس، القاعدة الجوية العسكرية في مطار «الأبرق»، والتي تبعد 70 كيلو متراً غرب مدينة «درنة»، للاطلاع على آخر المستجدات العسكرية في غرفة عمليات «عمر المختار» الخاصة بمعركة تحرير المدينة التي تسيطر عليها جماعات متطرفة منذ 4 سنوات.

ليبيا قد باتت جزءاً من الأراضي الإيطالية. بيد أن الوجود الإيطالي أو أى وجود أجنبي آخر، مهما كانت مبرراته، لا يمكن فهمه إلا على أنه انتهاك للسيادة الليبية، كونه لا ولن يستهدف سوى تأمين المصالح الذاتية لتلك الدول، وقد سبق لإيطاليا أن أرسلت قطعاً بحرية عسكرية استفزازية إلى الشواطئ الليبية، بمجرد الإعلان على توافق بين المشير «خليفة حفتر» و«فائز السراج» في باريس تنافساً على من تكون له اليد الطولى في ليبيا.

وهو التدخل الذى تسبب حينها فى غضب الشارع الليبي، واعتبرته النخب الليبية عودة للمستعمر القديم بترحيب ممن صفق أجدادهم للمستعمر قبل مائة عام، ليتكرر التاريخ بحنينهم للمستعمر والاستقواء به والتحصن خلفه، رغم خروج النخب المختلفة فى بيانات استنكار وتنديد بهذا التطاول الإيطالي على الأراضى الليبية، فى ظل صمت حكومة «الوفاق»، إلا من بيان خجول هزيل وضعيف عبر مطلبه الإيضاح من الحكومة الإيطالية دون الجرأة على إدانة انتهاك السيادة الوطنية.

فإذا ما أضيف لتلك الأجواء فضيحة السفينة «أندروميديا»، التى احتجزتها السلطات اليونانية قبل نحو ثلاثة شهور وهى فى طريقها من تركيا إلى ليبيا، حيث تلقى أحد الموانئ الليبية إشارة بقرب وصول السفينة قبل اعتراضها وهى محملة بحاويات المتفجرات الـ29، فالسفينة ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة، والتى ربما تستهدف من أرسلها بل ودأب على إرسال مثيلاتها بطرق عدة على مدار



مسلم هنيدي

متخصص فى الشؤون الأمنية ودراسات الأمن القومي  
mosllam\_future@yahoo.com

الواقع الليبي فى سياق تلك التطورات السياسية والميدانية على كل المستويات، وفى مقدمتها استعراض مدى التغيير فى الموقف السياسى العام داخل وخارج ليبيا، فى ضوء الجهد المصرى المكثف والحديث الذى تبذله القاهرة بغية الاقتراب بأطراف الأزمة القائمة منذ سنوات إلى منطقة اتفاق، يمكن لهم أن يتوصلوا من خلالها إلى مواءمة ترتضيها كل الأطراف ذات الصلة داخل وخارج البلاد.

تطورات الموقف الدولى ما إن أطلق الجيش الليبي عملية «غضب الصحراء» قبل أشهر لملاحقة فلول العصابات والجماعات الإرهابية فى الصحراء الليبية، حتى سارعت الحكومة الإيطالية بتزكية من البرلمان الإيطالي بالموافقة على إرسال قوات إضافية للأراضى الليبية، ضمن أجندة لا تخفيها الحكومة الإيطالية بل لطالما تعلنها على لسان رئيسها «باولو جينتيلونى» وكأن

وتزامنت هذه التطورات مع معلومات عن إعادة استئناف الاجتماعات الرسمية التى تستضيفها القاهرة لتوحيد المؤسسة العسكرية الليبية خلال شهر مايو، إضافة إلى دعوة السلطات المصرية مسئولين فى المجلس الأعلى للدولة إلى زيارة القاهرة للمرة الأولى، عقب فوز القيادى فى «الإخوان المسلمين» «خالد المشري» برئاسة المجلس غير المعترف به دولياً الشهر الماضى.

وفى حين ناقش رئيس البعثة الأممية لدى ليبيا مع الأمين العام للجامعة العربية «أحمد أبو الغيط» فى القاهرة مدى التقدم الذى تم إحرازه فى خطة عمل الأمم المتحدة من أجل ليبيا، إضافة إلى الاجتماع الرباعى، الذى عقد فى مقر الجامعة العربية فى ذات السياق، والذى شاركت فيه كل من الجامعة العربية والاتحادان الأفريقي والأوروبي والأمم المتحدة، حيث ناقش المجتمعون مجموعة من الخطوات المشتركة التى تهدف إلى تشجيع الأطراف الليبية على المضى قدماً فى مسار استكمال عملية الانتقال السياسى، والوساطة لإتمام الاستحقاقات الدستورية والانتخابية المقررة بموجب اتفاق «الصحيرات». فقد شارك المشير «حفتر» فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة ذكرى انطلاق «عملية الكرامة»، التى أعلنت فى يوليو 2014، لينهى بذلك الحضور كل الجدل الذى أثير حول واقع حالته الصحية ما بعد رحلته العلاجية فى مشافى باريس.

ومن ثم تستهدف تلك السطور تسليط الضوء على مجمل مستجدات

السنوات الماضية، أن يعين ويمكن بالسلاح والخراب والفوضى جماعات الإسلام السياسي من زمام الأمور في ليبيا، كما هو حاصل في طرابلس، في الوقت الذي مازال المجتمع الدولي يقف فيه عاجزاً عن رفع حظر السلاح عن الجيش الوطني الليبي، الذي يدافع عن البلاد من شرقها إلى غربها بقدرات محدودة ومجهودات متعاطمة. وهو الوضع المغلوط الذي لم يعد مقبولاً، بل بات يضع مجلس الأمن والبعثة الدولية للأمم المتحدة وأمريكا والدول الـرابعة لاتفاق «الصخيرات» في ليبيا على المحك والاختبار الحقيقي، حول مدى جدية المسعى نحو تحقيق السلام ونزع فتيل القتال وملاحقة صناعات الفوضى والخراب والإرهاب من عدمه.

وفي حين عاودت إيطاليا مجدداً وغازلت القائد العام للجيش الوطني الليبي، المشير «خليفة حفتر» على لسان سفيرها لدى ليبيا «جوزيبي بيروني» قبل أسابيع، والذي اعتبر عودته من رحلة العلاج فرصة يمكنها أن توفر الأمل في استقرار ليبيا من خلال دعمه لجهود المصالحة الوطنية، معرباً عن أمله في أن يكون وجوده بمثابة قوة قادرة على توحيد جميع القوى المحلية المختلفة، كخطوة لا بديل عنها لإعادة إحياء المشهد السياسي ومساعدة البلاد على التحرك نحو الانتخابات الوطنية نهاية العام.

فقد تحولت العاصمة المصرية على مدار الأسابيع الماضية إلى مركز اتصالات ولقاءات دولية وعربية خاصة بليبيا؛ حيث انتهى لقاء المجموعة الـرابعة الدولية المعنية بليبيا، والذي انعقد بمقر جامعة الدول العربية في القاهرة، الثلاثاء في الأول من مايو 2018، إلى التشديد على أهمية عقد انتخابات برلمانية ورئاسية على أساس قانون ودستور يجب أن يصدر ويصدق عليه لهذه الغاية. وأكد البيان الختامي الصادر عن المجموعة التي ضمت الأمين العام لجامعة الدول العربية «أحمد أبو الغيط»، والممثلة العليا للاتحاد الأوروبي للشئون الخارجية والسياسة الأمنية «فريدريكا موجيريني»، والممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة ورئيس بعثة الدعم الأممية في ليبيا «غسان

سلامة»، والممثل الأعلى للاتحاد الأفريقي إلى مالي والساحل رئيس بوروندي السابق «بيير بويويا»، على أهمية الجهود التحضيرية للمجلس الرئاسي والمفوضية الوطنية العليا للانتخابات، وخاصة من خلال تسجيل الناخبين المؤهلين، ورحبت (المجموعة) بالعدد المرتفع للناخبين الجدد المسجلين في هذه العملية، علماً بأن الانتخابات مخطط لها أن تُعقد قبل نهاية العام وفق خطة عمل الأمم المتحدة.

فقد أبدت المجموعة الـرابعة رغبتها في تنسيق جهودها لتقديم الدعم، بما في ذلك إيفاد بعثات المساعدة، والمراقبة الانتخابية، للسماح بعقد انتخابات حرة ونزيهة وذات صدقية لدى الجميع. حيث يتطلب عقد مثل هذه الانتخابات مناخاً سياسياً وأمنياً مواتياً تتعهد فيه جميع الأطراف الليبية بشكل مسبق باحترام نتائجها والالتزام بها من الجميع.

كما تعهدت المجموعة الـرابعة برعاية أي تدابير لبناء الثقة بين الأطراف الليبية وأصحاب المصلحة الليبيين والتي من شأنها أن تساهم في توفير ضمانات نزاهة إضافية للإجراء الناجح لهذه الانتخابات، والقبول بنتائجها، واعتراف المجتمع الدولي بالمؤسسات التنفيذية والتشريعية التي ستنبثق عنها. وهو ما يفرض استمرار الحاجة للتعامل الشامل مع التحديات الأمنية التي يشكها كل من انتشار الأسلحة، والجماعات المسلحة غير الخاضعة لسلطة الدولة، وشبكات التهريب والاتجار غير المشروع، وأهمية وجود جيش ليبي موحد يعمل تحت إشراف مدني وهيكلي قيادة موحد، ويكون قادراً على تثبيت السلام والأمن في كافة أنحاء البلاد.

ولذا رحبت الـرابعة في بيانها بكل الجهود المبذولة لتوحيد الأجهزة الأمنية، بما في ذلك الحوار الأمني المهم الذي تيسره الحكومة المصرية، كما شجعت مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة على مواصلة حوارهما والعمل معاً للاضطلاع بمسئولياتهما، وجددت المجموعة الـرابعة التأكيد على التزامها بسيادة واستقلال ليبيا وسلامة أراضيها ووحدتها الوطنية، وعلى دعمها للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني المعترف بها دولياً.

كما اتفقت المجموعة على الاستمرار في جهودها المتناسقة والتكاملية لدعم العملية السياسية الجامعة التي تيسرها الأمم المتحدة وفق الإطار العام للاتفاق السياسي الليبي. وأعادت الـرابعة التأكيد على دعمها الكامل لخطة عمل الأمم المتحدة لليبيا ورحبت بالتقدم المحرز حتى الآن في تنفيذ عناصرها الأساسية. كما دعت المجموعة جميع الأطراف الليبية إلى تحمل مسئولياتها ومواصلة تعاونها، بحسن نية، مع الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة نحو تنفيذ الخطة بشكل توافقي واسع النطاق.

ورحبت المجموعة بجهود «غسان سلامة» لتنظيمه وعقده لسلسلة من الاجتماعات عبر ليبيا كجزء من عملية المؤتمر الوطني واسع النطاق لتشجيع الحوار الوطني والوحدة والمصالحة وبلورة رؤية جامعة من أجل استكمال الانتقال الديمقراطي لليبيا. وأعربت عن استعدادها لتوفير الرعاية المشتركة لهذه المبادرة، التي تيسرها الأمم المتحدة، ودعم تنفيذ مخرجاتها.

وفي الوقت نفسه شددت الـرابعة على ضرورة معالجة تحديات ليبيا الاقتصادية وتوفير الخدمات الأساسية من خلال التوزيع المتكافئ لموارد الدولة في جميع أنحاء البلاد، والانتها من الميزانية الوطنية لعام 2018، كما أكدت أيضاً، بشكل خاص، على أهمية الحفاظ على وحدة القطاع الاقتصادي والمالي الليبي، بما في ذلك وزارة المالية ومصرف ليبيا المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط والمؤسسة الليبية للاستثمار وديوان المحاسبة الليبي. وقد جاءت تلك التطورات عقب الاتفاق

المصري الفرنسي على دعم الحل السياسي في ليبيا، والذي تمخض عن الزيارة التي أجراها وزير الخارجية الفرنسي، «جان إيف لودريان» إلى القاهرة الأحد 29 أبريل 2018، إذ التقى بالرئيس المصري «عبد الفتاح السيسي»، ووزير الخارجية «سامح شكري»، والأمين العام لجامعة الدول العربية «أحمد أبو الغيط»، والتي عقد خلالها المشاركون عدداً من المباحثات المكثفة حول مجمل الأوضاع، وكان على رأسها الملف الليبي، حيث اتفقت مصر

## جهود حلحلة الأزمة الليبية

وفرنسا على ضرورة توحيد الجهود بين البلدين، والعمل على دعم الحل السياسي للأزمة الليبية. حيث اتفقت جهات النظر على حدوث تقدم سياسي نسبي بالمشهد الليبي، وهو ما يستلزم الإسراع في عقد الانتخابات قبل نهاية العام الجاري.

كما التقى الأمين العام «أحمد أبو الغيط»، وزير الخارجية الفرنسي «جان إيف لودريان»، في مقر جامعة الدول العربية، وتمت مناقشة المستجدات التي تشهدها المنطقة، ومن بينها ما يتعلق بكيفية العمل على حلحلة الأزمة الليبية ومساندة جهود المبعوث الأممي الرامية لتحقيق التوافق المنشود بين الفرقاء الليبيين.

### مأزق قوى طرابلس بعد عودة المشير

أحدثت عدة لقاءات لأحزاب وكيانات ليبية في تونس خلال أبريل الماضي، أشرفت عليها جمعية (CMI) الفنلندية لمبادرة إدارة الأزمات، وانتهت إلى توقيع ما أطلقوا عليه «ميثاق شرف للعمل السياسي»، حالة من الجدل وردود الأفعال المتباينة، بين منسحب من التوقيع، وآخر يرى أنه لم يشارك فيه من الأساس، والتي جمعت تيارات موالية للنظام السابق، وأخرى محسوبة على جماعة «الإخوان المسلمين»، من بينهم حزب «العدالة والبناء»، وحزب «الوطن» الذي يرأسه أمير «الجماعة الليبية المقاتلة» سابقاً «عبد الحكيم بلحاج»، وحزب «التغيير» الذي يترأسه «جمعة القماطي»، المقيم في لندن، وجبهة «النضال الوطني» المحسوبة على بعض أنصار النظام الجماهيري، وحركة «المستقبل» التي يترأسها «عبد الهادي الحويج»، و«التكتل الوطني الفيدرالي»، و«تحالف القوى الوطنية».

وفور انتشار نبأ التوقيع على الوثيقة، سارعت عدة أحزاب لتوضيح موقفها من تلك الاجتماعات، إذ رفض حزب «القمة» التوقيع على «الميثاق»، وأرجع ذلك إلى «إيمانه بأن الحل السياسي الليبي لا يجب أن يتم خارج الوطن أو تحت رعاية جهات

أجنبية نهج مصادر تمويلها، أو توجهاتها وأجندتها»، وكان من الأجدد بالموقعين على هذا الميثاق المزعوم ألا يكتفوا بتوجيه النقد لتجاهل المبعوث الأممي لليبية «غسان سلامة» لإشراك الأحزاب السياسية الليبية في الحراك السياسي. ونبه الحزب الجهات المعنية في البلاد إلى عدم ترك أمور الليبيين «لجمعيات وافدة» تتدخل في العمل السياسي، والدخول على خط أزمة الجنوب وتداعياتها، بعيداً عن أعين الدولة.

ورغم إعلان جماعة «الإخوان» عن أسماء الموقعين، إلا أن حركة «المستقبل» الموجودة خارج ليبيا، و«جبهة النضال الوطني» التي يتزعمها «أحمد قذاف الدم»، نفت مشاركتها، وهو ما دفع نائب البرلمان «صالح أفحيمة» إلى القول بأن «الأبناء التي خرجت عن اجتماع تلك الأطراف في تونس جاءت ملتبسة، بين من ينكر المشاركة، وبين من يرفض الحديث حول تفاصيلها»، لكنه خلص إلى القول بأن «هؤلاء لا يمثلون قوة خلفهم، ويبحثون عن مصالحهم، ولا يصلون إلى أي اتفاق». كما ذهب بعض نواب من غرب البلاد، إلى أن بعض الأطراف التي تعيش خارج البلاد تبحث لنفسها عن دور، بغض النظر عن المصلحة العليا للبلاد. ومن ثم فقد عبّر هؤلاء عن رفضهم لأي اجتماعات تتناول الأوضاع داخل البلاد بعيداً عن أعين أجهزة الدولة الرسمية.

وفي تحرك كاشف لحجم المأزق الذي وقعت فيه قوى الغرب الليبي ما بعد عودة المشير «حفتر» معافى سالمًا من رحلته العلاجية، وهي الوعكة الصحية التي استغلته تلك القوى المناوئة للرجل في الداخل والخارج الليبي أسوأ استغلال درامي؛ لتشفيها في مرضه بل وادعاءاتهم المكشوفة بوفاته وتنفسهم الصعداء بهذا الزعم المشؤم. فقد أبدى المجلس الأعلى للدولة في ليبيا في الأول من مايو - كخطوة تقهقرية منه لتجاوز هذا الانكشاف السياسي والأخلاقي أمام الجميع - استعدادة لتقديم تنازلات سياسية، تشمل تغيير كبار المسؤولين في السلطة التنفيذية، وإعادة هيكلة للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني، التي يترأسها «فائز السراج»، وجاء هذا التطور، الذي

أبداه المجلس الأعلى، بعد أقل من شهر على انتخاب «خالد المشري»، أحد القيادات البارزة في حزب «العدالة والبناء»، الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين رئيساً له، بدلاً من سلفه «عبد الرحمن السويحلي»، في وقت يضغط فيه المجتمع الدولي لإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية بحلول شهر سبتمبر المقبل، بينما يرفضها البرلمان والجيش الوطني الموالي له، على اعتبار أن البلاد ليست مؤهلة لإتمام هذا الاستحقاق الانتخابي في هذا التوقيت.

وأعلن مجلس الدولة في بيان له من مقره في طرابلس، موافقته على ما وصفه بإعادة هيكلة السلطة التنفيذية إلى مجلس رئاسي، يتكون من رئيس ونائبين فقط، وحكومة منفصلة عنه، معرباً عن تطلعه لتجاوب مجلس النواب، الذي يتخذ من مدينة طبرق بأقصى الشرق مقراً له، مع هذه المقترحات لإنهاء الانقسام وتوحيد المؤسسات. وذلك بعدما أعلن موافقته على إعفاء أو تعيين شاغلي المناصب القيادية للوظائف السيادية، وفقاً لاتفاق السلام المثير للجدل، والمبرم في منتج «الصخيرات» بالمغرب نهاية عام 2015. كذلك حث مجلس النواب أيضاً على تفعيل المادة 23 من الاتفاق للتوافق حول مشروع قانون الاستفتاء، لكي يتمكن الشعب من قول كلمته بشأن مشروع الدستور، الذي أعدته الهيئة التأسيسية.

كما أبدى المجلس استعداده لتلبية أية دعوة يوجهها مجلس النواب لعقد لقاء بين المجلسين بمقر الأخير في مدينة «طبرق»، في حال تحديد موعد لهذا الاجتماع، الذي يستهدف من خلاله الداعون له تجاوز المرحلة الحالية، واستشراف مرحلة جديدة على أساس الأخوة والمصالحة والعفو الشامل، وتأمين عودة المهجرين وإعلاء المصلحة الوطنية العليا للبلاد.

ولكن في المقابل، مازالت تتوجس كتلة «بنغازي» من تلك المسامحات التي تقدمها قوى طرابلس كمحاولة للالتفاف وتقويض نجاحات الجيش في مواجهة الإرهاب. وفي هذا السياق أبدى رئيس لجنة الدفاع والأمن القومي بمجلس النواب الليبي في «طبرق» «طلال الميهوب»، اعتراضه على ما تضمنه بيان مجلس الدولة، كونه «لا يعدو جزءاً



### الوزير سامح شكرى يشارك فى الاجتماع السداسى حول الأزمة الليبية بلندن

فى ليبيا والمنطقة والعالم. وحول مدى استعداد الجيش الوطنى لتحرير مدينة «درنة»، التى تعد آخر معاقل الجماعات الإرهابية فى منطقة ساحل شرق ليبيا، فقد أعلن رئيس أركان الجيش الوطنى الليبى الفريق «عبد الرازق الناظوري»، بعد ساعات من نجاته من محاولة اغتيال فاشلة فى الأسبوع الثالث من أبريل الماضى، عن جاهزية قوات الجيش لاقتحام المدينة خلال أيام، وذلك بعدما انتهت المهلة التى منحها الجيش لاستسلام المتطرفين داخل المدينة، وبالتالي لا مفاوضات ولا وساطات. كما أكد «الناظوري» أن قوات الجيش الوطنى هى وحدها من سيقوم بعملية التحرير، نافيةً بذلك تقارير إعلامية زعمت وجود قوات مصرية وروسية تستعد لدخول المدينة إلى جانب قوات الجيش الوطنى. كما نفى رئيس الأركان العامة للجيش الوطنى الليبى ما يشاع عن وجود قاعدة عسكرية روسية فى المنطقة الشرقية فى ليبيا.

ومن ثم تنتظر كل الأطراف فى الداخل والخارج الليبى خلال الأيام القادمة أوامر المشير «حفتر» لقوات الجيش بانطلاق معركة تحرير مدينة «درنة»، آخر معاقل الجماعات المتطرفة شرقى ليبيا، وهو الأمر الذى كثيراً ما أكد عليه المتحدث باسم الجيش الليبى العقيد «أحمد المسماري»،

مشاركتها فى تحرير «درنة». فقد وقعت حكومة الوفاق الوطنى، التى يترأسها «فائز السراج»، فى العاصمة الليبية طرابلس الجمعة 27 أبريل الماضى، عدداً من اتفاقيات التعاون الأمنى مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بحضور وزير الخارجية «محمد سيالة»، وقالت القائمة بأعمال السفارة الأمريكية لدى ليبيا «ستيفانى ويليامز»، عقب اجتماع مع السفير الليبى فى تونس «محمد المعلول»، إن اللقاء نتج عنه عدد من الاتفاقيات مع حكومة «السراج»، تحدد التزامنا المتبادل بتحسين الوضع الأمنى فى جميع أنحاء ليبيا. وأوضحت المسئولة الأمريكية أن الاتفاقية شملت قطاعات الشرطة والإصلاحات والعدالة، بالإضافة إلى مذكرة نوايا لتعزيز أمن المطارات فى ليبيا، معتبرة أن هذا الجهد هو جزء من استراتيجية ثنائية أوسع لتحسين الأمن، والحد من الثغرات فى المطارات والحدود البرية الليبية. كما أكدت فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة وليبيا تتعاونان معاً، بالإضافة للجهود الإقليمية لمكافحة الإرهاب، وتعزيز الأمن فى المنطقة المغاربية، وتحقيقاً لهذه الغاية، أعلنت انضمام ليبيا إلى شراكة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء، التى رأت أنها ستوفر فرصاً جديدة للمسئولين الليبيين للتواصل مع نظرائهم عبر الحدود، بقصد تحسين الأمن

من محاولة الإخوان المكشوفة للانقضاض على الجيش الوطنى، وتقويض الإنجازات التى حققتها قواته فى مواجهة الجماعات الإرهابية والمتطرفة فى البلاد خلال الفترة الماضية، خصوصاً فى المنطقة الشرقية» على وجه التحديد. ومن ثم لا ولن تخرج فعوى البيان عن مجرد «لعبة إخوانية مفضوحة»، ولذا ترفض كتلة بنغازى الاتفاق مع مجلس الدولة المقترح، لأن ضريبة قبوله معهم فى هذا التوقيت لن يكون لنتائجها أى مردود إيجابى سوى التضحية بالجيش، وهذا أمر مرفوض جملةً وتفصيلاً. وما يجب فعله فى المقابل هو تعديل الدستور ليضمن حقوق الجيش من أى اسم يُنتخب فى المستقبل، ومن ثم إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية نزيهة على أساس دستورى ومؤسسى وبنىوى متين.

### نجاحات الجيش تحسم الجدل ميدانياً

لقد تمكنت قوات الجيش الليبى رغم محدودية الموارد التسليحية من القضاء على الإرهاب فى ليبيا، وخاصة المنطقة الشرقية، رغم الإمكانات المحدودة التى تمتلكها. ولكن فى حين رفض الجيش الليبى بقيادة المشير «حفتر» قبل أيام الموافقة على طلب كانت قد تقدمت به قيادة القوات الأمريكية العاملة فى أفريقيا، والمعروفة باسم «أفريكوم»، للموافقة على

## جهود حلحلة الأزمة الليبية

والتي كان آخرها قبل أيام في ضوء تصريحاته حول الغارات الجوية المتتالية التي يشنها الجيش الليبي على معقل الجماعات الإرهابية هناك، وهي المعركة التي سيكون لنتائجها تأثير كبير على مجمل تجاذبات وتفاعلات الواقع السياسي والأمني والعسكري الليبي في المستقبل القريب؛ كونها ستكشف على الأحمال والأوزان النسبية والتحالفية الحقيقية لكل الأطراف في الداخل والخارج.

وتأتى تلك التحركات والاستعدادات كترجمة فعلية لقناعة كتلة «بنغازي» الراسخة وعلى رأسها الجيش الوطني بقيادة «حفتر» وبرلمان شرق البلاد، واللدان يريان في التخلص من الإرهاب ضرورة أولية للقضاء على المتطرفين الإسلاميين، وتحرير ليبيا من هذه المجموعات التي تنغص حياة الليبيين، وبعدها يمكن للقوى المعتدلة أن تدخل حلبة التنافس السياسي عبر الصناديق.

وربما هذا ما دفع رئيس مجلس النواب (البرلمان) الليبي «عقيلة صالح» في الأول من مايو إلى الدعوة لإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية قبل نهاية العام ولكن في ضوء نتائج ما بعد عملية التحرير، وفقاً لخطة بعثة الأمم المتحدة، حتى يختار الشعب الليبي رئيساً للدولة يمثله بصورة مباشرة، ليكلف بدوره رئيساً للحكومة يحل مشكلات الشعب. وتعهد «صالح» الحصول على دعم أعضاء مجلس النواب الموجود في مدينة «طبرق» لهذه الفكرة التي تعد مطلباً شعبياً، وتوجهاً دولياً وأمميًا كمبرج لحل الأزمة القائمة في البلاد منذ سنوات، على اعتبار أن الوقت لا يسمح بإجراء تعديلات على الاتفاق السياسي أو تشكيل حكومة جديدة. ومن ثم هناك اتجاه لتكليف المفوضية العامة للاستعداد للانتخابات وإعطاء الناس فرصة للترشح.

### أفق التحلل السياسي

#### في المدى القريب

البعض يعول على اتفاق «الصخيرات» كخريطة طريق وحيدة للحل في ليبيا، رغم أنه يفتقر إلى أدنى درجات التوافق

بين الأطراف، ولا يحمل أى ضمانات يمكن الرجوع إليها عند الاختلاف، كما أنه كان يمثل أطرافاً محددة، وأقصى وغيب أطرافاً كثيرة أخرى مهمة، في التركيبة السياسية الليبية، مما جعله اتفاقاً منقوصاً وغير قابل للحياة، رغم تطرف البعض بجعله نص الاتفاق نصاً مقدساً، لا يمكن التعديل أو الخروج عنه، رغم الخروقات الجسيمة التي ارتكبتها من زعم تطبيق بنوده، على رأسها كيان مجلس الدولة الذي هو في الأصل تمديد للمؤتمر الوطني (أول برلمان منتخب بعد فبراير). ومع استمرار الصراع داخل ليبيا على مدى 7 سنوات واتخاذها أشكالاً مختلفة سياسية ومسلحة واجتماعية، إلى جانب اتساع الفساد الرسمي والمجتمعي، وضعف للرقابة والمحاسبة يقترب من العدم، وعجز القضاء والسلطات التنفيذية على إنفاذ القانون. بالتزامن مع تنامي الحضور الأمني وبعض العسكري لعديد القوى الإقليمية والدولية، وذلك عن طريق الحلفاء أو الأتباع المحليين الذين يقدمون لها التسهيلات والمعلومات، كما تتلقى الميليشيات بأنواعها دعماً خارجياً بالسلح ينتهك السيادة الوطنية للدولة الليبية، ويتعارض مع القرارات الصادرة عن مجلس الأمن. وعلى المستوى المالي منذ توقيع الاتفاق السياسي نهاية 2015 تحرك حكومة الوفاق المنبثقة عنه في إطار ترتيبات مالية ترعاها منظمات دولية سياسية ومالية دون الاستناد إلى قانون خاص بالميزانية كما تفرض التشريعات الليبية.

ومن ثم لا يتصور أن تتأسس أية دولة تمتلك مقومات النجاح والاستمرار على الإقليم المسمى ليبيا إذا لم تتحقق سيادة حقيقية وفعالية لتلك الدولة تعيد لها السيطرة المطلقة على الإقليم والسكان والعنف المشروع، إلى جانب استعادة قدرتها على خدمة السكان وحمايتهم، وتتفرد وحدها في تنظيم وإدارة علاقاتها الخارجية انطلاقاً من الاعتراف باستقلالها الكامل وتمتعها بسيادة متساوية مع كل الدول كما نص ميثاق الأمم المتحدة، إلى جانب امتلاكها قدرة نسبية على توصيل الخدمات الأساسية لكل السكان. وحتى يمكن لذلك أن يكون كذلك على كل الأطراف

الليبية وغير الليبية أن تتجرد من مصالحها المتباينة، وتعيد قراءة المشهد الليبي بصورة تخدم وتعلو المصلحة الليبية العليا للوطن على ما سواها من المصالح والمنافع الضيقة الزائلة.

وأخيراً، لقد طال المدى وعلى الجميع أن يتداركوا هذا البلد الذي تريد قوى الإسلام السياسي في الداخل والخارج انتزاعه من أهله الذين يرفضونهم رفضاً تاماً، ويرفضون أجنداته العابرة للحدود. حيث لا مكان للإسلام السياسي في ليبيا، فعلى الرغم من انهيار الدولة منذ 2011، لم تستطع تلك القوى أن تحقق شيئاً مما تريد، لأن الشعب الليبي لا يقبلها ولا يرضى بأى وجود لها في خلفية المشهد العام، ومن ثم على هؤلاء أن ينصرفوا عن هذا الشعب الذي طال عذابه. وعلى كل الأطراف الليبية تسعى لحوار صريح بين الأطراف الليبية حول الأزمات والخلافات القائمة، سياسية كانت أو تحالفية، لأن التفاهم هو السبيل الوحيد لتشكيل موقف موحد وصلب يضع الأشقاء الفرقاء في موضع القوة إزاء الآخرين من الطامحين والطماعين... وما أكثرهم. وهو في ذات الوقت ما سيمنحهم من التصدي لتهديدات لا تمس فئة بعينها، وإنما تستهدف النيل من الكيان الليبي وهويته الوطنية الموحدة الجامعة، وعلى رأسها التهديد الخطير الذي تتعرض له في الآونة الأخيرة وحدة وسلامة وسيادة واستقلالية الأراضي الليبية، وفي القلب منها ضرورة وقف الاحتراب والاقتيال الدائر بين الأشقاء منذ سنوات عدة.

وختاماً، هل يدق ما تتعرض له الدولة والهوية الليبية من محاولات مكشوفة لتصفيتها وتفتيتها وشرذمتها، جرس إنذار للجميع، فيستنفر في الإخوة الليبيين كل طاقتهم المهذرة على العمل الجماعي المتضافر لنزع فتيل تلك الأزمة المتفاقمة، أم ستظل المشكلة قائمة تبحث عن حل خارجي على مؤائد من صنعها بهدف زعزعة استقرار ليبيا والوطن العربي منذ أمد بعيد وحتى الآن؟!

# من يمنع «حرب الحسابات الخاطئة» بين واشنطن وطهران؟

تبدو المؤشرات كلها وحالة الصخب الراهنة بأن الشرق الأوسط يمضي بقوة في اتجاه «حريق كبير»، وهنا فإن الغالبية تتحدث عن «حرب الحسابات الخاطئة» ما بين واشنطن وطهران، ويبدو أن حدة الأزمة الداخلية لكل من نظام الملالي والرئيس دونالد ترامب، وأزمة الفساد التي تلاحق رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو تدفع كل هذه الأطراف إلى التصعيد وربما التورط في حرب لا يريد لها العقلاء بالمنطقة- ومن أبرزهم مصر- وبالطبع أوروبا التي خبرت أزمة اللاجئين، وروسيا، وبقية العالم الذي يخشى من تداعيات أزمة لا أحد يعرف كيف ستنتهي وإن كان يعرف كيف يمكن أن تبدأ. والسؤال الآن من يمنع هذه الحرب؟

الإيرانية بحرب أمريكية وشيكة على إيران، معتبراً أن التهديدات التي يطلقها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب «حقيقية». جاء ذلك في تعليق موقع «عصر إيران» على تهديدات ترامب الأخيرة للنظام الإيراني، وتصاعد التوتر بين البلدين إثر تصريحات الرئيس الأمريكي، وفرض عقوبات أمريكية جديدة على طهران.

وأورد الموقع الإيراني في تقريره أن «من المرجح قيام ترامب بصفته قائداً أعلى للقوات المسلحة الأمريكية بشن حرب خارجية ضد دولة بعيدة عن حدودها.. ولأن شخصية ترامب معادية لإيران، فقد تشعل حماقته الحرب علينا بالفعل». وأشار إلى أن الشخصيات المحيطة بترامب معادية لإيران، خاصة وزير الدفاع الأمريكي، مؤكداً أن شخصية ترامب تختلف تماماً عن الرئيس السابق باراك أوباما.

وانتقد موقع «عصر إيران» بشكل غير مباشر سياسة الحرس الثوري والمرشد الإيراني تجاه الرئيس الأمريكي الجديد، مطالباً أن تتسم السياسة الإيرانية بالحكمة، لتجنب إيران الأضرار التي من الممكن أن تلحق بالبلاد، بسبب سياسة ترامب المعادية..

ونشر «إن ما يجب أن نفعله حتى نتجنب شر الرئيس الأمريكي، أن نواصل سياسة الاعتدال في الساحة الدولية، لأن



محمد صابرين

mohsabreen@yahoo.com

مشيراً إلى أن «إيران تدار من شيء يشبه المافيا وليس من قبل حكومة». وأكد وزير الخارجية، الذي كان يتحدث لجمهور في ولاية كاليفورنيا مؤلف معظمه من أمريكيين من أصول إيرانية، إن إطلاق محادثات مع النظام الإيراني لن يحدث إلا عندما ترى واشنطن نتائج ملموسة لتغير سياسة طهران.

وأضاف بومبيو أن روحاني ووزير الخارجية ظريف مجرد واجهتين براقيتين على الصعيد الدولي لنظام الملالي الخداع. وقال بومبيو بأن ثراء زعماء إيران وفسادهم يظهران أن إيران تدار من شيء يشبه المافيا وليس من قبل حكومة، معتبراً أن هذا النظام هو «كابوس على الشعب الإيراني».

مخاوف طهران من الحرب تنبأ موقع مقرب من الحكومة

وقد وصلت نذر المواجهة إلى مستويات غير مسبوقة من التصعيد مع تحذير الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، الاثنين 23 يوليو الماضي، الرئيس الإيراني، من تهديد الولايات المتحدة مرة أخرى، وذلك في أحدث رد على تهديدات أطلقها حسن روحاني مفادها بأن الحرب مع إيران هي «أم كل الحروب». وقال ترامب في تغريدة على حسابه في «تويتر»: «إلى الرئيس الإيراني روحاني لا تحاول أبداً تهديد الولايات المتحدة مرة أخرى، وإلا ستعاني من عقبات وخيمة». وأضاف: «لم نعد دولة تتهاون مع كلماتكم المختلة بشأن العنف والموت.. كن حذراً».

وكان روحاني قد حذر نظيره الأمريكي ترامب، الأحد، من مواصلة السياسات العدائية لطهران قائلاً: «ينبغي أن تعلم أمريكا أن السلام مع إيران هو السلام الحقيقي والحرب مع إيران هي أم كل الحروب». ونقلت وكالة الطلبة الإيرانية للأنباء عن روحاني قوله أمام حشد من الدبلوماسيين الإيرانيين: «يا سيد ترامب لا تعبت بذيل الأسد فهذا لن يؤدي إلا للندم».

واشنطن لا تخشى نظام الملالي وفي وقت سابق، قال وزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو، إن الولايات المتحدة لا تخشى استهداف النظام الإيراني على أعلى مستوى،



## من يمنع « حرب الحسابات الخاطئة » بين واشنطن وطهران؟

الخارجية، حتى إن أرادت أمريكا التحرك ضد إيران، لأنها ستكون غير قادرة على تشكيل تحالف دولي ضد إيران»، وفق قوله.

سيناريوهات الأزمة وتطوراتها ووسط تصاعد الحرب الكلامية والتي يبدو أنها جزء من الحرب النفسية، والتي فيما يبدو أن الطرفين سوف يواصلان تصعيدها في الوقت الراهن، وذلك في مخاطبة للداخل بأنه طرف قوي ولا يخشى التهديدات، وفي رسالة قوية للحلفاء بقوة موقفه، كما أنها رسالة للقوى الدولية التي لا ترغب في تفجير الشرق الأوسط بحرب جديدة بسرعة التحرك لإطفاء الحريق، وعدم الانزلاق إلى حرب بسبب «الحسابات الخاطئة». وأحسب أن الأزمة مرشحة لعدة سيناريوهات سوف نحاول التوقف أمامها بالفحص والتحليل، وهي كالتالي:

- السيناريو الحالي: « حملة تغيير سلوك النظام»

كشفت مصادر أمريكية مطلعة عن أن إدارة الرئيس دونالد ترامب «تشن من خلال الخطب والرسائل الموجهة

العالم جميعه الآن ضد ترامب، وإن مثل هذه الأجواء بالتأكيد في صالح إيران». وحذر من أن «أي نهج وموقف غير دبلوماسي ومدروس تتخذه إيران في علاقتها مع أمريكا، من الممكن أن يغير هذه الأجواء من الغضب العالمي ضد ترامب، لتتقلب ضد إيران».

وقدم الموقع النصح للنظام الإيراني في التعامل مع ترامب، قائلا: «يجب عدم إعطاء أية ذريعة للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية لتطبيق سياستهم المعادية، مع الحفاظ على القوة التي تمثل أمراً ضروريا لأية أمة». واعتبر أن اتخاذ أي نوع من السياسات المتشددة في هذه المرحلة، سواء كانت في السياسة الداخلية أو الخارجية لإيران، فإنها ستخدم مصلحة السعودية وإسرائيل.

وطالب الحكومة الإيرانية بالاستمرار في «دبلوماسية الحكمة» في علاقتها

عبر الإنترنت حملة تهدف إلى إثارة اضطرابات والمساعدة في الضغط على إيران» لوقف برنامجها النووي ودعمها جماعات مسلحة، وذكرت وكالة «رويترز» في 23 يوليو نقلا عن 6 من المسؤولين الحاليين والسابقين بأن هذه الحملة التي يدعمها وزير الخارجية مايك بومبيو ومستشار الأمن القومي جون بولتون «تهدف إلى العمل، بالتنسيق مع حملة ترامب، على تضيق الخناق على إيران اقتصادياً من خلال إعادة فرض عقوبات صارمة عليها». وزادت كثافة الحملة منذ انسحاب ترامب في 8 مايو الماضي من اتفاق عام 2015 الذي وقعت عليه 7 دول، لمنع إيران من صنع أسلحة نووية.

- السيناريو الثاني: «تصعيد واشنطن عبر 3 خطوات»

الأولى: فرض حصار اقتصادي خائق على أمل تأليب الشعب الإيراني ضد حكومته، ودفعه لدعم، أو عدم معارضة أي تدخل أمريكي لتغيير النظام.

الثانية: تحريك الأقليات غير الفارسية، وغير الشيعية، على غرار



النموذجين السوري والعراقي.  
الثالثة: إطلاق كميات كبيرة من  
المخزون النفطي الاحتياطي مما يؤدي  
إلى تخفيض الأسعار إلى معدلات مدمرة  
للاقتصاد الإيراني.

لا يعتقد بعض المحللين، ومن بينهم  
عبد الباري عطوان، أن الإيرانيين يمكن  
أن يقبلوا بالشروط الأمريكية في أي  
حوار افتراضي، لأنها تعني استسلامهم  
الكامل، والتخلي عن طموحاتهم النووية  
والصاروخية إلى الأبد، وهذا أمر مستبعد  
لأنه يُذكر بالسيناريو العراقي، وعواقبه  
الوخيمة، ولكن إذا كانت المفاوضات  
التي يمكن إطالة مدتها متاحة،  
بمشاركة الأوروبيين أيضاً فلم لا. إلا أننا  
نرى من تاريخ نظام طهران أنه يتمتع  
بقدر هائلة على الانحناء للعاصفة،  
والتعامل بقدر عال من البرجماتية من  
أجل الحفاظ على البقاء وشراء الوقت،  
وتحسين الشروط لأي تفاهات يتوصل  
إليها مع خصومه. ومن هنا فإن طهران  
على الأرجح سوف تقبل بدء مفاوضات،  
بل هناك تقارير تقول بوجود مثل هذه  
المفاوضات السرية ما بين واشنطن  
وطهران، وأن الرئيس الروسي فلاديمير  
بوتين ورجاله من يتصدى لهذه المهمة.  
وفي المقابل يرى البعض أن طهران  
تواجه مشكلة تنحصر في تعاملهم مع  
زعيمين محاصرين كل لأسبابه، الأول  
بنيامين نتنياهو، الذي يريد أن يتوج  
حياته السياسية «بنصر ما» يجنبه  
مصير سلفه إيهود أولمرت، الذي انتهى  
بالسجن بتهمة الفساد، والثاني ترامب،  
الذي تتصاعد ضده وإدارته الانتقادات  
الأمريكية في أوساط قطاع عريض من  
النخبة السياسية والشعب الأمريكي معاً،  
ويعتقد أن ضرب إيران يمكن أن يظهره  
بالرئيس القوي. وأحسب أن ترامب الذي  
تلاحقه كل أنواع التهم من الفساد إلى  
العمالة لروسيا إلى غسيل الأموال يرغب  
في شيء ما ينقذه من عزله أو محاكمته،  
وهنا في ظل الضغط قد يندفع إلى  
الحرب أو صفقة ما مع إيران.  
ونبقى مع سيناريوهات الأزمة

الإيرانية حول سعي واشنطن للإطاحة  
بالنظام الإيراني، وقال: «ليكن واضحاً  
أننا لا نسعى لتغيير النظام؛ بل نسعى  
لتغييرات في مسلك الحكومة الإيرانية». إلا أن  
التجارب السابقة علمتنا أنه في ظل عدم الثقة  
والتحريض المستمر لواشنطن من قبل إسرائيل  
وأخرين، ووسط خوف طهران من السوابق  
الأمريكية في تغيير الأنظمة فلا أحد  
يمكنه الجزم بيقين إن ثمة شيء ما خطأ  
قد يقع وتجد المنطقة نفسها في وسط  
حريق كبير.

ولعل مما يزيد المخاوف من الحرب  
الخطأ نتيجة الحسابات الخاطئة هو  
تحليلات أمريكية جادة من نوعية ما  
ذهب إليه كريم سجادبور، الخبير في  
الشأن الإيراني بـ«مؤسسة كارنيجي  
للسلام الدولي» من أن إستراتيجية خنق  
إيران اقتصادياً وإذكاء مشاعر الاستياء  
العام من القيادة هدفها الوصول لإحدى  
نتيجتين: «النتيجة الأولى هي الاستسلام  
وإرغام إيران على تقليص ليس  
برنامجها النووي فحسب؛ بل طموحاتها  
الإقليمية، والنتيجة الثانية هي انهيار  
النظام». وإذا كان ذلك أقرب للمنطق  
فإن النظام الإيراني سوف يتصرف وفقاً  
لذلك، ولن يكون سلوكه جميلاً ما لم  
يتدخل العقلاء لنزع فتيل الأزمة.

وتطورها، وتذهب كثير من مراكز  
الأبحاث إلى لجوء واشنطن إلى إغراق  
أسواق النفط العالمية بكميات كبيرة  
من مخزونها النفطي، وتحريض بعض  
حلفائها في منطقة الخليج، والكويت  
والإمارات على وجه الخصوص إلى  
زيادة الإنتاج وإغراق الأسواق مما  
يؤدي لانخفاض الأسعار، فضلاً عن دعوة  
ترامب لعدم شراء بترول إيران، وهو ما  
سيؤدي إلى خنقها اقتصادياً، وتفجير  
الوضع من الداخل. وقد سبق أن جربت  
واشنطن هذا السيناريو من قبل ضد  
العراق، مما أدى إلى انخفاض الأسعار  
إلى أقل من عشرة دولارات للبرميل  
عامي 1988 و1989، الأمر الذي أدى  
إلى انهيار الاقتصاد العراقي الخارج  
للتو من الحرب مع إيران، ودفع الرئيس  
صدام حسين إلى غزو الكويت صيف  
عام 1990.

ويبقى أن الجهد الآن منصب على  
تغيير سلوك النظام الإيراني، ومثلما  
يقول المسؤولون الأمريكيون الحاليون  
والسابقون إن هذه الحملة تسلط الضوء  
على عيوب الزعماء الإيرانيين، مستخدمة  
أحياناً معلومات مبالغاً فيها أو تتناقض  
مع تصريحات رسمية أخرى بما في  
ذلك تصريحات لإدارات سابقة.

وفي الوقت نفسه نفى مسئول  
بوزارة الخارجية الأمريكية الاتهامات

## واشنطن وطهران بين خيارات التصعيد واحتمالات الحوار

كما كان متوقعا انسحب الرئيس الأمريكي ترامب من الاتفاق النووي الإيراني في 8 مايو الماضي بعد أن أعطى مهلة ثلاثة شهور للجانب الأوروبي في يناير الماضي لتقديم بديل يعالج «العيوب الخطيرة» في الاتفاق المتمثلة في بند الغروب أي ضمان عدم استئناف إيران لتخصيب اليورانيوم بعد انتهاء مدة الاتفاق في عام 2025 وفتح المواقع العسكرية الإيرانية السرية للتفتيش الدولي، إضافة لربط مصير الاتفاق النووي بكبح البرنامج الصاروخي الباليستي الإيراني ووقف تمدد إيران المزعزع للاستقرار في المنطقة وفي دعم الإرهاب عبر أذرعها العسكرية المختلفة مثل حزب الله في لبنان ومليشيا الحوثي الانقلابية في اليمن وعشرات الميليشيات الشيعية في سوريا والعراق. وقد فشل الجانب الأوروبي الذي تشبث باستمرار الاتفاق لاعتبارات اقتصادية بالأساس، في الضغط على الجانب الإيراني للتوصل لتعديل الاتفاق الحالي أو إبرام اتفاق تكميلي كما فشل في إثناء الرئيس ترامب عن الانسحاب من الاتفاق النووي.

اندلعت انتفاضة البازار الإيرانية في شهر يونيو الماضي احتجاجا على تدهور قيمة العملة وهو ما شكل تهديدا كبيرا للنظام خاصة أن طبقة البازار أو التجار كانوا تاريخيا داعمين للنظام السياسي الديني والعسكري الإيراني بعد الثورة الإيرانية. كما أن خيار النظام الإيراني في الاستمرار في الاتفاق وقبول الضغوط الأمريكية للتوصل إلى اتفاق جديد بشأن البرنامج النووي وتحجيم البرنامج الصاروخي الباليستي وتقليص دور إيران في المنطقة سيكون مكلفا أيضا للنظام الإيراني الذي أنفق الكثير من الأموال وحقق بعض المكتسبات في سوريا والعراق ومن الصعب أن يتخلى عنها، وهو ما يجعل النظام الإيراني أمام مأزق حقيقي خاصة بعد التصعيد الإسرائيلي ضد الدور الإيراني في سوريا وشن العديد من الغارات التي طالت البنية العسكرية الإيرانية في سوريا.

وما بين الضغوط الخارجية نتيجة للبرنامج النووي ودور إيران في المنطقة وما بين المشكلات الداخلية في تفاقم الأوضاع الاقتصادية واندلاع الاحتجاجات التي قمعها النظام، سعى النظام الإيراني إلى خيار ثالث يقوم على التمسك بالاتفاق النووي الحالي والمرهنة على الأطراف الأخرى الموقعة عليه لتعويض الانسحاب الأمريكي وتقليل أثار العقوبات الأمريكية وهو ما



د. أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية في الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

وخسارة الطرف الأوربي الذي ما تزال تراهن عليه إيران لدعم موقفها وإنقاذ الاتفاق، كما أن هذا الخيار لن يكون في صالح النظام الإيراني الذي يواجه أزمات عديدة أبرزها تفاقم الازمة الاقتصادية الداخلية والتي بدت مؤشراتها في انخفاض قيمة العملة إلى 112 ألف ريال مقابل الدولار وارتفاع مستويات الفقر والبطالة لمستويات قياسية، وهو ما أشعل الانتفاضة الجماهيرية في نهاية العام الماضي وشملت العديد من المدن الإيرانية بما فيها قم ومشهد، معقل الحوزة الدينية، احتجاجا على التوسع الإيراني في الخارج وتوجيه الأموال التي تدفقت بعد رفع العقوبات الدولية إلى تعظيم الدور الخارجي والإنفاق على أذرع إيران مثل حزب الله والحوثيين، بدلا من توجيهها صوب التنمية كما

### معضلة كبرى لكل الأطراف

وقد شكل الانسحاب الأمريكي معضلة كبيرة لكل من الأطراف الأخرى الموقعة على الاتفاق، أي روسيا والصين وألمانيا وفرنسا وإيران، فمن الناحية النظرية والقانونية فإن الاتفاق سارى حتى بعد الانسحاب الأمريكي حيث تم إقراره من مجلس الأمن عبر القرار 2231، ويمكن لهذه الأطراف الاستمرار فيه، لكن من الناحية العملية بات الاتفاق في حكم المنتهى، لعدة اعتبارات، أولها أن الولايات المتحدة وإيران هما الطرفين الأساسيين فيه وأن الدول الخمسة الأخرى هي بمثابة الضامن، وثانيها أن إعادة العقوبات الأمريكية مرة أخرى على إيران، ينشئ حالة من عدم اليقين حول الاقتصاد الإيراني ويجعل من الصعوبة على أي شركة أجنبية المجازفة بالاستثمار في السوق الإيرانية في ظل استمرار العقوبات الأمريكية، والتي قد تطال هذه الشركات بعد أن أمهلتها الخزانة الأمريكية مدة ستة أشهر لسحب استثماراتها من إيران.

الخيارات الإيرانية تجاه خطوة الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي محدودة ومكلفة، فخيار التصعيد والانسحاب من الاتفاق النووي واستئناف التخصيب بمستويات عليا يعيد الاجواء إلى ما قبل الاتفاق من ممارسة الضغوط الدولية وفرض المزيد من العقوبات، بل



## انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاق النووي الإيراني

الحق والنجباء والفاطميون والزينبيون وغيرها، وذلك تحت إشراف الحرس الثوري الإيراني وذراعه الخارجي فيلق القدس، والذي زادت ميزانيته العسكرية إلى أكثر من 20٪، بما أثر سلباً على فرص تحقيق التنمية وتحسين معيشة الشعب الإيراني مما دفع المتظاهرون إلى ترديد شعارات مثل يسقط حكم المرشد خامنئي، ولا لسوريا ولا لبنان.. فداكي يا إيران. ورغم قمع النظام لهذه الاحتجاجات إلا أن النار تحت الرماد، وبالتالي فإن زيادة الضغوط الاقتصادية الأمريكية وحرمان النظام الإيراني من أهم موارده تشكل ضغطاً كبيراً عليه وهو ما اعترف به المسؤولون الإيرانيون في تزايد التأثيرات السلبية للعقوبات الأمريكية، ومن هنا لجأ النظام إلى تصعيد خطابه وتهديداته للولايات المتحدة وتحميلها مسؤولية تلك المشكلات باعتبارها مؤامرة خارجية.

**ثانياً:** لجأت إدارة ترامب إلى تصعيد لغة الخطاب السياسي لردع النظام الإيراني كجزء من الاستراتيجية الأمريكية الشاملة التي تتبناها لاحتواء الخطر الإيراني عبر سياسة العصا سواء لغة الردع أو فرض العقوبات أو حشد الدعم الدولي تجاه إيران، إضافة إلى العمل على تغيير النظام من الداخل عبر تكثيف الضغوط الاقتصادية عليه ودعم المطالب والاحتجاجات الشعبية الإيرانية ضد النظام، حيث أطلق وزير الخارجية الأمريكي حملة دعائية تستهدف النظام الإيراني وتشمل إطلاق قناة تليفزيونية

سياسة حافة الهاوية التي ينتهجها الطرفان وتقف ورائها عدد من العوامل. **أولاً:** الإستراتيجية الأمريكية في ممارسة أقصى الضغوط تجاه إيران بعد الانسحاب من الاتفاق النووي وإعادة العقوبات السابقة وفرض عقوبات جديدة مشددة تطال عصب الاقتصاد الإيراني، خاصة قطاعي الطاقة، من النفط والغاز، والبنوك وفرض عقوبات على الدول والشركات التي تستثمر أو تشتري النفط الإيراني، يبدأ تفعيلها ابتداءً من نوفمبر المقبل، بات توتى ثمارها بشكل ملحوظ في ظل هروب الاستثمارات الأجنبية خاصة الأوروبية من السوق الإيرانية مثل شركات توتال وبريتش بتريوم وغيرها، وإعلان الدول الرئيسية المستوردة للنفط الإيراني، اليابان والهند والصين، تقليل وارداتها النفطية من إيران، وهو ما زاد من الضغوط على النظام الإيراني، خاصة في ظل الضغوط الكبيرة التي يتعرض لها في الداخل مع اندلاع المظاهرات أكثر من مرة وفي كافة المدن الإيرانية، احتجاجاً على تدهور الأوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة والانخفاض الكبير في قيمة العملة، نتيجة لإنفاق النظام الإيراني الأموال التي تدفقت عقب إبرام الاتفاق النووي على توسيع الدور الإقليمي لإيران في المنطقة ودعم وتمويل أذرعها العسكرية مثل حزب الله اللبناني ومليشيا الحوثي الانقلابية في اليمن وعشرات المليشيات في العراق وسوريا مثل عصائب أهل

بدا في جولة وزير الخارجية الإيرانية جواد ظريف لروسيا والصين وبروكسل والعمل على الحصول على ضمانات من تلك الدول بالاستمرار في الاتفاق والإبقاء على استثماراتها وتعاملاتها الاقتصادية مع إيران، إضافة إلى انتهاج سياسة عدم التصعيد مع إسرائيل والدخول في حرب شاملة قد تكلفها فقدان نفوذها بالكامل في سوريا. لكن مع الانسحاب الأمريكي من الاتفاق وإعادة فرض العقوبات، فقد الطرف الأوروبي الميزة الاقتصادية التي كان يدافع بسببها عن الاتفاق، كما أنه إذا خيرت أوروبا بين أمريكا وإيران فإنها سوف تختار الولايات المتحدة حيث أن حجم التعاون الاقتصادي بين الجانبين يفوق بمئات المرات التعاون الاقتصادي بينها وبين إيران، كما أن روسيا والصين لن تعوض الخسارة الإيرانية للاستثمارات الأوروبية أو موازنة العقوبات الأمريكية.

### بين التصعيد والحوار

وقد تصاعد الخطاب السياسي والدبلوماسي العدائي بين أمريكا وإيران على ألسنة كبار المسؤولين في البلدين بشكل غير مسبوق، فبعد التهديدات الإيرانية بإغلاق مضيق هرمز ووقف صادرات النفط من منطقة الخليج رداً على السياسة الأمريكية التي تستهدف وقف صادرات النفط، رد الرئيس ترامب بأن إيران ستواجه تداعيات لم يختبرها سوى قلة عبر التاريخ. هو ما يعكس حالة السخونة في العلاقات بين البلدين ويزيد من احتمالات المواجهة في ظل



## واشنطن وطهران بين خيارات التصعيد واحتمالات الحوار

وإذاعة وصحيفة مواقع تواصل اجتماعي باللغة الفارسية، لكشف ممارسات النظام، وعلى خلاف الإدارات الأمريكية السابقة التي كانت تتبنى نهجا صلبا في الخطاب الدبلوماسي، بينما على أرض الواقع تتعامل مع إيران كما حدث في حربي أفغانستان والعراق ومحاربة تنظيم داعش الإرهابي، فإن إدارة ترامب تمزج بين الخطاب السياسي الصلب والضغط على أرض الواقع ضمن إستراتيجية شاملة تستهدف وقف البرنامج النووي الإيراني والبرنامج الباليستي الصاروخي ووقف دعم إيران للإرهاب في المنطقة، كما أنها بدأت في تحجيم الوجود الإيراني في سوريا عبر تفاهات مع روسيا وإطلاق يد إسرائيل في استهدافه المواقع الإيرانية.

**ثالثا:** رغم أن خيار المواجهة العسكرية المباشرة مستبعد لاعتبارات عديدة تتعلق بالتكلفة العالية لتلك الحرب وتأثيراتها الإقليمية والعالمية، إلا أن سياسية حافة الهاوية التي ينتهجها الطرفان خاصة فيما إذا أقدم

النظام الإيراني على إغلاق مضيق هرمز وتهديد الملاحة الدولية وتدفق النفط من الخليج، قد تدفع إلى الحرب الشاملة، لأن لجوء النظام الإيراني إلى هذا الإغلاق كخيار أخير ردا على الضغوط الاقتصادية الأمريكية التي قد تهدد بسقوطه، ستدفع الولايات المتحدة إلى تبني الخيار العسكري لمنع إيران من إغلاق المضيق باعتباره خطا أحمر يهدد ليس فقط الاقتصاد الأمريكي بل الاقتصاد العالمي أيضا.

**رابعا:** يظل خيار الحوار بين البلدين مستبعدا خاصة بعد دعوة ترامب إلى الاجتماع بالقادة الإيرانيين الذين ردوا بالرفض، حيث يعتبر النظام الإيراني أن الحوار في الوقت الحالي مع الولايات المتحدة بعد انسحابها من الاتفاق النووي وفرض عقوبات جديدة يمثل إذعانا للولايات المتحدة، كما أن أمريكا تريد من الحوار أن تقوم إيران بتنفيذ المطالب الـ 12 التي قدمتها من قبل وعلى رأسها وقف النشاط النووي والباليستي ودعم الإرهاب وزعزعة الاستقرار في المنطقة.

وبالتالي فإن سياسة حافة الهاوية بين أمريكا وإيران قد تدفع إلى أمرين: الأول هو الحوار والتفاهم على غرار تجربة

كوريا الشمالية، وإبرام اتفاق شامل يتناول ملفات النووي والباليستي ودور إيران الإقليمي، لكنه خيار مستبعد في ظل الاختلافات الكبيرة بين الجانبين، ورفض النظام الإيراني للتخلي عن مكتسباته التي أنفق عليها الكثير. والثاني خيار استمرار حالة الشد والجذب وتجنب الدخول في مواجهة عسكرية، مع استمرار تبني الولايات المتحدة لإستراتيجيتها الشاملة في ممارسة أقصى الضغوط عبر العقوبات والرهان على إسقاط النظام الإيراني في ظل حالة الغليان الداخلي، خاصة إذا استمر النظام الإيراني في سياسة التحدي وعدم تغيير سلوكه المزعزع للاستقرار في المنطقة. وما بين صعوبات خيار المواجهة العسكرية بين أمريكا وإيران من ناحية وخيار الحوار المباشر بينهما، تظل حالة اللاسلم واللاحرب في المدى القصير هي السائدة بين البلدين وتظل أمريكا تراهن على إستراتيجية أقصى الضغوط على إيران والوصول إلى النقطة الحرجة التي يشعر فيها النظام الإيراني بتهديد استمرار وجوده، هنا سيضطر للحوار والرضوخ للضغوط الأمريكية لإبرام اتفاق نووي جديد.

# يستغلون عدم دراية العامة بتاريخهم قطر والانقلابات

لم تقتصر الخيانة القطرية على انقلاب حمد على والده خليفة بل هي أقدم من ذلك بكثير جدا فهي سمة متكررة ومنتشرة من سمات آل ثان الجاسمة على أنفاس شعب قطر بالترهيب والترغيب :

والإمارات وحين بلغ من العمر أرذله توصل إلى تسوية مالية مع ابنه حمد فسمح له بالعودة إلى قطر وظل مقيماً في قصره لا يغادره.

اختار حمد ابنه الثالث جاسم (الأول لزوجته الثانية موزة) لولاية عهده بعد أن استبعد ابنه الأول والثاني من زوجته الآخرين بنات أعمامه بتهم مختلفة في أكتوبر (1996) إلا أن جاسم كان إنساناً مسالماً يكره المؤامرات والخيانة لذلك أجبرته أمه موزة في (2003) على التنازل عن ولاية العهد إلى شقيقه تميم خريج ساند هيرست العسكرية والذي لمست أمه موزة فيه قدرته على التآمر والخيانة وتمكن خلال فترة قصيرة من تولي عدة مناصب مهمة بجوار ولاية العهد واستطاع الإلمام بكل مفاتيح حكم الدولة.

وعندما تأكدت الشبيخة موزة من إمكانيات تميم اتفقت مع ابنها على الضغط على والده حمد ليتنازل عن الحكم لتميم وليستبعدا عدو موزة اللدود حمد بن جاسم بن جبر وتم ذلك بالفعل في يونيو (2013) ومن وقتها ظهر تفوق تميم على أبيه في التآمر على جيرانه بل وكل الدول في المنطقة مستغلاً كل الأسلحة من تمويل مالي غير محدود لشراء أسلحة لتمويل الإرهابيين وإمدادهم بالأموال والمعدات وشراء وسائل إعلام في أوروبا وأمريكا وإنشاء محطات تليفزيونية جديدة في تركيا وبريطانيا بالإضافة إلى سلاحه الرئيسي قناة الجزيرة التي يوجهها لبث الأكاذيب والفرقة وتفقت الدول المركزية.

ويتضح مما سبق أن قطر هي دولة الانقلابات بجدارة ومع ذلك تدعى على دول أخرى أنها انقلابية، كما أن قطر يحكمها عسكريون منذ يونيو عام (1995) وحتى الآن ومع ذلك تدعى على دول أخرى أنها تحت حكم عسكري وواضح أنهم نسوا أنفسهم ويستغلون عدم دراية العامة بتاريخهم التآمري.



سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

حتى يأمن شره، وكان الشيخ سحيم يتصف بالحنكة والرؤية الثاقبة وتنشعب علاقاته محلياً ودولياً وكان صديقاً شخصياً لكثير من القادة والزعماء العرب والأجانب وكانت شعبيته كاسحة بين مواطنيه مما أزعج خليفة جدا وخشى على عرشه من سحيم، وفجأة وبدون مقدمات عثر على سحيم ميتاً في ظروف غامضة وأعلن أنه قد توفي بأزمة قلبية رغم أنه كان يتمتع بصحة جيدة جدا وإن كان يشاع أن خليفة قد دس له السم في طعامه حتى يخلو له الطريق ويعين نجله الأكبر حمد وليا لعهد.

ونشأ حمد في كنف والده وتشرب منه الخيانة والعمالة ولكن أراد له والده أن يتعلم العسكرية فألحقه بالكلية الحربية المصرية مصنع الرجال ولكنه فشل في الاستمرار فيها لطبيعته الجثمانية الضخمة وعدم تحمله الطوابير الجدية فأرسله والده إلى كلية ساند هيرست البريطانية التي تعامل الأمراء والشيوخ معاملة خاصة نظير مدفوعاتهم ولا تدقق معهم في حضور الطوابير لذلك حصل حمد على شهادته العسكرية من هناك وعاد إلى قطر وتولى منصب وزير الدفاع بالإضافة إلى ولاية العهد ثم أضيف إليها رئاسة مجلس الوزراء حتى يونيو (1995) حين أزاح والده خليفة أثناء زيارة خارجية كان يقوم بها، وظل خليفة متنقلا بين فرنسا وسويسرا

فقبيلة آل ثان الحاكمة حاليا ليست هي أكبر عائلات قطر فهناك عائلات آل مرى وآل عطية وغيرها أكبر بكثير من آل ثان ولكن تميزت آل ثان عن غيرها من القبائل القطرية بتفنها وتفوقها في الخيانة والعمالة للاستعمار البريطاني منذ القرن التاسع عشر ولذلك فعندما قررت بريطانيا الانسحاب من قطر - بعد غياب الشمس عن إمبراطوريتها التي كانت لا تغيب عنها الشمس- وبعد بزوغ نجم استعماري جديد هو الولايات المتحدة، بحثت بريطانيا عن عميل يتولى شؤونها ويسمح لها باحتكار البترول القطري الذي اكتشف في أراضيها فلم تجد عميلاً أفضل من آل ثان وبالتالي فقد اختارت الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثان ليتولى إمارة قطر وعين ابنه «علي» ولياً للعهد وتوفي ابنه الأصغر حمد في حياته وبالتالي لم يعهد إليه بأى منصب مهم، وقد تنازل عبدالله عن الإمارة لابنه وولى عهده «علي» الذي تنازل عنها بعد فترة لنجله «أحمد» وعين الشيخ على «الشيخ خليفة» ابن شقيقه حمد الذي توفي صغيراً ولياً للعهد لإسكاته وخوفاً من مؤامراته على «الأمير الجديد أحمد» معتقداً أن هذا سيكون نهاية لطموح خليفة .

وبعد استقلال قطر عن بريطانيا عام (1971) قام خليفة في العام الذي يليه عام (1972) بإزاحة الأمير أحمد وتولى هو حكم الإمارة الصغيرة بعد أن قام بالتجهيز لذلك مع بعض قادة القبائل وإجزال الوعود لهم متعللاً بتدهور الأوضاع المعيشية وأنه سيقوم بإيقاف هذا الانهيار وسيصلح الأوضاع الاقتصادية (ومن سخرية القدر أن ابنه «حمد» قد استخدم نفس هذه الأسباب لخلع والده خليفة).

ولم يجد خليفة عام (1972) حين قام بخلع ابن عمه أى منافس محتمل سوى أخيه الشاب سحيم بن حمد الذي عينه وزيراً للخارجية في نفس العام

## تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركية

سيظل يوم 9 يوليو 2018 يوماً مشهوداً في التاريخ التركي المعاصر حيث شهد فعلياً انتقال نظام الحكم من البرلماني للرئاسي، وهو ما أعلنه الرئيس رجب طيب أردوغان بعد أدائه اليمين الدستورية وتنصيبه رئيساً لمدة خمس سنوات إثر فوزه بأكثر من 52.9% في الانتخابات المبكرة، لينهي بذلك حقبة تاريخية دامت أكثر من تسعة عقود شهدت تدهوراً في العلاقات الخارجية التي أقرت النظام البرلماني والعلمانية كأسس للحكم. ولعل السنوات المقبلة تحمل العديد من التحديات التي ستواجه بلاد الأناضول على الصعيدين الداخلي والخارجي لتأسيس الجمهورية التركية الثانية.

العديد من التحديات الداخلية لعل أبرزها الأزمة الاقتصادية الآخذة في التصاعد إثر تراجع سعر صرف الليرة وتراجع تدفق الاستثمارات، وارتفاع معدلات التضخم التي تجاوزت 15% منذ مطلع عام 2018 مما أدى لتزايد نسب البطالة.

وفيما يخص التحديات الخارجية فإنها تتمثل في الوضع في سوريا: فمنذ بدء الأزمة السورية في 2011 وتركيا طرف فاعل ومؤثر فيها، وقد تحول الموقف التركي لمحتل للأراضي السورية بعد التدخل العسكري التركي بعملية «درع الفرات» في 2016 ثم «غصن الزيتون» في 2018 ومن خلالها سيطرت أنقرة على عدة مدن بشمال سوريا هي الباب، وجرابلس، والقامشلي، وعفرين، وبدأت عملية «تتريك» لتلك المدن وهو ما رفضه المكون الكردي وشن العديد من العمليات الانتحارية استهدفت القوات التركية بتلك المدن لاستنزاف الجيش التركي على المدى الطويل. في حين تتشارك أنقرة وواشنطن في حماية مدينة «منبج» التي تتواجد فيها قوات أمريكية. بيد أن المعضلة الرئيسية التي تواجه أنقرة هي الوضع بمدينة إدلب السورية التي تمثل بؤرة لتجمع فصائل المعارضة المسلحة وتقدم لهم أنقرة دعماً غير محدود. وقد بدأ يبرز في الأفق تنافس على النفوذ بين شركاء الأستانة «موسكو، أنقرة، طهران» من جهة، حيث طلبت موسكو من أنقرة إنهاء تواجد الفصائل في إدلب بنهاية أغسطس 2018، بينما تتبادل أنقرة



منى سليمان  
باحثة في العلاقات الدولية

solimanmona484@yahoo.com

الشعوب الديمقراطي الكردي 67 مقعداً، حزب «الخير» 43 مقعداً، مما يؤدي لنتيجتين الأولى وجود معارضة قوية داخل البرلمان والمجتمع التركي تنتقد سلبيات الرئيس في كافة المجالات. والثانية صعود التيارات القومية بالمجتمع التركي مع استمرار التحالف بين حزبي «العدالة والتنمية» و«الحركة القومية»، والأخير يدعو لاتخاذ إجراءات معادية ومتشددة ضد بعض دول الجوار التركي ومنها اليونان وسوريا وقبرص انتصاراً للقومية التركية، ولذا سيكون هذا مؤثراً في مسار السياسة الخارجية التركية مستقبلاً.

تحديات السياسة الخارجية:

تعد الدولة التركية من الدول الصاعدة سياسياً واقتصادياً، فهي عضو بحلف «الناتو» واقتصادها ضمن أقوى 20 اقتصاداً بالعالم، وتمكن «أردوغان» خلال رئاسته للوزراء (2002-2014) من تحقيق طفرة تنموية ملموسة في كافة المجالات. بيد أنها تواجه حالياً

### المشهد السياسي التركي

تميزت الانتخابات الرئاسية التركية المبكرة التي أجريت في 24 يونيو 2018 بارتفاع نسبة المشاركة إذ بلغت 87% مما يدل على ارتفاع نسبة الاستقطاب بين المرشحين الست. وقد استطاع تحالف الشعب (يضم حزب العدالة والتنمية، والحركة القومية، والوطن، و3 أحزاب صغيرة) الفوز بالانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي أجريت في نفس اليوم. ونصب مرشحه الرئاسي «أردوغان»، رئيساً بصلاحيات مطلقة. تفعيلاً لنظام الحكم الرئاسي الذي طرحت بنوده في تعديلات دستورية في أبريل 2017 للاستفتاء العام وتم تمريرها، وكانت تقضى بتغيير نظام الحكم من البرلماني للرئاسي وحيث تعهد أردوغان بتطبيق ذلك. ومن بين الإجراءات التي بدأ تنفيذها إلغاء منصب رئيس الوزراء، ومنح رئيس الجمهورية صلاحيات تنفيذية كاملة وسيكون قادراً على إصدار مراسيم رئاسية بحكم القانون وفرض وإلغاء حالة الطوارئ، وتقليص عدد الوزراء وإمكانية تعيينهم وإقالته، كما سيكون من صلاحياته تعيين نحو 500 من كبار موظفي الدولة. مما يؤدي إلى إحكام سيطرة «أردوغان» وحزبه على السلطات التنفيذية والتشريعية بالدولة.

ورغم حملة القمع التي مارسها ضد المعارضة إبان الحملات الانتخابية إلا أن أحزاب المعارضة الثلاث الرئيسية استطاعت تجاوز نسبة 10% لتضمن تواجداً بالبرلمان وهي (الشعب الجمهوري 146 مقعداً برلمانياً - حزب



### انهيار الليرة التركية

طهران وأنقرة في منطقة القوقاز كذلك لعل صورته الثقافية تنتشر بكثرة حيث تسعى كل دولة لنشر النموذج الثقافي الخاص بها، ولهذا فإن التوافق التركي الإيراني الحالي ربما يشهد آخر مراحلها لتبدأ مرحلة الخلاف العلني بينهما.

أما الاتحاد الأوروبي، فتشهد العلاقات التركية الأوروبية منذ الانقلاب الفاشل بتركيا في 15 يوليو 2016 توترًا مستمرًا، وتتعدد القضايا التي تفاقم التوتر بين الطرفين. فمنذ ذلك الحين تنتقد الدول والمؤسسات الأوروبية حملات القمع والاعتقالات والفصل التعسفي التي تشنها الحكومة التركية بإيعاز من الرئيس «أردوغان» دون أدلة قانونية، وقد طالت عددًا من المواطنين الأوروبيين (60 مواطنًا ألمانيًا) بذريعة التعاون مع المفكر الإسلامي التركي المتهم بتدبير الانقلاب «فتح الله جولن». ثم جددت أنقرة فتيل الأزمة مع اليونان وقبرص منذ مطلع العام الحالي إثر اعتراض تركيا على تنقيب الدولتين عن الغاز بشرق البحر المتوسط حد قطع الطريق بقطع بحرية على سفن شركة «إيني» الإيطالية العاملة بالمنطقة وهو ما دفع رئيس المجلس الأوروبي «دونالد توسك» لمطالبة تركيا بتفادي التهديدات ضد أي عضو في الاتحاد. فضلاً عن تكرار الحوادث العرضية بين القطع العسكرية التركية واليونانية في بحر إيجه الذي

المقابل هناك تعزيز للتعاون العسكري والاقتصادي بين أنقرة والدوحة. بيد أن الأخيرة لن تتمكن من تعويض خسائر الاقتصاد التركي من تراجع تدفقات الاستثمار والسياحة القادمة من الرياض وأبوظبي، مما سيظهر أثره على الاقتصاد التركي.

وفيما يخص إيران فإنه يمكن وصف التعاون بين إيران وتركيا بأنه «تحالف المضطر» حيث إن التواجد العسكري والنفوذ السياسي للبلدين في سوريا والعراق دفعهما للتنسيق فيما بينهما تجنباً لتصادم المصالح. كما أن أنقرة استفادت كثيراً من كسر العقوبات الاقتصادية المفروضة على طهران وحققت مكاسب مالية ضخمة وهو ما كشفت عنه قضية رجل الأعمال التركي الإيراني المعتقل منذ عامين بواشنطن «رضا ضراب». بيد أن ذلك لا ينفي وجود العديد من أوجه التنافس بينهما التي ربما تصب لصالح طهران، ففي الملف السوري والعراقي نجد أن الحكومة الرسمية للدولتين ترحب بالتواجد الإيراني بشتي صورته وتنتقد نظيره التركي، كما أن هناك خلافات بدأت تنشب بين طهران وأنقرة في إطار التسوية النهائية للملف السوري. وبعيداً عن الشرق الأوسط فإن طهران وأنقرة دولتان من دول بحر قزوين الخمس التي تتنازع على تقاسم المياه والنفط الموجود به، كما أن هناك تنافساً بين

وطهران الاتهامات حول احتلال مدن سورية. ومن جهة أخرى هناك مشاورات مستمرة بين أنقرة وواشنطن للسيطرة على الوضع في شمال سوريا حيث المكون الكردي الذي تدعمه واشنطن وتحاربه تركيا. وهناك معضلة اللاجئين السوريين المتواجدين بتركيا ويفوق عددهم 3 ملايين لاجيء وكيفية إعادتهم مرة أخرى لسوريا. وثمة معضلة مؤجلة وهي كيفية إدارة العلاقات التركية السورية في ظل استمرار الرئيس بشار الأسد في الحكم وهو الذي طالب «أردوغان» برحيله. فاستمراره يؤدي لاستمرار التوتر في العلاقات بين أنقرة ودمشق.

أما في الملف العراقي، فقد تعهد «أردوغان» بعد فوزه باستمرار العمليات العسكرية في شمال العراق حيث يسعى للسيطرة على منطقتي جبال قنديل وسنجار بشمال العراق، لمحاربة «حزب العمال الكردستاني» الذي يتمركز في سنجار. مما دفع رئيس الوزراء العراقي لمطالبته باحترام سيادة العراق ووقف الغارات الجوية المستمرة التي يشنها سلاح الجو التركي على كردستان العراق لقصف معازل الأكراد فيها وما يتم قصفه هي قرى للمدنيين. والمسألة الثانية هي الحصار المائي الذي تفرضه أنقرة بين الحين والآخر على العراق عبر السدود التي تمنع الحصة المائية للعراق في مخالفة صريحة للقانون الدولي. وأنقرة في ذلك تعيد إحياء مبدأ قديم طالما روجت له هو «بيع المياه» للعراق وسوريا لأنها دولة منبع والدولتين دول مصب لنهر «دجلة والفرات».

أما عن الدول الخليجية فثمة توتر قائم في العلاقات بين تركيا وكل من (السعودية، الإمارات، البحرين) بفعل انحياز أنقرة للدوحة في الأزمة القطرية وتواجد 3000 جندي تركي في القاعدة العسكرية التركية بالدوحة منذ 5 يونيو 2017، وهو ما دفع وزير خارجية البحرين لدعوة أنقرة لسحب قواتها من قطر خلال حوار مع جريدة سعودية في مايو 2018. بينما دشّن سعوديون وإماراتيون حملة إلكترونية لمقاطعة السياحة في تركيا، وهو ما يضاعف من الأزمة الاقتصادية لاسيما وأن عدد السائحين السعوديين يبلغ 250 ألف سائح يزورون تركيا كل عام. وفي

ومساندة ومناصرة حزب العمال الكردستاني و«جولن». (برانسون يقيم في تركيا منذ أكثر من 20 عاماً ويرعى كنيسة صغيرة في أزمير). كما طالب مجلس الشيوخ الأمريكي بوقف مبيعات طائرات (إف-35) لأنقرة ووقف منح القروض من المؤسسات الدولية لتركيا. ورغم ما تردد عن وجود صفقة ستنفذ في صيف 2018 تقضى بالإفراج عن القس مقابل إفراج واشنطن عن نائب المدير التنفيذي لبنك «خلق» التركي الحكومي «محمد هاكان أتيل» (يقضى عقوبة السجن 3 سنوات لانتهاك العقوبات الأمريكية على إيران)، إلا أن ذلك حال تم لن ينهي الخلافات القائمة في العلاقات بين أنقرة وواشنطن. بدءاً باعتراض الأخيرة على التقارب التركي الروسي الذي أخذ أبعاداً عسكرية تهدد بنية حلف الناتو. مروراً بالخلافات حول الملف السوري ودعم واشنطن للأكراد. والتعاون التركي الإيراني، وليس انتهاءً بمطالبات «أردوغان» المستمرة بتسليم «جولن» لمحاكمته بأنقرة وهو ما ترفضه واشنطن لعدم وجود أدلة قانونية تدينه بالضلوع في الانقلاب الفاشل.

وهكذا فقد استطاع «أردوغان» افتعال الأزمات مع كافة دوائر السياسة الخارجية لبلاده. ولذا يسعى لفتح دوائر سياسية جديدة تعوض ما فقده، فنلاحظ تمدده في السودان (جزيرة سواكن) وفي الدول الأفريقية ومساغيه للانضمام لدول البريكس، وتعزيز تعاونه مع الصين وروسيا ودول أمريكا اللاتينية، فضلاً عن تبنيه لدور إقليمي نشط يعتمده منذ سنوات يصدر من خلاله صورة الزعيم المسلم المنفتح الديمقراطي المدافع عن القضية الفلسطينية والأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم. فآزمة السياسة الخارجية التركية الأساسية هي «آزمة هوية» منذ الجمهورية الأولى حيث أسس «أتاتورك» السياسة الخارجية كجزء من المعسكر الغربي الأوروبي سعياً للانضمام للجماعة الأوروبية آنذاك، بيد أنه منذ تولى حزب «العدالة والتنمية» الحكم في عام 2002 هناك تخطيط في السياسة الخارجية التركية كون أردوغان يريد لها سياسة قومية ذات تمدد إقليمي.



وزير المالية صهر اوردوغان يعجز عن الاجابة على اسئلة الصحفيين

## تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركية

مقاتلة روسية بنيران تركية في الأجواء السورية 2015 وحادثة اغتيال السفير الروسي بأنقرة ديسمبر 2016، مقابل استقطاب تركيا لمعسكره في سوريا وقد كان. ونتج عن ذلك آلية محادثات الأستانة التي ترسم بدقة ملامح التسوية النهائية بسوريا. بيد أن ذلك لا يلغي وجود العديد من القضايا الخلافية بينهما.. فالتقارب الروسي التركي كان على حساب التقارب التركي الأوروبي الأمريكي. كما أن وضع أنقرة كعضو في الناتو لا يسمح لها بامتلاك منظومات أسلحة روسية متطورة كصواريخ (إس-400) التي تصر أنقرة على امتلاكها وستسلمها عام 2019. كما أن هناك تنافساً تركياياً روسياً متأجراً في منطقة بحر قزوين والقوقاز وآسيا الوسطى. لاسيما في أذربيجان حليف أنقرة وأرمينيا حليف روسيا، فقد خص «أردوغان» باكو بأولى جولاته بعد الفوز وأعلن تدشين خط أنابيب الغاز عبر الأناضول «تاناب» الذي سيضخ الغاز من حقول بحر قزوين الأذربيجانية عبر الأراضي التركية إلى أوروبا. مما يمثل تحدياً ومنافساً للغاز الروسي لأوروبا. وفيما يخص الولايات المتحدة فقد أخذت العلاقات بين أنقرة وواشنطن منحى جديداً بعد فرض واشنطن عقوبات على وزير العدل «عبد الحميد جول» والداخلية «سليمان سويلو» في مطلع أغسطس 2018، عقاباً لهما على رفض الإفراج عن القس الأمريكي «أندرو برانسون» المحتجز في تركيا منذ قرابة العامين والمتهم بالإرهاب والتجسس،

يضم جزراً متنازعا عليها. وما كان من الاتحاد الأوروبي إثر إصرار أنقرة على استفزاز أعضائه إلا الإعلان رسمياً عن وقف المفاوضات لانضمام تركيا له. بيد أن ذلك لم يؤثر في النهج التركي حيث خص «أردوغان» أولى زيارته الخارجية بعد فوزه بالانتخابات لقيصر الشمالية وطالب المجتمع الدولي بحل أزمة الجزيرة المنقسمة والحفاظ على حقوق مواطنيها. ولم تنته الأزمات بين تركيا ودول الاتحاد عند ذلك الحد بل إن أنقرة تستخدم ورقة اللاجئين لابتزاز الاتحاد عبر مطالبته بتعديل الاتفاق الثنائي بينهما. هذا بالإضافة لتحذير الرئيس الفرنسي ماكرون من مخاطر التغلغل التركي في دول غرب البلقان (صربيا والجبل الأسود والبوسنة ومقدونيا وكوسوفو وألبانيا) الذي برز بعد زيارة «أردوغان» لسراييفو في 21 مايو 2018. ورغم وجود مؤشرات للتقارب التركي الأوروبي إلا أن التوتر ربما يظل السمة الغالبة على العلاقات بينهما في ظل صعود اليمين الأوروبي الرفض لسياسات «أردوغان» الشعبوية. وأما عن روسيا، فيعيد الملف السوري هو كلمة السر في التقارب التركي الروسي المتصاعد منذ نهاية 2016 حيث تغاضى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن أزمة إسقاط

## أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

تصاعدت في الفترة الأخيرة حدة التصريحات والحرب الكلامية بين واشنطن وطهران، وتبادل الطرفان التهديد والوعيد في ظل تصريحات أمريكية لا تتوقف حول ضرورة حصار إيران وتشديد العقوبات عليها والعمل على إسقاط النظام الحاكم بها. وإيران من جانبها تتعامل مع التصريحات الأمريكية بنوع من التعالي محذرة واشنطن مما أسمته بـ«العب بذييل الأسد» والتهديد بأن الحرب مع إيران ستكون «أم الحروب» بالتوازي مع محاولة أمريكا حشد تحالف دولي لحصار إيران. وقد بدأت واشنطن في مخاطبة الداخل الإيراني من خلال إطلاق قناة تليفزيونية باللغة الفارسية في محاولة لاستئثار غضب الإيرانيين ضد نظام الملالي.

الأصلية. وهذه الفسيفساء العرقية التي تتمتع بها إيران قد تكون عامل قوة إذا أحسن استخدامها من خلال نظام حكم عادل يطبق المساواة والحرية بين كل مكونات شعبه بغض النظر عن دين أو جنس أو لون وهو أمر لا يتوافر في إيران ذات الحكم الثيوقراطي المتشدد، وهو ما جعل هذه الأقليات أشبه بقنابل موقوتة تهدد استقرار النظام خاصة وأن جغرافيا إيران تجعل من المنطقة الفارسية شبه معزولة داخل مجموعة من القوميات المتعددة، وحيث يحيط بالقومية الفارسية من الغرب والشمال الغربي إقليم كردستان والذي يتداخل مع مناطق كردستان العراقية والتركية، ومن الغرب والجنوب الغربي إقليم الأحواز الذي له امتدادات مع الخليج العربي وخليج عمان، ومن الشمال يقع إقليم الأذربيين وهو مكمل لدولة أذربيجان، في الشمال الشرقي فإن قومية التركمان تفصل إيران عن جمهورية تركمانستان، وفي الشرق والجنوب الشرقي يقطن البلوش وهناك خليط من القوميات الأخرى تفصل بين إيران وأفغانستان. ونحاول هنا إلقاء الضوء على المكونات العرقية بإيران، وأسطورة الدولة الفارسية التي يروج لها نظام الملالي.

### عرب إيران

ينتشر العرب في إيران جنوب غرب البلاد، تعرف مناطقهم بالأحواز أو الأهواز ويسميها الإيرانيون خوزستان أو عربستان أي بلاد العرب. وتبلغ مساحة إقليم الأحواز 370 ألف كم مربع وهو ما يعادل 1.2 مساحة أقطار بلاد الشام



محسن عوض الله

باحث في الشؤون الكردية

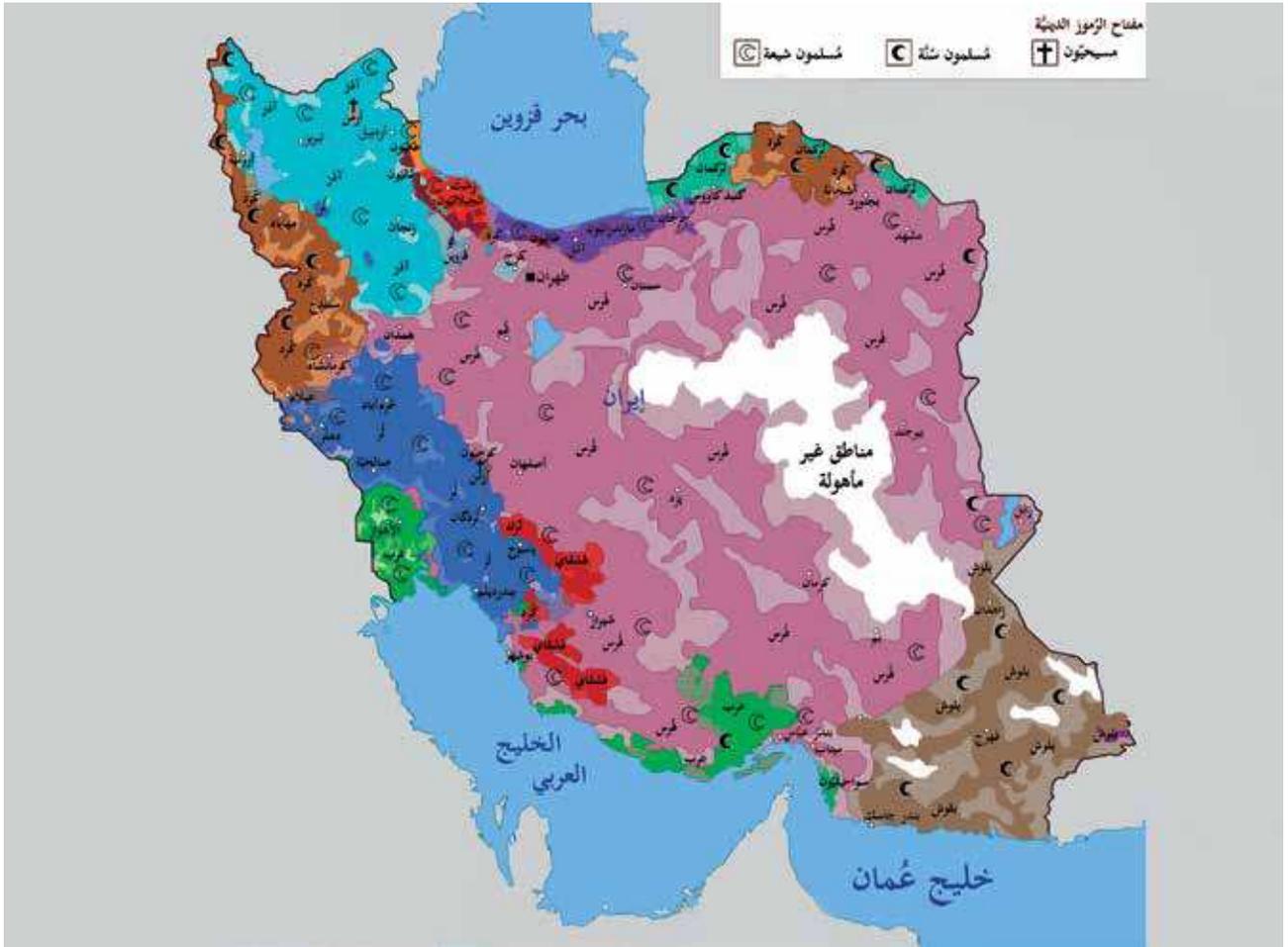
mospress2000@yahoo.com

عرقية، ويشير إلى أنه وفقا لبيان رسمي لوكالة الأنباء الإيرانية يمثل العرق الفارسي 51% والأذيري 24% والجيلكي والمازندراني 8%، والعربي 3%، والكردى 7% واللور 2% والبلوش 2% والتركي 2% وعناصر أخرى 1%. بينما تشير تقديرات أخرى إلى أن الفرس 49 بالمائة فقط، الأذيريين (أتراك) 18 بالمائة، الأكراد 10 بالمائة، الجيلاك 6 بالمائة، المازندرانيون 4 بالمائة، العرب 2,4 بالمائة، اللور 4 بالمائة، بختياري 1,9 بالمائة، التركمان 1,6 بالمائة، الأرمن 0,7 بالمائة. وبحسب مركز المزملة للدراسات يوجد في إيران نحو 110 لهجة ولغة منها الفارسية، والبلوشية، والأذيرية، والعربية والكردية، والتركمانية، والسيسانية، والقشاقية، واللرية وغيرها، ولكن جميع السكان يعرفون الفارسية بسبب أن التعليم باللغة الفارسية ولم تسمح السلطات الإيرانية بتعلم الأقليات والقوميات لغاتها

فالخطوة الأمريكية الأخيرة ربما تكون الأخطر على النظام الإيراني من الحرب المباشرة خاصة في ظل تراجع الوضع الداخلي بالبلاد، وتصاعد الغضب الشعبي من السياسات الإيرانية بالمنطقة على خلفية إهدار مقدرات البلاد في دعم أحزاب وجماعات بدول الجوار. فضلا عن مظاهرات الأقليات والعرقيات غير الفارسية التي لا تتوقف عن المطالبة بحقوقها، والوقوف في وجه محاولات التفرييس التي تقوم بها السلطات الإيرانية بالمناطق غير الفارسية لطمس الهوية القومية لتلك العرقيات التي تصل نسبتها 49% وفق بعض المصادر. فقد شهدت إيران خلال أغسطس 2018 مظاهرات واحتجاجات من قبل الشعب العربي بالأحواز، ووقعت صدامات بين المتظاهرين وأجهزة الأمن أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى في المظاهرات التي خرجت احتجاجا على سوء الخدمات المقدمة لأهالي الإقليم. كما تمتليء إيران بالأقليات والقوميات المضطهدة حيث تعاني الأعراق غير الفارسية من نظرة دونية جلية من قبل العرق الفارسي المهيمن على النظام الإيراني، حيث يتم منع أفرادها من دراسة لغاتهم الأم كما يتم إجبارهم على تعلم اللغة الفارسية ويحظر عليهم إطلاق بعض الأسماء على مواليدهم وهو ما دفعهم للثورة أكثر من مرة في وجه نظام الملالي.

### فسيفساء إيران

وفقا لصاحب كتاب «الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية في إيران» يتوزع سكان إيران بين عدة جماعات



## أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

مجتمعة (سوريا وفلسطين ولبنان والأردن) وفق صاحب كتاب «العرب وجيرانهم». وتعتبر قضية نسبة العرب إلى إجمالي السكان في إيران غير محسومة حتى يومنا هذا، فهناك بعض الدراسات الإيرانية تؤكد أن نسبة العرب 2%، وتُرى التقديرات الأمريكية أن نسبتهم لا تتجاوز الـ3%، بينما أشارت دراسة قام بها الباحث الإيراني «يوسف عزيزي»، بالاعتماد على الإحصائيات الرسمية الإيرانية لعام 1997 أن العرب يشكلون نحو 7.7% من عدد السكان، أي ما يزيد عن 5 ملايين نسمة. لكن بعض نشطاء الأحواز يتحدثون أن عدد سكان الأحواز حالياً بلغ 19 مليون نسمة محذرين في الوقت نفسه من محاولات إيرانية لتفريس الإقليم عن طريق جلب مستوطنين فرس وتوطينهم بالأحواز. تاريخياً كان إقليم عربستان يشكل إمارة مستقلة عن إيران حتى قام رضا بهلوي

باحتيالها وضمها للدولة الفارسية عام 1925. ويذكر الناشط السياسي محمد مجيد الأحوازي أن القوات الإيرانية احتلت الأحواز سنة 1925، ولم يكن اسم إيران موجوداً أصلاً، بل كانت تسمى بلاد فارس أو الدولة القاجارية، وقد دخلت قوات رضا شاه إلى الأحواز واعتقلت أميرها الشيخ خزعل بن جابر بن مراد الكعبي». مؤكداً أن خوزستان (عربستان) بمجملها «كانت تحت سيادة الدولة العيلامية وعاصمتها السوس (الشوش على الحدود مع جنوب وسط العراق)، والدولة العيلامية كانت دولة عربية لا علاقة لها بفارس. من الناحية الاقتصادية والجغرافية، يقع إقليم الأحواز العربي في جنوب غربي إيران، حيث يوجد أكثر من 80% من إنتاج إيران النفطى في إقليم الأحواز، ويطل الإقليم على السواحل الشمالية والشرقية للخليج العربي ومضيق هرمز الذي يعتبر أهم الممرات الإستراتيجية في العالم بسبب الحجم النفطى الذي يعبر منه، لذا فإن إيران غير مستعدة للتخلي عن هذا المورد الاقتصادى الأساسى إلى

جانب عدم إمكانية تخليها عن الخليج بوصفه ممراً إستراتيجياً وحيوياً.

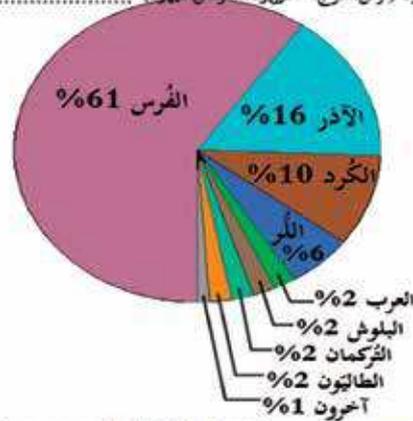
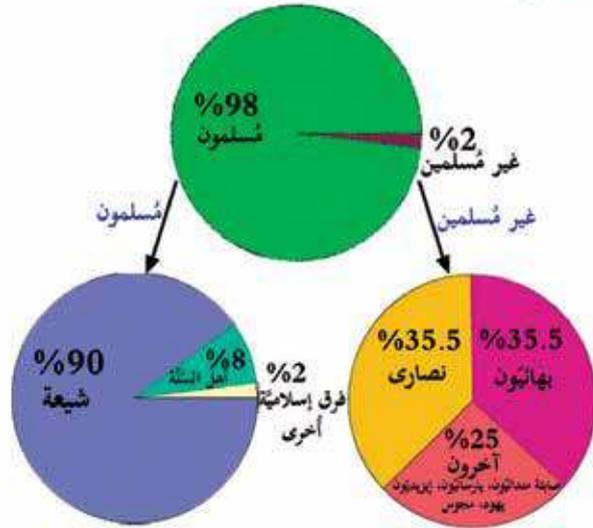
### عربستان على أرض فارسية

يذكر تاريخ الأحواز الحديث بسلسلة متواصلة من الانتفاضات منذ احتلال السلطات الإيرانية لهذا الإقليم عام 1925، فبعد 6 أشهر فقط من احتلاله اندلعت ثورة الغلمان التي واجهها الجيش الفارسى بكل عنف. وفى 1928 اندلعت انتفاضة عشائرية مسلحة بقيادة الشيخ محى الدين الزئبق الذى تمكن وقتها من طرد الفرس وإقامة حكومة استمرت 6 أشهر قبل أن تسقطها القوات الإيرانية مجدداً، وقد انتفض الشعب بعد ذلك مرات عدة ضد الاحتلال وسياسة النظام رافضاً أية صلة بالفرس، واستمرت الاحتجاجات والانتفاضات العربية في إقليم الأحواز ضد النظام الإيرانى وكان آخرها الشهر الماضى عندما نظم المتظاهرون احتجاجات يومية ضد سياسة التغيير الديموغرافى التى تنتهجها إيران بالأحواز. وبحسب صاحب «العرب وجيرانهم» أن دولة عربستان مؤهلة

## الشعوب الإيرانية - العرقيات والإثنيات

العرق/الإثنية	النسبة (%)
الفرس	61%
الأذر (الفاجاريون، الأهماريون، البهارلويون، الأيرمولويون، القرمهباقيون)	16%
الكرد (الغورانيون، الكرمانجيون، السورانيون)	10%
اللر (البختاريون، الفليانيون، الممستيون)	6%
التركماني (الضاحافات الإيرانية الشمالية الشرقية)	1%
القشقاي (قبائل تركية بدوية بالمقام الأول، متنوعة الخدين)	1%
الجلاتيون (وفقاً لبعض المراجع فهم يعتبرون فرساً)	4%
الطالتيون (لا يُذكرون في بعض المراجع)	4%
المازاندرايونيون (وفقاً لبعض المراجع فهم يعتبرون فرساً)	4%
العرب (جنوب وجنوب غرب إيران)	2%
البلوش (جنوب شرق إيران)	2%
آخرون (أرمين، كرج، آشيرونيون، خشكي، بهون)	1%

### أديان إيران



المصدر: كتاب حقائق العالم لوكالة الاستخبارات المركزية

نسمة؛ حيث يشكلون ما نسبته 9% من مجموع السكان، ليكونوا بذلك ثاني أكبر الأقليات الإيرانية بعد الأذريين. وينتشر الأكراد في شمال غرب إيران ويسمونها «روجهليات»، أو كردستان الشرقية، حيث يعتبر الأكراد أن إيران دولة محتلة لأراضيهم. وبسبب نظرتهم للدولة الفارسية كقوى محتلة خاض الأكراد انتفاضات وثورات عديدة بدأت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث اندلعت في مناطق الأكراد انتفاضة، قامت ضد الحكم الإيراني، قادها الزعيم الكردي سمو آغا من قبيلة توركوفون، ويُنظر إلى هذا التمرد باعتباره أول محاولة لإقامة كردستان المستقلة داخل إيران الحديثة. وبعد سنوات من ثورة سمو آغا نجح الأكراد بالفعل في تأسيس جمهورية مهاباد الكردية في أربعينات القرن الماضي ولكنها لم تستمر أكثر من 11 شهراً حيث نجحت السلطات الإيرانية في إسقاطها وإعدام زعيمها القاضي محمد. ويذكر صاحب كتاب «الأقليات العرقية والدينية والمذهبية في إيران» أن الأكراد شاركوا في الثورة على نظام الشاه ثم انتفضوا ضد حكم الملالي، مشيراً إلى أنه نتيجة لتعرضهم

أكثر من غيرها للحياة شعبا واقتصاداً وتكويناً جغرافياً وامتداداً، مشيراً إلى أنه لم يعد من الممكن أن تبقى قضية الشعب العربي في إيران أسيرة التعقيم الإيراني أو ضحية الظلم التاريخي الذي لا أذان له ولا عيون. ويتفق معه في الرأي صاحب كتاب الأقليات العرقية والدينية والمذهبية في إيران الذي يرى أن كل أركان نشأة الدول في القانون الدولي تتوفر في إقليم عربستان حيث الإقليم محدد المساحة والموقع ووحدة العرق والجنس واللغة والدين بين مواطنيه فضلاً عن عدم قانونية احتلال إيران للأحواز. ويشير الكاتب إلى أنه وفقاً للقانون الدولي فإن الحرب الفارسية من الوجهة القانونية والفقهية والواقعية تعتبر وكأنها مستمرة بين الشعب العربي في الأحواز والقوة الفارسية التي تحتل أرضه وإقليمه وإلى أن يسترد الشعب العربي حريته واستقلاله ويقيم دولته على أرضه من أجل تحقيق طموحه في العودة لأحضان الوطن العربي.

ثورات كردية

تتراوح تقديرات تعداد الأكراد في إيران ما بين سبعة إلى تسعة ملايين



الأكرد

وأخلاقهم أقرب إلى القبائل العربية منهم إلى الفرس أو الهنود. وتقدر مساحة بلوشستان الإيرانية بـ 70 ألف ميل مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة من السنة. وبلوشستان إيران عبارة عن إقليم جاف يقع في جنوب شرق إيران على حافة الهضبة الإيرانية، وسميت المنطقة بهذا الاسم بعد نزوح القبائل البلوشية منذ قديم الزمن، واللغة الشائعة في الإقليم هي اللغة البلوشية مع بعض اللغات الأخرى. وبعد سقوط مملكة بلوشستان واحتلالها من قبل إيران 1928م، تم إعدام ملك بلوشستان الغربية على يد القوات الفارسية في عهد الإمبراطور رضا بهلوي. وتأسست حركات مقاومة بلوشية رفضاً لممارسات إيران الساعية لطمس الهوية وفرض اللغة الإيرانية، وظهرت حركة مقاومة مسلحة ضد الحكم الفارسي مثل جيش العدل وحركة جند الله والتي نفذت الكثير من العمليات ضد الجيش الإيراني. وهكذا، تبقى ديموغرافية إيران وجغرافيتها السياسية والسكانية أكبر سلاح يمكن من خلاله الوقوف في وجه التمدد الإيراني بالدول العربية وهو سلاح أبسط بكثير من اللعب بذيل الأسد فضلاً عن كونه قليل التكاليف وقوى التأثير وثبتت فعالياته بعدة دول عربية كلبان واليمن وسوريا والعراق.



البلوش

أسس رجل الدين الأذري محمد كاظم شريعتمداري حزباً سياسياً للدفاع عن حقوق القوميات غير الفارسية. وبحسب الباحث في التاريخ الإيراني د. كريم عبدیان بنى سعيد فإنه لا يمكن فصل الأتراك عن التاريخ الإيراني حتى لو استحوذ الفرس على السلطة السياسية والثقافية فالتاريخ الإيراني يظل فقيراً يتيماً دون الأتراك. وأشار الباحث إلى أن أتراك إيران يدركون قوتهم وحجمهم بالبلاد ولا يتقيدون بالمعايير التي تفرضها الدولة الفارسية، كما أنهم يسيطرون اقتصادياً على المدن الأذربيجانية كما يرتفع الشعور القومي لديهم بصورة تنافس القومية الفارسية وهو ما يجعلهم الخطر الأكبر على دولة الملالي.

### قضية البلوش

تتشابه قضية البلوش مع الأكرد حيث ينتشر الاثنان في أكثر من دولة تنتهك حقوقهم ولكن القضية الكردية تحظى بصيت عالمي يفوق نظيرته البلوشية. ويقع إقليم بلوشستان إلى الجنوب والجنوب الشرقي من إيران، على الحدود مع باكستان وأفغانستان شرقاً، وعلى حدود الإمارات وعمان غرباً. وتذهب بعض الآراء التاريخية إلى أن البلوش ينحدرون من عرب اليمن، وقد هاجر أجدادهم إلى بلوشستان سنة 300 قبل الميلاد، وهم في طبائعهم



الأذربيين

## أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

وحتى الشهر الماضي. وتبقى الخلافات الكردية وانقسام الأكرد على أنفسهم وعدم ترابط الأحزاب والقوى الكردية بإيران والدول الأخرى عاملاً يخضع من القوة الكردية ويضعف قدراتها على إحداث تغيير في إيران.

### خطر الأذربيين

يسميه البعض أتراك إيران، أكبر الأقليات العرقية بالدولة الفارسية، حيث يقدر عددهم بحوالي 24 مليون نسمة، وترفعهم بعض التقديرات إلى 35 مليون نسمة يتحدثون اللغة التركية أو أحد مشتقاتها. بحسب كتاب «الأقليات العرقية والمذهبية والدينية بإيران» يعتبر الأذريون أنفسهم أول من أسس دولة شيعية في إيران حيث يرجعون لأنفسهم الفضل في انفصال إيران واستقلالها عن الخلافة العثمانية. وسبق وأقام الأذريون بإيران حكومة تتمتع بالحكم الذاتي عام 1945 ولكن جيش الشاهنشاه قضى عليها بعد عام واحد من إقامتها. كما حكم الأذريون إيران أكثر من مائة عام قبل مجيء السلالة البهلوية، وشاركوا في الثورة الإسلامية وكانت مظاهرة تبريز ثاني أكبر مظاهرة خرجت ضد الشاه كما

## إثيوبيا وإريتريا: عودة نصف العقل

الغريب والمدهش في تطورات العلاقة بين الجارتين إثيوبيا وإريتريا ليس هو حدوث المصالحة بينهما وإنهاء حالة الحرب، وقبول إثيوبيا بالتحكيم حول الحدود، وسحب القوات من منطقة بادمي المتنازع عليها، وتبادل الزيارات والعناق الحار والمقالدة. الغريب والمدهش حقا هو أن الحرب نشبت بين البلدين أساسا قبل عقدين من الزمان وراح ضحيتها الآلاف من شباب البلدين، وما تبع ذلك من قطيعة شملت كل شئ حتى المحادثات الهاتفية، والإنفاق الذى يُصاحب حالة الاستعداد فى بلدين يحتاجان لكل فلس يُصرف على العتاد والرجال، إضافة إلى العبء الاقتصادى والاجتماعى لحالة الطوارئ والتعبئة التى لم تتوقف أو تهدأ فى إريتريا، والتى ساهمت فى نزيف الهجرة للشباب فى البلدين.

والمعطيات والظروف التى اكتنفت نشوب الحرب واستمرار القطيعة بعد توقف القتال:

- فقد خرجت الدولتان من حرب التحرير الطويلة المدمرة التى قادتها جبهات التحرير الإريترية ضد حكومة الإمبراطور هيلا سيلاسى والعقيد منجستو هايلي مريام، وحرب التغيير ضد نظام منجستو التى قادتها جبهات تحرير القوميات الإثيوبية والإريترية المتحالفة، والتى انتهت بزوال نظام منجستو. وقد يظن العاقل أن فى ذلك ما يُحفز الجميع على الالتفات للبناء فى بلدين من أفقر بلدان العالم فى بداية التسعينات، وعلى التعاون وهم



سفير عوض الحسن

سفير سودانى، ورئيس سابق

مكتب البونسكو فى أديس أبابا والقاهرة

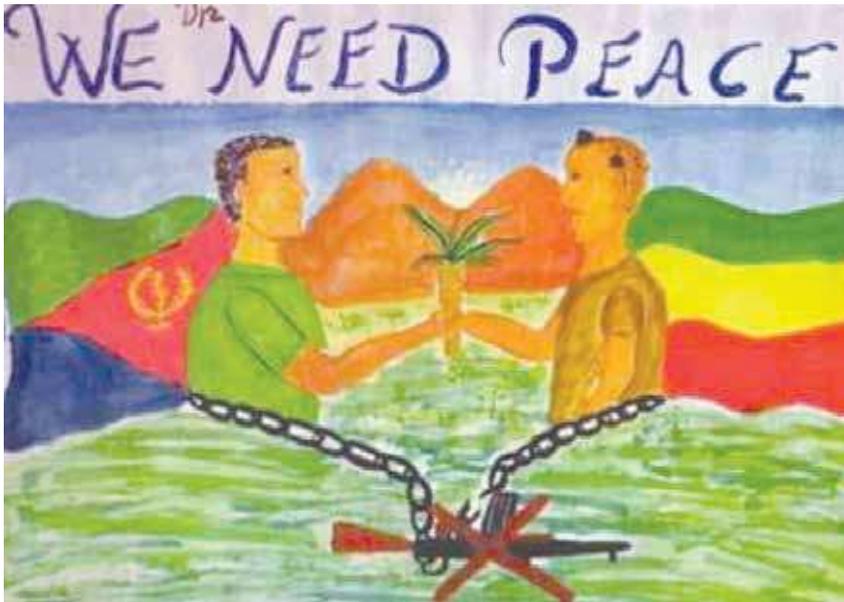
aelhassan@gmail.com

هى، فى رأى، أكثر الحروب عبثية وغياباً للعقل إذا ما نظرنا للتاريخ

لماذا أقول ذلك وقد رحب العالم أجمعه (وأنا معه) بهذه الأخبار السعيدة فى هذا الزمن الرديء الملىء بالأخبار المُفجعة المحزنة؟

معظم الحروب، أهلية ودولية، عبثية - بمعنى أن ما سببها وأشعل فتيلها يُمكن معالجته دون الخسائر الفادحة فى أرواح الجنود والمدنيين، وفى الثمرات كالاقتصاد الوطنى، والنسيج الاجتماعى، والبنيات التحتية، والمراكز الحضرية، والريف المنتج، والبيئة. وانظر إلى الحرب الإيرانية-العراقية، وقبلها حرب فيتنام - سنوات من الحرب الضروس، وعشرات الآلاف من الضحايا من جنود الطرفين، خسائر مادية لا حصر لها، ثم عودة إلى المربع واحد، أو ما دونه، عند نهاية الحرب أى العودة للحدود القديمة بين إيران والعراق، وتوحيد فيتنام تحت الحكم «الشيوعي»! وانظر إلى الحروب «الأهلية» فى جنوب السودان (1953 - 2005) والتى انتهت، بعد خسائر لا تحصى، بانسطار السودان إلى بلدين فى عام 2011 عوضاً عن بقاءه موحداً فى نظام فيدرالى عام 1956، وفى سلام؛ وفى موزمبيق وسيراليون وغيرهما حيث انتهت الحرب بنوع من السلام وجراح عميقة عميقة، وفى الصومال حيث لم تنته بعد.

غير أن الحرب الإثيوبية-الإريترية

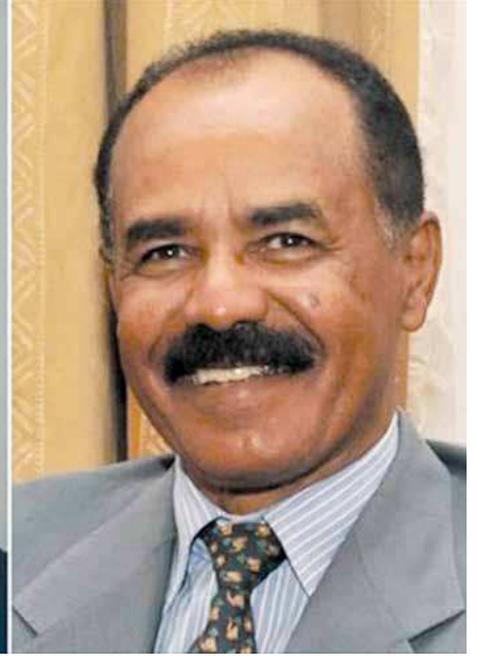


يسكنها أكثر من 80 مليون نسمة!  
 - ويواجه البلدان تحديات كثيرة  
 وخطيرة قد تعصف باستقرارهما  
 وسلامهما الاجتماعي وربما وحدة  
 أراضييهما، تتمثل في إثيوبيا في  
 تحقيق المشاركة «الحقيقية» في  
 السلطة والثروة بين مكوناتها القومية  
 المختلفة التي يختزن بعضها مثل  
 الأرومو غبنا تاريخياً تعمق رغم، أو  
 ربما بسبب، نظام «الفيدرالية الإثنية»،  
 ورغم التقدم الملموس في التنمية  
 الاقتصادية، وفي إريتريا في التوصل  
 إلى توافق لنظام حكم يسمح بإطلاق  
 طاقات الشعب الإريتري الخلاقة  
 لمعركة البقاء والبناء. وقد يظن العاقل  
 أن في ذلك ما يدفع البلدين للابتعاد  
 عن إهدار الطاقات في الحرب.

- لقد قامت الحرب في خلاف على  
 قطعة أرض حدودية قفر يباب بادمي،  
 وقد يظن العاقل أن تسوية مثل هذه  
 الخلافات الحدودية، في بلدين أنهكهما  
 سنوات من القهر والظلم تحت هيلا  
 سيلاسي ومنجستو، يُمكن التوصل لها  
 دون خسارة روح إنسان واحد، ودون  
 إفساد للود.



رئيس الوزراء الإثيوبي آبي



الرئيس الإريتري افورقي

## إثيوبيا وإريتريا؛ عودة نصف العقل

ومصوّع مما أحال إثيوبيا إلى دولة  
 مغلقة لا منفذ لها على البحر. وقد يظن  
 العاقل مرة أخرى أن في ذلك ما يُحفز  
 على استمرار التعاون والتكامل بين  
 البلدين، خاصة وأن إريتريا بلد صغير  
 محدود السكان مصدر دخله الرئيسي،  
 إن لم يكن الوحيد، هو هذه الموانئ،  
 و«زبونته» الوحيد هي إثيوبيا التي

رفاق سلاح ورفاق «فقر» - و«أقارب»!  
 - وقبلت إثيوبيا بقيادة ملس  
 زيناوى استقلال إريتريا بحدودها  
 الحالية التي تشمل ميناءى عصب





رئيس الوزراء الإثيوبي يزور مينائى عصب ومصوع حيث تمر تجارة إثيوبيا بصحبة الرئيس الإريتري

ومهما تكن الأسباب التى ساقها الطرفان لتبرير اللجوء لخيار الحرب، ما زلت عند رأيى أن الحرب كانت حربا عبثية تدل على غياب العقل عند الطرفين، ولكنى لا أنكر

أن المصالحة بين البلدين وعودة السلام وبدايات التعاون بينهما خبر سار، مهما تكن الأسباب والأدوار. غير أن ذلك لا ينتقص من حسرتى على ما ضاع.

أسميه عودة نصف العقل، وفى انتظار عودة النصف الآخر من العقل لمجابهة التحديات الضخمة على الصعيد الداخلى فى إثيوبيا وفى إريتريا.



قمة اسمره الثلاثية بين قادة إريتريا وإثيوبيا والصومال فى 5 سبتمبر 2018

## الأمن العربى الإفريقى

شهدت منطقة القرن الإفريقى الممتدة على طول الساحل الإفريقى للبحر الأحمر والمتشاطئة عليه، تحركات إيجابية وبناءة من جانب قوى إقليمية فى تلك المنطقة تدفع نحو فرص مواتية لتحقيق الأمن والاستقرار وشيوع السلام فى تلك المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية البالغة للأمن القومى المصرى بصفة خاصة والأمن القومى لدول تلك المنطقة بصفة عامة.

كانت تشهد حالات من التوتر والصراع السياسى والاقتصادى، وأخرى تواجه أزمات شبه مستعصية. وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الذى اضطلعت به أثيوبيا ثم أوغندا ومن بعدهما السودان بصدد أزمة جنوب السودان وما انتهت إليه جهود القيادة السياسية فى الخرطوم بدعم إقليمى ودولى فى التوصل إلى اتفاقات تجدد الآمال بقوة فى تسوية تنهى الصراع الدامى فى تلك الدولة الوليدة.

وفى إطار مجمل ما تقدم يمكن رصد الدور الإيجابى والبناء الذى اضطلعت به الإمارات فى دعم العهد الجديد الذى تشهده أديس أبابا سواء داخلياً أو خارجياً بتوفير ما يقرب من ثلاثة مليارات دولار لأثيوبيا أثناء زيارة قام بها ولى عهد الإمارات للعاصمة الأثيوبية، وكذا الدور الذى اضطلعت به بحكم علاقاتها القوية بكل من أريتريا وأثيوبيا بالإسهام فى كسر حالة اللاسلم واللا حرب، وبالتالى تطبيع العلاقات بينهما، وكذا الدور الذى تضطلع به السعودية فى نفس الاتجاه بما توفره من استثمارات فى أثيوبيا تضعها -أى السعودية - فى المركز الثانى كمستثمر بعد الصين.

### توثيق العلاقات على أساس

**المصالح المشتركة والأمن المتبادل**  
ففى التقدير أن الدور الإماراتى السعودى الإيجابى والبناء قد امتد فى تحركاته ليشمل الإسهام فى تطوير العلاقات بين مصر وأثيوبيا على النحو الذى يحدث انفراجة فى



سفير د. صلاح حليلة

salah\_halima@hotmail.com

مضيق باب المنذب بالبحر الأحمر على النحو الذى يعطل الملاحة فيهما وينذر بوقوع حرب إقليمية دولية. ولعل أبرز ما شهدته الأشهر القليلة الماضية من تحركات إيجابية وبناءة تلك التى بادر بها أبى أحمد رئيس وزراء أثيوبيا الذى أجرى بموجب توجيهاته القائمة على تصفير الأزمات تغييرات جذرية على المستوى الداخلى أمنياً وسياسياً واقتصادياً، وأيضاً على المستوى الخارجى فى علاقات أثيوبيا بدول القرن الإفريقى وخاصة دول الجوار ومن أبرزها أريتريا بجانب الصومال والسودان ومصر وكينيا وجيبوتى فضلاً عن كل من السعودية والإمارات، مثلما قام كل من سياسى أفورقى الرئيس الأريتري وأبى أحمد رئيس الوزراء الأثيوبى معاً بزيارة للإمارات والسعودية، حيث خلصت مجمل تلك الزيارات إلى تعزيز وتعميق العلاقات القائمة بين أثيوبيا وبعض منها، وفتح صفحة جديدة وانفراجات فى العلاقات مع دول بالقرن الإفريقى

وجاءت تلك التحركات على الأرجح فى اتساق بل وربما بتنسيق مع تحركات مماثلة لقوى إقليمية فى المنطقة العربية الممتدة من شرق الساحل العربى للبحر الأحمر حتى الخليج، بعد أن تأكد بحكم ما تشهده المنطقتين من تطورات وتحديات الارتباط الوثيق بين الأمن فى منطقة الخليج والأمن فى منطقة البحر الأحمر.

### تعاون مؤسسى إستراتيجى بين دول المنطقتين

لقد تأسست تلك التحركات، والتى تشكل فى جوهرها أساساً ومنطلقاً لإمكانية قيام تعاون مؤسسى إستراتيجى بين دول المنطقتين، من منطلق أن البحر الأحمر للوصول وليس للفصل بين الجانبين، وأنه بساحليه وبالذول الواقعة عليهما بمثابة بحيرة عربية أفريقية تجمعهما مصالح إستراتيجية حيوية فى الأطر الأمنية والسياسية والاقتصادية يتعين تناميها وتعاضلها، خاصة فى مواجهة تحديات ومخاطر جاءت بها عمداً قوى إقليمية فى منطقة الجوار العربى وأخرى دولية تسعى للسيطرة والهيمنة على كلا المنطقتين عبر التدخل فى الشؤون الداخلية والدفع نحو تقسيم وتفتيت دول على أسس عرقية أو دينية أو مذهبية أو جهوية. لقد بلغت تلك التحديات والمخاطر انتشار قواعد عسكرية وأساطيل بحرية لدول بالمنطقة وأخرى من جانب دول وقوى إقليمية ودولية، وترددت أحاديث وتصريحات إيرانية تتضمن تهديدات بغلق مضيق هرمز بالخليج، وبغلق

لم تزل مفقودة حتى الآن. ومجمل القول أن تطورات الأوضاع في منطقة البحر الأحمر بشاطئه العربي والأفريقي تعزز بل وتدفع نحو إمكانية إقامة تعاون إستراتيجي وثيق بين الدول المتشاطئة عليه بدعم وثيق ومتبادل مع دول منطقة الخليج في المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية، نواته:

1 - علاقة ثلاثية تجمع بين مصر والسودان وأثيوبيا في جميع المجالات، خاصة وأنهم دول المنبع والمصب للنيل الأزرق في إطار الأمن المائي، وتتسع لتشمل دول القرن الأفريقي، أي علاقة ثلاثية كتلك الثنائية التي تجمع السودان ومصر وتم الإعلان عنها إبان زيارة الرئيس السيسي للخرطوم مؤخراً، وتلك التي تجمع أثيوبيا والسودان والتي تم الإعلان عنها إبان زيارة الرئيس البشير لأثيوبيا في العام الماضي. علاقة تنشئ من بين أمور أخرى تجمعاً للتعاون والتكامل الاقتصادي في إطار أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة 2030،

2 - إنشاء منظمة للأمن والتعاون في البحر الأحمر تضم الدول العربية والأفريقية المتشاطئة على ضفتيه وتلك ذات المصالح الحيوية في إطاره مثل أثيوبيا التي تحولت مؤخراً من دولة حبيسة بالمعنى الجغرافي إلى دولة غير حبيسة بالمعنى السياسي بعد أن استطاعت أن تجد لها أربعة منافذ بحرية عبر الصومال، ومنفذاً بحرياً عبر صوماليلاند، ومنفذاً بحرياً عبر جيبوتي وآخر عبر السودان بتوقيع اتفاقات مع تلك الدول في هذا الصدد، وأخيراً منفذاً بحرياً مهماً وحيوياً في أريتريا (عصب ومصوع) لتتعزز الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بالنسبة للمصالح الأثيوبية المتنامية.

3 - استحداث نظام يؤسس لعلاقة طبيعية بين العالم العربي ودول الجوار الإقليمي تتخذ من المصالح المشتركة وعلاقات حسن الجوار وعدم التدخل في الشأن الداخلي والأمن المتبادل أساساً ومنطلقاً.



الخلاص الحدودي بين أريتريا وجيبوتي بعد تراجع قطر وتخليها عن دور كانت تضطلع به في هذا الصدد.

في التقدير أيضاً، أن هذه التحركات قد جاءت ولو جزئياً تحت مظلة التحالف العربي الرباعي بين مصر والسعودية والإمارات والبحرين في مواجهة المحور الثلاثي تركيا إيران قطر، وتقاطعت مع توجهات أمريكية تصب في نفس الاتجاه حيث دعمت الإدارة الأمريكية مجمل تلك التحركات من جانب، في وقت تسود فيه من جانب آخر حالة من التوتر والصراع السياسي بين الإدارة الأمريكية والنظام القائم في إيران في إطار قضايا الإرهاب والبرنامج النووي الإيراني والصواريخ الباليستية، وتدخل إيران في الشأن الداخلي لدول بالمنطقتين، مثلما تسود حالة من التوتر في العلاقات بين الإدارة الأمريكية وتركيا على خلفية قضايا تتعلق بحقوق الإنسان وأخرى إقليمية خاصة بالقضية الكردية وقضية ثنائية تتعلق بقس أمريكي محتجز بتركيا، لتبقى قطر في قبضة الإدارة الأمريكية وتحت سيطرتها مع تنامي الحديث من جانب الإدارة الأمريكية عن ترتيبات لعقد قمة خليجية في واشنطن في نهاية العام الجاري تبحث بالدرجة الأولى أزمة قطر ليتم بموجبها على الأرجح تفكيك المحور الثلاثي وإحياء مجلس التعاون الخليجي في إطار وحدته التي

أزمة سد النهضة ويساهم في توثيق العلاقات على أسس من المصالح المشتركة والأمن المتبادل، خاصة وأن مخرجات زيارة أبي أحمد لمصر ولقاءاته بالرئيس السيسي تضمنت تفاهات واتفقات شملت مجالات أمنية وسياسية واقتصادية بعثت على التفاؤل في نقلة نوعية في أطر العلاقات التي تحكم الدولتين، كما يمكن تلمس دورا إماراتيا سعوديا يعزز من فرص تنامي العلاقات وتعظيمها بين مصر والسودان والتي تحققت عبر الزيارات المتبادلة بين الرئيسين السيسي والبشير وتؤكد معها إقامة علاقة إستراتيجية شملت جميع المجالات، وليس من المستبعد اضطلاع الإمارات والسعودية بدور مؤثر في التقارب بين أريتريا والصومال بحكم ما لهما من إسهامات في دعم النظام القائم في الصومال في مجالات عديدة، والعلاقات المتميزة بين الإمارات وأريتريا.

هذا ومن المرجح أن أثيوبيا أيضاً قد لعبت دوراً رئيسياً بحكم علاقاتها المتميزة مع القيادة السياسية في الصومال لإحداث تقارب بين تلك القيادة ونظيرتها في أريتريا، حيث قام الرئيس الصومالي فرماجو بزيارة ناجحة لأريتريا أحدثت انفراجة في العلاقات بينهما، ومن المتوقع قيام الإمارات وأثيوبيا بدور في تسوية



## آفاق التقارب الأمريكي - الكوري الشمالي

ظلت الرغبة في عقد لقاء قمة مع الرئيس الأمريكي تمثل أملاً عزيزاً وحلماً يراود الزعيم الكوري الشمالي كيم ايل سونج مؤسس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وقد بدأت هذه الرغبة تلح عليه منذ بداية التسعينات وخاصة بعد انهيار سور برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي وبدء تخطي دول شرق أوروبا عن كوريا الشمالية وتحولها لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع كوريا الجنوبية وتزامن ذلك مع انفراد الولايات المتحدة بقيادة دفة الأمور العالمية بعد انهيار نظام القطبية الثنائية.

السياسي الذي كان يعول دائماً عليه من حلفائه في المعسكر الشرقي الذي أصبح إرثاً سياسياً من الماضي. ولعل المثير في الأمر أن إسرائيل كانت واحدة من البدائل السرية التي حاول كيم ايل سونج اللجوء إليها والاستعانة بها لفتح قنوات اتصال بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية، وأتذكر أن وفداً إسرائيلياً قد زار كوريا الشمالية في نوفمبر 1992 أي قبل حوالي شهرين من مغادرتي لبيونج يانج بعد انتهاء فترة عملي فيها، تحت ذريعة الاستثمار في أحد مناجم الذهب التي تعرضت للقصف أثناء الحرب الكورية، بينما كان الهدف الرئيسي من

وقد دفعه إلى ذلك - فضلاً عن الاعتبارات الدولية- اعتبارات ودوافع داخلية لعل أهمها حرصه على تحقيق الاستقرار في شبه الجزيرة الكورية بما يسمح له بترتيب الأوضاع لنجله كيم جونج ايل لخلافته في السلطة في ظروف داخلية وإقليمية أكثر استقراراً وأماناً وخالية من تحديات المواجهة مع الجنوب، وثاني هذه الاعتبارات محاولته البحث عن سبل مبتكرة وبديلة لمواجهة الوضع الاقتصادي المتأزم لكوريا الشمالية الناجم عن مستجدات ظروف إقليمية ودولية حدت مما كان يتدفق عليه من مساعدات اقتصادية وزادت من عزلة النظام وأدت إلى تراجع الدعم



سفير رضا الطائفي  
taifyreda@yahoo.com

الزيارة التي سربت الخارجية الإسرائيلية لاحقاً بعضاً من دوافعها وأسبابها بحث مدى جدية العرض الكورى الشمالى من فتح حوار رسمى مع الولايات المتحدة وما يمكن أن تقدمه كوريا الشمالية من تنازلات مقابل ذلك بما فيها إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وهى محاولة أجهزها الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب، وعاودت كوريا الشمالية الكرة - من خلال الوساطة الإسرائيلية على إدارة الرئيس كلينتون التى رفضتها أيضاً وأضاعت حينها على اسرائيل فرصة تحقيق اختراق دبلوماسى مع كوريا الشمالية والحصول على تعهد من الأخيرة بوقف تعاونها فى مجال الصواريخ الباليستية مع إيران وسوريا وغيرها، ولعل هذا الرفض الأمريكى فضلاً عن الظروف الدولية والإقليمية التى أصبحت غير مواتية هو ما دفع الزعيم الكورى الشمالى كيم ايل سونج ومن بعده نجله كيم جونج ايل إلى إعطاء أولوية قصوى لتطوير البرامج النووية وبرامج الصواريخ الباليستية لبلاده أياً كانت التكلفة اعتقاداً بأن ذلك يمثل الضمانة الأساسية لحماية نظامه من الانهيار والسقوط.

فبعد حوالى ربع قرن من محاولة كيم ايل سونج إحداث نوع من التقارب والمصالحة مع الولايات المتحدة، العدو اللدود لكوريا الشمالية، نجح حفيده كيم جونج أون الرئيس الحالى لكوريا الشمالية فى تحقيق ما فشل فيه الجد كيم ايل سونج بكل ما كان يتمتع به من كاريزما سياسية وتاريخية، فكانت القمة الأولى وكان اللقاء الذى سوف يتوقف أمامه التاريخ طويلاً بين الرئيسين الأمريكى دونالد ترامب والكورى الشمالى كيم جونج أون.

إذ بعد فترة مخاض عسيرة ومتعثرة وحالة من الشد والجذب هددت أكثر من مرة انعقاد القمة فى مكانها وموعدها السابق الإتفاق عليه، وبعد قمة كورية استثنائية ومفاجئة ومباركة صينية وروسية وترقب يابانى حذر، عقدت القمة الأمريكية -الكورية الشمالية التى طال إنتظارها فى سنغافورة يوم 12

يونيو 2018 بقاء ثنائى بين الرئيسين أعقبه لقاء موسع بين وفدى البلدين انتهى بالتوقيع على البيان المشترك التالى ترجمة لنصه:

عقد كيم جونج أون رئيس لجنة شئون الدولة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ودونالد جون ترامب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية القمة التاريخية الأولى فى سنغافورة فى 12 يونيو 2018

أجرى الرئيسان تبادلًا شاملاً ومعمقاً وصادقاً للآراء حول القضايا المتعلقة بإقامة علاقات جديدة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وبناء نظام سلام دائم وقوى فى شبه الجزيرة الكورية، وتعهد الرئيس ترامب بتقديم ضمانات أمنية لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وأكد الرئيس كيم جونج أون من جديد التزامه الراسخ الذى لا يتزعزع بإخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية.

واقترنهما بأن إقامة علاقات جديدة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ستسهم فى تحقيق السلام والازدهار فى شبه الجزيرة الكورية والعالم، واعترافاً بأن بناء الثقة المتبادلة يمكن أن يعزز نزع الأسلحة النووية من شبه الجزيرة الكورية، يؤكد الرئيس دونالد ترامب والرئيس كيم جونج أون على الآتى:

1- تلتزم الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بإقامة علاقات جديدة بينهما وفقاً لرغبة شعبي البلدين فى السلام والازدهار.

2- ستتضافر جهود كل من الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية من أجل بناء نظام سلام دائم ومستقر فى شبه الجزيرة الكورية.

3- وإذ تؤكد مجدداً على إعلان بان مونجوم فى 27 ابريل 2018 تلتزم جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بالعمل على إخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية بالكامل.

4- تلتزم الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

بإستعادة رفات الأسرى والمفقودين، بما فى ذلك الإعادة الفورية للذين تم تحديدهم بالفعل.

وبعد الإقرار بأن القمة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية -الأولى فى التاريخ- كانت حدثاً تاريخياً له أهمية كبيرة وفى التغلب على عقود من التوترات والأعمال العدائية بين البلدين ولفتح مستقبل جديد، يلتزم الرئيس كيم جونج أون والرئيس دونالد ترامب بتنفيذ البنود الواردة فى هذا البيان المشترك بشكل كامل وسريع، ويلتزم البلدان بإجراء مفاوضات متابعة بقيادة وزير الخارجية الأمريكى مايك يومبىو ومسئول رفيع المستوى نى صلة من جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، فى أقرب وقت ممكن لتنفيذ نتائج القمة.

وقد تعهد كيم جونج أون ودونالد ترامب بالتعاون لتطوير علاقات جديدة بين جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية وتعزيز السلام والازدهار والأمن فى شبه الجزيرة الكورية والعالم.

يمكن القول أنه بقدر ما حركت القمة الكورية -الكورية الثالثة (27 ابريل) والرابعة (26 مايو 2018) الكثير من المياه الراكدة فى شبه الجزيرة الكورية، بما أحدثته من تحولات وزخم فى ممارسات ومفردات خطاب المواجهة وتبادل الاتهامات والشكوك إلى خطاب المصالحة وبناء جسور الثقة والحديث عن إمكانيات فتح صفحة جديدة من التنسيق والتعاون والتبادل بين الكوريتين، فإن القمة الأمريكية الكورية الشمالية -التي وصفت بأنها قمة ذوبان الجليد- قد أحدثت انفراجة وحقت اختراقاً فى طبيعة علاقات الجانبين وكسرت الحاجز النفسى وانعدام الثقة الذى ظل قائماً بينهما على مدار خمسة وستين عاماً، وأعدت هذه القمة إلى الأذهان الأجواء التى أحاطت وصاحبت مبادرة الرئيس الراحل أنور السادات وزيارته التاريخية للقدس ولقاءاته مع القادة الإسرائيليين.

وقد قوبلت القمة بترحيب دولى

## آفاق التقارب الأمريكي الكورى الشمالي

وخاصة من قبل الدول المعنية بصورة مباشرة بتطورات الأوضاع فى شبه الجزيرة الكورية مثل الصين وروسيا واليابان التى تتابع مستجدات العلاقات الأمريكية مع كوريا الشمالية بصورة دقيقة.

فقد أعلن الرئيس الروسى بوتين دعمه لحضور إخلاء شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووى واستعداد بلاده للتعاون من أجل تحقيق هذا الغرض وتأسيس نظام دائم للسلام هناك وقد تزامن هذا الموقف مع تسريب يشير إلى إمكانية عقد لقاء قمة محتملة بين الرئيسين بوتين وكيم جونج أون، فى حين أعربت اليابان عن عزمها العمل مستقبلاً مع حكومة بيونج يانج لحل مشكلة اليابانيين المختطفين لدى كوريا الشمالية وبحث سبل تطبيع العلاقات بين الجانبين، وربما عقد قمة بين قادة البلدين.

وقد وصف الرئيس الكورى الجنوبي القمة بأنها حدث تاريخى يمثل مجرد بداية لرحلة طويلة، ويمثل نصراً عظيماً لكل دعاة السلام فى العالم، فهى من جانب نزعت فتيل الأزمة وجنبت العالم والمنطقة نشوب حرب، وهى من جانب آخر وضعت أساساً للسلام ليس فقط فى شبه الجزيرة الكورية ولكن فى العالم، وهى من جانب ثالث تمهد الطريق للكوريين للمضى قدماً إلى الأمام مع ترك ونسيان الأيام المظلمة للحرب والنزاعات خلف ظهورهم والبدء فى كتابة فصل جديد للسلام والتعاون.

وقد رحبت القيادة الصينية بنتائج القمة الأمريكية الكورية الشمالية، حيث كانت الصين حريصة منذ البداية أن تكون فى قلب الحراك الدبلوماسى القائم فى شبه الجزيرة الكورية خشية أن يؤدى تهميشها إلى التوصل إلى تسويات تراها ضارة بأمنها القومى وقد تفتقر لضمانات كاملة لحماية مصالح

النظام الحليف لها فى كوريا الشمالية، ويقينى أن الصين حريصة أن يظل ملف كوريا الشمالية ورقة تفاوضية فى يدها تلوح بها كلما اقتضى الأمر

خاصة فى حربها التجارية القائمة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، ومن المتوقع فى هذا السياق ألا تقف الصين مع أية تسوية فى شبه الجزيرة الكورية لا تراعى مصالحها وأمنها القومى، حيث تأمل الصين فى التوصل إلى اتفاق يسمح بجلاء القوات والمظلة النووية الأمريكية عن كوريا الجنوبية كما لا يروق لها امتلاك جارتها الكورية الشمالية لأسلحة نووية يمكن أن تهدد الأمن القومى الصينى وستكون الصين فى هذه الحالة الراجح الأكبر فى حالة توقيع اتفاق سلام ينهى حالة الحرب فى شبه الجزيرة الكورية، إذ يتوقع فى هذه الحالة أن تظل الصين هى النموذج الأمثل لكوريا الشمالية لتطبيق نموذج «دولة واحدة ونظامين» يسمح لها بالانفتاح الاقتصادى والاندماج مع المجتمع الدولى مع الاحتفاظ بنظامها الشيوعى، وهو النموذج الذى حقق نجاحاً أيضاً فى فيتنام.

من هنا يأتى حرص الصين على احتفاظها بخصوصية علاقتها مع بيونج يانج وهو الحرص الذى ترجمه عقد ثلاثة لقاءات قمة صينية -كورية شمالية فى أقل من ثلاثة أشهر وأخرها قمة 20/19 يونيو 2018 والتى تستهدف مناقشة التعاون التكنيكي والاستراتيجى بين البلدين والحزبين.

وبالتالى لم يكن غريباً أن توفر الصين واحدة من طائراتها الرئاسية للرئيس الكورى الشمالى كيم جونج أون لاستخدامها فى تنقلاته لحضور القمة من وإلى بيونج يانج وسنغافورة بما ينطوى عليه ذلك من دلالات.

كما تهدف الصين إلى استكمال خط السكك الحديدية العابرة للصين، وهو المشروع الذى يستهدف إقامة خط سكك حديدية يربط بين سول وبكين عبر مدينتى بيونج يانج وشين يوجى فى كوريا الشمالية، وهو مشروع استراتيجى يظل تحقيقه رهناً بنجاح

الكوريتين فى التوصل إلى اتفاق ينهى حالة الحرب ويحقق السلام الدائم فى شبه الجزيرة الكورية.

حققت القمة الأمريكية-الكورية الشمالية غير المسبوقة بعض النجاحات، إذ فضلاً عن أن انعقادها فى حد ذاته يعد نجاحاً للجانبين، فإنها مهدت الأجواء للقائهات رفيعة المستوى بين الجانبين لعل آخرها زيارة وزير الخارجية الأمريكى مايك بومبيو الثالثة لبيونج يانج يومى 7/6 يوليو الماضى -التي تسلم خلالها رسالة من الرئيس الكورى لنظيره الأمريكى- بعد زيارته الأولى 31 مارس 11- ابريل التى التقى خلالها الرئيس الكورى الشمالى كيم جونج أون.

حققت القمة للرئيس ترامب نصراً معنوياً فى مواجهة معارضى سياساته الداخلية والخارجية، حيث صرح بعد تحقيقه أنه نجح فى تحقيق ما فشل فى تحقيقه كل زعماء أمريكا السابقين وجنب الولايات المتحدة وشبه الجزيرة الكورية وشمال شرق آسيا والعالم وقوع حرب-مدمرة، وفتح خط تليفونى ساخن مع نظيره الكورى الشمالى بدلاً من ذر إشعال حرب نووية.

وإن كان بعض المحللين يرون أن محاولة ترامب لتبريد ملف كوريا الشمالية سوف يعقبه ويقابله تسخين لملف إيران.

بدأ الجانبان فى تنفيذ البند الرابع من اتفاق سنغافورة حول البحث عن رفات أسرى الحرب الكورية من الأمريكين الذين فقدوا فى المعارك وإعادة الذين تم تحديد هوياتهم إلى بلدهم فى الحال، حيث أعلنت كوريا الشمالية أن لديها 200 من رفات الأمريكين تم العثور عليهم وأبدت استعدادها لإعادتهم، وذلك من بين 5300 يقدر البنتاجون فقدانهم فى كوريا الشمالية «وفى تقديرات البنتاجون، فقد بلغت خسائر الولايات المتحدة فى الحرب الكورية (1950-1953) أكثر من 35 ألف قتيل و7700 فى عداد المفقودين».

تعليق المناورات العسكرية الدورية التى كانت تعقد منذ الستينات من القرن

بالتزامن مع انعقاد الدورة 73 للجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو أمر مازال محل نظر.

كما تسعى كوريا الشمالية إلى رفع العقوبات الاقتصادية الدولية المفروضة عليها وتتوقع تلقي حزمة عاجلة من المساعدات لمواجهة وضعها الاقتصادي المتردى بالتزامن مع ما تجرته من مفاوضات حول نزع سلاحها النووي، وهو ما ترفضه كل من الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية الذي يصرون على استمرار ومواصلة العقوبات على كوريا الشمالية حتى يتم التحقق من التفكيك النووي بشكل كامل ونهائي وذلك لا يعنى فقط القنابل ولكن الصواريخ الباليستية أيضاً.

على عكس ما تتوقع كوريا الشمالية، تصر الولايات المتحدة على الحفاظ على استمرار تمركز قواتها في كوريا الجنوبية بدعوى دورها الهام في حفظ السلام والاستقرار في شبه الجزيرة الكورية وشمال شرق آسيا.

ومن المتوقع أيضاً أن يظل الخلاف حول حقوق الإنسان واحداً من الملفات الشائكة بين الجانبين، حيث أن وفاء كوريا الشمالية بتعهداتها بإعادة عدد من رفات الجنود الأمريكيين مؤخراً لم يمنع نائب الرئيس الأمريكى مايك بنس يوم 26 يوليو 2018 من الاستمرار في اتهام كوريا الشمالية بممارسة الاضطهاد الدينى والتعذيب والجوع الجماعى والإعدامات العامة وعمليات القتل والإجهاض القسرى والعمل بالسخرة، وهى إتهامات سوف تلقى بظلالها السلبية على عملية التقارب بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية.

وفى هذا السياق، من المتوقع أن تشهد الفترة القادمة مفاوضات عسيرة وقد تواجه بعض العثرات وتوقع أن تلقى العلاقات الأمريكية-الصينية بظلالها -سلباً أو إيجاباً- على مسار المفاوضات الأمريكية -الكورية الشمالية حول مستقبل ومجمل الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية فى شبه الجزيرة الكورية.



شقيقان لم يلتقيا منذ 1953

تظل -على أهميتها- بمثابة نتائج فرعية وهامشية تعكس حسن نوايا أطرافها ولا تمثل اختراقاً حقيقياً للملفات الجوهرية للمشكلة الكورية التى بدأت بوادر الخلاف حول توقيتات وسبل التعاطى معها تلوح فى الأفق، وبدأت التخوفات من «كمون الشيطان فى التفاصيل» حيث:-

تصر الولايات المتحدة -على سبيل المثال- أن يكون نزع السلاح النووى الكورى الشمالى بشكل complete, verifiable and irreversible dismantling تفكيك نووى كامل، قابل للتأكيد والتحقق منه ولا رجعة فيه مع نقل وترحيل الروؤس والمواد النووية والصواريخ الباليستية إلى خارج كوريا، وتحرص الولايات المتحدة على أن يتم ذلك قبل انتهاء الولاية الأولى للرئيس ترامب ليكون بمثابة انتصار ساحق قد يساعده على الترشح والفوز بولاية ثابتة، وهو أمر مازالت لا تقبله كوريا الشمالية وترى فيه ابتزازاً وشروطاً لا يمكن أن تقبلها إلا دولة منهزمة.

ومن بين الخلافات أيضاً حرص كوريا الشمالية على التوصل إلى إعلان إنهاء الحرب الكورية والكورية إلى اتفاق سلام مع الولايات المتحدة إما فى 27 يوليو وهو تاريخ توقيع اتفاق الهدنة القائم أو فى سبتمبر 2018

الماضى بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية.

إلتزام كوريا الشمالية بوقف تجاربها النووية والصاروخية مع قيامها بتدمير موقع لإجراء التجارب النووية ومنصة تجارب إطلاق الصواريخ الباليستية.

تخفيف الإعلام الكورى الشمالى من لهجته المعادية للولايات المتحدة والتي كانت تغلب عليه دائماً فى الذكرى السنوية لاندلاع الحرب الكورية، مما يهيئ الأجواء لإمكانية لتبادل الزيارات الرئاسية بين واشنطن وبيونج يانج.

وعلى صعيد العلاقات بين

الكوريتين، فقد ساهمت القمة -

إلى جانب القمة الكورية- فى تهيئة

الأجواء لاستئناف فتح قنوات الاتصال

للتعاون الاقتصادى والتجارى والتنسيق

العسكرى ولقاءات الصليب الأحمر

لترتيب لقاءات الأسر المشتته وغيرها،

مع إعلان كوريا الجنوبية تعليق مناورات

«أولجى» الدفاعية السنوية التى تقام

منذ عام 1969 فى أعقاب إحباطها

هجوماً لقوات من الكوماندوز الكوريين

الشماليين على القصر الرئاسى «البيت

الأزرق» فى سول عام 1968، مع تعليق

الجيش الكورى الجنوبى خطط بناء

جديدة لنحو مائة وحدة من الجيش فى

مناطق خط المواجهة على بعد 5-10

كم من المنطقة المنزوعة السلاح.

خامساً: يمثل ما سبق ثماراً للقمة



### العلاقات الروسية الصينية في عالم متغير

في احتفالية كبرى بقاعة الشعب في بكين في 8 يونيو 2018، منح الرئيس الصيني شي جينبينج نظيره الروسي بوتين «وسام الصداقة»، وهو تكريم غير مسبوق لم يحظ به زعيم أجنبي من قبل. ولهذا التكريم دلالة رمزية تعكس المستوى الرفيع الذي وصلت إليه علاقات البلدين، والعلاقة الخاصة على المستوى الشخصي بين الرئيسين اللذين بذلا جهداً كبيراً خلال السنوات القليلة الماضية في تطوير العلاقات الثنائية والاستثمار السياسي في تعزيز وإدارة هذه العلاقات بفاعلية وكفاءة من خلال مقاربة واقعية هادئة لتسوية خلافاتهما مع الحرص - علناً - على تأكيد وإبراز العناصر الإيجابية في تلك العلاقات.

الأمريكية بضغط متزايدة لا تقتصر على الحرب التجارية الدائرة الآن. ذلك أنه مع تزايد قوتها، تدفع الصين بمصالحها في المناطق البحرية جنوب وشرق شواطئها، بل وفي مناطق أخرى من العالم في ظل مبادرات طموحة مثل مبادرة الحزام والطريق. ورغم أنه لا يجمع روسيا والصين تحالف صريح واضح، بل تتعارض مصالحهما في بعض الأحيان، إلا أن كليهما يتحديان النظام الدولي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية. وفي تقدير بعض المحللين الروس - بحق - أن الصينيين يفعلون ذلك بحكمة وهدوء أكثر من الروس. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن ذلك يفرض قيوداً على المدى الذي يرغب كل منهما في الذهاب إليه لتوثيق علاقاته بالآخر. وعلى سبيل المثال فإنه في الوقت الذي لم تنضم فيه الصين إلى العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة وحلفاؤها على روسيا منذ عام 2014 بسبب الأزمة الأوكرانية امتنعت بكين عن التصويت على



سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

من قمة كان مقرراً عقدها في سوتشي عام 2014. ولقد كان من أهم تداعيات هذه المواجهة توجه روسيا نحو الصين واكتساب علاقات البلدين المزيد من العمق الإستراتيجي، بحثاً عن توازن عالمي جديد. فمن ناحيتها، تسعى روسيا إلى وقف مد النفوذ الغربي وإبعاده عن منطقة نفوذها، ومن جانبها، تمر العلاقات الصينية /

وقبل تناول أهم سمات العلاقات الصينية الروسية، من المهم الإشارة إلى جوانبها الجيوإستراتيجية، والتي تفسر الدوافع وراء حرص رئيسي البلدين على المزيد من تعميقها وتوسيعها لآفاق أرحب، خاصة بعد إعادة انتخاب كل منهما لولاية جديدة.

#### بحثاً عن توازن عالمي جديد

ذلك أنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، تبنت روسيا إستراتيجية تقوم على الاندماج في الهياكل الأوروبية الأطلسية، بشروطها الخاصة، وكانت عضوية روسيا في مجموعة الـ 8 رمزاً لهذه الإستراتيجية. ومع ذلك فالانقلاب على الرئيس يانوكوفيتش في أوكرانيا في فبراير 2014، والذي دعمته واشنطن بوضوح، قد نظر إليه من جانب موسكو على أنه مقدمة لانضمام محتمل لأوكرانيا الحلف شمال الأطلسي. وجاء رد فعل الكرملين بضم شبه جزيرة القرم لروسيا، وما تبعه من استبعاد موسكو من عضوية مجموعة الثمانية، قبل نحو شهرين

قرار الجمعية العامة رقم 262 الصادر في أبريل 2014 بشأن إدانة التدخل الروسي في أوكرانيا والخلاصة هنا هي أن القدر المتيقن في هذا الشأن هو أن مصالح كلا البلدين وتوجهاتهما الإستراتيجية تشير إلى تعاون وثيق طويل الامد بينهما.

### التهديد الأكبر للمصالح الأمريكية

وفي ضوء هذه الاعتبارات، فليس من المستغرب أن تشير إستراتيجيتنا الأمن والدفاع القومي الأمريكيتان (2018) إلى كل من الصين وروسيا، في أكثر من موضع، بوصفهما التهديد الأكبر للمصالح الأمريكية في مناطق كثيرة من العالم. وعلى سبيل المثال تشير إستراتيجية الأمن القومي إلى أنه «رغم زوال التهديد الشيوعي السوفيتي، فإن هناك أخطاراً جديدة تتحدى إرادتنا، حيث تسعى روسيا لاستخدام سياسات هدامة للتشكيك في مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملاتها مع الاتحاد الأوروبي بغرض تقويض وحدة الأطلنطي، وإضعاف الحكومات والمؤسسات الأوروبية. من جهة أخرى تحاول الصين اكتساب موطئ قدم لها في أوروبا عبر ممارساتها التجارية والاستثمارية غير العادلة في الصناعات الرئيسية بالقارة وفي مجالات البنية التحتية والتقنية. وتضيف الإستراتيجية» لقد نجح منافسونا في إيجاد موطئ قدم لهم في منطقة الأمريكيتين. فالصين تحاول جذب دول المنطقة إلى مدارها من خلال الاستثمارات والقروض.. كذلك تحاول روسيا استدعاء سياستها الفاشلة التي استخدمتها إبان الحرب الباردة لجذب دول المنطقة.. إن كلاً من الصين وروسيا يدعم الحكم الديكتاتوري بفرنزويلا».

ووفقاً لإستراتيجية الدفاع القومي، «يتمثل التحدي الأساسي الذي يواجه رخاء وأمن الولايات المتحدة في عودة ظهور منافسة إستراتيجية شرسة طويلة المدى ممن صنفنهم إستراتيجية الأمن القومي كقوى رجعية، وتحديداً روسيا والصين، فسعيهما الحثيث لتشكيل عالم يتسق مع نموذجيهما الاستبدادي يتبدى بوضوح». والواقع أن محللين روس كثر يعتقدون أنه في ظل العلاقات المتدهورة بين روسيا والغرب، ستكون الأولى في مزيد من الحاجة للصين كمصدر للعملة الصعبة وكمستثمر وكسوق، كما أن المزيد من اعتماد موسكو على بكين، سيؤدي إلى تزايد نفوذ هذه الأخيرة بدرجة كبيرة. وفي هذا السياق من المهم الإشارة إلى أن العديد من الأكاديميين الصينيين يشككون في أننا نعيش عالماً متعدد الأقطاب، مشيرين في ذلك إلأن واقع الأمر هو أنه لا يوجد سوى قطبين عالميين

فقط هما الولايات المتحدة والصين، أما جميع الدول الأخرى، فعليها أن تختار ما بين أي من القطبين. والواقع أن التطورات خلال السنوات القليلة الماضية تكشف عن العديد من الأدلة الداعمة لهذا التصور.

### التعاون العسكري ركيزة أساسية

وعلى الخلفية السابقة يمكن فهم سمات وأوجه التعاون الروسي الصيني في مختلف المجالات. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى ما يلي بصفة خاصة:

1 - إن رسم علاقات الجانبين بجوانبها المختلفة يقع على قائمة أولويات رئيسي البلدين شخصياً وبإشراف مباشر من كليهما. وعادة ما تتم المشاورات والاتصالات بين البلدين على أعلى مستوى. وقد وصف الرئيس الصيني نظيره الروسي بأنه صديقه الأكثر قرباً. وفضلاً عن ذلك هناك برامج واتصالات مكثفة بين شباب الجامعات في البلدين، كما يتعلم كل منهما لغة الآخر. وتزايدت هذه البرامج والمنخرطون فيها في الجانبين يوماً بعد يوم، وذلك بجانب المشاريع الكبرى الجارية تنفيذها من الجانبين وتبادل إقامة المعارض الكبرى، والتعاون العسكري الذي يمثل الركيزة الأساسية في علاقات التعاون الثنائي. فحتى سنوات قليلة مضت كانت الصين - ومعها الهند- تستحوذ على نحو 80% من إجمالي صادرات روسيا من الأسلحة. ويشمل التعاون العسكري المشترك اليوم إجراء تدريبات مشتركة بما فيها تدريبات بحرية منتظمة. وعلى خلاف السابق، حيث كانت تجرى هذه الأخيرة في بحر اليابان قبالة «فلاديفوستوك»، تجرى الآن في منطقة الجزر المتنازع عليها بين الصين واليابان (حول جزر دياواو المسماة سنكاكو من اليابانيين). وتفسر موافقة روسيا على إجراء المناورات في هذه المنطقة بأنها رسالة إلى اليابان التي تجاوبت مع ضغوط واشنطن لفرض عقوبات على روسيا بأن هذا التجاوب له ثمنه. ويعد هذا التطور درامياً في السياسة الخارجية الروسية، حيث كان بوتين - حتى مارس 2015- قد أكد بأنه لا ينوي الدخول في تحالف عسكري مع الصين. وقبل أربع سنوات فقط من هذا التاريخ عرض الرئيس السابق ميديفيدوف ورئيس الوزراء بوتين على حلف شمال الأطلنطي إطاراً للتعاون الدفاعي.

2 - على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، وفر مناخ الثقة السياسية المتبادلة بين الدولتين ضمانات غاية في الأهمية للمضي قدماً في تعميق التعاون الثنائي بينهما. وعلى خلاف ما كان عليه الحال في الماضي، تدرك كل من الصين وروسيا أنهما بصدد مواجهة

موقف دولي جديد، سيستمر معهما طويلاً، يستوجب منهما تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يقتضى بدوره حكومة قوية وفعالة.

3 - يختلف التعاون بين الصين وروسيا عن العلاقات الثنائية العادية فيما بين الدول. فالبلدان يتجاوران مباشرة كما أن الهيكل الاقتصادي لكل منهما يتكامل مع الآخر. وبالنسبة لروسيا تعد الصين سوقاً واعدة للطاقة. وقد جاءت صفقة الغاز التي أبرمت بين الجانبين خلال زيارة بوتين للصين عام 2015 بتوريد غاز للصين على مدى 30 عاماً بقيمة 400 مليار دولار، لتؤكد مرونة الجانب الروسي بشأن أسعار الغاز بما يخدم الأهداف الجيوسياسية والاقتصادية الروسية. وتجدر الإشارة إلى أن معدل التبادل التجاري بين البلدين حوالي 90 / 100 مليار دولار سنوياً، وهو أقل كثيراً من نظيره مع دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة، إلا أنه يظل الأكبر على مستوى دول الاتحاد فرادى.

4 - تدعم العلاقات الثنائية الصينية الروسية هيكل إقليمية ودولية مستقرة للتعاون ممثلة أساساً في منظمة شنغهاي للتعاون، ويوفر تجمع «بريكس» إطاراً جيداً للبلدين للدفع بأجندتهما السياسية والاقتصادية بالتعاون مع الدول الأخرى الأعضاء (البرازيل والهند وجنوب أفريقيا). كذلك يشار إلى التزاوج بين مبادرة الحزام والطريق الصينية والاتحاد الاقتصادي والأوروبسيوي الذي تروج له روسيا، وفضلاً عن ذلك فإن رغبة روسيا في تنمية الشرق الأقصى الروسي وسيبيريا، يمثل أحد أهم محاور التعاون مع الصين.

والخلاصة أن التعاون الصيني الروسي مرجعه الأساسي المصلحة المشتركة للبلدين في إقامة نظام دولي جديد بعيداً عن هيمنة الولايات المتحدة، وذلك من خلال تبني سياسة خارجية تتسق مع متطلبات الأوضاع الداخلية والسعي إلى الاحتفاظ بأكبر قدر من حرية العمل بعيداً عن ضغوط الغرب وشعاراته حول «الديمقراطية» وحقوق الإنسان. وبطبيعة الحال لا يتنافى ذلك مع الشراكة التي تجمع كلاً من البلدين مع الغرب في العديد من المجالات على قاعدة المصالح المشتركة وتقاسم المنافع، وليس استناداً إلى وحدة القيم. ويبدو أن هذا النموذج العالمي الجديد الذي يسعى بوتين وشي جينينج - بقوة - إلى تأسيسه، يلقي الإعجاب في مناطق العالم المختلفة عدا الولايات المتحدة وبعضاً من حلفائها في أوروبا الغربية وخارجها.



## سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين

منذ أن تولى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب السلطة، وهو يعمل على تنفيذ معظم الوعود التي قطعها على نفسه أثناء حملته الانتخابية، ولم يهتم كثيراً بما إذا كان ذلك يلقي قبولاً من حلفاء أمريكا التقليديين من عدمه، وأنه قد يثير غضبهم في كثير من الأحيان. ويرفع ترامب دائماً شعاراً شعبويًا، وهو أن «أمريكا أولاً» وهو الشعار الذي يلقي قبولاً وحماساً لدى مؤيديه من الأمريكيين.

الأطلنطي «الناطو» الذي يجمع الدول الأوروبية والولايات المتحدة قد أصابه القدم ولم تعد له جدوى عملية، وأنه يتعين على الدول التي تريد حماية أمريكية أن تتحمل نصيبها العادل من تكاليف هذه الحماية بزيادة حصة مساهماتها من ميزانية الناتو. وقد تمسك بموقفه هذا وأثاره رسمياً أثناء حضوره قمة الناتو في بروكسل، ورغم استياء كثير من الأعضاء الأوروبيين، إلا أنه أمكن دعم ميزانية الناتو بنحو 30 مليار يورو، وقد تحفظت بعض الدول الأوروبية على ذلك انطلاقاً من أن حصص مساهمات الأعضاء يجب أن تتناسب مع إجمالي الناتج القومي



سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

يسلموا بدورهم من سياسات ترامب الصادمة لهم وهم أقوى حلفاء لأمريكا عبر الأطلنطي. وقد بدأ ترامب هذه الصدمات بإعلانه أن حلف شمال

والمكسيك وكندا - بالمطالبة ببناء سور على الحدود مع المكسيك تتكفل المكسيك بتكلفة بنائه أو تفرض رسوماً على صادراتها لأمريكا لتغطية التكلفة. ويرى أن هذا السور ضروري لمنع الهجرة غير الشرعية من دول أمريكا الوسطى والكاريبي عبر المكسيك. وهو ما أثار أزمة غير مسبقة بين واشنطن والمكسيك. ومطالبة ترامب بمراجعة اتفاق النافتا لأنه يرى أن شروطه ليست في صالح الصناعة والعمال الأمريكيين. أما حلفاء أمريكا الأوروبيين فلم

المحلى لكل دولة، كما أن بعض الدول الأوروبية الصغيرة فى حاجة إلى مظلة حلف الناتو، خاصة دول شرق أوروبا ولكن وضعها الاقتصادى حالياً لا يسمح بزيادة حصتها المالية.

ولكن ترامب يقصد فى الحقيقة الدول الكبيرة فى الاتحاد الأوروبى وفى مقدمتها المانيا التى ذكرها بالاسم منذ البداية فى تغريداته وقد ردت عليه المستشار الألمانية انجيلا ميركل بأن المانيا لديها آليات سليمة لتحديد حصتها المالية فى الناتو بل إنها دعت إلى أن تبدأ الدول الأوروبية فى العمل جدياً على أن تعتمد دفاعياً على نفسها وقالت مؤخراً فى المؤتمر الصحفى السنوى فى برلين فى 20 / 7 / 2018 أن أوروبا لا تستطيع الاعتماد على الولايات المتحدة بشكل كامل وهذا ما قائلته العام الماضى بأن أوروبا لم تعد تعتمد على أمريكا لإقرار النظام فى العالم وأن على الأوروبيين تولى أمرهم بأنفسهم وأخذ مصيرهم بأيديهم وأن تصدى ميركل للرد على ترامب يرجع أيضاً إلى انتقاداته العلنية لسياسة المانيا تجاه اللاجئين والمهاجرين والتى بدا فيها وكأنه يغازل اليمين الألمانى المتطرف خاصة حزب البديل من أجل المانيا الذى يعارض قبول اللاجئين والمهاجرين والذى أدى إلى عدم حصول الحزب الديمقراطى المسيحى فى الانتخابات الأخيرة على نفس المقاعد التى كانت له فى البرلمان السابق ودفعت ميركل إلى تقديم تنازلات من خلال مفاوضات على مدى نحو أربعة أشهر مع الحزب الاشتراكى الديمقراطى بقبول الاستمرار معها فى الائتلاف الحكومى.

كما انتقد ترامب تمويل المانيا خط أنابيب الغاز من روسيا وقال إن المانيا قد خضعت لروسيا وتدعمها اقتصادياً بالمساهمة فى إنشاء هذا الخط واستيراد الغاز منها وأوضح ترامب فى المؤتمر الصحفى مع الرئيس بوتين فى هلسنكى فى 16 / 7 / 2018 أن انتقاده لألمانيا يرجع إلى أن الولايات المتحدة

سيصبح لديها إنتاج وفير من الغاز الطبيعى وستحتاج إلى تصدير منه إلى أوروبا ولكنها لا تواجه بمنافسة قوية من روسيا.

وقد مثل موقف ترامب المؤيد لانسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبى صدمة للدول الأوروبية خاصة المانيا وفرنسا لما لهذا الانسحاب من آثار سلبية على الاتحاد بل وعلى بريطانيا ذاتها وأن هذا التأييد العلنى من الرئيس ترامب قد يشجع دولاً أخرى على الانسحاب مما يزيد من التأثير السلبى على الاتحاد الأوروبى الذى يدرك أعضاؤه دائماً أنه منافس قوى اقتصادى وتجارى للولايات المتحدة التى يهتما إضعافه ولكن ليس بهذا الأسلوب العلنى الصارخ وغير المعتاد من كل الرؤساء الأمريكيين السابقين ولا من المتنافسين التجاريين الآخرين الأقوياء مثل الصين واليابان.

وقد أدت سياسات ترامب هذه إلى حالة من الاستياء غير المعتاد من جانب أقرب حلفاء أمريكا وهى بريطانيا التى رفضت قطاعات كبيرة من السياسيين والشخصيات العامة فيها زيارة ترامب لبريطانيا مما أدى إلى تأجيلها من 2017 إلى 2018 وتخفيض مستوى الزيارة من زيارة رسمية إلى زيارة عمل وهو ما أدى إلى اقتصار استقبال ملكة بريطانيا لترامب على مراسم مبسطة وحفل شامى وليس عشاء كما فى الزيارات الرسمية وقد ارتكب ترامب بعض الأخطاء المراسمية لدى استقبال الملكة له مما دفعها إلى تنبيهه لبعضها بإشارة من يدها.

وكان لتصريحات ترامب بأنه يؤيد موقف وزير الخارجية يوريسون الذى استقال من حكومة تريزا ماي لعدم موافقته على برنامج انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبى وقال ترامب أنه إذا واجهت رئيسة الوزراء ماي صعوبات فى الاستمرار فى منصبها فإنه يمكن أن يخلفها وزير الخارجية المستقيل وذهب ترامب لأبعد من ذلك بقوله إنه

إذا تمسكت رئيسة وزراء بريطانيا ببرنامجهما للانسحاب من الاتحاد الأوروبى فلن يمكن أن توقع واشنطن معها اتفاقاً للمنطقة التجارية الحرة بين البلدين والمثير فى الأمر أن ترامب صرح بذلك وهو فى طريقه لزيارة بريطانيا وإجراء محادثات مع رئيسة وزرائها ماي!!

وقد أبدى ترامب بعض التراجع عن موقفه هذا فى المؤتمر الصحفى مع رئيسة الوزراء ماي ولكنه فى حقيقة الأمر غير مطمئن خاصة وأن المعارضين البريطانيين على برنامج الانسحاب من الاتحاد الأوروبى يرون أنه لا يحقق انسحاباً حقيقياً وإنما يبقى ارتباطها بالاتحاد ويجعل خروجها شكلياً.

ومن الصدمات التجارية المهمة فرض ترامب رسوماً جمركية على واردات الولايات المتحدة من الحديد والصلب والألومنيوم ورفض استثناء الدول الأوروبية من ذلك رغم تحذيرات بعض رجال الأعمال الأمريكيين من أنه إذا طبقت الدول الأوروبية المعاملة بالمثل فلن يتحقق مكاسب للاقتصاد الأمريكى وربما يخسر على المدى البعيد ولم يعبأ ترامب بذلك وطبقت الدول الأوروبية مبدأ المعاملة بالمثل وفرضت رسوماً جمركية على مجموعة من السلع الأمريكية وبدلاً من أن يراجع ترامب قراراته هذه أعلن أنه بصدد فرض رسوم جمركية على السيارات المنتجة فى الدول الأوروبية وقد أوضحت المستشار الألمانية ميركل أن فرض هذه الرسوم الأمريكية سيلحق أضراراً كبيرة بصناعة السيارات فى المانيا وأن هذا يتطلب اتخاذ إجراءات معينة.

وكان لانسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية التغيرات المناخية ردود فعل سلبية للغاية ليس فقط لدى الدول الأوروبية وإنما جميع دول العالم التى انضمت للاتفاقية خاصة وأن نسبة التلوث الأمريكية لا تقل عن 24% وتسبقها الصين بنسبة 25% من تلووث



## سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين

تقوم بشراء البترول الإيراني دون أن تؤثر عليها العقوبات الأمريكية.

هذا وقد حذرت المؤسسات المالية الدولية ومنظمة التجارة العالمية من مخاطر سياسة الحماية الجمركية الأمريكية لما لها من آثار سلبية على التجارة العالمية وعلى معدلات النمو في الدول الصناعية ودول أخرى وناشدة واشنطن بإعادة النظر في هذه السياسات لما لها من أضرار كبيرة على الأوضاع الاقتصادية الدولية.

لقد كان واضحاً منذ تولي الرئيس دونالد ترامب الرئاسة الأمريكية أن فترة حكمه سيسودها التوتر في العلاقات مع الدول الأوروبية ومناطق أخرى من العالم ولكن ما حدث فعلاً من سياسات أمريكية صادمة ربما يكون قد فاق كل التوقعات الأوروبية ولكن الدول الأوروبية ترى في نهاية الأمر أنه يمكن اعتبار فترة حكم ترامب مرحلة عابرة في علاقاتهم مع أمريكا، لذا فإنهم يبقون على شعرة معاوية في هذه العلاقات ولكن دون تهاون في تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل في العلاقات الاقتصادية والتجارية لأن أية أعباء تفرضها واشنطن تكون على حساب دافعي الضرائب الأوروبيين.

عقوبات اقتصادية وتجارية ومصرفية على إيران فقد تضطر بعض هذه الشركات ومنها شركة توتال الفرنسية على سبيل المثال أن توقف أعمالها في إيران لأن للأمريكيين 35% من رأس مال الشركة وإذا لم تلتزم بالمقاطعة التي ستبدأ في 2018/8/4 فإنها تتعرض لأضرار كبيرة وقد بدأت الدول الأوروبية في العمل على إنشاء آلية فعالة للتعامل مع إيران وضمن مصالح شركاتها التي قد تتعرض لخسائر كبيرة إذا انسحبت من العمل في إيران، كما أن إيران تضغط بأنه إذا لم تضمن الدول الموقعة على الاتفاق النووي استمرار مصالح إيران فإنها ستعود إلى تخصيب اليورانيوم نتيجة الإخلال بالاتفاق.

وعندما قال ترامب إن أمريكا ستعمل على وقف تصدير البترول الإيراني تماماً توعدت إيران بأنه إذا حدث ذلك ستلجأ إلى إغلاق مضيق هرمز أمام تصدير البترول من دول الخليج الأخرى وأن وقف تصدير البترول الإيراني يكاد يكون أمراً مستحيلاً إزاء عدم التزام الصين وروسيا بالعقوبات الأمريكية، كما أنه يمكن لبعض الدول إنشاء شركات لا تتعامل مع الولايات المتحدة

البيئة في العالم بالعوادم الصناعية والغازات وأن انسحاب أمريكا قد يؤدي إلى عدم اكتراث كثير من الدول النامية بمخاطر التلوث والتغيرات المناخية.

وكان لانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران الذي وقعته مع الدول الكبرى عام 2015 آثار سلبية عديدة منها عدم الثقة فيما يعقد من اتفاقات خاصة وأن هذا الاتفاق قد خرج للنور بعد جهود مضيئة استمرت لأكثر من عشر سنوات من المفاوضات الشاقة واعتبر توقيعه وبدء تنفيذه إنجازاً يعتد به وقد ألقى الانسحاب الأمريكي ظلماً كثيفة من الشكوك حول مدى إمكانية الاستمرار في الالتزام بالاتفاق النووي مع إيران وألقى بأعباء كبيرة على الدول الخمس الأخرى (روسيا - الصين - بريطانيا - فرنسا وألمانيا) خاصة وأن عدة شركات تابعة لهذه الدول بدأت في العمل في مشروعات في عدة قطاعات خاصة الطاقة والصناعة والنقل في إيران وإزاء إصرار أمريكا على فرض

# أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟

أثارت قمة حلف شمال الأطلسي الأخيرة، التي عُقدت يومي 11 و12 يوليو 2018 في بروكسل، العديد من التساؤلات حول مدى تماسك الحلف وقدرته على التأثير والتحرك بفاعلية في ضوء ما عكسته القمة من جدل تجاوز حد اختلاف وجهات النظر بين واشنطن وحلفائها، وصعد من قلق الأوروبيين على مستقبل الحلف على خلفية مواقف الرئيس ترامب. فقد كانت تصريحات ترامب قبل تسلمه السلطة رسمياً بأيام، والتي أدلى بها لصحيفتي «بيلد» الألمانية و«تايمز» البريطانية، والتي أشار خلالها إلى أن الناتو منظمة «عفا عليها الزمن»، صادمة للحلفاء الذين لم يتوقعوا يوماً مثل هذا التصريح من أحد قادة واشنطن التي أسست الحلف ودافعت عن بقائه عقب تفكك الاتحاد السوفيتي، وأعدت صياغة مهامه ورؤيته لضمان استمراره كأحدى ركائز السياسة الأمريكية على الصعيدين الأوروبي والعالمي.

دون نسبة 1,4% من إجمالي ناتجها القومي عام 2018، وليس من المتصور أن تكون هذه الدول قادرة على احترام تعهداتها، مما يثير غضب ترامب الذي طالب لاحقاً، في تغريدة، بأن يرفع الحلفاء نفقاتهم العسكرية إلى 2% «فوراً».

### شراء معدات واسلحة أمريكية

وقد تبني قادة حلف الناتو في ختام اليوم الأول من القمة بياناً مشتركاً أشار إلى التزام الدول الأعضاء بزيادة النفقات الدفاعية لتصبح 2% من الناتج المحلي بحلول عام 2024، وتجاهل البيان طلب الرئيس الأمريكي زيادة تلك النفقات لتصبح 4%، الأمر الذي ينبئ بإحتمال استمرارها كقضية خلافية. ويعزز ذلك تمسك ترامب بزيادة مساهمات الأعضاء الآخرين ليس فقط للتخفيف عن كاهل الميزانية الأمريكية، ولكن لحمل دول الحلف على شراء المعدات والأسلحة الأمريكية، حيث أشار ترامب إلى إنه مستعد لمساعدة الدول الأصغر في الحلف على شراء أسلحة أمريكية، وأن بعض الدول الأعضاء الأقل ثراءً استفسرت خلال اجتماعات القمة في بروكسل عما إذا كان بوسعها مساعدتها على شراء عتاد عسكري أمريكي، ولكنه لم يحدد هذه الدول. وأضاف ترامب: «لن نمولها لهم ولكننا سنتأكد من أنهم



أ.د. نورهان الشيخ

أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة

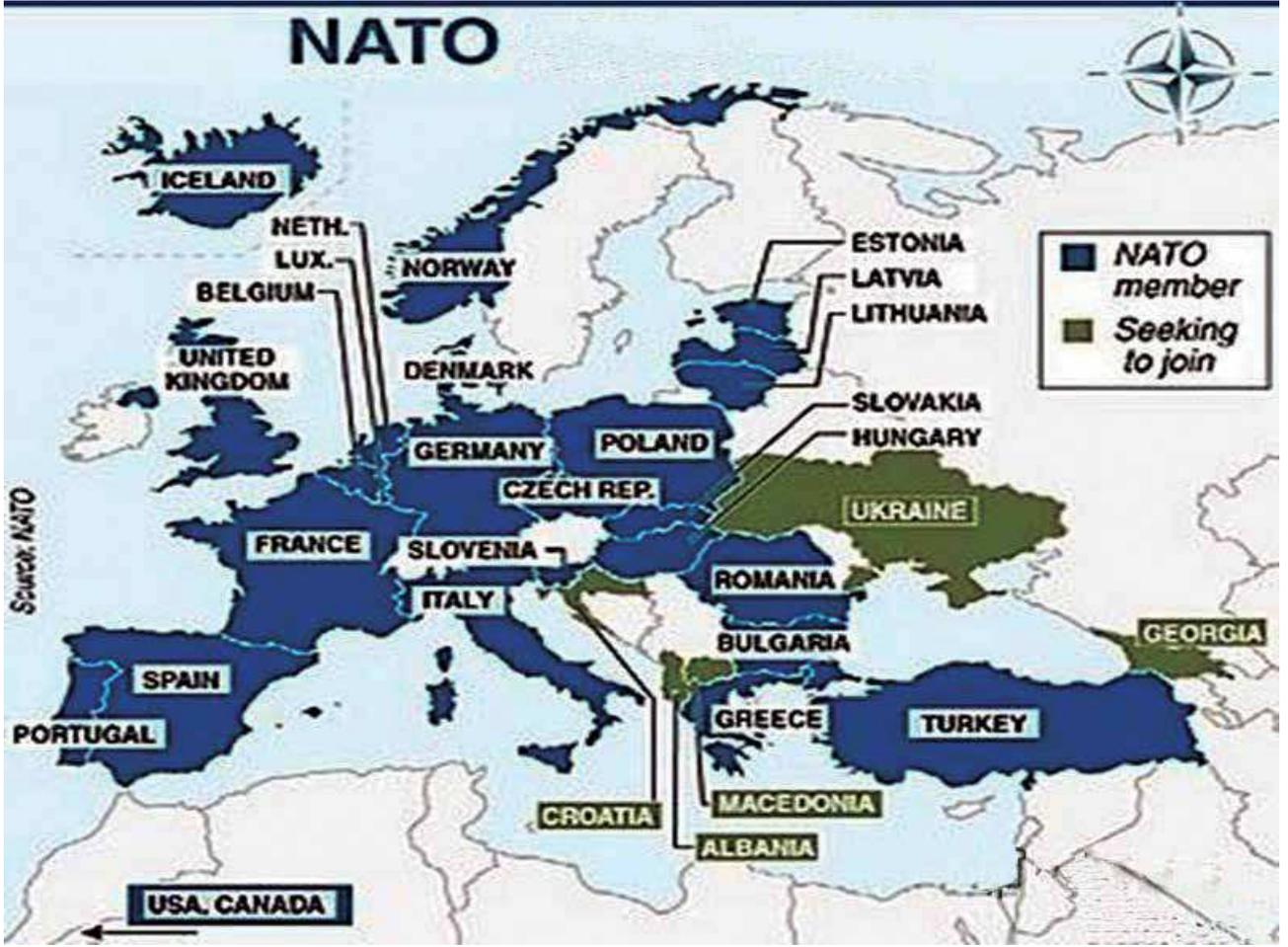
nourhanelsheikh@feps.edu.eg

واعتبر ترامب أن العلاقات التجارية بين واشنطن ودول الحلف «غير منصفة»، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة تساهم بنحو 90% من ميزانية الناتو، ووصل الأمر إلى حد تلويحه بالانسحاب من الحلف، الأمر الذي اعتبره البعض إبتزازاً للشركاء الأوروبيين لزيادة نسبة مساهمتهم في ميزانية الحلف، وهو ما شكل ضغطاً على عدد من دول الحلف الأقل ثراءً، وتلك التي تواجه صعوبات اقتصادية، وأشاع أجواء من التوتر والارتباك بين حلفاء الولايات المتحدة. واعتبر السكرتير العام للحلف أن نسبة 2% «ما زالت تحتاج إلى الكثير من الجهود لتحقيقها»، إذ ما زال إنفاق 15 عضواً في الحلف بينها كندا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبلجيكا على الدفاع

ورغم أن ترامب عاد بعد ثلاثة أشهر، في 13 أبريل 2017، وأكد عقب اجتماعه مع السكرتير العام للحلف، ينس ستولتنبرج، في واشنطن أن الناتو «لم يعد أبداً من الكيانات التي عفا عليها الزمن» متراجعاً بذلك عن تصريحه السابق، ومؤكداً التوجه الذي حكم السياسة الأمريكية على مدى سبعة عقود منذ تأسيس الحلف عام 1949.

### إشكالية المساهمات المالية

ومع ذلك فإن التطورات اللاحقة أوضحت أن هناك معضلات تواجه الحلف. أولها، إشكالية المساهمات المالية للأعضاء. فخلال حملته الانتخابية أشار ترامب إلى أن «الضمانات الدفاعية التي تقدمها واشنطن لأوروبا منذ نحو 70 عاماً قد لا تستمر في ذلك، وإنه سيفكر مرتين قبل مساعدة حلفاء بلاده في الحلف الأطلسي الذين لا يدفعون تكلفة الدفاع عنهم». وفي أول قمة له مع الناتو، يوم 25 مايو 2017، كان الشغل الشاغل لترامب هو تأكيد إعادة النظر في التزامات الولايات المتحدة في إطار الحلف، إذا لم تزد الدول الأعضاء الأخرى في الناتو نفقاتها الدفاعية إلى 2% من ناتجها القومي، وعاد في القمة الأخيرة ببروكسل وطالب بزيادة تلك النفقات لتصبح 4% من الناتج القومي،



سوريا خاصة الجنوب السوري وضم وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وبريطانيا فرنسا وألمانيا والسعودية والأردن ومصر، أن مباحثات ترامب مع بوتين بشأن الوضع السوري لن تكون سهلة. مما أثار مخاوف أعضاء الناتو وتوجههم من أي اتفاقات أحادية قد تعقدتها واشنطن مع موسكو، و«تفكيك» ترامب لقواعد اللعبة المترسخة منذ عقود طويلة. وقد أشار إلى ذلك صراحة منسق الحكومة الألمانية لشؤون التعاون عبر الأطلسي، بيتر باير، في حديث صحفي حيث قال «نحن في الحلف نشعر بقلق متزايد حيال اتفاقات يمكن أن يتوصل إليها ترامب وبوتين في لقاءهما». وأشار باير أيضا إلى أن الدول الأعضاء في الناتو لم يتم إشراكها في التحضير للقمة الروسية الأمريكية وتحديد جدول أعمالها. وكان هذا القلق وراء تأكيد ستولتنبرج في ختام القمة،

وضم أعضاء جدد. فقد ركز قادة الحلف في محادثات اليوم الثاني للقمة على قضيتي أفغانستان وأوكرانيا، بالإضافة إلى السياسات العامة للحلف، ووافقوا على دعوة مقدونيا للبدء في محادثات الانضمام للحلف. هذا في حين لم يبد ترامب اهتماماً كبيراً بهذه القضايا وحضر متأخراً إلى الجلسة التي كانت مخصصة لمناقشة انضمام جورجيا وأوكرانيا للحلف، مما أثار مخاوف الأعضاء من التوجهات الاستراتيجية التي حكمت الحلف لعقود.

### علاقة الحلف مع روسيا

ثانيها، العلاقة مع روسيا، فقد بدأ ترامب جولته إلى هلسنكي حيث لقاؤه مع الرئيس الروسي بوتين، وحيث رأى ترامب إنه لا يستطيع نعت بوتين بالعدو، معتبرا أنه «منافس» له، وأوضح الاجتماع الذي عُقد على هامش قمة حلف شمال الأطلسي لبحث التطورات في

### أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟

قادرون على سداد ثمنها وأشياء أخرى عديدة تسمح لهم بالشراء لأن الولايات المتحدة تصنع بفارق كبير أفضل عتاد عسكري في العالم، كأفضل الطائرات وأفضل الصواريخ وأفضل الأسلحة النارية، وأفضل كل شيء، وذلك في محاولة منه للترويج لمبادرة «اشترى المنتج الأمريكي»، والتي تهدف للتشجيع على إبرام المزيد من صفقات الأسلحة. وقد أثارت المبادرة قلقاً في أوروبا حيث يرى البعض أن زيادة مبيعات الأسلحة هدفاً أساسياً وراء مطالب ترامب المتكررة لدول حلف شمال الأطلسي بزيادة إنفاقها العسكري. كما أبدى حلفاء واشنطن قلقاً كبيراً إزاء مدى حمس ترامب لتوجهات الحلف فيما يتعلق بتوسيع عضويته



في الأفق، وانسحاب واشنطن من اتفاق باريس للمناخ، ورفض التوقيع على الإعلان المشترك لقمة السبعة في كندا. وهجوم ترامب على ألمانيا التي قال إنها أسيرة لروسيا بسبب الخلاف حول خط السيل الشمالي 2 لتوريد الغاز الروسي إلى ألمانيا. وكان الرئيس الأمريكي قد انتقد عبر تغريدة نشرها على حسابه على تويتر يوم 11 يوليو 2018 ألمانيا «التي تدفع لروسيا مليارات الدولارات لقاء الغاز والطاقة». وأكد أنه «من غير الملائم إطلاقاً أن تمول الولايات المتحدة الدفاع الأوروبي في مواجهة روسيا بينما تؤيد ألمانيا، وهي البلد الأوروبي الأكثر ثراء، صفقات غاز مع موسكو.

وواضح ان الناتو يمر بلحظة حرجة في تاريخه تعيد إلى الذاكرة انسحاب فرنسا الديجولية من هيكله العسكرية، إلا إنه من الواضح كذلك أن هناك إرادة أوروبية لصون الحلف واعتبار ترامب وسياساته معادلة صعبة ينبغي التعامل معها بحنكة وحرفية.

مليار دولار، مما أثار حفيظة واشنطن لكون تركيا من أقدم أعضاء الحلف، وعليها التقيد بالمنظومات الغربية، ولأن الصفقة حفزت على تزايد الطلب على المنظومة الروسية من دول أخرى حليفة لواشنطن وليست عضو بالناتو. وفي هذا السياق حذرت واشنطن من تبعات عقد صفقات لشراء أسلحة روسية، وذلك وفقاً لقانون «مواجهة أعداء أمريكا عبر العقوبات الموجهة ضد روسيا وإيران وكوريا الشمالية، والذي وقعه الرئيس ترامب في 2 أغسطس 2017، وبدأ سريانه في 29 يناير من العام الجاري 2018.

وزاد من وقع هذه العضلات إنها جاءت في مناخ مشحون بالتوتر بين واشنطن وحلفائها الأوروبيين على خلفية الخلافات حول انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي الإيراني، والتهديد بفرض عقوبات جديدة على الشركات الأوروبية المتعاملة مع طهران، وظهور شبح الحرب التجارية

على ضرورة اتخاذ إجراءات «أكثر حزماً تجاه روسيا، التي استخدمت القوة ضد جيرانها»، في إشارة إلى الاتهامات الغربية المتكررة لموسكو باستخدام قواتها المسلحة ضد جورجيا عام 2008 وأوكرانيا عام 2014. ويعول أعضاء الناتو على المؤسسات الأمريكية لاسيما البناتجون في تحجيم ترامب وعرقلة إندفاعه الذي لا يرضى عنه المؤسسات الأمريكية الفاعلة.

المعضلة التركية ومنظومة إس 400 ثالثها، المعضلة التركية، فقد فشلت كل من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، ضلعي حلف الناتو الرئيسيين، في التعامل مع تركيا، أحد أهم أعضائه، إلى الدرجة التي باتت تهدد بانسحابها من الحلف إن عاجلاً أو آجلاً. وقد أثارت صفقة منظومة «إس 400» الروسية لتركيا تحفظات أمريكية، ففي سبتمبر 2017 وقعت موسكو وأنقرة اتفاقاً بشأن توريد أنظمة «إس 400» إلى تركيا بقيمة إجمالية تتجاوز 2,5

## العالم العربي والحرب الباردة الجديدة

شنت الولايات المتحدة منذ 6 يوليو الماضي حرباً تجارية ضد الصين، هي الأكبر في تاريخ الاقتصاد العالمي. فقد فرضت إدارة الرئيس دونالد ترامب رسوماً جمركية تصل إلى 25 بالمائة على واردات صينية بقيمة 34 مليار دولار. وردت الصين باتخاذ تدابير مماثلة على واردات أمريكية بنفس القيمة.

العسكرية التي وجهتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا في 14 أبريل ضد النظام السوري رداً على اتهامه بشن هجوم كيميائي على منطقة «دوما» في ضواحي دمشق. كما استخدم رئيس الوزراء الروسي ديمتري ميدفيديف نفس المصطلح في فبراير 2016 عندما قال: «لقد عدنا إلى حرب باردة جديدة»، في إشارة لتدهور العلاقات بين بلاده والغرب بعد ضم موسكو لشبه جزيرة القرم في أوكرانيا والعقوبات التي فرضها الغرب على روسيا في أعقاب ذلك.

### مواجهة الصعود الاقتصادي المتنامي للصين

بهذا المعنى، يعتبر النزاع التجاري بين الولايات المتحدة والصين أحد تجليات هذا التنافس العالمي من أجل الهيمنة. فقد شنت واشنطن، التي تنتهج تحت قيادة ترامب سياسات حمائية اقتصادية، حرباً تجارية على بكين للحد من قدرة الاقتصاد الصيني على التفوق على نظيره الأمريكي، أو على الأقل تأخير توقيت تحقق هذا التفوق. وتشير الدراسات الاستشرافية إلى أن اقتصاد الصين، الذي يحتل الآن المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة، سيصبح أقوى اقتصاد في العالم بحلول عام 2030، حيث سيبلغ الناتج المحلي الإجمالي للصين 38 تريليون دولار بينما سيبلغ نظيره الأمريكي 23.4 تريليون دولار. ومن المتوقع أن تتسع الفجوة مع مرور الوقت بين الدولتين، حيث سيصل الناتج المحلي الإجمالي للصين إلى 58.5 تريليون دولار عام 2050، مقابل 34.1 تريليون دولار للاقتصاد الأمريكي. ومن المؤكد أن القوة الاقتصادية المتنامية للصين ستسمح لها بترجمتها في المستقبل إلى قوة عسكرية كبرى ونفوذ سياسي عالمي. وهذا ما تخشاه الولايات



أ.د. هشام مراد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة  
mouradh890@gmail.com

بين الولايات المتحدة، من جهة، والصين، فضلاً عن روسيا، من جهة أخرى، اللذين يعارضان الهيمنة الأمريكية، اتخذ أشكالاً سياسية واقتصادية وعسكرية متنوعة، واصطلح على تسميته خلال الأعوام القليلة الماضية بـ «الحرب الباردة الجديدة» أو «الحرب الباردة الثانية»، في إشارة إلى حقبة الحرب الباردة (الأولى) التي سادت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام 1945 حتى منتصف ثمانينات القرن العشرين، بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة والكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتي. وقد ظهر مصطلح «الحرب الباردة الجديدة» أو «الثانية» واستخدم مراراً خلال السنوات القليلة الماضية في الدراسات الأكاديمية والمقالات الصحفية وتصريحات المسؤولين السياسيين، مع إشارة خاصة إلى التوتر بين الغرب وروسيا. ففي أبريل الماضي، شدد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش على أن «الحرب الباردة عادت مع الرغبة في الانتقام». وقد أطلق هذا التصريح بمناسبة الضربات

وهذا يعنى أن قيمة بضائع الدولتين الخاضعتين للرسوم الجمركية بلغت حتى الآن 86 مليار دولار. علاوة على ذلك، هدد ترامب بفرض تعريفات جمركية جديدة على ما قيمته 200 مليار دولار من الواردات الصينية. وردت بكين بالقول أنها سترد بالمثل. ودفع هذا الرئيس الأمريكي إلى التهديد بفرض رسوم جمركية على إجمالي واردات الصين إلى الولايات المتحدة، والتي بلغت 505 مليارات دولار العام الماضي.

ولتبرير فرض هذه الرسوم الجمركية، التي هي نوع من العقوبات على الصين، تتهم واشنطن بكين باتباع سياسات تجارية غير عادلة مكنتها من تحقيق فائض تجاري كبير مع الولايات المتحدة بقيمة 375 مليار دولار. وفي هذا الصدد، تتهم الولايات المتحدة الصين بسرقة الأسرار الصناعية للشركات الأمريكية وحقوق الملكية الفكرية والنقل القسري للتكنولوجيا من خلال المشاريع المشتركة وتعتمد إضعاف قيمة عملتها الوطنية (اليوان) لتسهيل دخول الواردات الصينية إلى السوق الأمريكية ... وقد اقترحت واشنطن على بكين إلغاء الرسوم الجمركية على سلعها بشرط الموافقة على عدة مقترحات تحتوي على سلسلة من الشروط التجارية القاسية. وتهدف تلك الشروط، التي يصعب على بكين القبول بها، إلى خفض العجز التجاري الأمريكي مع الصين وخلق نوع من التوازن في التبادل التجاري بين البلدين.

ومهما كان المسار الذي سينتجه هذا النزاع التجاري بين أكبر اقتصادين في العالم، والذي سيلقى بظلاله على الاقتصاد العالمي، فإنه يشير إلى حقيقة أعمق من ذلك وهي التنافس على الزعامة والهيمنة على النظام العالمي. إن هذا التنافس



وستسعى واشنطن في هذا السياق إلى إعاقة طموحات بكين نحو ترسيخ هيمنتها على جنوب شرق آسيا، خاصة من خلال إرسال السفن الحربية إلى بحر الصين الجنوبي وإجراء تدريبات عسكرية مشتركة مع الدول التي تناهض طموحات الصين في المنطقة، مثل الفلبين وفيتنام.

### تراجع مكانة مكافحة الإرهاب في العالم العربي

ليس من المستغرب في ظل هذا التوجه أن يؤكد ترامب في أكثر من مناسبة أن الصين، وكذلك روسيا، أصبحتا خصمين قويين للولايات المتحدة على المستوى العالمي ويسعيان لتقليص هيمنتها على النظام الدولي. لكن السياسة والخبراء الأمريكيين يتفقون على أن التهديد الأكبر على المدى البعيد يأتي من الصين بسبب قوتها الاقتصادية الهائلة، والتي ستنعكس حتماً على قوتها العسكرية ونفوذها السياسي في العالم. وقد أكدت «إستراتيجية الأمن الوطني» التي أعلنتها وزارة الدفاع الأمريكية في ديسمبر الماضي أن الصين وروسيا أضحتا منافسين للولايات المتحدة على القوة والنفوذ وتعملان ضد مصالحها في العالم. كما أكد وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس في يناير الماضي، خلال عرضه لـ «إستراتيجية الدفاع الوطني»، أن التنافس مع القوى الكبرى في العالم، وليس مكافحة الإرهاب، أصبح الأولوية القصوى للأمن الأمريكي.

ويفسر ذلك التراجع النسبي لاهتمام الولايات المتحدة بالعالم العربي والشرق الأوسط بشكل عام وتجنبها المشاركة الفعالة في تسوية نزاعاته. والواقع إن هذا الانسحاب النسبي من المنطقة ليس جديداً هو الآخر، بل يرجع إلى عهد الرئيس السابق باراك أوباما، الذي كانت أولى أولوياته في العالم العربي الانسحاب من العراق. كما إنه تجنب التدخل في النزاعات العسكرية في سوريا وليبيا واليمن. وحذا ترامب حذوه. لكن التهديد المتنامي للإرهاب في العالم العربي، مع توسع داعش وسيطرتها على أراض شاسعة في العراق وسوريا، أجبر واشنطن على تغيير خططها مؤقتاً لمواجهة هذا الوضع غير المتوقع. وبعد هزيمة داعش

آسيا، وتحديداً على السعي للحد من القوة الاقتصادية والعسكرية المتنامية للصين. وقد عرفت هذه السياسة باسم «المحور» أو «إعادة التوازن» العسكري والاقتصادي والديبلوماسية للولايات المتحدة باتجاه آسيا. وينحصر الفارق الأساسي بين الإدارتين الأمريكيتين الحالية والسابقة في الأسلوب أكثر منه في المضمون. فسياسة ترامب أكثر هجومية وأكثر عدوانية. وهو ما يفسر «حربه التجارية» الحالية على الصين. ويشكل «قانون السفر لتايوان» الذي وقعه ترامب في مارس الماضي مثلاً آخر على هذا الأسلوب. وينص القانون على تشجيع تبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين. وهو يناقض التزام واشنطن باحترام «سياسة صين واحدة» التي تعهدت بها منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية مع بكين عام 1979. وقد أثار القانون الجديد غضب بكين التي تعتبر تايوان جزءاً لا يتجزأ من الصين وتطالب بضمها إلى الوطن الأم. وتركز إدارة ترامب أيضاً على القوة العسكرية لردع منافسيها الدوليين ومواجهتهم. فقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية في فبراير الماضي عن زيادة كبيرة في ميزانية الدفاع بنسبة 10% على مدى العامين المقبلين، بعد انخفاضها في السنوات الماضية. ووفقاً لما هو معلن، سيرتفع الإنفاق العسكري الأمريكي إلى ما يزيد عن 716 مليار دولار وسيضمن تطوير أسلحة نووية جديدة.

المتحدة وتسعى إلى منعه أو تأخيرها بكافة الوسائل.

وتؤكد الوقائع الراهنة هذا الاحتمال لتنامي القوة الشاملة، وليس فقط الاقتصادية، للصين. ففيما يتعلق بالقوة العسكرية، تظل الولايات المتحدة في طليعة الإنفاق العسكري في العالم بقيمة 610 مليارات دولار في عام 2017، أي ما يعادل 35% من الإنفاق العسكري العالمي، تليها الصين بـ 228 مليار دولار، أو 13% من الإنفاق العسكري العالمي. وعلى الرغم من هذا الفارق الشاسع بين الدولتين، فإن نظرة فاحصة إلى البيانات تفيد بالتقلص التدريجي لتلك الفجوة بين البلدين على مدى السنوات القليلة الماضية. فوفقاً لإحصائيات معهد ستوكهولم لدراسات السلام، احتلت الصين المرتبة الأولى في العالم في النسبة المئوية للزيادة في الإنفاق على التسلح، بما يعادل 110% خلال الفترة من 2008 إلى 2017. وبينما كان إنفاق الصين على التسلح يمثل 5.8% فقط من الإنفاق العالمي خلال الفترة من 1999 إلى 2008، قفز الآن إلى 13%، في حين تقلصت حصة الولايات المتحدة في نفس الفترة من 42% إلى 35%.

هذا النهج من إدارة ترامب نحو احتواء قوة الصين المتصاعدة ليس جديداً. ففي عام 2011، أعلن الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما عن إستراتيجية جديدة لسياسته الخارجية تستند على التوجه نحو

## العالم العربي والحرب الباردة الجديدة



فى العراق وسوريا خلال الأشهر الأخيرة، بفضل مشاركة العديد من القوى الإقليمية والدولية فى التحالف العسكرى ضد المنظمة الإرهابية، أعادت الولايات المتحدة التركيز على التهديد الأكبر لهيمنتها على العالم، والمتمثل فى النمو السريع لقوة الصين وكذلك فى التواجد المتزايد لروسيا على الساحة العالمية.

وتعد المؤسسة العسكرية الأمريكية مسؤولة إلى حد كبير عن هذا التوجه الجديد للسياسة الخارجية. فقد وفرت حقبة الحرب الباردة الأولى بيئة خصبة جدا لازدهار شركات تصنيع السلاح الأمريكية. وشكلت مكافحة الشيوعية، التى مثلها الاتحاد السوفييتى والصين ودول حلف وارسو وحلفاؤهم فى العالم الثالث، تبريراً مناسباً وكافياً لإنفاق مليارات الدولارات على شراء الأسلحة الثقيلة باهظة الثمن مثل حاملات الطائرات والدبابات والصواريخ الباليستية والمقاتلات المتقدمة... إلخ. ومن الصحيح أن الولايات المتحدة أنفقت مليارات الدولارات على الحرب على الإرهاب خلال الأعوام الماضية. لكن هذه الحرب لا تتطلب تلك الأسلحة الثقيلة الضرورية فى حالة اندلاع نزاع مسلح مع القوى الكبرى المنافسة وجيوشها النظامية، مما أدى لتراجع الطلب عليها. لكن مع تغير الإستراتيجية الأمنية الأمريكية للتركيز على الصين وروسيا، وجد الجيش الأمريكى ضالته، أى العدو الذى يفضل. وقد اعترف بذلك مسئول عسكرى أمريكى حين صرح لصحيفة «نيويورك» قائلاً: «نحن نحب وضوح الحروب الكبيرة».

### مصاعب احتواء العودة الروسية

وينطبق ما سبق بصفة خاصة على التنافس مع روسيا بسبب ثلاثة عوامل، أولها العودة القوية لروسيا على الساحة العالمية وممارستها لأدوار دولية نشطة فى مناطق نزاعات متعددة، خاصة أوكرانيا وسوريا، وبالتالي اصطدامها بمصالح الولايات المتحدة والغرب عموماً. ويتمثل العامل الثانى فى تاريخ العداء

الشديد بين واشنطن وموسكو طوال عقود الحرب الباردة الأولى، وهو ما خلف بيئة خصبة للتجدد السريع للنزاع على النفوذ والمكانة الدولية بين القوتين. أما العامل الثالث فيتمثل فى القوة العسكرية الكبيرة التى تتمتع بها روسيا، وهى كذلك من مخلفات الاتحاد السوفييتى السابق والحرب الباردة الأولى. وتسوق المؤسسة العسكرية الأمريكية تلك الحجة تحديداً لتبرر موقفها المناهض لموسكو. فعلى الرغم من الضعف النسبى لاقتصاد روسيا مقارنة بنظيره الأمريكى، تبقى روسيا قوة عسكرية ونووية هائلة، تحل فى المرتبة الثانية عالمياً خلف الولايات المتحدة. وفى ظل مناخ الحرب الباردة السائد حالياً، زادت موسكو من ميزانيتها العسكرية بنسبة 32% فى عام 2018. ووفقاً للإحصاءات التى نشرها مؤخراً معهد ستوكهولم الدولى لأبحاث السلام، حافظت روسيا على موقعها كثنانى مصدر للسلاح فى العالم بين عامى 2013 و 2017، بنسبة 22% من السوق العالمى للسلاح وراء الولايات المتحدة (34%)، ولكن قبل الصين التى تحل فى المرتبة الخامسة (5.7%).

وتختلف الطبقة السياسية الحاكمة فى الولايات المتحدة فى تقدير خطورة سياسات موسكو على المصالح الأمريكية. فالرئيس السابق باراك أوباما كان يعتبر روسيا قوة دولية من الدرجة الثانية لأسباب مختلفة. أولها هو أن الاقتصاد الروسى اليوم أضعف بكثير وبعيد عن القدرة على المنافسة مع نظيره الأمريكى. فالنتائج المحلى الإجمالى لروسيا لا يتعدى

اليوم 1.2 تريليون دولار بينما يتجاوز نظيره الأمريكى 18.6 تريليون دولار. وخلال الحرب الباردة الأولى، وتحديداً فى الفترة من 1960 إلى 1975، كان اقتصاد الاتحاد السوفييتى يعادل ما بين 49% و 57% من اقتصاد الولايات المتحدة. وبالنسبة لأوباما والتيار السياسى الذى يمثله، فإن روسيا أصبحت أصغر جغرافياً وأكثر ضعفاً دبلوماسياً وعسكرياً عما كان عليه الأمر خلال عهد الاتحاد السوفييتى، إذ أن العديد من البلدان التى اعتمدت عليها موسكو كمناطق عازلة وأسواق خلال الحرب الباردة الأولى بدلت تحالفاتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتى وانضمت إلى حلف شمال الأطلسى و/ أو الاتحاد الأوروبى. وأخيراً فإن روسيا، خلافاً للاتحاد السوفييتى، أصبحت مدمجة فى الاقتصاد العالمى، وهو ما يعطى الولايات المتحدة والغرب نفوذاً أكبر عليها من نى قبل، خاصة وأن الاقتصاد الروسى يفتقر للتنوع الذى يمنحه القوة والمنعة ويعتمد بشدة على منتجات الطاقة، أى الغاز الطبيعى والنفط، الأمر الذى يمنح الغرب وسائل ضغط لم تكن متاحة خلال عهد الاتحاد السوفييتى. وقد تجلى ذلك فى العقوبات الاقتصادية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوروبية على موسكو بعد ضمها لشبه جزيرة القرم فى عام 2014 ودعمها للانفصاليين فى شرق أوكرانيا. ويرى الغرب إن تلك العقوبات أضرت بالاقتصاد الروسى، الأمر الذى لم يكن متاحاً خلال حقبة الحرب الباردة الأولى. وتطبيقاً لشعار حملته الانتخابية

بعد التدخل العسكري الغربى عام 2011 ضد القذافى، لا تريد روسيا أن تخسر حليفها الرئيس بشار الأسد فى سوريا. ويفسر ذلك التدخل العسكرى الروسى لصالح النظام السورى منذ 30 سبتمبر 2015، عندما شعرت موسكو أن حليفها أصبح قاب قوسين أو أدنى من فقدان السيطرة تماما على البلاد أمام هجمات المعارضة العسكرية التى تتلقى الدعم السياسى والعسكرى والتدريب من الغرب وبعض القوى الإقليمية. وربما أدى التدخل العسكرى الروسى لإطالة أمد الحرب، لكنه غير ميزان القوى لصالح دمشق، مما خلق واقعاً جيوسياسياً إقليمياً جديداً.

ومع التدخل الروسى، اكتسى النزاع السورى بعداً طالما ميز النزاعات الدولية فى فترة الحرب الباردة الأولى، إذ أصبح إلى حد بعيد «حرباً بالوكالة» بين الغرب وروسيا، بمشاركة أطراف إقليمية قريبة من هذا الطرف أو ذاك، تسعى هى الأخرى لتحقيق مصالحها. وكانت النتيجة المباشرة لذلك هى تعثر وتراجع دور الجهود الدبلوماسية -الهادفة إلى تسوية سياسية للنزاع- بين روسيا والولايات المتحدة إلى أدنى حد ممكن. فقد أصبح هناك مساران متنافسان للتسوية السياسية للنزاع السورى أحدهما فى جنيف بمشاركة الدول الغربية والآخر فى أستانا (كازاخستان) برعاية روسيا. ومع انسداد القنوات الدبلوماسية، لجأت موسكو وواشنطن لفتح قنوات التواصل والتنسيق العسكرى لتجنب المواجهة المباشرة بينهما. فبدلاً من الدبلوماسية التى يفترض أن تقود الطريق فى العلاقات الثنائية بين الدولتين، يتولى العسكرى الروس والأمريكيون الآن مسئولية تنفيذ عمليات خفض التصعيد فى المناطق المتفق عليها فى سوريا. وهكذا أدى العداء والصراع السياسى بين الدولتين إلى فراغ كبير فى العلاقات الدبلوماسية بينهما انعكست آثاره على تعثر جهود التسوية السياسية فى سوريا. ولم يحافظ البلدان سوى على منبر الحوار الوحيد الذى يجنبهما خطر المواجهة العسكرية المباشرة.



مشروع القانون الذى وصفه بأنه «معيب بشكل خطير» و«غير دستوري»، لأنه كان يعلم أن الأغلبية المؤيدة للمشروع داخل الكونجرس لديها ما يكفى من الأصوات لتجاوز الفيتو الرئاسى. وعلى الرغم من قناعات ترامب تلك، ترى المؤسسة السياسية والعسكرية فى واشنطن إن روسيا تشكل تهديداً خطيراً للمصالح الأمريكية. فقد وصفت وثيقة «إستراتيجية الأمن الوطنى» روسيا بأنها قوة تسعى لتغيير الأوضاع السائدة فى العالم، أى تلك المعبرة عن الهيمنة الأمريكية، بينما أكدت «إستراتيجية الدفاع الوطنى» إن الولايات المتحدة دخلت فى «منافسة إستراتيجية» مع موسكو. لاشك أن بوتين يناهض الهيمنة الأمريكية على العالم ويسعى لإيجاد مكانة أكبر لبلاده على الساحة الدولية ولإقامة عالم متعدد القطبية بدلاً من ذلك الذى تهيمن عليه الولايات المتحدة وحلفاؤها فى أوروبا الغربية. وقد أقام بوتين فى سبيل ذلك تحالفاً موضوعياً، أى تجمعه المصلحة، مع الصين. ولكن خلافاً لحقبة الحرب الباردة الأولى، عندما كانت بكين هى الشريك الأصغر للاتحاد السوفييتى، فإن روسيا هى التى تلعب اليوم هذا الدور فى الحرب الباردة الجديدة.

### النزاع السورى كحرب بالوكالة

تركت «الحرب الباردة الجديدة» بين الولايات المتحدة وروسيا بصماتها على العالم العربى والشرق الأوسط، خاصة على النزاع فى سوريا. فبعد أن خسرت موسكو أنظمتها حكم حليفة لها فى العراق، بسبب الغزو الأمريكى عام 2003، وفى ليبيا،

«أمريكا أولاً»، التى تعنى واقعياً الانسحاب من شئون العالم، سعى ترامب طويلاً إلى بناء صداقة قوية مع نظيره الروسى فلاديمير بوتين كوسيلة لحل الأزمات التى تعصف بالعالم. فهو أبدى مراراً إعجابه بقوة النظام السلطوى لبوتين. ومع ذلك فقد أجبره الكونجرس ومؤسسات الدولة القوية، بما فى ذلك الجيش وأجهزة الاستخبارات، على اتخاذ موقف حازم ضد العديد من الاتهامات الموجهة لموسكو والتحديات التى تفرضها السياسات الروسية على المصالح الأمريكية، بما فى ذلك التدخل المفترض فى انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة فى 2016. وقد اضطر الرئيس الأمريكى فى مارس الماضى للإعلان عن فرض عقوبات على روسيا، تنفيذاً لقانون بشأن العقوبات ضد موسكو أصدره ترامب على مضض فى أغسطس الماضى، بعد أن تبناه بما يقارب الإجماع مجلسا النواب والشيوخ. وقد نص القانون على أن تقوم إدارة ترامب بتحديد ومعاينة الشركات والأفراد الذين يتعاملون مع قطاعى الدفاع والاستخبارات فى روسيا. وكان الكونجرس يريد معاينة موسكو بسبب تدخلها المزعوم فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية وسياستها فى أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وسوريا، ولذلك قام بضم روسيا إلى إيران وكوريا الشمالية فى مشروع قانون عام حول العقوبات فى أغسطس الماضى. وكان ترامب يعارض هذا المشروع لأنه كان يرى أنه يتعدى على سلطاته الرئاسية ولأنه لم يكن يريد جعل العلاقات مع روسيا أكثر صعوبة مما كانت عليه بالفعل. ومع ذلك اضطر للتوقيع على

## اتفاقية المركز القانوني الخاص لبحر قزوين

عقد زعماء دول بحر قزوين الخمسة روسيا، وإيران، وكازاخستان، وتركمانستان، وأذربيجان، يوم 12 أغسطس 2018، في أكتاو، بكازاخستان اتفاقا حول المركز القانوني لبحر قزوين، عده كافة بأنه اتفاق تاريخي، وذلك بالنظر لإجماع الدول الخمسة المتشاطئة للبحر على أن البحر يتمتع بنظام قانوني خاص، وذلك حسما للنزاع القانوني السياسي بين هذه الدول ما بين فريق يصر على أن قزوين بحيرة دولية، وفريق آخر يراه بحرا مغلقا، وبما تفضى إليه النظرتان المختلفتان من آثار وتداعيات جد مهمة.

لثروات البحر الهائلة من دون التوصل لاتفاق قانوني يحسم طبيعة ذلك البحر، حيث أعاققت هذه العقدة القانونية الدول الخمسة عن تحقيق إنجازات تنموية ضخمة على مدار سنوات طويلة. فلقد أظهر الواقع الجديد أن استمرار النظام القانوني القديم لبحر قزوين لا يتماشى مع التطورات الجيوسياسية بالمنطقة، خصوصا مع بروز معطيات جديدة متمثلة في مصادر الطاقة التي تعتبر المحرك الأساسي لهذا النزاع.



د. أيمن سلامة  
أستاذ القانون الدولي

aiman\_salama@yahoo.com

فالاتفاقية تشكل إنجازا نوعيا وإستراتيجيا لدول المنطقة، بعد مخاض عسير من المفاوضات الشاقة بين دول ذات رؤى ومصالح متغايرة بشأن المركز القانوني للبحر، فالاتفاقية أكدت على أن قزوين بحر مغلق ذو نظام خاص، وهذا يعنى عدم خضوعه للنظام القانوني للبحار المغلقة الذي تحدده المادة 122 من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، وهنا فنظام البحر القانوني وكيفية استغلال موارده المختلفة يخضع لإرادة أطراف الاتفاقية المنعقدة، وذلك لا يشكل انتهاكا لمبادئ القانون الدولي العام. وفيما يتعلق بالزعم السابق الذي تبنته بعض دول البحر أنه بحيرة دولية وليس بحرا مغلقا، فنشير أنه لا توجد اتفاقيات دولية خاصة بكيفية تقسيم البحيرات الدولية بين الدول المتشاطئة عليها، وهنا يطبق العرف الدولي في حالة عدم وجود اتفاقيات دولية بين هذه الدول، وربما يكون ذلك السبب في رفض هذه النظرة.

### قزوين بحر مغلق ذو نظام خاص

وفى ذات السياق، فمن الضروري الإشارة إلى أن الباعث الرئيسي لتوقيع مثل هذه الاتفاقية، هو تيقن الدول الخمسة أنه من المحال البحث، والاستكشاف، والتنقيب، والاستغلال



## БЕСІНШІ КАСПІЙ САММІТІ 2018 жылғы 12 тамыз, Ақтау



# The Caspian Five

قادة بحر قزوين يتفقون على اقتسام ثرواته..

«أن قمة دول بحر قزوين الخامسة تتمتع بأهمية استثنائية ومغزى تاريخى، وتضمن الاتفاقية عدم وجود أية قوى غير إقليمية على البحر».

أما الصين، دولة الجوار العظمى، فتتظر بترقب للاتفاقية التي تهتم بموضوع خطوط الأنابيب الذي لم يتم التركيز عليه، حيث تهتم باستثماراتها في مجال الطاقة في كل من كازاخستان وأذربيجان، فضلا عن أطر النقل البحرى في بحر قزوين، والذي يصب في مصلحة الصين، المهمة، بمشروع الحزام والطريق، بزيادة عبور بضائعها عبر بحر قزوين من خلال إنشاء ممر دولى للنقل عابر لهذا البحر.

وختاما، فإننا نرى أنه وبالرغم من أهمية الاتفاقية التي تجمع ولأول مرة كافة دول بحر قزوين، إلا أنها ستظل اتفاقية مبادئ إدارية نظمت جملة من المسائل والقضايا المهمة، وأغفلت المسائل الأهم التي أغفلتها أيضا الاتفاقيات القديمة بين إيران والاتحاد السوفيتى السابق، ويأتى فى الصدارة من هذه المسائل تعيين الحدود البحرية فى قاع البحر، بما يترتب عليها من مصالح وأرباح عديدة، وهو ما يتطلب عقد اتفاقيات جديدة تنظم أموراً عديدة أخرى.

دول بحر قزوين، إلا أن إصرار الدول الأطراف فى هذه الاتفاقية على تحقيق أقصى منافعها من البحر لم يخفت، فقد سلمت طهران الدول الأربعة الأخرى إعلانا تفسيريا حول الموقف الإيراني من الاتفاقية، والذي تتمسك من خلاله بالاتفاقيات التاريخية التي عقدتها إيران مع الاتحاد السوفيتى السابق. كما تنظر روسيا، مثل إيران، بشكل أساسى إلى بحر قزوين على أنه مجال لمصالحها الجيوسياسية عند تقاطع العديد من المناطق المهمة. بينما كازاخستان وأذربيجان ترهنان أكثر على مصالحهما الاقتصادية المتعلقة باستخراج المواد الخام، بما فى ذلك مشاركة شركات النفط والغاز الغربية. لكن موسكو وطهران لا يشغلها تطوير النفط والغاز فى المنطقة، بمقدار وضع عقبات أمام وجود قوات عسكرية أجنبية فى بحر قزوين.

### الحفاظ على نفوذ روسيا الإقليمي

ومن جانب آخر، فإن إعلان الرئيس الروسى بوتين، عقب قمة دول بحر قزوين الخامسة يظهر الحرص القوى للكرملين على الحفاظ على نفوذ روسيا الإقليمي داخل بحر قزوين، ورفض تواجد أية قوة عسكرية أجنبية خاصة من الناتو. حيث صرح الرئيس بوتين

هذه المعطيات، تبرز أهمية التوصل إلى إطار قانونى جديد ينظم العلاقة بين الدول المشاطئة لبحر قزوين. وتكتسب الاتفاقية أهمية بالغة على المستوى الاقتصادى، حيث تنص على تنفيذ الحقوق السيادية لاستخدام باطن الأرض ومد الأنابيب والكابلات تحت الماء وغير ذلك، وكذا حرية العبور لجميع وسائل النقل المنصوص عليها فى الاتفاقية، وبالتالي فهي تفتح أمام الدول الموقعة فرصا كبيرة لتطوير البنى التحتية للطرق والسكك الحديدية فى البحر وخطوط الأنابيب.

ويتوقع أن تسهل الاتفاقية مسار المحادثات لبناء خط أنابيب للغاز عبر البحر يمتد من تركمانستان إلى أذربيجان لتسهيل المبيعات إلى أوروبا، كاستغلال أمثل للمخزون الهائل من النفط والغاز الطبيعى الذى تزخر به المنطقة. فبحر قزوين يعد أكبر مسطح مائى مغلق على الأرض حيث تبلغ مساحته نحو 370 ألف كيلومتر مربع، وأقصى عمق له 890 مترا. ويمثل ثانى أكبر وأغنى بحر بثروات النفط والغاز فى العالم بعد الخليج العربى، كما أنه يزخر بثروة هائلة من الذهب والنحاس واليورانيوم. وبالرغم من التوصل إلى الاتفاقية المهمة فى حاضر ومستقبل

## شراكة متجددة بين مصر والبرتغال

ترتبط مصر والبرتغال بعلاقات تاريخية طيبة ومستقرة في مختلف المجالات وتجمعهما دوائر اهتمام أهمها عضوية البلدين بالاتحاد من أجل المتوسط والاهتمام المشترك بالقضايا الإفريقية والتنسيق والتشاور في المحافل الدولية.



سفير على العشري

alielashiry@hotmail.com

قيم التسامح والحوار بين الحضارات والثقافات. كما زار رئيس البرتغال كاتدرائية العباسية والتقى بقداسة بابا الإسكندرية وبطيريك الكرازة المرقسية وتناول اللقاء التأكيد على أهمية التسامح والحوار وتعزيز قيم المواطنة وتم تقديم الدعوة لقداسته لزيارة البرتغال في المستقبل القريب. كما زار فضيلة الإمام الأكبر البرتغال في مارس 2018 حيث التقى بالرئيس البرتغالي وشارك في احتفالات مرور خمسين عاما على تأسيس الجمعية الإسلامية في لشبونة. فجدير بالذكر أن عدد المسلمين في البرتغال يقدر بنحو خمسين ألفا معظمهم من أصول إفريقية وآسيوية. وقد تم أيضا الاتفاق على استئناف علماء المصريين البرتغاليين أعمال الحفريات والبحث عن الآثار بمصر.

وعلى صعيد العلاقات العربية البرتغالية، وخلال زيارة أمين عام الجامعة العربية في أبريل 2018 لحضور مؤتمر حول التعليم العالي في أوقات الطوارئ في إطار مبادرة الرئيس البرتغالي الأسبق جورج سمبايو بإنشاء المنصة الدولية لدعم الطلاب السوريين، فقد أكد الرئيس البرتغالي أن البرتغال مؤهلة لأن تكون همزة الوصل بين العالمين العربي والأوروبي بحكم علاقاتها التاريخية مع العالم العربي التي تعود إلى عصر الأندلس وتفهمها للقضايا العربية والتاريخ الممتد من التنسيق في المحافل الدولية، والبرتغال كما قال رئيسها ستظل تعزز بإرثها العربي وكما قال الشاعر البرتغالي فيرناندو بيسوا فإن الشعب البرتغالي مازال وسيظل يحتفظ بالروح العربية.

في إطار ما توفره اتفاقية المشاركة المصرية الأوروبية من فرص لتعزيز التبادل التجاري، وقد شهدت التجارة البينية بين مصر والبرتغال زيادة كبيرة العام الماضي لترتفع بنسبة 35% عن العام الذي سبقه، فضلا عن إمكانيات الاستفادة من الخبرات البرتغالية في تقديم الحلول التكنولوجية والمبتكرة في مختلف المجالات في مقدمتها التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والطاقة المتجددة والتحديث والإصلاح الإداري.

على الصعيد الثقافي والديني، قام الرئيس البرتغالي أثناء زيارته إلى مصر بزيارة الجامع الأزهر ومقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتم التأكيد على الحرص على تعزيز التعاون بين جامعة الأزهر والجامعات البرتغالية وإشادة رئيس البرتغال بدور الأزهر وفضيلة الإمام الأكبر في نشر قيم التسامح والوسطية والاعتدال وإشادة فضيلة الإمام الأكبر من جانبه بما يشهده المجتمع البرتغالي من روح التسامح والتفاهم، كما ألقى الرئيس البرتغالي محاضرة بجامعة الأزهر حول

وقد شهد عام 2016 نقلة نوعية على صعيد العلاقات الثنائية بدءاً بقيام الرئيس السيسي بزيارة تعد أول زيارة ثنائية لرئيس مصرى للبرتغال منذ أربعة وعشرين عاماً والتي تمت تلبية لدعوة الرئيس البرتغالي، وتقديراً من جانب مصر لموقف البرتغال المؤيد للإرادة الشعبية المصرية في 30 يونيو 2013. وكان من أهم نتائج الزيارة اتفاق الرئيسين على عقد الجولة الأولى للجنة المشتركة بالقاهرة في أكتوبر 2017 وتم خلالها التوقيع على عدد من الاتفاقات ومذكرات التفاهم في مجالات الخدمات الجوية والسياحة والشباب والأرشفة الدولية والتعاون الثلاثي في إفريقيا بين الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية ومؤسسة كامويش (الذراع الثقافي لوزارة الخارجية البرتغالية)، فضلا عن عقد المنتدى الأول لرجال الأعمال المصري-البرتغالي بحضور عدد كبير من ممثلي الشركات ورجال الأعمال البرتغاليين ونظرائهم المصريين. ثم جاءت زيارة الدولة للرئيس البرتغالي مارسيلو دي سوزا لمصر في أبريل 2018 حيث حرص الرئيس البرتغالي على أن يكون أول الرؤساء المهنيين للرئيس بمناسبة إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية، وتم خلال الزيارة التوقيع على مذكرات تفاهم للتعاون بين الهيئة العامة لتنمية المنطقة الاقتصادية لقناة السويس ونظيرتها البرتغالية والتعاون بين جامعتي عين شمس وبورتو، والإعلان عن تأسيس جمعية الصداقة البرلمانية بين البرلمانيين.

فعلى الصعيد الاقتصادي والتجاري هناك إمكانات واعدة لتطوير العلاقات

# الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

الصين تدعم تأسيس دولة فلسطينية على حدود 1967،  
عاصمتها القدس الشرقية وتتمتع بسيادة واستقلالية تامتين

إن مفهوم بناء مجتمع «المصير المشترك للبشرية» باعتباره من الحكم والخطط الصينية فى الحوكمة العالمية له جذور ثقافية عميقة ومحتويات فكرية غنية، حيث تضمن مفاهيم جديدة فى التعاون الدولى، والنظام الدولى، والتنمية، والأمن، والحضارة. كما أنه رسم الاتجاه الصحيح للحوكمة العالمية المستقبلية. ومن المعروف أن الحوكمة فى الشرق الأوسط من الحلقات الضعيفة والأولويات التى هناك حاجة لإصلاحها فى الحوكمة العالمية.

فى المصير البشرى المستقبلى، ولم يطرح أسئلة عن العالم: ماذا حدث للعالم؟ وكيف نفعل؟ فحسب، بل أجاب عنها بإجابة واضحة شاملة، ورسم الاتجاه الصحيح والطريق القويم لإصلاح الحوكمة العالمية المستقبلية مساهماً بالحكم والخطط الصينية.

إن منطقة الشرق الأوسط تواجه العديد من مشاكل الحوكمة الإدارية والاجتماعية؛ إذ تكثر فيها أعمال العنف والإرهاب، إضافة إلى أن بعض الدول فيها تعاني التخلف والفقر، وحتى الأخرى تشكو من ويلات الكوارث الإنسانية. وبدأ الناس يتساءلون: ماذا حدث للشرق الأوسط؟ وإلى أين يتجه؟ هذا هو السؤال عن الشرق الأوسط الذى يفرض نفسه أمام العالم بين حين وآخر. وهو سؤال من «الأسئلة عن العالم». وتعتبر حوكمة الشرق الأوسط حلقة من أهم الحلقات فى الحوكمة العالمية، فجميع قضاياها من الأمن والسلام واللاجئين والإرهاب والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لها علاقة وثيقة بالحوكمة العالمية، لذا لو لم تنجح حوكمة الشرق الأوسط فلن تنجح الحوكمة العالمية.

إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» قد أجاب عن «الأسئلة عن العالم» بما فيها «السؤال عن الشرق الأوسط»، وهو يدعو إلى الحوكمة العامة وشعارها السلام المستدام والأمن الشامل والتنمية المشتركة والتعايش السلمى بين شعوب العالم، مقررراً مفاهيم جديدة للنظام والأمن والتنمية والحضارة، ومساهماً



د. دينج جون  
أستاذ بمعهد دراسات الشرق الأوسط،  
جامعة شانغهاي للدراسات الدولية  
aldingjun@163.com

الصينى الذى عقد فى أكتوبر 2017 الإستراتيجية الجديدة لمشاركتها فى الحوكمة العالمية، وأكدت أنها ترفع راية السلام والتنمية والتعاون والتنافع ملتزمة فى ذلك بطريق التنمية السلمية ودافعة إلى «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية». إن هذا المفهوم من الحكم والخطط والخطط الصينية فى الحوكمة العالمية له جذور ثقافية عميقة ومحتويات فكرية غنية؛ حيث تضمن مفهومين جديدين فى التعاون الدولى والنظام الدولى، إضافة إلى نظريات جديدة فى التنمية والأمن والحضارة، كما أنه رسم الاتجاه الصحيح للحوكمة العالمية المستقبلية. فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ينطلق من منظور عالمي؛ إذ هو يتوافق مع اتجاه التنمية السلمية فى العالم الحالى، ويواجه مختلف الأزمات والتحديات العالمية، ويفكر جدياً

وقد برز دور الصين فى دفع حوكمة المنطقة يوماً بعد يوم باعتبارها قوة صاعدة عظمى فى المجتمع الدولى. وإن مفهوم «بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية» ومبادرة «الحزام والطريق»، اللذان طرحتهما الصين لم يكونا متوافقين مع تقاليد تاريخية وقيم ثقافية فى المنطقة التى تتمتع بحضارات متنوعة ومتعايشة فحسب، بل إنهما يليان مطالب واقعية لشعوبها؛ حيث سيلعبان دور القيادة الإستراتيجية لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة من ناحية، ويقدمان مساهمة فى حل مشاكل التنمية السلمية فى المنطقة، ويقودان شعوبها إلى طريق السلام المستدام والأمن الشامل والتنمية المشتركة من ناحية أخرى. فقد أعلن رئيس الصين شى جين بينج فى الخطاب الذى ألقاه فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربى أن الجانب الصينى يحرص على تعزيز التواصل مع الجانب العربى بشأن الإستراتيجيات والعمل معاً على بناء «الحزام والطريق»، بما يصبون السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط ويحقق العدالة والإنصاف ويدفع التنمية المشتركة ويستفيدان من بعضهما البعض كصديقين حميمين، مع بذل جهود مشتركة لإقامة المجتمع الصينى العربى للمصير المشترك، بما يساهم فى تحقيق مجتمع المصير المشترك للبشرية. لقد أقرت الحكومة الصينية خلال المؤتمر الوطنى الـ 19 للحزب الشيوعى

المشترك». وبين الرئيس شى جين بينج الدور الذى ستلعبه الصين؛ حيث قال: «نكون بانين للسلام فى منطقة الشرق الأوسط، ودافعين لتنميتها، ومساهمين فى تطوير صناعتها، وداعمين لتثبيت استقرارها، وشركاء فى تعزيز تفاهم شعوبها». فمن الواضح أن التعاون مع دول الشرق الأوسط والعمل مع المجتمع الدولى جنباً إلى جنب من أجل حل المشاكل فى حوكمة الشرق الأوسط وتعزيز سلام وتنمية المنطقة هو نقطة الانطلاق والنهاية لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة.

### مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تؤكد ضرورة الإسراع فى حل القضايا الجذرية للسلام فى المنطقة

إن القضية الفلسطينية هى أبرز المشاكل المتبقية الكبرى فى الحوكمة العالمية للقرن الـ 20، فباعتبارها من القضايا الكبرى المضطربة إلى حلها فى حوكمة الشرق الأوسط وحتى فى الحوكمة العالمية «فإنها قضية جذرية للسلام فى الشرق الأوسط. وإذا أراد المجتمع الدولى تهدئة الوضع ووقف الصراع، فيجب عليه الدفع باستئناف مفاوضات السلام وتنفيذ اتفاقيات السلام من جهة، والالتزام بالعدل والعدالة وإحقاق الحق من جهة أخرى، ولا يمكن الاستغناء عن أى من الاثنين، إذ بدون العدل والعدالة، لن تؤدي أية اتفاقية للسلام إلا إلى سلام بارد حتى ولو كانت قادرة على تحقيق ذلك. ويجب على المجتمع الدولى الوقوف إلى جانب الحق والعدالة وتعويض الظلم التاريخى بأسرع وقت ممكن» (كلمة الرئيس الصينى شى جين بينج فى مقر جامعة الدول العربية).

إن الصين كانت دوماً مؤيدة قوية للقضايا العادلة للشعب الفلسطينى، وقد طرح الرئيس الصينى خلال محادثاته مع الرئيس الفلسطينى الزائر محمود عباس فى 18 يوليو 2017 أربع نقاط لدفع حل القضية الفلسطينية، الأول: التمسك بـ«حل الدولتين» كأساس للحل السياسى، والثانى: التمسك بمفهوم أمنى مشترك شامل وتعاونى ودائم، والثالث: دفع جهود المجتمع الدولى وتعزيز قوى السلام، والرابع: دعم السلام من خلال التنمية إلى جانب دفع المفاوضات السياسية. وهذه النقاط الأربعة تسدل بوضوح على موقف ومبدأ الصين من حل القضية الفلسطينية،



### الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

الحكومة العامة والتنمية المستقرة. وفى يناير عام 2016، قام الرئيس الصينى شى جين بينج بزيارة جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وغيرها، وألقى خطاباً مهماً فى مقر جامعة الدول العربية، وبيّن فى خطابه مفهوم وإستراتيجية مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط. وفى الوقت نفسه أصدرت الحكومة الصينية «وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية»، وقررت من خلالها مفهوم العمل القائم على مبادئ السلام والإبداع والريادة والحوكمة والتمازج. ومن جراء زيارة الرئيس الصينى شى جين بينج للشرق الأوسط وإصدار حكومة الصين وثيقتها السياسية تجاه الدول العربية، تم وضع الخطة الإستراتيجية الشاملة لتعزيز علاقات الصين مع دول الشرق الأوسط فى المستقبل ومشاركتها الفعالة فى حوكمة المنطقة.

إن مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تختلف عن الدول العظمى الأخرى من حيث المفاهيم والمقاصد، ومن حيث الأساليب والطرق، كما أشار الرئيس الصينى فى خطابه الذى ألقاه فى مقر جامعة الدول العربية: «تلتزم الصين بتحديد سياستها واتخاذ إجراءاتها تجاه الشرق الأوسط بناءً على الحقائق عن القضايا ذاتها، وانطلاقاً من المصالح الأساسية لشعوب المنطقة. نعمل على التصحح بالتصالح والحث على التفاوض ولا نقوم بتنصيب الوكلاء؛ نبذل الجهود لتكوين دائرة الأصدقاء للحزام والطريق التى تغطى الجميع ولا ننتزع ما يسمى بـ«مجال النفوذ» من أى واحد؛ ولا ننوى ملء الفراغ بل نسعى إلى نسج شبكة شركاء ذوى المنفعة المتبادلة والكسب

بدون شك بـ«الحكمة الصينية» و«الخطة الصينية» لحوكمة الشرق الأوسط، وعليه فإنه سيلعب دور القيادة الإستراتيجية الواضحة لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة، وله أهمية بالغة فى دفع الحوكمة وتحقيق السلام المستدام فيها.

### إن لمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» دور القيادة الإستراتيجية لمشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط

المفهوم يوجه العمل، والاتجاه يحدد المخرج. إن «الصين تلتزم بطريق التنمية السلمية والسياسة الخارجية السلمية المستقلة وإستراتيجية الانفتاح القائمة على التنافع والترايح، وتتمثل ركيزة من أهم ركائز ذلك فى المشاركة الحثيثة فى الحوكمة العالمية وصياغة معادلة التعاون المتبادلة المنفعة، والاضطلاع بالالتزامات والمسؤوليات الدولية، وتوسيع دائرة المصالح المشتركة مع دول العالم، وتشكيل مجتمع موحد ذى مصير موحد للبشرية جمعاء». (كلمة الرئيس الصينى شى جين بينج فى مقر جامعة الدول العربية) وتحت توجيه وإيحاء مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» تشارك الصين بنشاط فى حوكمة الشرق الأوسط على أساس الواقع والاطلاع إلى المستقبل، مؤكدة على أن النظر فى قضايا الشرق الأوسط لا يكون إلا من منظور إستراتيجى شامل يركز على السلام طويل المدى والأمن الدائم ويخطط



السلام الفلسطينية الإسرائيلية للخروج من الجمود في أسرع وقت ممكن».

### مشاركة الصين في حوكمة الشرق الأوسط تركز على الأمن العام والاستقرار الشامل

إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يؤكد على أن المجتمع الدولي لا يمكن له تحقيق إصلاح الحوكمة العالمية والإقليمية إلا برفع راية التعاون والإبداع وسيادة القانون والفوز المشترك، ولا يمكن له بناء مجتمع المصير البشري الآمن إلا ببذل الجهود من الجميع. فمن المعروف أن مناطق من الشرق الأوسط تعاني من النزاعات والحروب والاضطرابات الاجتماعية والهجمات الإرهابية مما سبب توتر الوضع الأمني فيها. وفي السنوات الأخيرة تزايدت تسلسلية قضية الأمن في الشرق الأوسط وتدويلتها وتنوعيتها يوماً بعد يوم، الأمر الذي لم يفرض قيوداً شديدة على السلام والتنمية في المنطقة فحسب، بل طرح تحديات كبرى أمام الحوكمة العالمية. وعليه فإن الصين ترى أن دفع حوكمة الشرق الأوسط لا بد له من تولية أهمية كبرى لقضية الأمن الإقليمي، وتجديد مفهوم الأمن القائم على أساس «التشارك والشمول والتعاون والاستمرار»، وعلى دول المنطقة والمجتمع الدولي السعي معاً لحل النزاعات وإزالة الأزمات عن طريق الحوار

السياسي وتسريع استئناف مفاوضات السلام. كما يجب عليه توسيع دائرة الأفكار وتحقيق السلام من خلال التنمية ومساعدة شعوب المنطقة لتوطيد أساس السلام». ومنذ فترة طويلة، تلتزم الصين بموقف عادل وموضوعي تجاه القضية الفلسطينية وتجاه جميع القضايا المعقدة في الشرق الأوسط، وتدعو إلى حل مختلف النزاعات عن طريق الحوار السياسي، وتحث الأطراف المتنازعة على المصالحة والمفاوضة. إن موقف الصين العادل ودورها البناء قد أبرز قوة العدالة الدولية مما جعل شعوب الشرق الأوسط والمجتمع الدولي يثنون عليهما ويرحبون بهما على نطاق واسع. وأكد رئيس الصين شي جين بينج في الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي أن «قضية فلسطين القضية الجذرية للسلام في الشرق الأوسط، وظل الشعب الصيني يقف مع الحق والمستضعفين، ندعو كافة الأطراف المعنية إلى الالتزام بالتوافق الدولي، والتعامل مع القضايا المتعلقة بفلسطين بشكل عادل، وعدم زرع بذور الفتنة الجديدة في المنطقة. ندعم عقد مؤتمر دولي جديد لقضية فلسطين، وندعم إيجاد آلية مبتكرة لإحلال السلام في الشرق الأوسط، واتخاذ «حل الدولتين» ومبادرة السلام العربية» كأساس لدفع مفاوضات

أى تدعم الصين تأسيس دولة فلسطينية على حدود 1967، عاصمتها القدس الشرقية وتتمتع بسيادة واستقلالية تامتين، كما تدعو الصين إلى تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم 2334 القاضي بوقف مختلف أنشطة الاستيطان في المناطق المحتلة، واتخاذ التدابير اللازمة لحماية المدنيين، وتسريع حل القضية الفلسطينية سياسياً، والتوصل إلى سلام دائم مبنى على أسس متينة.

تعد القضية الفلسطينية من الأزمات التي تؤلم الضمائر الإنسانية اليوم، وما زالت القضية باقية لم يتم حلها حتى اليوم بالرغم من مضي سبعين سنة، حيث أصبحت مرضاً مزمناً في حوكمة الشرق الأوسط والحوكمة العالمية، ولا يمكن تحقيق الأمن والسلام في المنطقة وفي العالم أجمع إن لم تحل بعدالة. وقد أشار وزير الخارجية الصيني وانج يي في خطابه الذي ألقاه في الدورة الـ 72 للجمعية العامة للأمم المتحدة 21-سبتمبر 2017: «إن القضية الفلسطينية معلقة في جدول أعمال الأمم المتحدة منذ سبعين سنة. فعلى المجتمع الدولي دين للشعب الفلسطيني في رد العدالة المتأخرة لهم، والدعوة إلى وقف جميع الأنشطة الاستيطانية في الأراضي المحتلة ووقف كافة أعمال العنف تجاه المدنيين، والتمسك بـ «حل الدولتين» كأساس للحل

بأكبر قدر من الصبر ويفسح أكبر قدر من المجال للحوار. (كلمة الرئيس الصيني في مقر جامعة الدول العربية).

وتدعم الصين إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط وترفض أية محاولة تهدف إلى تغيير الخارطة السياسية في الشرق الأوسط. وستشارك في الشئون الإقليمية بموقف بناء وتقف إلى جانب الحق والعدالة وتعمل مع الدول العربية على إيجاد أكبر قدر من القواسم المشتركة لما تشغل به مختلف الأطراف من خلال الحوار، وتقديم مزيداً من المنتجات العامة لحل القضايا الإقليمية الساخنة بشكل ملائم. (كلمة الرئيس الصيني خلال حفل افتتاح الدورة السادسة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي).

ومن الواضح أنه لا يمكن حل الأزمات في منطقة الشرق الأوسط بشكل نهائي وتحقيق الأمن المستدام والاستقرار الشامل فيها إلا بإيجاد الوعي العام لمفهوم «مجتمع المصير المشترك» و«مجتمع المصالح المشتركة» والالتزام بموقف عادل والتمسك بالحوار السياسي، كما قال رئيس الصين في كلمته في الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي: «يجب احترام خصوصية الدول وخيارها المستقل والتمسك بالمساواة وإبراز المشترك وتعميم المختلف. ويجب على القوى الخارجية فعل أكثر ما يخدم إحلال السلام وتوفير الطاقة الإيجابية للسلام والتنمية في الشرق الأوسط. يجب نبذ عقلية الانفراد بالأمن والأمن المطلق والغالب والمغلوب وتمجيد الذات، بل العمل على إنشاء منظومة الأمن المشترك والمتكامل والتعاوني والمستدام».

### مشاركة الصين في حوكمة الشرق الأوسط تركز على قضايا التنمية في المنطقة

قال رئيس الصين شي جين بينج في الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي: «في الوقت الراهن، تواجه الشرق الأوسط المهام الملحة لإزالة العوائق التي تحول دون السلام والتنمية، في هذا السياق، تكون سياسة الصين تجاه الشرق الأوسط متطابقة مع رغبة شعوب المنطقة الشديدة والساعية إلى السلام والتنمية، وتتكلم



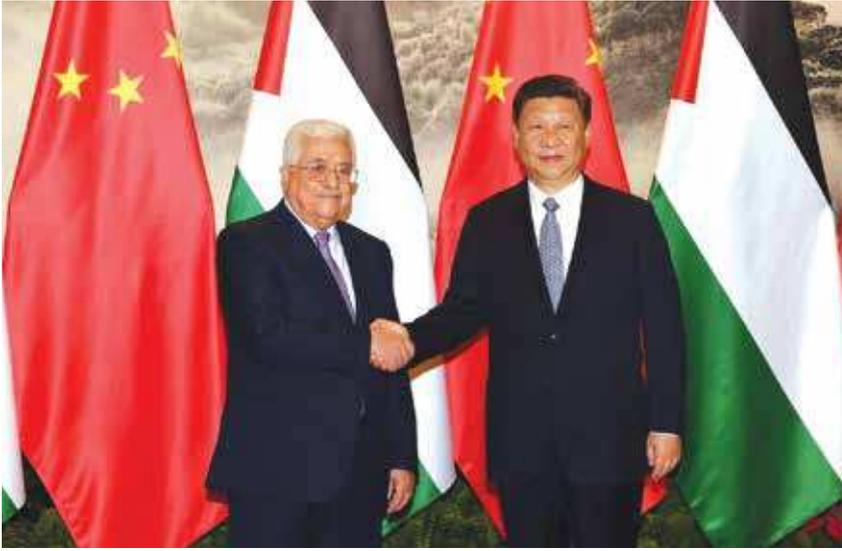
سياسة الصين تجاه الدول العربية، يناير 2016).

ومن قضايا الشرق الأوسط الساخنة والتي يصعب حلها: الاضطرابات في سوريا، والاحتكاكات بين السعودية وإيران، ومقاطعة بعض دول المنطقة لقطر، والاشتباكات بين قبائل ليبيا، واستفتاء أكراد العراق على الاستقلال، والمواجهة بين الدين والعلمنة، والمصارعة بين السنة والشيعة... إلخ، وكل هذه القضايا المعقدة تُعد نوعاً من الاختبارات التي تختبر الحكمة السياسية لدول المنطقة والمجتمع الدولي. فقد ظلت الصين تحافظ على العلاقات الودية مع دول الشرق الأوسط، وتدعو إلى حل القضايا الإقليمية الساخنة عن طريق الحوار السياسي، وتحث الأطراف المتنازعة على المفاوضات والمبادرات لنزع فتيل الأزمات، مؤكدةً بأن «المفتاح لتسوية الخلافات يكمن في تعزيز الحوار. لا تحل المشاكل بلغة القوة، ولا يدوم الأمن بعقلية المحصلة الصفرية. رغم أن طريق الحوار قد يكون طويلاً وحتى يشوبه التراجع، غير أن تداعياته أقل ونتيجته أكثر ديمومة. يجب على مختلف الأطراف المتنازعة إطلاق الحوار لإيجاد القاسم المشترك الأكبر وتركيز الجهود على دفع الحل السياسي. ويجب على المجتمع الدولي احترام الإرادة والدور لأصحاب الشأن والدول المجاورة والمنظمات الإقليمية، بدلاً من فرض حلول من الخارج، بل ويتحلى

## الحكمة الصينية تسهم في استقرار الشرق الأوسط

السياسي، حتى يتمكن الجميع من بناء «مجتمع المصالح المشتركة» و«مجتمع المصير المشترك».

إن الإرهاب آفة للبشرية جمعاء، وكرثة في منطقة الشرق الأوسط، من المفروض مكافحته واستئصاله من جذوره بشكل كامل. فباعتبار مكافحة الإرهاب من التدابير المهمة في حوكمة الشرق الأوسط، فإن الصين ستعزز العلاقات الأمنية التعاونية مع دول المنطقة، وستدعم جهودهم لمكافحة الإرهاب، وستساعد الدول المعنية في المنطقة على تقوية قدراتها في مكافحة الإرهاب وبناء قدرة الحفاظ على استقرار البلاد. ترفض الصين الإرهاب وتدين كافة أشكاله، وتدعو إلى مكافحته واستئصاله من ظواهره وبواطنه باتخاذ الإجراءات الشاملة بدون لجوء إلى المعايير المزدوجة، لا ينبغي لأى أحد أن يكافح الإرهاب من جهة وببشره ويؤيده من جهة أخرى، كما أنه لا ينبغي ربط الإرهاب بعرق أو دين بعينه. فمكافحة الإرهاب الفعالة تتطلب تعاوناً دولياً شاملاً، ويجب الالتزام بمقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي واحترام سيادة الدول واستقلالها ووحدة أراضيها في عمليات مكافحة الإرهاب المعنية. (وثيقة



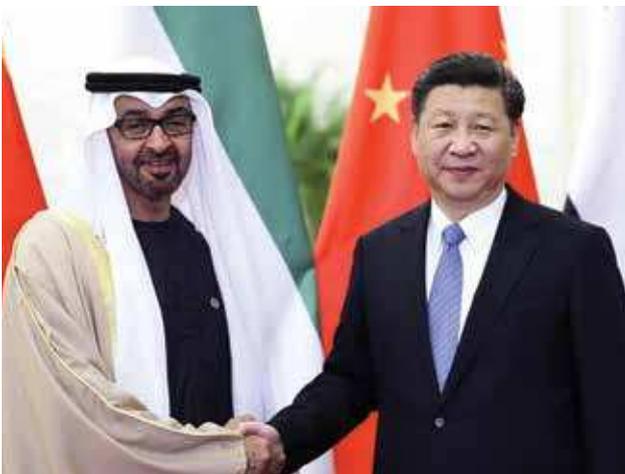
الصين لصالح المطالب المشروعة للدول العربية في المحافل الدولية وتحرص على القيام بدور أكبر لدفع السلام والاستقرار فى المنطقة». وقال شى أيضاً: «تكون التنمية المفتاح لحل كثير من مسائل الحوكمة فى الشرق الأوسط. إن الإصلاح يحرر الإمكانية الكامنة للتنمية، والانفتاح يسرّع خطوات التقدم. يجب على كافة الأطراف التركيز دائماً على التعاون، وفعل أكثر ما يخدم ويكبر الكسب المشترك، وحشد جهود التنمية والتكامل بالمزايا وتقاسم الازدهار».

فإن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» قد ربط تنمية الصين بتنمية العالم خاصة بتنمية الدول على طول «الحزام والطريق» وفيها دول الشرق الأوسط، وعليه فإن الصين ستتمسك بمباديء «التشاور والتشارك والتنافع» لتحقيق التطور الترابطى والتنمية المشتركة بالتزام بفكرة «الترابط والتبادل». وفى 17 مارس 2017، وافق مجلس الأمن للأمم المتحدة بالإجماع على قرار عن قضية الأفغان ودعا المجتمع الدولى إلى تعزيز التعاون الاقتصادى الإقليمى والدفع بالتشارك فى «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» من خلال تفعيل مبادرة «الحزام والطريق». فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» أدرج لأول مرة فى قرار الأمم المتحدة بما فيه من حوكمة دولة من دول الشرق الأوسط، مما يدل على أن لهذا المفهوم أهمية كبرى واقعية لتحسين حوكمة المنطقة وتنميتها. إن بعض دول الشرق الأوسط تعاني من مشكلات التنمية، وينقصها الترابط البينى والتبادل البينى. وترى الصين أن

رئيسى ومجالى البنية التحتية وتسهيل التجارة والاستثمارات كجناحين و3 مجالات ذات تكنولوجيا متقدمة تشمل الطاقة النووية والفضاء والأقمار الاصطناعية والطاقة الجديدة كنقاط اختراق، وذلك لتطوير الصناعة فى الدول العربية. وقد رسمت وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية التى صدرت فى يناير 2016 مخططاً جديداً شاملاً متعدد المستويات والمجالات للتعاون الصينى العربى.

إن «التنمية هى المخرج الوحيد»، والإصلاح من لوازمها. وهذا هو سر نجاح الصين. فمن المشاكل التى يعانى منها بعض دول الشرق الأوسط تنسيق العلاقات بين التنمية والإصلاح والاستقرار بشكل صحيح، أما الصين فقد أصبحت فى نظر شعوب الشرق الأوسط نموذجاً ناجحاً فى تنسيق تلك العلاقات. فى السنوات الأخيرة ازدادت آمال العديد من دول الشرق الأوسط

«المفتاح لفك المعضلة يكمن فى تسريع عجلة التنمية. إن الأسباب التى أدت إلى الاضطرابات الحالية فى الشرق الأوسط ترتبط فى الأساس بالتنمية، فلا مفر من احتوائها إلا من باب التنمية فى نهاية المطاف. إن التنمية قضية ترتبط بحياة الشعوب وكرامتها. (كلمة الرئيس الصينى فى مقر جامعة الدول العربية)، لذا فإن الصين تعلق أهمية كبيرة على قضية التنمية فى منطقة الشرق الأوسط؛ حيث أكدت بأنها ستكون بانية للسلام فى المنطقة، ودافعة لتنميتها وساعية لتطوير صناعتها. وعليه فإن الصين تدعو إلى تحقيق الالتحام الإستراتيجى مع دول الشرق الأوسط أثناء بناء «الحزام والطريق»، وتعزيز العلاقات الاقتصادية التعاونية مع الدول العربية بشكل خاص، وعلى الجانبين السعى معاً إلى تشكيل معادلة تعاون «3+2+1» المتمثلة فى اتخاذ مجال الطاقة كمحور



## الحكمة الصينية تسهم في استقرار الشرق الأوسط

في تطوير علاقاتها وتوسيع مجالاتها التعاونية مع الصين، كما اشتدت رغباتها في معرفة المزيد عن الصين والاستفادة من تجاربها الناجحة. وقد ذكر الرئيس الصيني شى جين بينج في خطابه الذي ألقاه في مقر جامعة الدول العربية - يناير 2016 أن الصين ستُنشئ «مركز الدراسات الصيني العربي للإصلاح والتنمية»؛ لتبادل التجارب في تحسين حوكمة الدولة وتنمية اقتصادها مع الدول العربية. وقد تم إنشاء المركز بمدينة شنغهاي في أبريل 2014، وبدأت أنشطته؛ وعن طريق حضور الدروس والمحاضرات المخصصة والقيام بالجولات الميدانية أدرك المسؤولون المشاركون العرب مزيداً من سياسات الصين الداخلية والخارجية، وشاهدوا بأعينهم الإنجازات الكبيرة التي حققتها الصين بعد تطبيق سياسة الانفتاح والإصلاح، كما أنهم عرفوا أكثر عن مبادرة «الحزام والطريق» ومفهوم «بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية».

وفى السنوات الأخيرة، تعززت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الصين ودول الشرق الأوسط، كما تطور التعاون الثنائي ومتعدد الأطراف بشكل سريع، وهذا الوضع التطوري يدل بوضوح على أن كلاً من الصين ودول الشرق الأوسط يطبق حالياً مفهوم التنمية السلمية والتعاون المتبادل المنفعة، ويدفع تنمية منطقة الشرق الأوسط باتخاذ الإجراءات الفعلية، ويجيب للعالم «السؤال عن الشرق الأوسط»، ويسعى إلى حل مشاكلها. إن مشاركة الصين في حوكمة الشرق الأوسط والتشارك مع دولها في بناء «الحزام والطريق» كلاهما سيضخ دفعة جديدة للتنمية السلمية فيها ويجلب لها المزيد من الآمال ويسرع لها خطى التنمية المشتركة.

### مشاركة الصين في حوكمة الشرق الأوسط تحث على التعلم المتبادل والاستفادة المشتركة والتعايش بين الحضارات

إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يدعو إلى احترام تنوع الحضارات في العالم، ويحث على الحوار

ويرفض التصادم فيما بينها. إن الصين تولى اهتماماً كبيراً بتبادل التعلم والاستفادة بين مختلف الحضارات والتعايش السلمي بينها، وعلى الأخص قضية توريث حضارات الشرق الأوسط وتطويرها والإبداع فيها، كما أنها ترفض نظريات «صدام الحضارات» و«التفوق الحضاري» و«التمركز الحضاري» وغيرها من كافة النظريات التي تكمن فيها الهيمنة والغرور والتحامل الثقافية، بالإضافة إلى ذلك فإن الصين تحرص على مشاركة دول الشرق الأوسط في المساعي لتكريس التنوع الحضاري في العالم. وقد قال الرئيس الصيني في خطابه بمقر جامعة الدول العربية: «إن الشرق الأوسط - باعتباره منطقة التلاقى للحضارات العريقة للإنسان - تحتضن حضارات وثقافات باهرة ومتنوعة. وستواصل الصين دعمها الثابت بدون تزعزع لجهود دول الشرق الأوسط والدول العربية في الحفاظ على ثقافتها وتقاليدها الأصيلة، وترفض التمييز والتحيز بأي شكل من الأشكال بحق عرق أو دين بعينه. لكل من الحضارة الصينية والحضارة العربية خصوصياتها ونظامها، غير أن الاثنتين كلتاهما تحتوى على مفاهيم ومساعي مشتركة جاءت متراكمة في مسيرة التقدم والتطور للبشرية، وكتاهما تؤمن بقيم الوسطية والوئام والسلام والوفاء والتسامح والانضباط الذاتي. فيجب علينا إجراء الحوار بين الحضارتين والحث على قبول الغير والاستفادة المتبادلة، والعمل معاً على إحياء مزيد من القيم الإيجابية الواردة في ثقافتنا وتقاليدنا القومية الأصيلة التي تتماشى مع عصرنا اليوم. إن المنطقة على امتداد «الحزام والطريق» هي مناطق يزدهر وينشط فيها التواصل الإنساني والثقافي، الذي يُعرف بقوته الناعمة ودوره الدؤوب في تعزيز التفاهم بين الشعوب».

وفى السنوات الأخيرة، شهدت التبادلات الثقافية الإنسانية والحضارية بين الصين ودول الشرق الأوسط تطوراً مزدهراً بأشكال متعددة ومحتويات وافرة؛ حيث استكمل بناء آليات ومنصات التعاون الثنائي ومتعدد الأطراف ومختلف المستويات في مجالات عدة مثل: الثقافة والإذاعة والسينما والتلفزيون والإعلام والنشر ومراكز الفكر والتعليم والتواصل النسائي والشبابي والسياحة...إلخ، وبدأ

تشغيل الآليات والمنصات بسلاسة. كما ازدادت الاتصالات البشرية والنشاطات التبادلية الثقافية يوماً بعد يوم، وكل هذه تلعب دوراً مهماً في تعزيز الاتصالات الثقافية والوجدانية بين شعب الصين وشعوب الشرق الأوسط مما جعل نظريات «التهديد الصيني» و«صدام الحضارات» و«التهديد الإسلامي» التي روجها إعلام الغرب غير مرحب بها في أوساط الشعب الصيني وشعوب الشرق الأوسط.

وترى الصين بأن إصلاح الحوكمة في الشرق الأوسط يوجب الوقوف بحزم أمام جميع أشكال التطرف والعنصرية والشعبوية حتى لا تشيد الحواجز بين الحضارات، كما يوجب الوقوف أمام كافة القوى النفوذية حتى لا تسبب المشاكل وتثير النزاعات والاحتكاكات بين مختلف الأمم والأديان والملل. بل «يجب التواصل من أجل التقارب لا التباعد بين مختلف الأعراق والحضارات، ويجب تفكيك الحواجز بدلاً من تشييدها، وتفضيل الحوار كالقاعدة الذهبية حتى يكون الجميع جيراناً يتبادلون ويتواصلون. (كلمة الرئيس الصيني بجامعة الدول العربية)، كما يجب «تعزيز الحوار بين الحضارات ودفع التواصل بين مختلف الأديان، وإنشاء أطر ثنائية ومتعددة الأطراف للتواصل الديني والدعوة إلى التناغم والتسامح الديني، وبحث التعاون في مجال نزع التطرف، وبذل جهود مشتركة للحد من نشأة وانتشار التطرف. (وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية، يناير 2016). وقد قال الرئيس الصيني أثناء زيارته لمقر جامعة الدول العربية يناير 2016 مشيراً إلى أن الصين ستقوم بعقد اجتماع المائدة المستديرة للحوار بين الحضارتين واقتلاع التطرف في إطار منتدى التعاون الصيني العربي، وفي 15 17- أغسطس 2017 انطلقت ندوة الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية ممثلة في اجتماع المائدة المستديرة لمواجهة التطرف في مدينة تشنجدو الصينية، وحضر الندوة بعض المسؤولين والخبراء والعلماء من الصين و16 دولة عربية وجامعة الدول العربية، وركزت على مناقشة الموضوعات: «الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية في ظل البناء المشترك لمبادرة الحزام والطريق» و«الحوكمة في القضاء على التطرف

والتعاون الصيني العربى على إقلاع التطرف» وغيرها، وتوصلت الندوة إلى اتفاق واسع النطاق.

### مفهوم بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية يتوافق مع التقاليد الحضارية فى الشرق الأوسط والمطالب المشروعة لشعوبها

إن الشرق الأوسط باعتباره منطقة التلاقى للحضارات العريقة للإنسان، فالتفاعل والتبادل والتمازج والتعايش بين مختلف الأمم والثقافات والأديان من تقاليدھا التاريخية وأوضاعها الدائمة للتبادل الحضارى. إن ما قامت به بغداد فى العصور الوسطى من عمليات الترجمة التى استمرت أكثر من مائة عام وما أثاره من سلسلة النشاطات العلمية يعد مثلاً بارزاً للتبادل والتدارس والتسامح والتكامل بين الحضارات فى المنطقة. وإن شعلة حضارة الشرق الأوسط ذات الشمولية والاستيعابية قد أضاءت لأوروبا التى كانت تعيش فى الظلام طيلة القرون الوسطى، فأهدتها إلى طريق «النهضة الأوروبية». إن الحضارة الإسلامية التى لها تأثير بعيد المدى فى المنطقة ظلت تدعو إلى الحوار الحضارى وتؤكد بضرورة احترام تنوع الحضارات، فالآيات القرآنية كررت مراراً بأن البشر وإن اختلفوا إلى شعوب وقبائل وألوان واعتقادات إلا أنهم «بنوا آدم» من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يتعارفوا ويتراحموا، كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» (الآية 13، سورة الحجرات) والرسالة الرئيسية التى بلغها نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم هى نشر وتعميم روح السلام والرحمة بين الناس كما بين ذلك القرآن الكريم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الآية 107، سورة الأنبياء) وفى الحديث النبوى الشريف شبه النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالجماعة التى كانت فى سفينة واحدة، يجب على جميع الأفراد الوقوف جنباً إلى جنب أمام الأخطار كما جاء فى قوله فيما رواه البخارى: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقْفُوا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا حَرْقًا وَلَمْ

نُؤذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا». (البخارى: كتاب الشركة، باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث: 2493). ومما سبق يتضح أن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يؤكد بضرورة احترام التنوع الحضارى، كما يؤكد بوجود التعاون والتعايش فى المجتمع البشرى، فجل مفاهيمه القيمة تتوافق مع الروح الثقافى والتقليد التاريخى للتدارس والتعايش بين حضارات الشرق الأوسط، كما أنها تتوافق مع قيم مفهومي «الرحمة الشاملة» و«وحدة البشر فى أصل الخلقة» فى الحضارة الإسلامية.

فى العالم اليوم، أصبح السلام والتنمية تياراً عصرياً، وتطورت العولمة سريعاً، وازداد التساند والتآزر بين شعوب العالم. إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ألقى النظر إلى مستقبل البشر، ساعياً وراء تحقيق السلام العالمى، داعياً إلى المشاركة فى التنمية والتمتع بالسلام عن طريق التواصل بين الدول والاتصال الوجدانى بين الشعوب. وفى الشرق الأوسط اليوم، لا تزال تكثر فيه المآسى الإنسانية، وتشيع فيه ظواهر رد ظلم بظلم وعنف بعنف. وتعانى العديد من دول الشرق الأوسط من الحوكمة السيئة والتعثر التنموى والاضطرابات الاجتماعية والصعوبات المعيشية، حتى إن البعض منها تعرض لويلات الحرب مما أدى إلى تشريد أعداد من الأسر، واضطر ملايين المدنيين إلى الهجرة أو اللجوء. لذا فإن السلام والاستقرار من الاحتياجات الواقعية لشعوب الشرق الأوسط، والتنمية والازدهار من تمنياتهم الجميلة، والتغير والإصلاح من رغباتهم الشديدة. «وتقليل الصراعات والمعاناة وتعزيز الأمان والكرامة من تطلعاتهم المستقبلية». كلمة الرئيس شى جى باجى (رئيس الصين)، فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يتلاءم تماماً مع احتياجات شعوب الشرق الأوسط الواقعية وتمنياتهم الجميلة القائمة على السلام والتنمية، وله أهمية إرشادية واقعية كبرى فى إصلاح الحوكمة وتحقيق السلام فى المنطقة، فمن المتوقع أنه سينال قبولاً واسعاً وترحيباً حاراً من قبل شعوب المنطقة.

**ختاماً**، قال رئيس الصين شى جين بينج فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتهى التعاون الصينى العربى: «تحتاج جميع دول الشرق الأوسط إلى السلام والاستقرار والتنمية، وتسعى جميع شعوبها للأمان والسعادة. ويجب على كافة الأطراف قراءة اتجاه التاريخ بشكل دقيق والتجاوب مع نداء الشعوب بكل صدق، والعمل معاً على دفع الشرق الأوسط إلى طريق جديد يحقق النهضة الشاملة». إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ومبادرة «الحزام والطريق» باعتبارهما من «الحكم الصينية» و«الخطط الصينية» لمشاركة الصين فى الحوكمة العالمية والإقليمية متوافقان مع التيارات العصرية للتنمية السلمية فى العالم اليوم؛ حيث أجابا عن «السؤال عن العالم» و«السؤال عن الشرق الأوسط» على حد سواء، كما أنهما من المفاهيم والإستراتيجيات الجديدة التى تتخذها الحكومة الصينية فى ظل مواجهتها للأوضاع المحلية والدولية من أجل إصلاح الحوكمة المحلية والعالمية وتفعيل التواصل الحضارى، وفيهما أفكار ونظريات جديدة للتعاون الدولى والنظام الاقتصادى السياسى الدولى والتنمية والسلام والحضارة، وهى أعطت للعولمة المزيد من الروح الإنسانية، ولم تبد الرغبات التاريخية للأمة الصينية فى تحقيق نهضتها فحسب، بل أبدت الرغبات المشتركة فى طلب التنمية لدى شعوب العالم بما فيها شعوب الشرق الأوسط، وهى لم تتوافق مع سلسلة المفاهيم لأجندة التنمية المستدامة التى قررتها الأمم المتحدة فحسب، بل تتوافق مع المطالب الواقعية لشعوب الشرق الأوسط. ولا شك أن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» سيدفع الدبلوماسية الصينية وخاصة الدبلوماسية الصينية الشرق أوسطية نحو التطور المستمر فى العصر الجديد. وستتماشى الصين مع دول العالم بما فيها دول الشرق الأوسط فى ظل البناء المشترك لـ«الحزام والطريق»، وستتعاون معها جنباً إلى جنب ويداً بيد لحل مشاكل التنمية السلمية فى الشرق الأوسط، ودفع إصلاح الحوكمة فيها، والسير بكافة شعوبها إلى طريق السلام المستدام والأمن العام والتنمية المشتركة.

## منتدى التعاون العربي الصيني 2018

حرص الطرفان الصيني والعربي على خمس ركائز لتطوير علاقتهما: الأولى، الحفاظ على العلاقات الثنائية بين كل دولة عربية والصين، وذلك بتعزيزها كنقطة انطلاق للتعاون الصيني في الإطارين العربي والأفريقي. والثانية، ضرورة أن يكون مجال نشاط عمل المنتدى قائما على تعزيز العلاقات الثنائية، ودعمها من خلال المنتدى الصيني العربي، وأن يكون للمنتدى خطة وبرنامج محدد، تتم متابعة تنفيذ البرنامج وتحديثه مع كل دورة انعقاد.



آليات عمل المنتدى. فالرئيس الصيني أعلن أن بلاده ستمنح عددا من الدول العربية قروضا للتنمية الاقتصادية بقيمة 20 مليار دولار، ستخصص لمشاريع، «تعمل على توفير فرص عمل جيدة وسيكون لها تأثير اجتماعي إيجابي على الدول العربية التي تحتاج لإعادة الإعمار». وأوضح أن القروض المقدمة تشكل جزءا من رؤية صينية خاصة «لإعادة الهيكلة الاقتصادية وتحفيز الصناعات»، مؤكدا استعداد بكين لتقديم قرض آخر بقيمة 150 مليون دولار لبعض دول المنطقة لتعزيز قدراتها في الحفاظ على الاستقرار.



د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

- التعامل العربي مع مبادرة الحزام والطريق التي أطلقتها الصين منذ عام 2013: فعلى المستوى الصيني عبر الرئيس الصيني شى في كلمته في افتتاح المنتدى عن أن الموقع الجغرافي للدول العربية على طريق التجارة القديم يجعل منها «شركاء طبيعيين» في المبادرة الصينية الجديدة التي تركز على إعادة إحياء «طريق الحرير» من الصين إلى المناطق القريبة من إفريقيا وأوروبا، بمشاريع في البنى التحتية بقيمة تريليون دولار. وأن «الشعوب العربية والصينية على الرغم من أنها متباعدة بالمسافة، إلا أنها قريبة كالأُسرة». وأكد على ترحيب الصين بفرص المشاركة في تنمية المرفأء وبناء شبكات السكك الحديدية في دول عربية، كجزء من شبكة لوجستية تربط آسيا الوسطى وشرق إفريقيا والمحيط الهندي بالبحر المتوسط».

### الركيزة الأساسية هي مبادرة الحزام والطريق

وعلى المستوى العربي، أكد وزير الخارجية المصري سامح شكري، أمام المنتدى «أن مصر وسائر الدول العربية على استعداد للتعاون والتفاعل الإيجابي مع المبادرة الصينية، بشأن بناء الحزام والطريق، باعتبارها الركيزة الأساسية التي تقوم عليها أعمال الدورة الحالية للمنتدى، فضلا عن دراسة الانعكاسات الاقتصادية الإيجابية لهذا التعاون والمتمثلة في زيادة حجم التجارة البينية والاستثمارات بين الجانبين العربي

والتالثة، أن المنتدى يمثل إطارا للعلاقات بين الطرفين، لا يستبعد إقامة روابط إضافية مع أي تجمع فرعي داخل التجمع الأكبر (كالحوار الاستراتيجي الذي أجراه مجلس التعاون الخليجي مع الصين عام 2010، وإقامة المنتدى الاقتصادي الصيني الخليجي في البحرين عام 2009 على مستوى رجال الأعمال). والرابعة، أن يكون انعقاد المؤتمر كل عامين على مستوى وزراء الخارجية، على أن يقوم بافتتاح المنتدى في الدولة المضييفة رئيس الدولة أو رئيس الحكومة؛ وذلك كعرف دبلوماسي. والخامسة، عدم اقتصار المنتدى على الجانب الرسمي، وامتداده ليشمل القطاع الخاص وغرف التجارة والصناعة، والمفكرين والباحثين والمتخصصين في التعليم والثقافة والإعلام والحضارة والبيئة وغيرها من مجالات؛ وفقا لخطة العمل المعتمدة في كل دورة من دورات المنتدى.

فقد قفز حجم التبادل التجاري بين الدول العربية والصين من 4,36 مليار دولار أمريكي عام 2004 تاريخ تأسيس المنتدى في القاهرة إلى 191 مليار دولار عام 2017، وبالتالي تعد الصين ثاني أكبر شريك تجاري للدول العربية. وفي نهاية عام 2016، وصل حجم تدفقات الاستثمارات الصينية المباشرة المتراكمة إلى الدول العربية أكثر من 15 مليار دولار أمريكي، مقارنة مع 180 مليون دولار أمريكي فقط في عام 2004، كما بلغ حجم العقود الجديدة التي وقعتها الشركات الصينية مع الدول العربية إلى أكثر من أربعة مليارات دولار أمريكي. ويأمل الطرفان زيادة حجم التبادل التجاري إلى 600 مليار دولار في إطار مبادرة «الحزام والطريق» التي تحتل الدول العربية فيها مكانة خاصة، بحكم موقعها الاستراتيجي وإمكانياتها الاقتصادية الطبيعية والبشرية والمادية.

### الدورة الثامنة للمنتدى

يوليو 2018

استضافت بكين الدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون العربي الصيني

# 中国—阿拉伯国家合作论坛第八届部长级会议开幕式 الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون العربي الصيني

2018年7月10日 中国·北京  
يوم 10 يوليو عام 2018 بيجين الصين



وزير خارجية جمهورية الصين الشعبية. إن قراءة الإعلان تؤكد عدة أمور، أبرزها: أولاً، أن العرب حصلوا على تأكيد مواقف الصين للقضايا التي تشغلهم. فعلى سبيل المثال، أدان إعلان بكين الأعمال الإرهابية التي تتعرض لها مملكة البحرين والتي راح ضحيتها عدد من رجال الأمن والمدنيين الأبرياء، وأكدت تأييدها الكامل للإجراءات والتدابير التي تتخذها مملكة البحرين لحماية أمنها واستقرارها. فضلاً عن الإعلان عن تدشين مملكة البحرين لمركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي في مارس 2018م، والتأكيد على مواصلة الجهود لتعميق الحوار الحضاري، والالتزام بالتواصل على قدم المساواة، وتعزيز الفهم المتبادل بين الثقافتين العربية والصينية وتعزيز التعاون في نزع التطرف. فضلاً عن إعلان الصين تقديم 100 مليون دولار لسوريا والأردن واليمن وفلسطين كمساعدات إنسانية، من بينها 90 مليون دولار للشعب السوري والأردني واليمن، والباقي لفلسطين.

ثانياً، أن الصين حصلت على تأكيد وإعادة تأكيد لمواقف الدول العربية حول اهتماماتها. فقد اعتمد البرنامج التنفيذي لمنتدى التعاون العربي الصيني للفترة من 2018 إلى 2020، والإعلان التنفيذي للتشارك العربي الصيني في بناء الحزام والطريق، وتدشين المكتبة الرقمية العربية الصينية.

سيظل منتدى التعاون العربي الصيني منصة لتبادل الآراء، وكسب الثقة، وتبادل الخبرات الصينية للدول العربية، والدفع بتفعيل الاتفاقيات المشتركة، لتحقيق المصالح العليا لكافة أطرافه. ولن ينسى التاريخ أن مصر كانت ومازالت حاضرة وبقوة في الذاكرة الصينية، وأن مبادراتها ستظل تفتح الباب أمام المزيد من التعاون العربي الصيني.

وتخصيص الحكومة الصينية (حوالي 100 مليون دولار) لمساعدة سوريا واليمن ولبنان والأردن، إذ ستساهم هذه المبادرات في تخفيف معاناة الشعوب العربية، فضلاً عن إعلان الصين عن زيادة حصتها في ميزانية وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) لتتمكن الوكالة من القيام بمهامها على أكمل وجه، لاسيما بعد قيام الولايات المتحدة بتخفيض مساهمتها فيها.

إن لدى الصين خبرة عظيمة في التطور الاقتصادي وبناء المشروعات الموجهة للتصدير، خاصة الصادرات التكنولوجية. فتجربة الصين التنموية ركزت على الإصلاح والبناء بمبادلة أصول بأصول، وليس ببيع الأصول لسد الديون أو عجز الموازنة. وتنشيط وزيادة الاستهلاك لاستيعاب الاستهلاك الكبير، عبر إقامة المراكز التجارية الكبرى. وهو ما يمثل إضافة حقيقية، وتجربة ناجحة يمكن للعرب الاستفادة منها. وهو ما حدا بوزراء الخارجية العرب في كلماتهم أمام المنتدى للإشادة بالنجاح الاقتصادي في الصين. وأن رؤيتهم للإصلاح الاقتصادي تتشابه مع المبادرة الصينية «الحزام والطريق».

إن دورة الانعقاد الحالية شهدت إعلان الرئيس الصيني شي جين بينج اتفاق الدول العربية والصين على تأسيس «شراكة استراتيجية للتعاون الشامل والتنمية المشتركة والتوجه نحو المستقبل». وهو ما يمثل نقلة نوعية لآلية التعاون بين الجانبين، من المتوقع أن يعطي دفعة للعلاقات الصينية العربية، سواء على الجانب الثنائي أو الجماعي.

## إعلان بكين يدين الأعمال الإرهابية

صدر عن الدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون العربي الصيني إعلان بكين، وقام بالتوقيع عليه أحمد أبو الغيط أمين عام جامعة الدول العربية ووانج يي مستشار الدولة

والصيني، وتوطيد دعائم التعاون والمصالح المشتركة بينهما، إضافة إلى ساحات التعاون الأخرى في المجالات التكنولوجية والبحثية والثقافية».

وذكر وزير الخارجية السعودي عادل الجبير أن رؤية السعودية 2030 تتوافق بدرجة كبيرة مع مبادرة الحزام والطريق. وبالربط بين المبادرة والخطة، قال الجبير إن الصين والسعودية بمقدورهما تعزيز التعاون في الصناعات، بما في ذلك الطاقة والتعدين والاقتصاد والتجارة والاستثمار والسياحة، والتعاون الثلاثي في أفريقيا. وأضاف أن السعودية ترحب أيضاً بالصين للعب دور أكبر في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج وعلى استعداد للعمل عن كثب مع الصين من أجل منع ومكافحة التطرف وتعزيز التنسيق والتعاون في الشؤون العالمية والإقليمية.

وأعلن وزير الخارجية البحريني دعم وتأييد مملكة البحرين لمبادرة «الحزام والطريق» لإعادة إحياء طريق الحرير القديم بشقيه البري والبحري، مشيراً إلى أن مملكة البحرين قد أبدت رغبتها في الانضمام للبنك الآسيوي للاستثمار في البنى التحتية، منوهاً إلى توقيع مذكرة تفاهم بشأن التعاون في إطار الحزام الاقتصادي لطريق الحرير ومبادرة طريق الحرير البحري في القرن الحادي والعشرين، وهو ما يعكس دعم والتزام مملكة البحرين بإنجاح هذه المبادرة.

## دعم حقوق الشعوب

### والحرية والعدالة والمساواة

فالصين تدعم حقوق الشعوب وتدعم الحرية والعدالة والمساواة، وهذه المواقف تتضح جلياً في جميع قضاياها وعلى رأسها القضية الفلسطينية حيث تقدم الدعم المستمر للقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، مع التركيز على برنامج التنمية الذي أعلن عنه الرئيس الصيني في المنتدى لإعادة الإعمار في عدد من الدول العربية،

## تفعيل مبادرة الحزام والطريق

عقد منتدى التعاون الصيني العربي دورته الوزارية الثامنة في بكين في 10 يوليو 2018 وشارك في الاجتماع وزراء الخارجية من 12 دولة، كما شارك كضيف شرف صاحب السمو أمير دولة الكويت وألقى كلمة في افتتاح المؤتمر.

الإقليمية والدولية.

الرابعة، كان لمشاركة وزير الخارجية البحريني أهمية خاصة فقد أبرز البيان الختامي إدانة الصين للأعمال الإرهابية التي تعرضت لها البحرين كما وقع وزير الخارجية الشيخ خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة مذكرة تفاهم تتضمن انضمام البحرين لمبادرة طريق الحرير البحري. وينبغي أن نشير إلى أن البحرين طرف عريق في طريق الحرير البحري منذ الحضارة العباسية فكانت البحرين من الموانئ التي ترسو فيها السفن الصينية في طريقها إلى الدولة العباسية ثم استكمال طريق الحرير عبر البر إلى دمشق ثم البحر الأبيض المتوسط وبعد ذلك إلى الإسكندرية وإلى شمال أفريقيا أوروبا.

الخامسة، إن الصين وقفت إلى جانب المملكة العربية السعودية في عام 1986 ببيعها صواريخ باليستية DF3A لدعم أمن السعودية رغم أن السعودية آنذاك لم تكن قد اعترفت بالصين أو أقامت معها علاقات دبلوماسية في فترة كانت السعودية تعاني من التردد الأمريكي لبيع السلاح المتقدم لها.

السادسة، إن الصين وقفت دائماً إلى جوار الحق الفلسطيني ونضال الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة واعترفت بالدولة الفلسطينية وأقامت معها علاقات دبلوماسية وكان لفلسطين سفير في الصين منذ الثمانينات.

السابعة، إن كلا شقي مبادرة الطريق والحزام يمران عبر بعض الدول العربية وينطلقان من مناطق في شمال غرب الصين أو جنوبها الشرقي حيث بعض تلك المناطق بها أقليات إسلامية وتراث عربي إسلامي وهو ما يعزز علاقات الطرفين.



سفير د. محمد نعمان جلال  
galal\_m@hotmail.com

المشتركة والسياسة الصينية القائمة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

الثانية، مشاركة سمو أمير الكويت كضيف شرف لهذه الدورة للمنتدى وهو ما يعطيها ثقلاً وأهمية إذ أن الكويت هي العضو العربي في مجلس الأمن الدولي في هذه الدورة كما أن سمو الأمير له خبرة كبيرة في مجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية والداخلية وسبق أن زار الصين. والكويت من أوائل الدول العربية التي ساهمت في تنمية الاقتصاد الصيني وتعاونت مع الصين في بناء شركات ومصانع مشتركة وقدمت استثمارات كويتية للصين منذ ثمانينات القرن الماضي.

الثالثة، مشاركة وزير الخارجية المصري خاصة وأن مصر أول دولة عربية وأفريقية اعترفت بالصين الشيوعية وأقامت معها علاقات دبلوماسية في 30 مايو 1956 في الفترة التي كانت الصين تتعرض لحصار سياسي واقتصادي والصين بدورها تقدر ذلك أيما تقدير فقد وقفت مع مصر منددة بالعدوان الثلاثي الذي تعرضت له عام 1956 وكذلك دعمت مصر في حرب 1973 وكانت مصر من أوائل الدول التي أقامت معها الصين علاقات إستراتيجية عام 1999 ثم تطورت تلك العلاقات لعلاقات إستراتيجية شاملة في أول زيارة للرئيس عبد الفتاح السيسي لها، والصين دائماً مؤيدة للمواقف المصرية

وقد افتتح المؤتمر الرئيس الصيني شى جين بينج الذي رحب بالوفود وأكد أهمية العلاقات الصينية العربية مشيراً إلى دورها التاريخي العريق وإلى مستقبلها الواعد مؤكداً أهمية الدور العربي في مبادرة الطريق والحزام وداعياً للعمل على تعميق العلاقات الصينية العربية وهي التي تقوم على مبادئ راسخة في علاقات الطرفين ومحورها المنافع المتبادلة والمساواة واحترام السيادة الوطنية لكل دولة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والعمل من أجل السلام والتعاون على أساس الكسب للجميع. بينما أكد سمو أمير الكويت على ضرورة تعزيز العلاقات الصينية العربية ومشيداً بتلك العلاقات وداعياً لمزيد من التواجد الصيني في المنطقة العربية حتى يكون دورها فاعلاً من أجل العمل على حل المشاكل بالطرق السلمية.

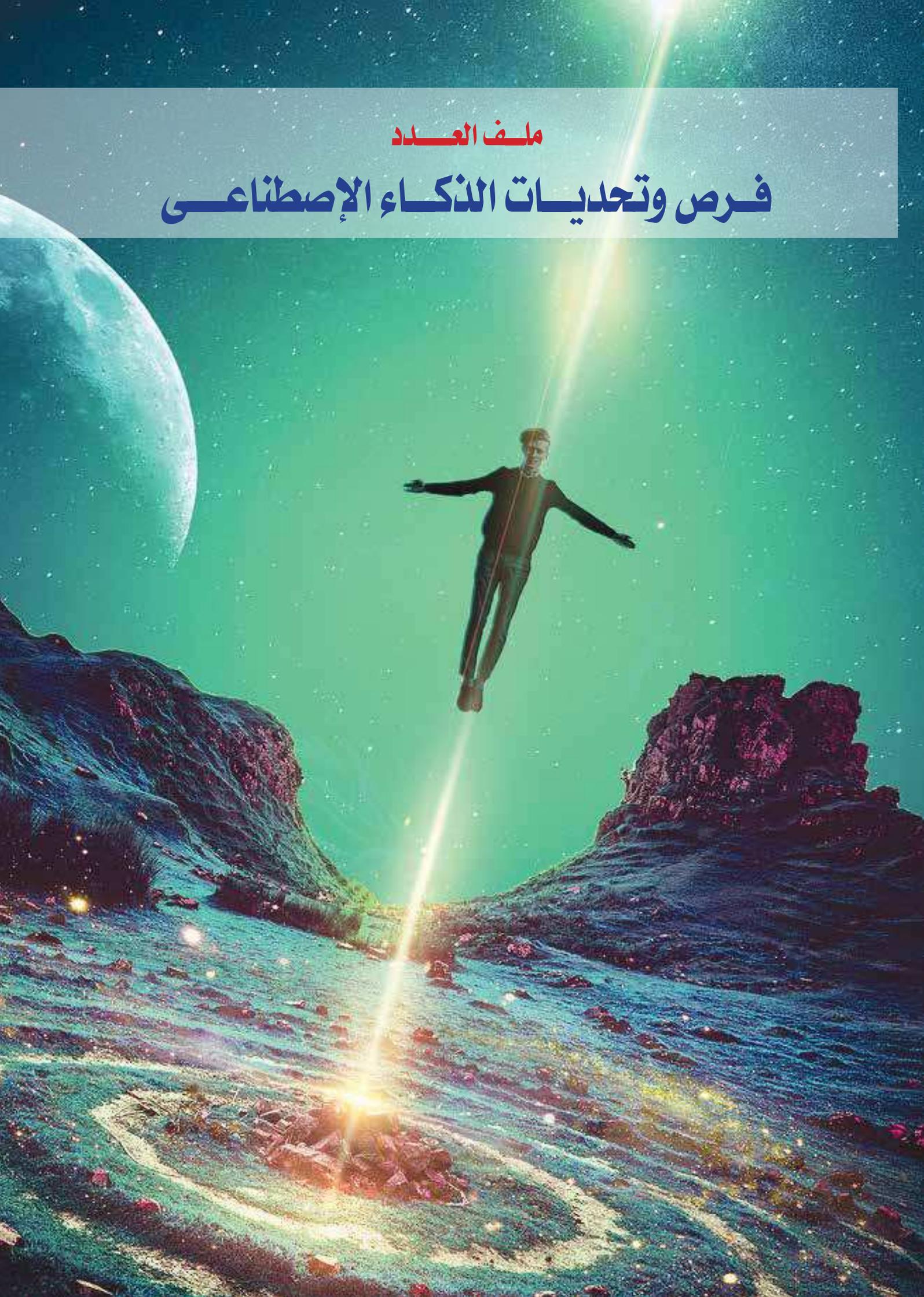
وصدر البيان الختامي وخطة العمل للفترة القادمة التي شملت جوانب عدة من التعاون والتنسيق السياسي والتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتعليمي والعلمي ونقل الخبرات وبرامج التدريب الصينية للخبراء من الدول العربية وأكد حرص الصين على نقل التكنولوجيا للدول العربية وتعزيز الاستثمارات في إطار مبدأ التعاون والمصالح المشتركة وتبادل المنافع والكسب للجميع.

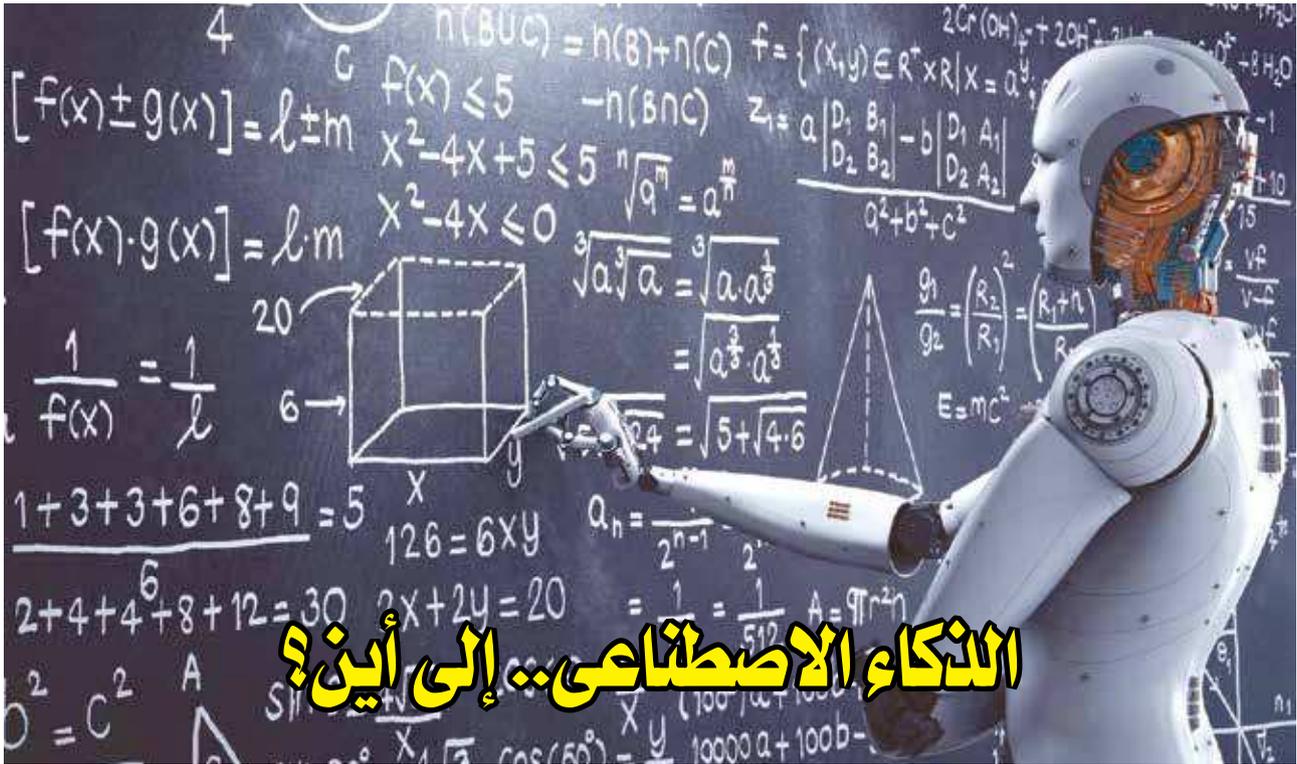
وأشار البيان إلى طريق الحرير وحزامه البحري وحرص الصين على مشاركة الدول العربية في هذه المبادرة المهمة التي أطلقها الرئيس الصيني إثر توليه السلطة عام 2013 وأن هذه المبادرة تهدف لبناء عالم جديد يقوم على السلام والاستقرار والتعاون. ولن نتطرق لكافة نقاط البيان الختامي أو لبرنامج العمل ونكتفي بالإشارة لعدد من الملاحظات ذات الأهمية والصلة المباشرة:

الأولى، التمثيل العربي في المؤتمر كان كاملاً بحضور وزراء خارجية الدول الأعضاء في الجامعة العربية والأمين العام للجامعة العربية وهذا دليل على الأهمية التي توليها الدول العربية للمصالح

ملف العدد

# فرص وتحديات الذكاء الاصطناعي





### الذكاء الاصطناعي.. إلى أين؟

في الثامن من شهر مايو الماضي كشفت جوجل ضمن فاعليات مؤتمرها السنوي، أنها ستركز في قابل الأيام على تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence بشكل أكبر وأوسع مما كانت تفعل في السنوات الماضية!! وقالت إن هدفها الأساسي هو تطوير تطبيقات كاميرات التصوير بحيث تصبح قادرة على التفاعل مع البيئة التي تحيط بلقطة التصوير وتحليلها توسيعا لمجال الإبداع الذي يسعى إليه المستخدم للكاميرا ..

بطرق إكساب الآلات صفة «الذكاء» الذي يساعدها على «محاكاة قدرات التفكير المنطقي عند الإنسان» وما ينجم عنه من برامج تطبيقية تجعله قادراً على بلوغ مستوى القدرات الذهنية البشرية، ومزاحمتها على مستوى التعلم والاستنتاج والقيام برد الفعل الموائم... فتح هذا التعريف المجال أمام مؤسسات التقنية في مختلف أنحاء العالم للتنافس بهدف وضعه موضع التنفيذ!! وسرعان ما طرحت علينا أنظمة ذكية استوعبت البيئة التي حولها ويسرت للعديد منها تطوير تقنيات الكمبيوتر والهواتف الذكية وتشغيل الآلات التي تخدم الحياة اليومية للإنسان على مدار الساعة..

يمكننا القول إن تقنية «التعليم العميق» تُعد اليوم من أبرز مظاهر هذه التطبيقات.. لماذا؟! لأنها تركز على



د. حسن عبد ربه المصري

drhassanelmassry@yahoo.co.uk

جون مكارتشي بين عامي 1955 و 1956 حين وصفه بأنه « علم صنع الآلات الذكية وهندستها».. أما تطبيقاته التجارية فظهرت لأول مرة عام 1997..

ومنذ ذلك الحين توافق فريق من العلماء على أن الذكاء الاصطناعي هو « المجال العام الذي يغطي كل ما يتعلق

هل يعد مثل هذا الهدف ضرباً من الجنون؟؟ أم هو إضافة للفكر البشري؟؟ ..

هذه إشكالية لن تحسمها أيامنا هذه .. ليكن ما يكون، المهم أن هذا الكشف الإخباري وما ترتب عليه من أسئلة مشروعة في معظمها، أعاد إلى الواجهة موجات التخوف التي سيطرت على ميادين التقنية الفائقة منذ تسعينات القرن الماضي، والتي تدور في معظمها حول إمكانية تراجع دور العقل البشري وما ينتج عنه من ابتكار وتطوير وتحديث لعناصر حياة الإنسان كما نعرفها اليوم، لحساب الذكاء الاصطناعي الذي لا يتوقف عن التقدم حثيثاً في مضمار التفوق على الذكاء البشري كما تعارف عليه الفلاسفة منذ أيام أرسطو ..

حكاية الذكاء الاصطناعي قديمة.. وضع أول سطورها «النظرية» الأمريكي

تطوير شبكات صناعية تحاكي فى طريقة عملها « أسلوب الدماغ البشرى» فيما يتعلق بأمرين على جانب كبير من الأهمية..

الأول.. القدرة على التجريب والتعلم.. والثانى.. القدرة على تطوير إمكانياتها الذاتية..

دون تدخل من خارجها، أى من جانب الإنسان المنافس لها!!

وبرهنت آلاف التجارب التى أجريت من خلال هذه التقنية فى أكثر من عشرين مؤسسة فى عدد من كبريات الدول، قدرة هذه التقنية على التعرف- بلا مجهود ضخم- على الصور وفهم الكلام المنطوق والترجمة من بعض اللغات إلى أخرى.. مما حفز أكبر الشركات الأمريكية على استثمار ملايين الدولارات «لتكثيف الأبحاث وتطويرها» برغم التحذيرات عالية الصوت التى حذرت ومازالت تحذر من عواقب تطوير إمكانيات الذكاء الاصطناعى لما يمثله ذلك من تهديد مباشر «لل بشرية»..

فى مقابل هذا التكثيف «غير الواعى أو المتهور» كما يصفه البعض من أمثال عالم الفيزياء الشهير ستيفن هوكينج ومناداة البعض الآخر بالإبقاء على « مستوى الغباء» الذى يميز أجيال الروبوتات كما نعرفها اليوم «حتى لا نستحضر الشياطين».. عمد الكثير من العقلاء إلى الاستثمار فى مجال معاكس بهدف الكشف عن المخاطر المحتملة للذكاء الاصطناعى وكيفية التعامل معها..

التفوق حتى الآن للفريق الأول.. حيث تتطور تقنيات الذكاء الاصطناعى التى يراها بسرعة هائلة!! وها هو عالم جامعة تورنتو الأشهر جيوفرى هينتون يُمكن الروبوت من هزيمة بطل العالم فى لعبة الشطرنج بعد أن صمم البرنامج المعروف باسم «الفاجو».. فى نفس الوقت ساهم عدد من الخبراء فى تطوير الخدمات التى تقدمها شركة جوجل لمستخدمى هواتفها فأصبحت قادرة على «فهم واستيعاب أوامر مستخدميه» ومن ثم تنفيذها فى وقت قياسى إلى جانب القيام بـ «ترجمة فحوى اللافتات» التى تصادفهم على طول الطرق التى تربط بين البلدان التى يمرون عليها أثناء تنقلهم فيما بينها، الأكثر من ذلك أنها ساهمت مؤخراً فى تعزيز وتوسيع دائرة

«مهارات» محرك البحث الخاص بجوجل الذى يعد مفخرة الشركة العملاقة..

أما على مستوى الفيس بوك، فقد وفر التعليم العميق لخبرائها مهارات منح مستخدمى شبكة التواصل الاجتماعى الفرصة للتعرف على الصور وفرز الأخبار وتنقيتها لاختيار المضمون الإخبارى الذى يناسب كل منهم ..

يؤكد هذا الفريق أن التحديث الذى يجريه من يوم لآخر فى أبحاث الذكاء الاصطناعى فتح المجال لتطبيقاته لأن تكون مشاركة بشكل أو بآخر فى:

- عمليات الفرز والتصنيف والتعرف على الفوارق بين المكونات المعلوماتية. - ترتيب المجموعات المعلوماتية وفق نسق يساعد المتخصصين على اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت المناسب للحالة أو للآزمة التى هم بصدها..

- تطوير العديد من البرامج ذات الصلة بتحسين أداء الإنسان الآلى لتوسيع محيط مشاركاته الناجحة فى مصانع إنتاج السيارات وفى المفاعلات النووية ومد الأسلاك التحت أرضية وكشف وتدمير الألغام ..

- تحديث إمكانيات برامج الكمبيوتر من حيث السعة والاستجابة للأوامر خاصة فيما يتعلق بفهم العدد الأكبر من مكونات عدد من اللغات المختلفة، وفى تحليل البيانات المتعلقة بالبورصات المالية..

- القدرة على تمييز الأشكال والوجوه والأصوات، والتعرف على الكتابة اليدوية ومدى توافقها مع القواعد اللغوية..

- منافسة الإنسان فى عدد من الألعاب الذهنية التى تتطلب مستوى مرتفع من المهارة والذكاء..

هذا التحديث المتنامى فتح الباب أمام الذكاء الاصطناعى لى يكون مشاركاً فعالاً بنسبة أو بأخرى فى المجالات العسكرية والبياديين الصناعية والاقتصادية ودوائر التقنيات والتطبيقات الأكاديمية والطبية.. كما حوله إلى حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها فيما يتعلق بنتائج تطبيقاته فى الحقول التى أشرنا إليها..

من حق البعض أن يتباهى بالمستوى الذى وصل إليه الذكاء الاصطناعى وما يتوقع البعض أن يصل إليه فى ضوء ما تحقق من نتائج معظمها إيجابى حتى اليوم خاصة فى مجال التسهيلات الأكاديمية التى أضحت قادراً على

توفيرها بشكل مباشر للطلاب لفهم المحاضرات التى انتهوا من الاستماع إليها.. أو فى مجال المساعدات التى بات قادراً على تقديمها للجراحين داخل غرف العمليات..

وأيضاً من حق آخرين أن يواصلوا التحذير من التطويرات المستقبلية المتوقعة التى يتغنى لها المناصرون لتحديث هذا العلم الذى يجمع بين النظرية والتطبيق، باعتبارها من أعظم المخاطر التى تهدد الجنس البشرى ووجوده..

لكل فريق حججه التى يعمل على تأكيدها مدافعاً عن وجهة نظره.. بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء يمكن توزيع الآخرين كما يلي:

1- جبهة خبراء الصناعة ورجال الأعمال الاستثمار الذين يتطلعون إلى الاستحواذ على كل ما سيأتى به «غد الذكاء الاصطناعى» لتطوير صناعاتهم وتوسيع آفاق الاستثمار أمامهم، خاصة على مستوى الخدمات والصناعات التركيبية والتحويلية..

2- تحالف النقابات العمالية التى تقف بالمرصاد لكافة محاولات تقليص عدد العمالة عالية التدريب لحساب الريبوتات وآلات الإنتاج فائقة الذكاء، والتى تبذل مراكز الإنتاج الصناعى كل ما فى طاقتها لى توظفها بدلاً من العامل البشرى الذى يطالب بحقوقه بما فيها حق الإضراب، بينما تلك لا تطالب بمثل هذه الأمور بما فى ذلك العلوات الدورية والأجازات السنوية..

3- الناس العاديون، وهم الغالبية العظمى الذين يتحسس الكثيرون منهم مستقبل أيامهم فى ضوء ما ينشر بشكل عفوى حول التطورات التى تلحق بالذكاء الاصطناعى وما سىترتب عليها من الاستغناء عن «الملايين» من الموظفين الاعتياديين حول العالم خاصة المتقدم والنامى خلال سنوات معدودة..

هل تتوسع هذه الجبهات فى قابل الأيام بحيث تطفى إحداها على الأخرى؟؟ هذا هو ما ستجيب عليه وقائع الصراع بين الذكاء الاصطناعى والذكاء المخلوق فىنا!! إما حسماً لقدرة البشر على تطويع ذكاء الآلة لخدمة أهدافها الإنسانية بعيداً عن التخريب والتدمير بلا تمييز.. وإما استسلاماً لما صنعت أيدينا وما نجم عنه من تجبر واستقواء!!

## عصر الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي

جاءت مناقشة قضية «مصر دولة معلوماتية» خلال انعقاد المؤتمر السادس للشباب فى جامعة القاهرة، لتكشف مدى الاهتمام الذى توليه الدولة المصرية على مستوى القيادة السياسية والمؤسسات والشركات لدخول عصر الثورة الصناعية الرابعة، والاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتي لا تتم إلا من خلال توفير البيئة الحاضنة للتحول الرقمي سواء على مستوى البنية التحتية المعلوماتية أو على مستوى المدن الذكية والتطبيقات الإلكترونية أو على المستوى التشريعى والثقافى والاقتصادى.

من الوقت فى عملية التطور وانتشار المنجزات فى مناطق متعددة، وخفض تكلفة الإنتاج وتأمين الخدمات وتسهيل وسائل النقل والاتصال بشكل أكثر كفاءة وأقل تكلفة، وفتح أسواق جديدة وتحفيز النمو الاقتصادى، وتطبيقات الروبوتات والذكاء الاصطناعي، والعمل على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

ومن أهم سلبيات الثورة الصناعية الرابعة، هيمنة الشركات الكبرى على الإنتاج الصناعى، والتهديد باختفاء الكثير من الوظائف وفرص العمل بنسبة 50%، والمساهمة بشكل غير مباشر فى عدم المساواة واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، والتحديات التى يواجهها المجتمع مع إعادة الهيكلة الاقتصادية والاجتماعية وتحمل نتائج تغيير القيم الثقافية والاجتماعية.

**ملامح التغيير فى الأنماط والسلوك**  
فرضت خصائص الثورة الصناعية الرابعة أهمية فهم طرق التعامل مع متغيراتها على النحو الذى يعمل على توظيف القدرات والمهارات التى أصبحت فى سوق عالمى مفتوح، يرتكز على الجودة والثقة كمعيار للبقاء فى الحالة التنافسية الشديدة سواء فى تطبيق الأفكار والإبداع أو من خلال التطوير والتحسين المستمر فى المنتجات. وفرض ذلك أمام أصحاب الأعمال أو الشركات التعامل مع السوق العالمى وليس التفكير فقط فى السوق المحلى.

وتلعب البيانات دوراً إستراتيجياً



د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكتروني  
adelsadek@hotmail.com

فى عمليات التصنيع عبر آلات يتم التحكم فيها إلكترونياً وآلات ذكية متصلة بالإنترنت مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد، والذكاء الاصطناعي والروبوتات وغيرها. ويتم ذلك فى سرعة وتعقيد. وما بين تعزيز التداخل بين ما هو خارجى وداخلى وما هو خاص بالدولة وما هو خاص بالسكان، وما بين الفاعلين من الدول والآخرين من غير الدول، وبخاصة مع تعزيز قدرة الشركات على اتساع أسواقها وهيمنتها فى مقابل السيادة التقليدية للدولة.

وتتطور الثورة الصناعية الرابعة فى شكل طفرات هائلة للنمو وليس بصورة خطية، ومن الفرص التى تتيحها، العمل على تحقيق معدلات نمو عالية فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، وتحسين ورفع مستوى الرعاية الصحية، واختصار الكثير

### الثورة الصناعية الرابعة تتيح فرصاً غير مسبوقة

شكلت عملية التحولات الرقمية والعلمية التى يمر بها المجتمع الدولى إرهابات لثورة جديدة فى مجال الإنتاج وأسواق الأعمال والعلوم والطاقة والمجال الحيوى والصحي والاقتصادى، وأصبح لتلك المتغيرات دون شك تداعيات على المجتمع والدولة وأثر فى مفاهيم السيادة والقوة.

وعلى الرغم من أن الثورات الصناعية السابقة جاء معها زيادة فى الثروة والدخل وتحسين أنماط حياة البشر، إلا أن الثورة الرابعة التى يمر بها المجتمع الدولى جاءت بخصائص فريدة منذ بدايتها فى مطلع القرن الحادى والعشرين، والتى انطلقت من البناء على ما سبق إليه العلم من تطور فى تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت كما فى الثورة الصناعية الثالثة، والتى ظهرت فى الستينات من القرن العشرين، وفى حين بدأت الثورة الصناعية الثانية فى نهاية القرن التاسع عشر مرتكزة على اختراع الكهرباء، بينما كانت الثورة الصناعية الأولى معتمدة على الانتقال من الفحم إلى المحرك البخارى فى القرن الثامن عشر. وتتميز الثورة الصناعية الرابعة بأنها تجمع ما بين البعد المادى والآخر ذى الطبيعة الرقمية، ودمجها فى التطور البيولوجى، ويتحول ذلك فى شكل تطبيقات خاصة بكافة مجالات الحياة.

حيث يتم الدمج بين العلوم الفيزيائية أو المادية بالأنظمة الرقمية والبيولوجية

هدف معين بطريقة مشابهة أو تتعدى قدرة الإنسان، والتي تكون غالباً عبارة عن خوارزميات تعمل على كمبيوتر أو مجموعة كمبيوترات.

يتشكل الذكاء الاصطناعي من مجموعة أهداف وقدرات مختلفة والتي تشمل القدرة على التعلم Machine Learning، والقدرة على تنظيم العلوم وفهمها Knowledge Representation، والقدرة على تحليل اللغة، والقدرة على فهم الصوت Speech Recognition، وفهم وتحليل الصور والفيديو Computer Vision، حل المشاكل، الإبداع، التعامل العاطفي والمجتمعي، تحريك الروبوتات، الذكاء العام ويشمل القيام بجميع ما سبق، بالإضافة للذكاء الخارق Super Intelligence.

وهو ما يظهر في تطبيقات السيارات ذاتية القيادة، والطائرات بدون طيار «الدرون»، والروبوتات، والتحكم اللاخطي كالتحكم في السكك الحديدية، والأجهزة الذكية القادرة على القيام بالعمليات الذهنية كفحص التصميمات الهندسية واختبار الجودة، والمحاكاة المعرفية لاختبار النظريات المتعلقة بعمل العقل البشري والوظائف كالتعرف على الوجوه والأصوات والصور واستخلاص البيانات. ويكون للذكاء الاصطناعي تطبيقات في المجالات الطبية في تحليل تسلسلات الجينوم البشري للتنبؤ بالطفرات والوقاية من الأمراض. وروبوتات النانو والتي يمكن إدخالها إلى مجرى الدم لإعادة برمجة الجينات أو العمل كخلايا دم بيضاء فائقة الذكاء بما يعزز من الحفاظ على حالتنا الصحية.

ويلعب الذكاء الاصطناعي دوراً في تحليل البيانات الاقتصادية وفي محركات البحث، وفي الألعاب الإلكترونية، وفي مجالى التسويق والإعلان والصحافة، إلى جانب خدمات انترنت الأشياء، وفي مجال صناعة الأسلحة الحربية وغيرها من التطبيقات التي أصبحت تتكاثر وتتداخل في العديد من الوظائف. ويعتبر قطاع الحكومات مكاناً مثالياً لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، وفي تطوير العديد من برامج الحكومة الإلكترونية وفي تقديم الخدمات الحكومية للمواطنين بسهولة ويسر.



المؤسسات المعنية بالهيكل التنظيمي المرن القابل للاستجابة السريعة ووضع أسس للترقية بناء على الإبداع والقيمة المضافة وذلك من قبيل أن عملية نجاح الأعمال أصبح يتطلب قيادة ذكية وحكيمة قادرة على صنع المستقبل.

### الذكاء الاصطناعي.. ما الذى تغير؟

يعد الذكاء الاصطناعي من أهم إرهاصات الثورة الصناعية الرابعة لما له من تطبيقات عديدة وإن كان الذكاء البشري يعنى بالقدرات العقلية كالقدرة على التكيف مع ظروف الحياة والاستفادة من التجارب والخبرات السابقة والتفكير والتحليل والتخطيط وحل المشكلات والاستنتاج السليم والإحساس بالآخرين بالإضافة إلى سرعة التعلم واستخدام ما نتعلمه بالشكل السليم والمفيد، وارتبط كل ذلك بقدرات المخ والعقل البشري والتي ترتبط بالحالة النفسية والجسدية.

وعلى النسق ذاته فإن الذكاء الاصطناعي يحاول أن يحاكي ذكاء الإنسان وفهم طبيعته عن طريق عمل برامج الكمبيوترات في محاكاة السلوك الإنسانى، ويستخدم فى المجالات العسكرية والصناعية والاقتصادية والتقنية والطبية والتعليمية والخدمية وغيرها. من أهم خصائص الذكاء الاصطناعي، أنه عبارة عن مجموعة برمجيات وليس جهازاً كهربائياً حيث أنه يهدف لتصميم آلة قادرة على تحقيق

فى تعزيز القدرة على تطبيقات الذكاء الاصطناعي فى إطار ما يطلق عليه «هرم المعرفة» المكون من خمس مراحل أساسية، هى مرحلة ما وراء البيانات ثم مرحلة البيانات ثم مرحلة المعلومات ثم مرحلة المعرفة ثم مرحلة الحكمة، وهى مراحل التقدم الإنسانى لأى مجتمع ينتقل من مرحلة التخلف إلى التقدم والإبداع والابتكار.

ولما أصبحنا نعيش فى عالم السرعة حيث أصبحت التفاعلات تقاس بالثوانى والتدفق المتسارع للبيانات والمعلومات فى عالم مفتوح، ومن ثم فإن الصراع ليس فقط فى إنتاج الأفكار بل فى القدرة على تطبيقها وتحويلها إلى منتج، وخاصة فى ظل تقليص الزمن الذى يفصل بين مرحلة التصميم والإنتاج والتوزيع.

أصبحت عملية تقديم الخدمات المميزة والمتجددة والقابلة للاستجابة لردود الأفعال وخدمة العملاء بطرق مبتكرة، أصبحت صفة مميزة لعصر الثورة الصناعية الرابعة، ويأتى ذلك مع أهمية الاهتمام بالإبداع والابتكار وهو ما يتطلب أن يتم الاستثمار بشكل كبير فى تنمية المهارات البشرية وبخاصة مهارات «التفكير النقدي» و«حل المشكلات»، وهو قد يتم داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتعليمية، وتنمية مهارات التشبيك والتعاون والقيادة والنجاح فى التأثير فى الآخرين. ويفرض ذلك أيضاً أن تتمتع

## عصر الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي

وتفوق الاستثمارات في مجال الذكاء الاصطناعي على المستوى العالمي ما يتم استثماره في مجال التنقيب عن النفط، ومن المتوقع أن يضيف الذكاء الاصطناعي عام 2030 إلى الناتج المحلي الإجمالي العالمي أكثر من 15 تريليون دولار أي ما يبلغ 10 أضعاف مبيعات النفط عالمياً.

### تطبيقات الذكاء الاصطناعي والسياسة الخارجية

تتجه العديد من الدول إلى توظيف الثورة الصناعية الرابعة في مجال الحكومة الإلكترونية وبخاصة فيما يتعلق بالشؤون السياسية والخارجية، حيث تبلور ما بات يعرف بالدبلوماسية الرقمية من خلال توظيف تلك المعطيات في عملية صنع القرار وإدارة الشؤون الخارجية، وتهدف عملية دمج الذكاء الاصطناعي وعالم الدبلوماسية إلى استخدام الروبوت بهدف تحسين العمل السياسي وتعزيزه، حيث تكون الدبلوماسية السياسية أشبه بلعبة الشطرنج من حيث خطوات محددة. فعندما تقوم دولة بخطوة أو تحرك تستجيب لها الدولة الأخرى، والهدف النهائي هو الفوز كحال اللعبة المحببة للأذكاء. ويجرى استخدام شبكة الإنترنت وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات للمساعدة على تنفيذ أهداف الدبلوماسية، وتسخير تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التواصل مع الجمهور بهدف خلق بيئة تمكين للسياسة الخارجية.

وتساعد تطبيقات الذكاء الاصطناعي في سرعة نقل المعلومات بين الداخل والخارج، وتعزيز التواصل مع الفاعلين من غير الدول كفاعلين دبلوماسيين وبشكل يمكنهم بأن يكون لهم دور أساسي في العلاقات الدولية، والتي من أهم ملامحها أن الدولة لم تعد الفاعل الوحيد في صنع السياسة الخارجية وأصبح إلى جانبها فاعلون آخرون يقومون بالعديد من المهام الدبلوماسية. وقد أدى ذلك إلى تطوير عمل أجهزة إدارة

الشؤون الخارجية لدول العالم، وأدى أيضاً إلى بروز دور قوى للقوة الناعمة في العلاقات الدولية وتطور في إدارة الأزمات الدولية ومنع الصراع الدولي وبشكل متطور في إدارة التفاعلات الدولية، وتعزيز فرص تطبيقات نماذج المحاكاة في معالجة الأزمات الإنسانية والدولية.

وتطور ذلك إلى توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال العسكري، وهو ما يكون له عظيم الأثر في طرق قيادة الجيوش الحديثة والتغير في طبيعة التوازن العسكري، فهناك تنافس شديد بين الدول الكبرى في النظام الدولي للاستحواذ على السبق في هذا المجال، وعلى سبيل المثال هناك تسابق محموم بين الصين والولايات المتحدة حيث أنه بالرغم من قيادة الولايات المتحدة إلا أن الصين وضعت على رأس أولوياتها من خلال إعلانها «خطة تطوير الجيل الجديد من الذكاء الاصطناعي»، والتي تهدف إلى «قيادة العالم» في مجال الذكاء الاصطناعي بحلول عام 2030. فقد أحدث الذكاء الاصطناعي تحولاً من الحرب «المعلوماتية» إلى «المطورة بالذكاء»، ليصبح الذكاء الاصطناعي في مركز النزاعات المستقبلية، وأصبحت العقول البشرية المعززة بالذكاء الاصطناعي أقوى بكثير من برامج الذكاء الاصطناعي مفردة.

### فرص واعدة للاستثمار في المستقبل

إن عملية بناء المشروع الوطني للتحول الرقمي ومواجهة تحديات العصر الرقمي تتطلب العمل على تبني استراتيجية وطنية يشارك في صياغتها وفي تنفيذها كافة المعنيين من الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني وغيرهم من أصحاب المصلحة، وذلك لما في ذلك فائدة في تحقيق الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة بحلول عام 2030.

وتشمل عمليات التحول الرقمي العمل على بناء بنية تحتية معلوماتية ومدن ذكية وتطبيقات إلكترونية إلى جانب العمل على تعزيز السياق العام لعملية التحول من خلال التحديث التشريعي والثقافي ومواجهة الآثار الاجتماعية. ومن الضروري الاستفادة من المزايا

النسبية التي حققتها مصر في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى جانب الخصائص السكانية والتي تحوى نسبة كبيرة من الشباب ومن الدارسين والمتدربين في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ناهيك عن امتلاك مصر ثروة طبيعية هائلة تمكنها من تصنيع السليكون من رمالها الممتدة بما يخدم على تنمية الصناعات الإلكترونية إلى جانب رخص تكلفة العامل مقارنة بغيره، وحظيت مصر على المركز التاسع عالمياً في مجال الأمن السيبراني، وتحتل مصر المركز الثاني عالمياً في مرور الكابلات البحرية من خلال مياها الإقليمية وقناة السويس والتي تمر من خلالها البيانات والمعلومات والاتصالات.

وهناك فرص العمل على إطلاق برامج لبناء القدرات الوطنية وإصلاح المناهج التعليمية وأن يرتبط التعليم بالثورة الصناعية الرابعة، وتعزيز التقدم في مجال الشمول المالي والاستثمار في البنية التحتية الأساسية، والتوسع في الأبحاث التطبيقية والاهتمام بالإبداع والابتكار كركيزة أساسية في الولوج إلى الاقتصاد الرقمي، وهي الأمور التي باتت أساساً لدعم عملية الدخول في الاقتصاد الرقمي وتملك آليات إنتاج وحماية الابتكار والإبداع، والذي أصبح ممهداً للذكاء الاصطناعي، وأهمية ذلك في تعزيز قدرة مصر على الدخول في مضمار الثورة الصناعية الرابعة، والتي أتاحت الفرصة لأول مرة للدول الصغرى في النظام الدولي بأن يكون لها دور بعيداً عن متطلبات القوة القومية التي ارتكزت على العناصر التقليدية المرتبطة بالمساحة والموارد الطبيعية وقوة الجيش وعدد السكان، وأصبحت تغلو معها قيمة الكيف عن الكم، وقيمة الذكاء عن التقليد. وبجانب التطور في مجال استخدام العقل البشري في الإبداع والابتكار، فقد تمكن هو ذاته من إيجاد ذكاء اصطناعي مواز له يعمل على تسهيل حياة البشر ويعزز فرص الإنتاج، والقدرة على بناء دولة رقمية قادرة على تعزيز مكانتها العالمية وحماية أمنها القومي وقيادة التغيير في الداخل والخارج بما يخدم المصلحة الوطنية والأهداف القومية.

# ثورة الذكاء الاصطناعى

أصبحنا أمام تحول حضارى جديد يفوق فى أهميته التحول من مرحلة الصيد إلى الزراعة والتحول من الزراعة إلى الصناعة، فالمعرفة البشرية تتضاعف مرة كل عشر سنوات، وبالتالي فقد خلف العقد الأول من الألفية الثالثة معرفة علمية تفوق ما حققته البشرية من إنجازات خلال العشرين قرناً السابقة، خاصة وأن قدرات الكمبيوتر تتضاعف مرة كل 18 شهراً بعد أن كانت مرة كل عامين، بينما تتضاعف قدرة الإنترنت مرة كل عام، وتتضاعف سلاسل الـ DNA التى يمكننا تحليلها مرة كل عامين، وتتغير الصناعات بما يبشر باختفاء 200 وظيفة من الوظائف الحالية، وتشير المؤشرات إلى استقبال انترنت الأشياء والإنترنت الفضائى خلال فترة وجيزة قد لا تتجاوز عامين.

الأصغر أولاً ثم استعمار دول لأخرى، ووصل الأمر إلى استخدام الجريمة المنظمة فى كثير من الأحيان لتكوين الثروات. وبالرغم من استمرار العنف الصريح حتى ثلاثينات القرن العشرين فقد استمر كوسيلة لتنفيذ القانون والتقاضى وكوسيلة لجنى وتكوين الثروات ولكنه أصبح عنفاً غير مباشر ونتيجة دخول الثروة نفسها كمقوم من مقومات القوة، ونتيجة أن العنف الخاص تم إحلاله بالعنف الرسمى باعتبار أن الدولة من حقها استخدام العنف بصورة رسمية فلا يمارسه إلا جيشها وشرطتها وقضاؤها وفى كثير من الحالات كان رأس المال يسيطر على السلطة السياسية أى على الدولة نفسها، إضافة إلى أن تنفيذ القانون كان يعنى ببساطة إعلاء أهمية العنف، كما أن قيام شركة برفع قضية ضد أخرى كان يعنى أنها تطلب من الدولة استخدام قوة القانون ضد هذه الشركة وهو ما عبر عنه الجنرال ديغول بقوله: «يجب أن تكون القوة فى جانب القانون دائماً». ومع نهاية القرن العشرين تبدلت وظيفة وشكل العنف فى الدولة بتأثير الثورة العلمية، ولهذا اتجهت جميع المجتمعات الصناعية نحو زيادة الربحية، وأصبح تراكم الثروة هاجساً فى العصر الصناعى يسعى إليه الجميع، وبالتالي أدى ظهور الدولة القومية الصناعية إلى احتكار العنف وزيادة تركزه فى قطاعات معينة، كما أدت إلى سمو العنف فى صورة القانون وإلى اعتماد متزايد



سفير د. عزمى خليفة

azmykhalifa@gmail.com

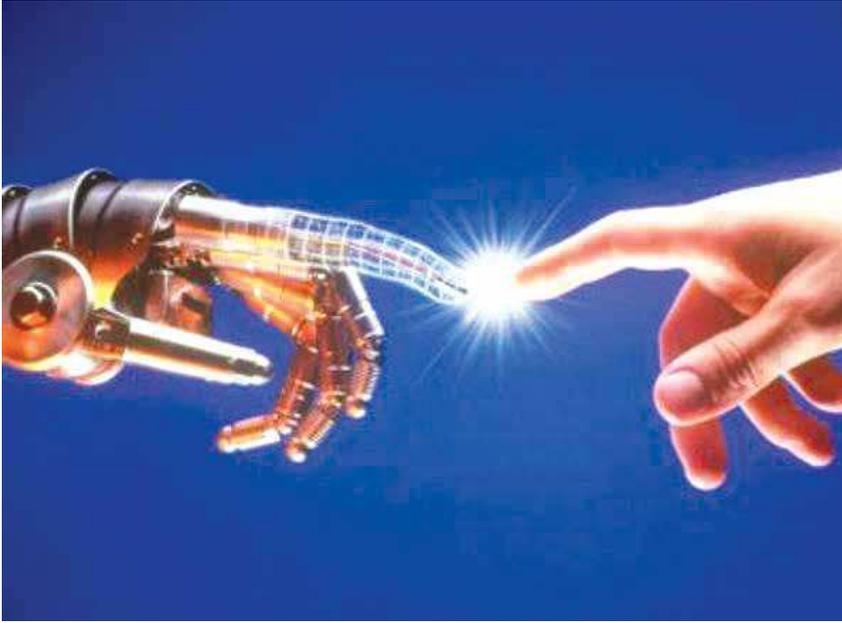
رئيسى من مكوناتها، بل أهم مكوناتها فى نهاية ثمانينات القرن العشرين، فقد بدأت القوة تاريخياً مستندة إلى العنف منذ أن قتل قابيل شقيقه هابيل، واستمرت مستندة إلى العنف فقط طوال عصر الصيد ولذا ظهر فعل أخذ قبل فعل أنتج فى اللغة، واستمر هذا الوضع بالانتقال إلى الحضارة الزراعية والاستقرار، بل إن أدوات هذا العصر مثل المحراث والفأس والمنجل والسوط تشير إلى العنف بنفس قدر إشارتها للإنتاج، وكان استمرار استخدام العبيد حتى عشرينات القرن الماضى تجسيدا للعنف فى الحضارة الصناعية، التى استمر العنف فيها أساساً للقوة، ويشير إلى ذلك الخطف والسلب والنهب وقطع الطرق والقرصنة البحرية والاستيلاء على أراضى الغير مستخدمين عزوة العائلات الأكبر ضد ضعف العائلات

هذه الثورة العلمية غير المسبوقة استفادت أساساً من تطورات علم الفيزياء وتحديدات من نظرية الكم أو الكوانتم وإنجازاتها التى تمثلت فى ظهور التلفزيون والتليفون المحمول والشبكة العنكبوتية للمعلومات والرادار والقنبلة الذرية وفك شفرة الـ DNA إن إيه، وفحص الجسم البشرى بالرنين، والتشخيص وإجراء العمليات عن بعد، وتطوير الأشعة، وتصميم الإنترنت. هذه الثورة تستند إلى ثلاثة مجالات علمية هى الكمبيوتر أو الثورة المعلوماتية، وثورة النانوتكنولوجى، وثورة البيوتكنولوجى وهى ثلاث ثورات متكاملة علمياً ومتساندة وظيفياً ويصعب الفصل بينها وهدفها تأكيد ترابط العقل والمادة والحياة اليومية، وهذه الثورات العلمية الثلاث ليست الأساس العلمى للكشف عن أسرار الطبيعة والتقدم فقط ولكنها أساس توليد الثروة والاقتصاد والازدهار لمختلف دول العالم أيضاً، باعتبارها جوهر دراسة الإليكترونات الدقيقة، والتكنولوجيا الحيوية، وصناعات المواد الجديدة، والاتصالات، والطائرات المدنية، والإنسان الآلى، والبرمجيات التى تدير حياتنا اليومية.

### الذكاء الاصطناعى وتحولات القوة

الذكاء الاصطناعى يضم آخر مجالين من المجالات المشار إليها أعلاه أى الإنسان الآلى والبرمجيات، وهما مجالان تطوراً نتيجة تحول القوة بتأثير دخول المعلومة كمكون

## ثورة الذكاء الاصطناعي



للجماهير على الثروة أو المال، وقد أدت هذه التغييرات الثلاثة إلى تولد اتجاه عام لدى الشركات الكبرى لاستخدام الثروة لتحقيق أهدافها بدلاً من العنف الصريح والضمني الذي ساد في العصور السابقة على العصر الصناعي وكان هذا إيذاناً بتغيير علاقات القوى نتيجة تغير طبيعة العنف والثروة وزيادة أهمية المعلومة، فقد أدى هذا التحول إلى ظهور نظام جديد وتحولات واسعة في طرق الإنتاج تؤثر بشكل مباشر على شكل الدولة القومية وتوزيع القوة في داخلها، وعلى شكل النظام الدولي وتوزيع القوة فيه أيضاً، ومن ثم فهذه الطرق الجديدة للإنتاج تقودنا إلى صيغ تنظيمية جديدة محلية وإقليمية وعالمية للإنتاج في آن واحد، كما أنها ستؤثر بصورة مباشرة على العمالة الموجودة فتحوّلها من «عمالة صناعية» إلى «عمالة معرفية» والخاصة في هذا المجال أن القوة أصبحت ناتجاً أساسياً للمعلومة - إلى جانب العنف والثروة اللذين تحولا إلى ظاهرة رمزية - ومن ثم فإن تزايد الاعتماد على قوة السيبر أصبح ضرورة ملحة رغم كل المحاذير التي ارتبطت بتطوير الروبوت والإنسان المعزز للخشية من احتمالات عدم السيطرة عليه مستقبلاً.

### الذكاء الاصطناعي وحياتنا اليومية

من إجمالي 4 تريليونات دولار متداولة داخل السوق الأمريكية حوالي 10% منها في شكل نقود مخزنة في البنوك وفي جيوب السكان ومتداولة في السوق والباقي عبارة عن بطاقات ذكية، وهذا الاتجاه لتحول القوة والثروة إلى شيء رمزي يتزايد في العالم أجمع نتيجة دخول المعلومة إلى مكونات القوة إلى جانب العنف والثروة، ولذا يسود اعتقاد عام بأن الذكاء الاصطناعي لن يمكن الاستغناء عنه في المستقبل، بل إن الاتجاه الحاكم في الثورة العلمية الحالية سيكون الاعتماد بشكل كبير على تطبيقات الذكاء الاصطناعي. ونظراً لاتساع المجالات التي يمكن فيها تطبيق الذكاء الاصطناعي من

الأجيال القادمة أي أعباء جديدة، وكان التأثير المباشر للشعوب على الدول والنظم السياسية من خلال ظهور نمط جديد من الحركات الاجتماعية يتسم بعدم وجود قيادة أو تنظيم أو أيديولوجية مما دفع بالباحث اصف بياتي لإطلاق عليها مفهوم اللاحركات الاجتماعية والذي لم يدركه اصف وغيره من أساتذة علم الاجتماع أن الظاهرة السياسية ازدادت درجة تعقيدها وتنوعت بشكل كبير وتحكمت فيها المعلومة بالدرجة الأولى مع تحولات في طبيعة العنف والثروة، وظهرت أهمية تطبيقات التواصل الاجتماعي التي تعد في جوهرها وكالات أنباء شخصية في يد المواطن والدولة على السواء للتفاعل مع الخطاب السياسي الذي تطرحه الدولة والذي يبدى فيه الشعب راية عبر هذه المواقع ومن ثم فقد تحول التفاعل السياسي إلى تفاعل لحظي يتناول المواطنة والعالمية، والعنف والديمقراطية التي انتقلت من النيابية إلى التشاركية، وتحديد قيمة الإنتاج وأسلوب توزيعه. هذه الحركات الاجتماعية الجديدة اجتاحت كل دول العالم خلال أزمة 2008 الاقتصادية وما كانت لتظهر في العالم لولا التشبيك المكثف الذي أصبح فيه العالم نتيجة استخدام الإنترنت ومختلف تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي، فقد تخطت هذه الحركات مختلف مفاهيم المجتمع الصناعي، وأثبتت أن العالم أصبح قرية صغيرة فعلاً، وأن الشعوب قادرة على المشاركة في إعادة صياغة الأحداث السياسية العالمية، بل وقادرة على تشكيل تيار عريض من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب لرأى عام

التعليم إلى الأمن إلى الصناعة إلى الزراعة إلى تجاره إلى الحياة اليومية فقد يكون من المناسب تحديد مجال واحد وتأكيد علاقته بقوة السيبر مثل الأمن القومي للدول باعتباره مجالاً مهماً لمصر في الوقت الراهن. ونظراً لأن التغيير شمل أنماط الحياة وطرق التفكير ونماذجها، وتحقق أساليب جديدة من التنمية، وزيادة تعقيد الظاهرة السياسية بشقيها المدني والعسكري على السواء فقد طرأت تغييرات عديدة على التحليل السياسي وأساليبه، وتمثل التغيير الأكبر في اتباع المناهج للاخطية مثل نظرية الفوضى والفوضى الحديثة والتحليل الشبكي ونظرية النظم الدينامية وما تتطلبه من بناء النماذج الواقعية، والدراسات المسحية بمختلف أنواعها، والدراسات الاستطلاعية وما يرتبط بها من تحليلات كمية وكيفية. ولدراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والدولة التي تغيرت وظيفتها بتأثير التحول إلى التفاعل السياسي اللحظي وزيادة التشبيك فيها على المستوى الشعبي والتنظيمي، واكتساب السياسات الداخلية أبعاداً عالمية نتيجة اكتشاف أن عدداً من المشكلات العالمية مثل اللاجئين والتنمية الاقتصادية وتدهور الخدمات المقدمة للمواطنين في دول بعينها والهجرة غير الشرعية والإرهاب على سبيل المثال ترجع إلى اتباع بعض الدول سياسات داخلية خاطئة، مما أدى بالتالي إلى تغير مفهوم الشرعية من الشرعية التاريخية إلى الشرعية القانونية أو الدستورية، وأخيراً إلى شرعية المستقبل أو شرعية الإنجاز للمستقبل وعدم تحميل

عالمى يحدد مسار الأحداث وقد شاهدنا ذلك بوضوح فى الحرب على العراق 2003 وفى قرار الرئيس الأمريكى ترامب بشأن اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل وفى نتيجة الانتخابات الأمريكية.

### حكومات ذكية تدير الحياة اليومية

واليوم تتفاخر الدول بإنجازها وحكومات ذكية تتولى إدارة الحياة اليومية، هذه الحكومة الذكية تستخدم قوة السيبر بصورة متزايدة فإدارة المرافق العامة تتطلب طاقة هائلة من المعلومات تنظمها برامج مهمة للكمبيوتر لإدارة حركة المترو والكهرباء والصرف الصحى ورقابة المرور وإنتاج المصانع المختلفة ومراقبة الجودة ووصول المنتج إلى المواطنين ومراقبة الاختناقات الترمينية، أيضاً الخدمات الخاصة بالمواطنين مباشرة مثل تحديث سجلات المواليد والوفيات وإصدار البطاقات الذكية كلها موضوعات تدار من خلال الذكاء الاصطناعى ممثلاً فى الاستخدامات المدنية لقوة السيبر التي أصبحت لا غنى عنها، ولكن الأهم من هذا الاستخدام أن قوة السيبر فاعل أساسى فى ضمان حق المواطن فى المعرفة وهو حق يعد من أهم حقوق الإنسان فى العصر الحديث دون أى خلاف، وهذا الحق فى المعرفة يدور حوله حوار سياسى صامت بين المواطنين من جانب والدولة من جانب آخر. كذلك فقد أدى تغلغل الذكاء الاصطناعى فى حياتنا اليومية على النحو السابق إلى تغييرات فى هيكل العلاقة بين الدولة والمجتمع، فالمجتمع بمرونته تحول إلى مجتمع شبكى بتأثير من الثورة المعلوماتية إلا أن الدولة مازالت محتفظة بتنظيمها المتردد الرئاسى الهرمى وهذا جعل الشعب أكثر فعالية فى وقت الأزمات وهو أمر يتطلب ضرورة اتجاه الدولة إلى بناء شبكاتها التي عادة ما يتم تنفيذها ليس للسيطرة على المجتمع وإنما للتفاعل مع المجتمع وإعادة بناء المجتمع المدنى لأهميته بوصفه مكملاً وشريكاً للحكومة وبوصفه حلقة الوصل بين الدولة والمواطن. من ناحية أخرى فإن المجالات التي تشهد غياب الذكاء الاصطناعى والبرمجيات عادة ما تكون أكثر المجالات تخلفاً وفساداً فى الدولة والمثال الواضح فى مصر هو قطاع

السكك الحديدية الذى يحتاج لاستثمارات ضخمة فى التدريب والصيانة والمعدات وغرفة التحكم والاتصالات التي تعتمد بالكامل على بنية تحتية معلوماتية وعلى عدد من البرمجيات وشبكات الاتصال لضبط حركة القطارات المختلفة منذ قيامها ولحين وصولها، وكذلك فإن الفساد يعد مشكلة مهمة تهدد أمن مصر وعملية إعادة بناء وتنظيم الإدارات الحكومية على أسس شبكية كفيل بمعالجة هذه المشكلة من جذورها وفق أسس باتت معروفة.

### تغيير الاستراتيجية العسكرية

أما تأثيرات الذكاء الاصطناعى على المجالات العسكرية فإنها أكثر عمقاً فرغم أن الجميع يولى اهتمامه إلى التسليح فى الشق العسكرى، إلا أن التأثير لا يقتصر على هذا المجال فقط، فقد غير الذكاء الاصطناعى من أشكال الحروب أو أجيال الحروب، وفقاً لطبيعتها والهدف منها وهى حروب الجيل الأول وكانت بين جيوش نظامية وكان تنظيم الجيش يستند إلى قلب وجناحين من الفرسان والسلاح المستخدم هو السلاح الأبيض أى السيوف واستمرت إلى ما بعد صلح وستفاليا. أما الجيل الثانى فهى الحروب التي اعتمدت على الدبابات والمعدات الميكانيكية وكان تنظيم الجيش يستند إلى صفوف عرضية تحفظ وراءها صفوفاً عمودية وبدأت مع الحرب العالمية الأولى أما الجيل الثالث فقد كان جيل حروب العصابات ضد الجيش النظامى وهى حروب طرحها الفكر الماركسى وقيام أول دولة اشتراكية فى الاتحاد السوفيتى واستندت هذه الحرب على نمط الحرب الخاطفة والكر والفر، وأخيراً فإن حروب الجيل الرابع هى حروب الجيل الرابع التي تعرف بأنها حروب المعلومات التي تستند إلى منجزات الثورة المعلوماتية من انترنت والشبكة المعلوماتية والإشاعات ومواقع التواصل الاجتماعى، وهى بطبيعتها حروب مجتمعية بالدرجة الأولى، ورغم أن جوبلز وزير دعاية هتلر قد ابتدع هذا الجيل فى الحرب العالمية الثانية إلا أن الجديد هو البنية التحتية المعلوماتية المصاحبة للحرب وتغيير أهدافها من إبادة قوات العدو إلى تدمير المجتمع، وهى حروب اجتاحت العالم فى وسط أوروبا

عام 1989، وفى شرقها مع سقوط الاتحاد السوفيتى وتجذرت فى الأزمة البلقانية فى يوغوسلافيا السابقة، وفى رواندا وبوروندى فى أواسط أفريقيا فى التسعينات، ووصلت إلى منطقتنا العربية فى مطلع العقد الثانى من الألفية الثالثة وهو ما أطلق عليه الربيع العربى فى تونس ومصر وسوريا وليبيا واليمن، مما أثار تساؤلات عديدة حول حقيقة ما حدث، ووسائل تحقيقه. وفى إطار هذه التساؤلات برزت مجموعة من التساؤلات تختص بالتغيير السياسى العنيف ممثلاً فى الحروب كمفهوم، وأدواتها، وجدوى هذه الوسائل فى ظل «تغيير طبيعة الصراع» نتيجة ظهور المجتمع الشبكى وتأكيد دور «المعلومة» وتغيير هدف الحرب إلى تفتيت المجتمع إلى كيانات أصغر وأكثر تنافراً على أسس مذهبية أو دينية أو عرقية وإثنية. هنا فقد غير الذكاء الاصطناعى الإستراتيجية العسكرية كما توارثناها من ماهان وماكيندر وصراع اليابس ضد البحر فكان الهدف تدمير قوات العدو إلى أن جاء ليدل هارت مؤكداً أن الهدف أصبح إقناع العدو بعدم جدوى استخدام قواته المسلحة لفداحة الثمن الذى سيدفعه، كما غير فى مفاهيم القيادة والسيطرة والتحكم من مستوى الجندى الفرد إلى مستوى الوزير ورئيس الأركان والمعدات اللازمة لذلك لما يحقق وحدة القيادة والجنود. أما فى مجال المعدات فتحوّلت إلى معدات ذكية يسيطر عليها عدد هائل من رقائق الاستشعار وتحديد الاتجاه والكشف عن جنود العدو، أما التسليح فقد استند من استخدام الإنسان الآلى فى القتال إلى استخدام أشعة الليزر والموجات الصوتية والحماية الذاتية وكانت قمة التحول فى الفصل بين موقع المتحكم فى القوة وموقع ممارسة القوة كما هو الحال فى قوة السيبر مما يبشر بإدارة الحروب عن بعد، وبأساليب جديدة سلمية وبأسلحة ذاتية العمل، وفى المقابل ظهور الإرهاب الناعم المجتمعى الذى يتم من خلال تحكم الإرهابى فى كافة المرافق الحيوية لدولة بعيدة عنه آلاف الأميال فالهدف أصبح المجتمع وليس الجيوش دون الاستغناء عن دورها تماماً فى المستقبل.

# قدرة الآلة على محاكاة العقل البشري وطريقة عمله

وأنا أقرأ جرائد الصباح منذ عدة أيام، استوقفتني خبر جاء في سياق تفاصيله التالي: «... تُعدُّ كندا واحدة من الدول التي اهتمت بالتكنولوجيا من خلال إدخالها في المجالات الحياتية المختلفة، إضافة إلى أنها لا تفرض الكثير من القيود على شركات التكنولوجيا، الأمر الذي جعلها في النهاية وجهة الكثير من شركات التكنولوجيا لتطوير بعض المشاريع والتي كان أبرزها مشاريع الذكاء الاصطناعي،...».

السابقة.

وقد ذُكرَ في سياق هذا التعريف أيضًا أنه منذ التطور الذي شهده الحاسوب في منتصف القرن العشرين، قد تمَّ اكتشاف أنَّ الحاسوب باستطاعته القيام بمهام أكثر تعقيدًا مما كنا نعتقد أو نتخيل؛ حيث يتمكن من اكتشاف الإثباتات للنظريات الرياضية المعقدة، كما أن لديه القدرة على لعب الشطرنج بمهارة كبيرة!

لكنه وبالرغم من إيجابياته الكثيرة من سرعة في المعالجة وسعة تخزينية عالية؛ لا يوجد حتى الآن أي برنامج باستطاعته مجازة مرونة العقل البشري خصوصًا بما يتعلق مثلًا بقيامه بالمهام التي تتطلب الاستنتاجات اليومية التلقائية لما يتم التعرض له من مواقف حياتية تتعلق بالتفكير والشعور، ولكن على الناحية الأخرى هناك بعض التطبيقات التي استطاعت أن تضاهي مستوى أداء الخبراء والمحترفين بالقيام بمهام محدّدة، ومنها على سبيل المثال التشخيص الطبي، ومحركات بحث الحاسوب وقدرته على التعرف على الصوت والكتابة اليدوية.

وأسعدني -وأنا أبحث أيضًا في الأخبار- خبر يتحدّث عن أن أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بمصر التي كانت قد أطلقت البرنامج القومي للحاضنات التكنولوجية «انطلاق» في أكتوبر 2015م، وقد وصل عدد فروع تلك الحاضنات الآن إلى سبعة عشر فرعًا تُغطّي معظم أقاليم مصر المختلفة من الصعيد إلى الوجه البحري (قنا، سوهاج، السويس، أسيوط، طنطا، دمياط، الإسكندرية، القاهرة) ليصل بذلك عدد الشركات الناشئة ثلاثة وستين شركة تكنولوجية ناشئة، بإجمالي دعم مُقدّم من الأكاديمية يصل لما يقرب من ثلاثة وثلاثين



هبة عبدالعزيز

heba.elmolla@yahoo.com

العديد من المحطات الإذاعية والتلفزيونية العالمية -بشكل موسّع- والمحلية -على استحياء إن جاز القول- ولعل فضولي قد أخذني إلى محرك البحث، فرُحْتُ أقرأ وأجمع المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع الذي على ما يبدو أن معظم دول العالم المتقدم والشركات الكبرى ربطت الأحرمة وشدّت الرحال صوبه.

وقبل أن أطرح السؤال: بأيّن نحن من هذا؟! ربما وجدت أنه من الجيد أن أرصد في البداية تعريفًا مبسطًا لمصطلح الذكاء الاصطناعي قبل أن ندخل في بعض التفاصيل المتعلقة بهذا النوع من التكنولوجيا الحديثة والمتطورة جدًّا.

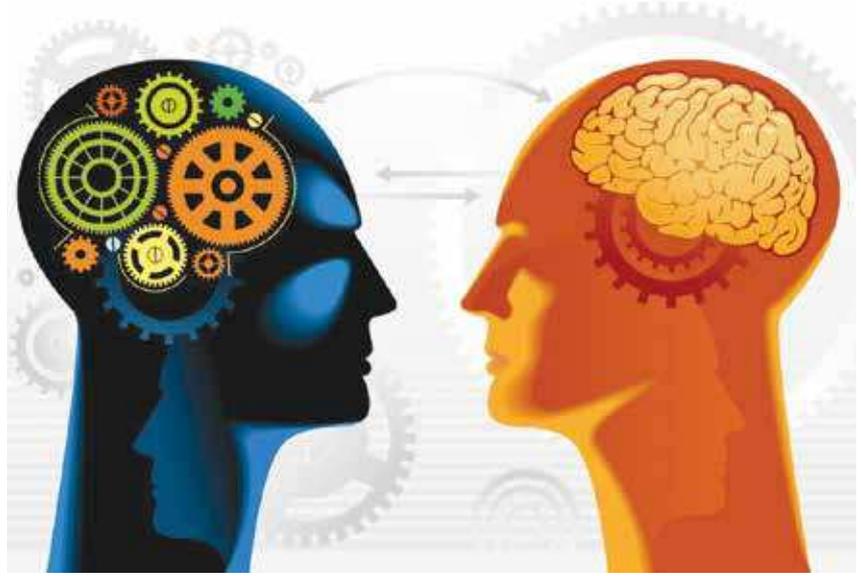
وربما شعرت أيضًا أنه من بين العديد من التعاريف التي قرأتها قد جاء هذا التعريف التالي معبرًا بشكل سهل ومبسط عن مضمون تلك التكنولوجيا المعقدة جدًّا؛ حيث يُعرّف الذكاء الاصطناعي بأنه عبارة عن قدرة الآلة على محاكاة العقل البشري وطريقة عمله، مثل القدرة على التفكير، والاكتشاف والاستفادة من التجارب

جيد، فهي تهتم بالتكنولوجيا، ولا تفرض الكثير من القيود على شركات التكنولوجيا! وقد رصد الخبر أيضًا بعض أبرز الشركات العالمية التي لجأت لكندا مؤخرًا لتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي، ومنها: شركة إل جي التي تفتتح حاليًا مختبرًا لأبحاث الذكاء الاصطناعي، وشركة فيس بوك والتي أعلنت عن افتتاح مختبر جديد لها خاص بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في مونتريال بكندا، والذي سينضم إلى شبكتها من المختبرات القائمة بالفعل داخل مقر الشركة بمدينتي نيويورك وباريس، وذكر ان كبير علماء الذكاء الاصطناعي بالشركة قد قال: «إن مختبر مونتريال سيضم علماء ومهندسين بحثيين يعملون بمجموعة واسعة من مشروعات البحوث الطموحة الخاصة بالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي»، حتى أن شركة أوبر تشارك؛ حيث افتتحت مكتبًا جديدًا بتورونتو في كندا مخصصًا لمشروع السيارات ذاتية القيادة، جنبًا إلى جنب مع وجود مقر مخصص لتطوير هذه التكنولوجيا في بنسلفانيا، كما تعهدت أوبر كذلك بدعم معهد فكتور الذي أسسه أورتاسون والمعنيّ بأبحاث الذكاء الاصطناعي على مدى السنوات القليلة المقبلة.

ومما هو واضح لدينا أن هذا الخبر يدور حول موضوع (الذكاء الاصطناعي)، والذي يبدو أنه أصبح من الأهمية بمكان بحيث بات يشغل أجندة كبرى الشركات العالمية كما تابعنا؛ لذا وجدنا كندا تخطط لكيفية توظيفه والاستفادة من تقنياته. وقد لاحظت انتشار هذا المصطلح وتداوله في الآونة الأخيرة بشكل لافت للنظر، بحيث بات مسار اهتمام كبير أيضًا في الإعلام، وأصبح يتصدّر عناوين صحف وفقرات البرامج في

مؤتمر صحفى ذكرت فيه أنها تريد أن تكون شريكاً للبشر فى نشر الخير على الأرض، وشريكاً أيضاً فى التكنولوجيا والبيئة والتصميم، ويمكن لها أن تكون سفيراً لمساعدة البشر على الاندماج والاستفادة لأقصى حد من كل الأدوات التكنولوجية الجديدة والإمكانيات المتاحة الآن، وأذكر أنها قالت أيضاً: إن هذه فرصة لها لتعلم الكثير حول البشر! ولكن هل يمكنها فى المستقبل -مثلاً- أن تقوم بأشياء كالذهاب للمدرسة؟! أو أن تعمل فى مجال كالفن أو الصحافة؟! أو تتزوج وتكون عائلة كما تتمنى أو تتخيل ابنتى نورين؟!

وهناك العديد من المجالات التى انتشر استخدام الذكاء الاصطناعى فيها، فمثلاً: تتنافس كبرى شركات السيارات -مثل أودى نيسان- فى إنتاج سيارات ذاتية القيادة بالكامل، أيضاً هناك تطبيق Recent News وهو تطبيق إخبارى ذكى، يمدنا بالجديد من الأخبار، ويدعم هذا التطبيق تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى التى تمكّنه من التعلم من خلال التجربة ميولاتك، مقالاتك المفضلة، ويقوم باقتراح مواضيع عليك قد تحب متابعتها، وكذلك يمكنك تشغيل الإضاءة فى منزلك والتحكم فى لون الضوء ومدى سطوعه عن طريق الهاتف ودون الحاجة إلى النهوض، كما تطوّرت الأجهزة بشكل كبير بفضل الذكاء الاصطناعى؛ فالآن وبعد خروج الجميع من المنزل، يتم غلق الأبواب تلقائياً وحتى تنطفئ الأضواء. هذا بالإضافة إلى منظم الحرارة الذى يسجل ويتذكر درجة الحرارة التى تفضلها أنت، ثم يقوم بضبط حرارة المنزل تلقائياً لتناسبك، كما أن هناك أيضاً تطبيق «سيري» من «آبل» وهو مساعد صوتى يستخدم الذكاء الاصطناعى بخوارزميات ثابتة تساعد فى إنهاء الكثير من المهام اليومية مثل مراسلة شخص ما أو الاتصال به، العثور على المكان الذى تريد الذهاب إليه دون الحاجة إلى النظر حتى فى هاتفك، هذا بالإضافة إلى العديد من التطبيقات الأخرى التى أتوقع تطورها بصورة سريعة فى المستقبل القريب. كما أتوقع أيضاً بشكل كبير أن تقنية الذكاء الاصطناعى-على الرغم من تطويرها اعتماداً على القدرات البشرية- لكنها ستسود العالم خلال السنوات القادمة.



### بين الذكاء البشرى والذكاء الاصطناعى

الكوادر البشرية على استخدامات البيانات المتقدّمة حتى نستطيع أن نأخذ مقعداً ونلحق بالركب. وأتذكر وأنا أكتب تلك السطور زيارة الروبوت صُوفياً -أول إنسان آلى يعمل بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعى- لمصر منذ عدة شهور، هذا الإنسان الآلى الذى يستطيع التحدث بلباقة كآى إنسان يكسوه جلد ولحم ويحمل عقلاً بشرياً، كما يعبر عنا به باستخدام تعبيرات وجهه. وفى أثناء تلك الزيارة كانت قد سألتنى ابنتى ذات الأحد عشر عاماً ببراءة الأطفال وحب الفضول الفطرى لديهم: مامى، هو ممكن صوفياً تتجوز ويبقى عندها أولاد ويروحوا مدرستى ويبقوا أصحابى؟!

### رددت أنا فى سري:

شكله سؤال يستحق التفكير يا نورين! وأجبتُها: ممكن يا حبيبتي، مفيش حاجة اسمها مستحيل! فالخيال كان الأصل للكثير مما هو حولنا الآن: السيارة، الهاتف النقال، الطائرة، ... وكل فكرة تحققت كانت بدايتها حلماً!

### وتساءلت أنا حينها أيضاً:

ماذا سيكون تأثير الذكاء الاصطناعى على أولادنا وعلى الأجيال القادمة فى المستقبل؟ وكيف يمكننا توظيفه أو استغلاله فى خدمتهم وخدمة الإنسانية والخير؟ على غرار تصريحات (صوفيا) فى

مليون جنيه مصرى.

وستقوم الحاضنة بتقديم حزمة من الخدمات بجانب الدعم المالى لعدد من الشركات التكنولوجية الناشئة فى مجال الحاضنة، وسيكون نموذج عمل الحاضنة مقسّم إلى خدمات ما قبل الاحتضان، وستقوم بالتركيز على تشكيل فريق عمل وتجهيز المتقدمين للعمل سوياً، والتدريب على مبادئ قيادة الأعمال، وإعداد دراسات جدوى مبدئية للمشروع. أمّا مرحلة الاحتضان فهى المرحلة التى يتم فيها الاحتضان الفعلى للشركات وتقديم الخدمات الفنية والمالية والإدارية والتسويقية؛ الأمر الذى يعنى أننا على الطريق إلى (الذكاء الاصطناعى)، ولا زلنا بعيدين بالتأكيد -ولا ننكر- ولكن المهم أننا لسنا خارج المسار، وطريق الألف ميل -كما يقولون- يبدأ بخطوة دائماً، ولعل الأهم هنا هو المضي قدماً واستكمال المشوار إلى المستقبل الذى يبدو أنه سيكون مثيراً!

ولعلى أرى أننا أصبحنا بحاجة ضرورية الآن لتطوير البنية التحتية لتطبيقات الذكاء الاصطناعى، وخصوصاً فى قطاعات حيوية كالتعليم والصحة، كما علينا أيضاً أخذ خطوات فى إنشاء مراكز بحثية وتأهيلها لنشر ثقافة واستخدامات الذكاء الاصطناعى فى المجتمع، وكذلك يجب أن نولى الاهتمام لتنمية وتطوير الكفاءات العلمية المتخصصة والقدرات المحلية فى مجال الذكاء الاصطناعى إضافة إلى تدريب

## ضيف العدد

"أربع سنوات من الإنجازات"

# تجربة التعليم بالاسلوب الياباني

لقد تم تعييني سفيراً لليابان لدى القاهرة في أغسطس عام 2014، وكانت تلك بداية إقامتي الثانية في مصر، فقد سبق لي أن عشت في مصر لمدة سنتين ابتداءً من سنة 1982 بصفتي ملحقاً دبلوماسياً في برنامج التدريب للغوى. ولقد ذكرتني حفاوة الاستقبال التي لقيتها في مصر بعد مرور نحو ثلاثين عاماً بأيام شبابي التي عشتُ فيها مع أسرةٍ مصرية، لقد أحسست وكأنني رجعت إلى بلدي الثاني. ولكن، في الوقت ذاته، انتابني شعور بالقلق حيال الأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر.



### تاكهيرو كاواوا سفير اليابان السابق لدى مصر

في التعليم على الأسلوب الياباني، والتعاون في التغطية الصحية الشاملة التي تهدف إلى تحسين الخدمات الطبية للتأمين، ومشروع المتحف المصري الكبير وغيرها، بالفعل تتفق تمامًا مع أولويات الرئيس السيسي.

فمنذ بداية العصر الفرعوني، أو حتى من قبل ذلك، عاش المصريون على ضفاف النيل في بيئة غنية بهبات نهر النيل، واندمجت مجموعات عرقية وديانات وثقافات مختلفة مع بعضها البعض وشكلت مجتمعاً قوياً. وقد قام الجغرافى والمؤرخ المصرى جمال حمدان بشرح مصر من خلال نظرية «الشخصية متعددة الهوية»، حيث ينتهى العصر الفرعوني الذى استمر على مدى آلاف السنين بنهاية الملكة كليوباترا من أسرة البطالمة. وبعدها تأتى المسيحية ثم يدخل

كثيرا، وقامت الحكومة اليابانية مؤخراً بخفض مستوى تحذيرات السفر إلى مصر بالنسبة لليابانيين إلى حد كبير. كما استأنفت مصر للطيران رحلاتها المباشرة بين القاهرة وطوكيو بدايةً من العام الماضى، وبدأت السياحة اليابانية فى العودة تدريجياً.

### مصر واليابان شريكان

### يتمتعان بالثقة المتبادلة

أما فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية فيتم حالياً تنفيذ العديد من المشروعات المشتركة فى مختلف المجالات، وتعتبر العلاقات فى أفضل مراحلها على مدار تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين. وفى شهر مارس من هذا العام، أعيد انتخاب الرئيس السيسى وبدأت للتو فترة الولاية الثانية له. حيث أعلن الرئيس فى كلمته أمام البرلمان أن فترة ولايته الثانية ستولى مزيداً من الاهتمام بالتعليم والصحة والثقافة، مما يشير إلى أن المشاريع اليابانية، مثل التعاون

وقد حزننت حين رأيت منطقة الأهرامات فى الجيزة شبه خالية من السائحين، نتيجة لتقلص أعداد السائحين الأجانب بمن فيهم اليابانيين منذ عام 2011. كما تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية طاحنة بسبب نقص العملات الأجنبية. إلى أن جاء خريف العام قبل الماضى، حيث أدخلت مصر نظام تعويم العملة، وعملت على تقليص الدعم، وبدأت فى إصلاحات اقتصادية جذرية بدت كما لو أنها كانت تتجرع الدواء المر. ونتيجة لذلك، تجاوز معدل التضخم مرحلياً نسبة 30% واضطرت الصناعات المحلية إلى خفض الإنتاج، ولكن مؤخراً انتعش الاقتصاد، وزاد معدل النمو الاقتصادى من 4% إلى 5% وأصبح معدل التضخم حوالى 10% وصار الاقتصاد الكلى مستقرًا، وأصبحت الأنشطة التجارية والاستثمارية للشركات اليابانية فى مصر نشطة ومتنامية. كما تحسن الوضع الأمنى



EGYPTIAN JAPANESE SCHOOLS  
المدارس المصرية اليابانية



### افتتاح 34 من المدارس المصرية اليابانية في العام الدراسي 2018-2019

واستيراد المنتجات الصناعية وغيرها. ولكن ظل الهيكل الاقتصادي المصري دون تغيير. وبعبارة أخرى، المشكلة في مصر هي أن الصناعات المحلية لم تحظ بالتطوير الكافي اللازم لذلك. ولكننا في اليابان ومنذ إصلاحات «ميجي»، قمنا بتطوير الصناعة بدءاً من إنتاج خيوط الحرير والأقمشة الحريرية، ثم تحولنا من الصناعات الخفيفة إلى الصناعات الثقيلة، وبعد ذلك إلى تصنيع السيارات والأجهزة المنزلية. بمعنى أنه يمكن القول أننا قمنا باتباع نموذج التنمية في أوروبا والولايات المتحدة. كما أن الصين ورابطة دول جنوب شرقى آسيا (آسيان) قد اتبعت مسارات مشابهة، وتطورت فيها الصناعات بشكل كبير في السنوات الأخيرة. ودخل العديد من مصنعي السيارات والأجهزة الكهربائية من الدول الأجنبية وفي مقدمتها اليابان إلى السوق المصري وأقاموا مصانع تقوم بتجميع أجزاء المنتج محلياً، غير أن عدد العمال المدربين المهرة مازال قليلاً، كما أن تطوير الصناعات التكميلية والتوريدات متأخر للغاية، بالإضافة إلى أن سبل تغيير الهيكل

مصر التي استقلت عن الإمبراطورية العثمانية في الحداثة والتحديث من خلال اعتماد التكنولوجيا الأوروبية وفكرة «بلد غنى وجيش قوي». ويذكر التاريخ تفقد أعضاء بعثتين متتاليتين تم إرسالهما من قبل حكومة اليابان إلى أوروبا أثناء توقفهما بمصر (عامى 1862 و1864) لحالة التحديث التي وصلت إليها قاطرات السكك الحديدية التي كانت تعمل بالفعل في مدينة القاهرة في ذلك الوقت في ستينيات القرن التاسع عشر. وعندما نتساءل لماذا تمكنت مصر من إحراز تقدم في عملية الحداثة والتحديث بشكل يسبق إصلاحات «ميجي» التي شهدتها اليابان في القرن التاسع عشر، تكون الإجابة لأنها كانت مصدرًا رئيسياً لتوريد القطن من أجل صناعة المنسوجات في المملكة المتحدة. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين، كان القطن يشكل أكثر من 80% من صادرات مصر. وقد تطورت مصر بشكل كبير من خلال المنافع التي عادت على الاقتصاد والتجارة من خلال التبريح من تصدير المواد الخام

الإسلام ومعه العرب إلى مصر في القرن السابع الميلادي. ويبدو للوهلة الأولى أنه تم صباغة وتلوين الثقافة والديانة الفرعونية بمثلثاتها المسيحية والإسلامية، ولكن في حقيقة الأمر أنه تم قبول ثقافات مختلفة ودمجها معاً، ومازالت موجودة ومتعايشة مع بعضها البعض. ليس العرب فحسب، ولكن أيضاً الفرس واليهود والأتراك ومجموعة متنوعة من البشر تدفقت على مصر ولم يعيشوا متفرقين وبمعزل عن غيرهم بل انصهروا وتعايشوا مع بعضهم البعض محتفظين بهوية قوية وهي كونهم مصريين. هذا هو بالضبط ما تعنيه كلمة «الشخصية متعددة الهوية». وبناءً على ذلك نستطيع القول بأن مصر تمتلك أسس التنمية المستقرة كدولة والشعور القوي بالوطنية لدى الشعب والقدرة على التماسك كبلد واحد، خلافاً لبعض الدول العربية التي تواجه حالياً خطر الانهيار والتفكك بسبب الصراعات الطائفية والعرقية الداخلية.

### التحديات التي تواجه المجتمع المصري

ومع بداية العصر الحديث، بدأت



من اسهامات اليابان دار الاوبرا ومستشفى أبو الريش للأطفال بالمنيرة

## تجربة التعليم بالاسلوب اليابانى

اليومية داخل المدرسة ونظام تحديد المناوبات وإقامة المهرجان الرياضى والمهرجان الفنى المدرسى وغير ذلك. فى مصر نظافة المدرسة هى مسئولية العامل المختص بالنظافة المعين فى المدرسة. وأين وكيف يمكننا إقامة المناسبات المدرسية مثل المهرجان الرياضى والمهرجان الفنى المدرسى؟ هذه هى المشكلة الأزلية التى تعانى منها المدارس المصرية. فبالمقارنة بالزيادة المستمرة فى أعداد الطلاب، فإن أعداد المدارس ومساحاتها غير كافية. كما أن أفنية المدارس والفصول غير كافية. لذلك اختفت دروس التربية البدنية والموسيقى والفنون من العديد من المدارس الحكومية. واختبارات النقل إلى الصفوف الدراسية التالية التى تقام بدايةً من السنوات الدراسية المتقدمة فى المرحلة الابتدائية تهتم فى الأساس باختبار المعارف التى يحفظها الطالب فقط. كما أن التعلم الجماعى والدروس التفاعلية بين الطلاب والمعلمين غير كافية. ومن خلال المشاكل العديدة التى تواجه التعليم فى مصر، استطعنا أن ندرك أن التعليم على الأسلوب اليابانى يتميز بالعمل على صقل الطبيعة البشرية لدى الأطفال وتمكينهم من اكتساب مهارات السلوك الاجتماعى والتعاون والعمل فى جماعة بشكلٍ طبيعى. ففى اليابان، يتم تنفيذ العديد من المناسبات المدرسية

فإنها لا يمكن أن تتحقق بين عشية وضحاها. ولكن حتى ولو بدأ أن الطريق طويل، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن تنمية الموارد البشرية خطوة مؤكدة النجاح يمكن الاعتماد عليها فى سبيل تحقيق ذلك. ويرجع تاريخ التفكير فى بدء التعاون الثنائى لإدخال التعليم بالأسلوب اليابانى إلى اجتماع القمة الذى عقد قبل ثلاث سنوات بين رئيس الوزراء اليابانى شينزو أبى والرئيس السيسى، حيث عبر الرئيس السيسى لرئيس الوزراء اليابانى عن إعجابه بتعاليم الأخلاق والآداب اليابانية ورغبته الشديدة فى التعاون من أجل إدخال التعليم على الأسلوب اليابانى إلى مصر. لقد أدهشت جدية حديث الرئيس جميع الحضور وتأثرت جميع الشخصيات اليابانية البارزة التى التقت بالرئيس بشدة وتركت كلماته لديها انطباعاً عميقاً.

والآن ما هو التعليم على الأسلوب اليابانى؟ هذا هو السؤال الذى تلقينته عدة مرات من الكثير من المصريين ووقعت فى حيرة بسببه. وأعتقد أن القليل من اليابانيين فقط هم من يستطيعون الإجابة على هذا السؤال بدقة. فمن المعروف أن التعليم اليابانى يتميز بالتركيز على الانضباط والتعاون. فى مصر لا تقام مثل هذا المناسبات المدرسية التى يقوم اليابانيون بتجربتها داخل المدرسة مثل النظافة

الصناعى بشكل كبير غير متوفرة. كما يمكن أن نلاحظ ذلك أيضاً فى هيكل الإيرادات الخاص بالاقتصاد الوطنى. حيث مازالت إيرادات قناة السويس (5 مليارات دولار)، وإيرادات السياحة (8 مليارات دولار)، وتحويلات المصريين العاملين بالخارج (18 مليار دولار) هى المصادر الرئيسية للحصول على العملات الأجنبية. وعلى سبيل المثال، فبدلاً من تصدير المنتجات الزراعية مثل البرتقال وغيره كما هو، فإنه من الأفضل من وجهة النظر التجارية وأيضاً من وجهة نظر توفير فرص العمل، القيام بتصنيعه وإضافة قيمة مضافة إليه ثم تصديره. فمن الممكن تعزيز القدرة التنافسية الدولية من خلال إحداث تعاون بين الزراعة والصناعات التجهيزية والخدمات بفعالية مع بعضها البعض. فبالنسبة لمصر التى يتعدى عدد سكانها 94 مليون نسمة، يعتبر التحول إلى الهيكل الصناعى الذى ينمى الطبقة الوسطى ويقوم من خلاله جميع المواطنين بمساندة ودعم الاقتصاد من القضايا الملحة.

## توكاتسو أساس التعليم اليابانى الذى تدخله مصر

إذا تحدثنا عن التنمية الصناعية،

مثل النظافة وأنشطة المجالس الطلابية (اجتماع الفصل) وغيرها من العديد من الأنشطة في إطار ما يسمى بأنشطة «توكاتسو» أو الأنشطة الخاصة إلى جانب تدريس المناهج الدراسية مثل الرياضيات وما إلى ذلك. و«توكاتسو» هو أساس ومحور التعليم على الأسلوب الياباني الذي يتم إدخاله في مصر.

ولكن على الجانب الآخر، فإن اليابان لا تتدخل في نظام التعليم بشكل عام بما في ذلك المناهج الدراسية. وإنما تتخذ اليابان فقط موقفاً يسمح بنقل معارف وخبرات التعليم على الأسلوب الياباني كجزء من الإصلاح التعليمي الذي تقوم به الحكومة المصرية. وفي هذه الحالة، فإن تدريب المعلمين القائمين على عملية التدريس هو السبيل لتحقيق ذلك. فالمعلمون هم أكثر العناصر المحيطة تأثيراً على الطلاب وسيكون التعليم على الأسلوب الياباني فعالاً فقط عندما يتفهمه المعلمون ويتمرسون عليه. في هذا الصنف، إلى جانب قيام الخبراء اليابانيين بزيارة مصر وتنفيذ عدة برامج تدريبية بها، سيتم أيضاً إيفاد مئات المدرسين إلى اليابان لتلقى التدريبات اللازمة بما في ذلك التدريب العملي في الموقع في الجامعات اليابانية ذات السجل الحافل من الإنجازات في تدريب المعلمين كجزء من برنامج قرض المساعدات الإنمائية الرسمية للحكومة اليابانية.

### التعاون التعليمي المصري- الياباني

إلى جانب ذلك، تبلورت شراكة مشتركة بين الدولتين في مجال التعليم أثناء زيارة الرئيس السيسي لليابان في شهر مارس عام 2016. تشمل محتويات تلك الشراكة جميع مراحل التعليم بدايةً من مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية والتعليم الفني بما في ذلك المدارس الثانوية الفنية وصولاً إلى التعليم العالي بما في ذلك الجامعات والدراسات العليا. ففيما يتعلق بالتعليم الأساسي، سيتم



### كوبرى السلام المعلق فوق قناة السويس رمز الصداقة المصرية اليابانية

محافظة المنوفية.

أما فيما يتعلق بالتعليم العالي، فقد بدأت الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا (E-JUST) الدراسات والأبحاث في مرحلة الدراسات العليا للهندسة منذ 8 سنوات، ثم بدأت الدراسات في مرحلة البكالوريوس لكلية الهندسة وكلية الأعمال الدولية والدراسات الإنسانية من العام الماضي. وهناك العديد من الجامعات اليابانية (12 جامعة هندسية و6 جامعات في العلوم الإنسانية) التي أصبحت جامعات داعمة لجامعة (E-JUST). والتي نسعى إلى أن تصبح قاعدة للتعليم والبحث العلمي الياباني في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا. وبالإضافة إلى ذلك، فنحن نخطط لإيفاد 2500 طالب وباحث مصرى للدراسة في اليابان خلال 5 سنوات من خلال المساهمة بحوالي 10 مليارات ين ياباني في إطار ما يسمى بقرض الطلاب الدوليين المبعوثين من أجل تنمية الموارد البشرية.

### قوة اليابان بالصبر والمثابرة والثبات

إن التعليم ليس بالمشروع الهين الذي يؤتى ثماره على المدى القصير. بل يجب علينا أن نجتهد من أجل تعاون طويل الأمد بصبرٍ ومثابرة. وفيما يتعلق بهذه النقطة بالتحديد، تتمتع اليابان

تحديد أكثر من 200 مدرسة بما في ذلك 100 مدرسة مقامة حديثاً لتكون مدارس نموذجية تقوم بتطبيق التعليم على الأسلوب الياباني بالتركيز على أنشطة «توكاتسو» السابق ذكرها، ومن المقرر القيام بنشر تجربة وخبرات تلك المدارس في المدارس الحكومية الأخرى القائمة بالفعل لتحسين جودة التعليم. ومن المقرر افتتاح حوالي 40 مدرسة نموذجية مقامة حديثاً لتطبيق التعليم على الأسلوب الياباني في سبتمبر 2018. أما فيما يتعلق بالتعليم الفني، فنقوم بتنفيذ مشروع للتعليم الفني يتخذ من التنمية الاقتصادية اليابانية في مرحلة ما بعد الحرب نموذجاً له ويهدف إلى تلقي الطلاب للتدريب العملي بالتعاون مع مصانع الشركات اليابانية وتعزيز العمل الجماعي من خلال الحياة المدرسية المنضبطة حتى يصبح خريجو المدارس الثانوية الفنية عمالاً مدربين مهرة بإمكانهم تقديم الدعم للصناعة. إذا قمنا بتنشئة وتدريب عمال مهرة مع الوضع في الاعتبار فرص العمل والتوظيف في المستقبل، فسوف يعود ذلك بالنفع أيضاً على الشركات اليابانية. فنحن نتعاون في الوقت الحالي مع المدارس الثانوية الفنية في القاهرة وبورسعيد. وبالإضافة إلى ذلك، من المقرر افتتاح مدرسة ثانوية فنية جديدة على الطراز الياباني قريباً في

## تجربة التعليم بالأسلوب الياباني



وزير الآثار د. خالد العناني يودع السفير كاجاوا في المتحف المصري الكبير بحضور وزيرة السياحة

بدايةً من العام الماضي طلاب المدارس الحكومية الاسترشادية التي تطبق نظام التعليم على الأسلوب الياباني وكانت مناسبة جيدة للتبادل والتفاعل بينهم وبين أعضاء الجالية اليابانية بالقاهرة. ومن الآن فصاعدًا، سيتم إنشاء المدارس النموذجية التي تطبق التعليم بالأسلوب الياباني في جميع أنحاء البلاد. لذلك أتمنى أن تتمكن من القيام بدور في تنشئة أطفال ذوى طبيعة بشرية غنية والتبادل فيما بيننا من خلال الموسيقى عن طريق عقد فعاليات الغناء في كورال على مسرح دار الأوبرا المصرية وبمشاركة طلاب المدارس من جميع أنحاء البلاد في المستقبل.

إلى زيارة أهرامات الجيزة والمعالم السياحية لمدينة الأقصر، فبدون شك سيصبح هذا البرنامج السياحي أحد أبرز البرامج السياحية شهرة في اليابان وسيحظى بإقبال شديد من جانب اليابانيين.

وبالإضافة إلى ذلك، تقام في شهر مارس من كل عام على مسرح دار الأوبرا المصرية احتفالية الغناء في كورال تعبيرًا عن التضامن مع المنكوبين وإحياء ذكرى ضحايا الزلزال والتسونامي الكبير الذي ضرب منطقة توهوكو باليابان في 11 مارس عام 2011 وأودى بحياة أكثر من 15000 شخص. وقد شارك معنا في الاحتفالية

بميزة كبيرة حيث أنها تخطو نحو تحقيق الهدف بصبر وثبات، وتكمن قوتها في كونها تمتلك سياسة التغلب على المشكلات والتحديات من خلال متابعة العمل الميداني والبناء على الإيجابيات والسلبيات داخل مواقع العمل. هذا هو ما يمكن أن نطلق عليه «قوة اليابان». لقد بدأ التعاون الشامل في مجال التعليم في مصر للتو. بيد أن اليابان ترغب في ضرب مثل نموذجي يحتذى به للمساهمة في تنمية ورقى كل الدول بواسطة «قوة اليابان» من خلال تعاون الجامعات والشركات والهيئات الحكومية اليابانية مثل هيئة التعاون الدولي اليابانية «جايكأ» في تحقيق النتائج المرجوة من هذا المشروع.

### التعاون الثقافي بين اليابان ومصر

يعد التعاون في مجال الثقافة بين مصر واليابان أحد أكثر المجالات التي تركز عليها اليابان ويتميز بتاريخه الطويل. ومن بين ذلك، تتمتع دار الأوبرا المصرية التي تحتفل هذا العام بمرور 30 عامًا على إنشائها بمنحة من حكومة اليابان بشهرة واسعة ويرتبط بها سكان مدينة القاهرة. وضمن فعاليات إحياء الذكرى الثلاثين على إنشائها، من المقرر أن تقام عروض أوبرا عابدة بمشاركة مغنية الأوبرا اليابانية والبريما دونا العالمية «ميتشييه ناكامارو» من يوم 4 إلى يوم 7 ديسمبر من هذا العام. كما أنه من المقرر أيضًا عمل حملة دعاية للترويج للسياحة المصرية وجذب السائحين من اليابان لزيارة مصر بمناسبة تلك العروض والتزامن مع فترة إقامتها، وحيث أنه إذا قمنا بإعداد برنامج سياحي يجمع بين الاستمتاع بمشاهدة عروض الأوبرا لمغنية الأوبرا اليابانية «ميتشييه ناكامارو» التي تتمتع بشعبية كبيرة في اليابان أيضًا بالإضافة



د. أحمد الجوهري رئيس الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا ببرج العرب يودع السفير كاجاوا

مشاريع التعاون بين مصر واليابان، خاصة تلك المتعلقة بالبنية التحتية في مجال توليد الكهرباء، تسير على قدم وساق. وإضافة إلى ذلك، فإن اليابان تظل منقطعة النظير فيما يتعلق بالتعاون في مجال التعليم والثقافة قياساً بالنشاطات والأعمال التي تقوم بها السفارات الأخرى بالقاهرة. لقد سُئلت كثيراً أثناء مقابلات مع وسائل الإعلام المصري، لماذا تركز اليابان على التعاون في المجال الثقافي، ولماذا وعلى النقيض من الدول الأخرى، تقوم اليابان بتنفيذ مشاريع التعاون الثقافي في مصر. وكانت إجابتى على هذا السؤال في منتهى البساطة. وهى أن التعاون والتبادل الثقافى وحده فقط الذى بمقدوره تعزيز الصداقة بين البشر وبعضها البعض وإقامة عالم ومجتمع سلمى ومفعم بالحياة. وقد صارت لديّ هذه القناعة من خلال تعاملى مع الأسرة المصرية التى عشت معها وأصدقائى المصريين من جيلى الذين تدارست معهم. إن مصر واليابان شريكان يتمتعان بالثقة المتبادلة، كما أن الشعبين المصرى واليابانى تربطهما علاقة صداقة حقيقية تجمع بينهما إلى الأبد. دعونا نبني معاً مستقبلاً مشرقاً لنا وللأجيال القادمة.

الذى له أهمية بالغة بالنسبة للاقتصاد المصرى. ومن الضرورى أن نعمل على تحسين الأنشطة ووضع خطط تنمية ملموسة وتعزيز فكرة إدارة أساليب الضيافة التى تضمن عودة نفس أعداد السائحين للزيارة مرة أخرى وجذب السائحين من الجنسين ومن جميع الأعمار حول العالم لزيارة مصر. فحتى الآن، السائحون الذين تمنوا رؤية الهرم ولو مرة واحدة فى العمر جاءوا من جميع أنحاء العالم لزيارة الهرم، وعادوا إلى أوطانهم فى سعادة ورضا. ولكن من الآن فصاعداً، ليس هذا هو مبلغ أمانينا. بل يجب علينا أن نجتهد لتصبح مصر البلد التى تجعل الشباب يفكرون فى العودة لزيارتها مرات عديدة، وأعتقد أنه بإمكاننا فعل ذلك. فقد استطاعت اليابان أن تستقبل حوالى 30 مليون سائح أجنبى فى العام الماضى. هذا العدد هو أربعة أضعاف عدد الزوار قبل عدة سنوات. إن إدارة أساليب الضيافة وصناعة السياحة فى اليابان تتغير بشكل كبير. ويجب على مصر واليابان أن تتعاونوا معاً وأن تجتهدا معاً من أجل أن تصبحا قوة سياحية كبرى حقيقية بما تعنيه الكلمة.

### معاً نقيم عالماً سليماً مفعماً بالحياة

وختاماً، وبعد مضى أربع سنوات على تولي منصب السفير، أحس بأن هذه الفترة مرّت بسرعة البرق. وأن

### المتحف المصرى الكبير

#### بالتكنولوجيا والخبرات اليابانية

عند ذكر التبادل الثقافى بين مصر واليابان، لا يمكن أن ننسى المتحف المصرى الكبير الذى هو قيد الإنشاء حالياً بمنطقة الجيزة. ويبلغ إجمالى تكلفة البناء 1.4 مليار دولار أمريكى، قدمت اليابان منها قرصاً بالين اليابانى بلغت قيمته حوالى 800 مليون دولار أمريكى ويعادل حجم المبنى نفس حجم مبنى متحف اللوفر بفرنسا أو المتحف البريطانى. وبذلك سيصبح بالإمكان عرض الكثير من الآثار التاريخية التى لا يمكن عرضها حالياً فى المتحف المصرى الحالى بالتحريم. ليس حجم المبنى فحسب، بل أيضاً باستخدام التكنولوجيا والخبرات والمعارف الأكثر تقدماً فى اليابان من خلال تزويد المتحف المصرى الكبير بمعدات مثل الكمبيوتر ووسائل الاتصالات والشاشات والكاميرات وما إلى ذلك من تكنولوجيا متحفية متطورة، حيث أنه من المنتظر أن يصبح متحفاً مجهزاً بأحدث الأنظمة تقدماً فى العالم، بما فى ذلك النظام الأمنى وما إلى ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، يتم حالياً دراسة إدخال المعارف والخبرات وأساليب الإدارة اليابانية من أجل تطوير أعمال سياحية جديدة بالتركيز على المتحف المصرى الكبير. كما أن تطوير منطقة الجيزة يرتبط ارتباطاً مباشراً بالقطاع السياحى



## بين صفقة القرن وخطة مارشال

سعى دونالد ترامب منذ دخوله البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة لفرض النفوذ الأمريكي دولياً من منظور اقتصادي. وتحركه دائماً خلفيته كرجل أعمال ورغبته في تحييد وعزل إيران. كما تسعى إدارة ترامب لإعادة ترتيب أوضاع الشرق الأوسط لضمان أمن وسلامة الحليف الأول أي إسرائيل، ومنع التمدد الإيراني في المنطقة. ولتحقيق ذلك رأت هذه الإدارة أن المدخل الحقيقي يتمثل في سرعة إيجاد حل ما للقضية الفلسطينية، فعملت على بناء تصور محدد يعرض على الأطراف المختلفة ويشكل قاعدة ارتكاز لأي اتفاق قادم. هذا الإطار هو ما لقب بـ «صفقة القرن». وهذه الصفقة التي يمكن أن تنهى قرناً من الصراع العربي الإسرائيلي ارتكزت على تصورات إسرائيلية وأمريكية سابقة قدمها العديد من الجنرالات في إسرائيل والمسؤولون الأمريكيون.

القرن أو حتى لقاء مسئولين أمريكيين بعد أن اعترف ترامب بالقدس المحتلة عاصمة لإسرائيل في 6 ديسمبر 2017 وقام بنقل السفارة إليها فعلياً يوم 14 مايو الماضي. كما توافقت كل الدول العربية وعلى رأسها مصر والسعودية والأردن وفلسطين على أن أية خطة لسلام الشرق الأوسط تتجاهل حق الفلسطينيين الصريح في إقامة دولة فلسطينية مستقلة تعيش إلى جوار إسرائيل في أمن وسلام، وعاصمتها القدس الشرقية هي خطة فاشلة مسبقاً، وأن أي مشروع يتجاهل هذين الشرطين الأساسيين لا يمكن قبوله مهما يكن مصدره، وهذا ما عبر عنه بوضوح قاطع الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي



منى الدالى

monamdaly@yahoo.fr

الإنسانية في غزة. وقد رفضت السلطة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية إظهار أي مرونة أو استعداد لمناقشة خطة أو صفقة

### الخطوط العريضة لصفقة القرن

العرض الأمريكي تجاوز كل أسس عملية السلام وقرارات الشرعية الدولية والاتفاقيات الموقعة. فهو ينهى الحديث عن دولة فلسطينية مع إسقاط لقضية اللاجئين ولحق العودة والقدس بشكل كامل، بما يقضى تماماً على مبدأ حل الدولتين على أساس حدود عام 1967. وإذا كانت صفقة القرن تقوم على أربعة أعمدة أساسية وهي إزاحة القدس من طاولة التفاوض، وإنهاء قضية اللاجئين، وضم الكتل الاستيطانية الكبرى والإبقاء على جيش الاحتلال في كافة الأراضي المحتلة مع تواجد مكثف في منطقة الأغوار، فإن الصفقة تشمل كأحد تفرعاتها معالجة للأزمة

والعاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز والملك الأردني عبدالله بن الحسين ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ومن ثم فإن ما سُمي بـ «صفقة القرن» التي يروج لها جاريد كوشنير زوج ابنة الرئيس ترامب، وجيسون جرينبلات ممثل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لا محل لها من الإعراب، ويرفضها كل القادة العرب. وتروج إسرائيل للصفقة على أنها نشاط اقتصادي ضخم يقوم على شبكة طرق سريعة وأنبوب نفط يمتد نحو ميناء غزة، مما يحقق عائداً مالياً ضخماً لكل من مصر وقطاع غزة والأردن وإسرائيل. هذا فضلاً عن مجازاة هذه الصفقة للاتجاهات الجديدة في العالم، والقائمة على حلول متعددة الأطراف على أساس ربحي واقتصادي. إذن فالاهتمام الاستثنائي بالتسوية في سنة ترامب الأولى في الحكم ليس له علاقة مباشرة بإحلال سلام حقيقي في الشرق الأوسط، إذ تعتقد القيادة الأمريكية الجديدة بأن حلاً للصراع الفلسطيني الإسرائيلي سوف يساعدها في تحقيق مأربها في منطقة الشرق الأوسط تحت شعار الحل الإقليمي والسلام الاقتصادي في قالب جديد. ولكن الرفض العربي دفع المسؤولين الأمريكيين إلى التفكير في خيارات بديلة مثل توفير مساعدات تنموية لقطاع غزة يبرهنون من خلالها على أن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة تجاه الشعب الفلسطيني.

### خطه مارشال الجديدة

ومن ثم تواتر الحديث عن «خطه مارشال أمريكية» لمعالجة الأوضاع الإنسانية المأساوية في قطاع غزة يعكف مستشارا دونالد ترامب، وهما صهره كوشنير ومبعوثه جرينبلات، على صياغتها في الوقت الراهن. وتعتمد الخطوط العريضة لخطه معالجة الأزمة الإنسانية في قطاع غزة التي تطرحها واشنطن على أساس الاتفاق على هدنة طويلة الأمد مع حركة حماس تشمل تبادل الأسرى، وتعهد حماس بوقف حفر الأنفاق، والكف عن تطوير واستيراد أسلحة متطورة وفتاكة، خاصة الصاروخية، والاحتفاظ بأسلحتها الخفيفة والمتوسطة، وعلى أن يتم في المقابل توفير معالجات

فورية طارئة لقضايا إنسانية معيشية أقرب إلى خطة مارشال غزية، مثل إنشاء محطات كهرباء توفر الطاقة لمدة 20 ساعة على الأقل يوميا، وتقديم مئات الملايين من الدولارات لإنعاش الاقتصاد وتوفير فرص عمل، وإعادة بناء البنية الصحية والتعليمية التحتية، وبناء ميناء غزة، وتوسيع مساحة صيد الأسماك في البحر، ورفع الحصار، بشرط أن يقوم الاتحاد الأوروبي بالإشراف على تنفيذ هذه الخطة. ويتفق الجميع، بمن فيهم إسرائيل، على أن غزة على وشك الانهيار بعد سنوات طويلة من الحروب والصراع والإدارة السيئة والتشاحن الفلسطيني- الفلسطيني، وأن تداعيات انفجار هذه الأزمة الإنسانية المخيفة، ستطال حلفاء الولايات المتحدة وتزيد من التعقيدات في المنطقة. لكن المعضلة التي تواجه إدارة ترامب حاليا تتمثل في رغبتها في عدم مكافأة حركة حماس أو السلطة الوطنية الفلسطينية. أي أن المعضلة المطروحة أمامها تتمثل في كيفية إيجاد الآلية التي يمكن من خلالها تخفيف الأزمة الإنسانية والمعيشية في غزة دون مكافأة حركة حماس التي تدير القطاع أو السلطة الفلسطينية بقيادة الرئيس محمود عباس الذي أظهر ما اعتبرته واشنطن «تصلباً» غير متوقع إزاء مشاريعها. هذا هو ما يشغل فكر الرئيس ترامب ورجاله حالياً. ويذكر أن إدارة ترامب جمدت كل المساعدات المالية المقدمة للسلطة الفلسطينية باستثناء تلك المخصصة لأجهزة الأمن منذ نهاية شهر يونيو الماضي، فيما امتنعت عن الإفراج عن الأموال التي جمدها في بداية العام الحالي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا» التابعة للأمم المتحدة.

### ضرورة توحيد الصف وتحقيق

#### المصالحة الفلسطينية

ويمكن تلخيص رؤية ترامب للصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أنه قد آن الأوان أن تنسحب واشنطن من دور الوسيط في عملية السلام مع الاحتفاظ بدور الوصي أو العراب المهيمن، وأنه لا بد من الدفع بقوى إقليمية لتتولى التعامل مع الأزمة والضغط على الفلسطينيين لتقبل الحد الأدنى

والاعتراف بإسرائيل كأمر واقع غير قابل للتغيير. ولكن فوجيء ترامب بمقاومة فلسطينية حادة وجادة للمشروع رغم التلويح بالمساعدات الاقتصادية. كما رفض القادة العرب خيانة القضية الفلسطينية. فمصر، تظل الشقيقة الكبرى التي خاضت الحروب وقدمت الشهداء دفاعاً عن تراب فلسطين. ولم تفلح فزاعة المد الإيراني الشيعي في إخافة دول الخليج أو استمالتها للموافقة على إهدار الحق الفلسطيني. في حين أعلن العاهل الأردني أن صفقة القرن ستفجر الغضب في الشارع العربي ولن يمكن تمريرها. لذلك نجد أن إسرائيل، نتيجة هذا الرفض، حثت واشنطن على طرح خطة لإنقاذ قطاع غزة تحت مسمى خطة مارشال الجديدة أملاً في أن يدفع تخفيف الحصار على غزة بسكان القطاع إلى الضغط على قادتهم للقبول بالصفقة في سبيل العودة للحياة الطبيعية. ولكن هذا الرهان خاسر. فالشعب الفلسطيني تحمل الشتات والإقصاء والحصار فيما مضى من أجل حقه في الدولة المستقلة وفي العودة وفي القدس لسنوات وسنوات. لذا فإن أي حل لا يركز على هذه الحقوق التاريخية لن يمكنه القبول به. وإزاء تلك المحاولة الأمريكية، بالاتفاق مع إسرائيل، على الالتفاف حول ثوابت تسوية القضية الفلسطينية التي ارتضاها المجتمع الدولي، أوضحت الأولوية القصوى تتمثل في ضرورة توحيد الصف الفلسطيني وتحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية وتصحيح العلاقة بين فتح وحماس وتهدئة الأوضاع في قطاع غزة بما يضمن تحقيق كل ذلك. ويكتسب ذلك أهمية خاصة بعد أن تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة إلى أدنى مستوى له نتيجة للأزمات التي تفجرت في العالم العربي واستمرار تعنت الجانب الإسرائيلي علاوة على الانقسام الفلسطيني. لذا فإن المصالحة ولم الشمل الفلسطيني هما الشاغل الأكبر للعرب الآن وهو ما يتم تحت رعاية مصرية نجحت في تقريب المسافات بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس والفصائل الأخرى.

# تداعيات حرب ترامب التجارية..

مع انطلاق شرارة الحرب التجارية بين أمريكا والصين قطبي الاقتصاد العالمي 9 مارس الماضي بسبب قرار الرئيس الأمريكي فرض رسوم جمركية بنسبة 25% على واردات بلاده من الصلب وبنسبة 10% على الألومنيوم، وما تبعه من ردود فعل غاضبة من العديد من دول العالم خاصة الصين، وهناك تساؤلات حول أثر تلك الحرب التجارية على الاقتصاد العالمي؟ وهل ممكن أن تؤدي لتغييرات جوهرية في موازين القوى الاقتصادية؟ والأخطر هل تهدد مستقبل النظام التجاري متعدد الأطراف؟

ومسارعتها لتوقيع اتفاقيات تجارية ثنائية بل وإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عدم إيمانه بالاتفاقيات متعددة الأطراف التي يرى أنها أضعفت بلاده ومطالبته بتوقيع اتفاقيات ثنائية محددة الالتزامات بدلا من مسار منظمة التجارة العالمية التي حتى الآن لم يختار ممثل لبلاده بها.

ولا شك أن مراجعة السياسة التجارية للدول النامية أصبحت أمراً حتمياً بعد الضرر الواقع على عدد كبير من دول العالم من هذه الحرب التجارية العالمية التي اعتقد معظم الخبراء أنها ستقتصر على صدام أمريكا بالصين باعتبار بكين المنتج والمصدر الأكبر للصلب على مستوى العالم، إلى جانب أن الإجراءات الأمريكية تستهدف بشكل أساسي سد العجز التجاري الضخم مع الصين.

وحتى الآن يعتبر الرئيس الأمريكي الرابع الأكبر من هذه الحرب التجارية حيث استطاع انتزاع تنازل مهم بإعلان كندا والمكسيك موافقتهما على إعادة التفاوض حول اتفاقية تحرير التجارة التي تربطهما مع أمريكا والمعروفة باسم NAFTA، وهو أحد شروط ترامب لاستثناء كندا والمكسيك من الرسوم الجمركية الإضافية، كما أن مكاسب الرئيس الأمريكي تظهرها مؤشرات أداء الاقتصاد الأمريكي حيث يتوالى تراجع عجز الميزان التجاري شهراً بعد آخر بخلاف تدني معدلات البطالة لتسجل أدنى رقم لها منذ 46 عاماً، مما أسهم بدوره في تحسن معدلات النمو الاقتصادي.

لكن هذه النتائج هناك من يراها خادعة حيث توقع تقرير آفاق الاقتصاد



أحمد عبد السلام

باحث في الشؤون الاقتصادية في الأهرام

دراسة سياساتها التجارية ومستقبل مفاوضاتها حول اتفاقيات منظمة التجارة العالمية في ضوء المخاوف من انهيار النظام التجاري متعدد الأطراف الذي تقوده منظمة التجارة العالمية والقائم على أساس رفع الحواجز الجمركية من قبل الدول النامية واتخاذ خطوات جادة لتيسير تجارتها مع الدول الصناعية الكبرى في مقابل تعهد الدول الكبرى بتقديم حزمة من المساعدات التنموية للدول النامية والأقل نمواً وهو الملف الذي يجري التفاوض حوله جماعياً منذ جولة الدوحة عام 1997 فيما يعرف بالمسار التنموي ولكن للأسف لم تسفر المفاوضات عن أي تقدم حتى الآن رغم تقدم المسار التجاري الذي شهد عام 2015 توقيع أهم اتفاق تجاري دولي وهو اتفاق تيسير التجارة العالمية الذي كان يتوقع معه زيادة قيمة التجارة العالمية بنحو تريليون دولار خلال السنوات العشر الأولى من تنفيذ الاتفاق. هذه المراجعة لأسس التفاوض في منظمة التجارة العالمية أصبحت ضرورة أيضاً في ظل انفراط عقد الدول الكبرى

هذه التساؤلات أثارها بشدة (اتفاق جيفتا) وهو الاتفاق الأول من نوعه بين اليابان والاتحاد الأوروبي لإقامة منطقة للتجارة الحرة بين العملاقين الاقتصاديين لينشئ تجمع يعادل ثلث الناتج المحلي العالمي والجديد في هذا الاتفاق الموقع منتصف يوليو الماضي بالعاصمة اليابانية طوكيو أنه يحل نزاعات تجارية معقدة بين الطرفين حيث سمحت طوكيو بإعفاء الصناعات الغذائية بما فيها مشتقات الحليب ومنتجات الألبان الأوروبية من الرسوم الجمركية مقابل تخفيضات متدرجة على الرسوم الجمركية الأوروبية على السيارات اليابانية.

ولعل المفوضة الأوروبية للتجارة سيسيليا مالستروم زادت من حدة التساؤلات حول مستقبل الحرب التجارية بتصريحاتها فور توقيع الاتفاق بأنه إشارة قوية ضد الحمائية الأمريكية، مشيرة إلى أن الاتحاد الأوروبي يعد حالياً قائمة بالواردات الأمريكية التي ستكون مستهدفة إذا فرضت الولايات المتحدة رسوماً جمركية على السيارات الأوروبية، كما يقود رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك جهوداً لتوثيق العلاقات التجارية بين الاتحاد والصين ثاني أكبر اقتصاد عالمي في مسعى يهدف بعزلة واشنطن تجارياً خاصة وأن الاتحاد الأوروبي بدأ الشهر الماضي في تطبيق إجراءات للحد من وارداته من الصلب من دول العالم في ظل تخوف الاتحاد من إغراق أسواقه بالصلب الذي سيصعب تصديره للولايات المتحدة بعد قرار ترامب.

هذه التطورات المتسارعة تفرض على دول العالم خاصة الدول النامية

زيادة الرسوم الجمركية أيضا على 128 سلعة أمريكية أبرزها الحبوب والخمور ولحوم الخنزير والسيارات، وحاليا هناك تهديدات متبادلة من البلدين بفرض رسوم جمركية على قائمة ثالثة من المنتجات بما قيمته 200 مليار دولار وتهديد من ترامب بزيادتها إلى 500 مليار. ومن أبرز السلع الأمريكية التي تضمها القائمة الجديدة (فول الصويا) فيما يعد ضربة صينية قوية لقواعد الحزب الجمهوري بالولايات الجنوبية التي تشتهر بزراعة هذا المحصول الاستراتيجي. كما سارعت بكين بإعلان عدم ضخ أى استثمارات صينية جديدة بالسوق الأمريكية والاتجاه لربط عملتها بالذهب فى إطار سعيها لإحلال اليوان الصينى محل الدولار كعملة لتسوية التعاملات الدولية فى أعقاب نجاحها فى ضم اليوان لسلة عملات صندوق النقد الدولي التى كانت مقصورة فقط على الدولار واليورو والجنيه الإسترليني والين اليابانى فعلى أساس قيم تلك العملات يقدم صندوق النقد الدولي مساعداته وقروضه للدول الأعضاء.

هذه المواقف المشتعلة تأتى رغم تحذيرات عديدة من خطورتها على مستقبل الاقتصاد العالمى وتعافيه الهش حيث أكدت كريستين لاجارد المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي فى كلمة ألقته بمعهد آسيا بمدينة هونج كونج يوم 11 أبريل 2018 أن توقعات صندوق النقد الدولي لمعدل نمو الاقتصاد العالمى لاتزال متفائلة حيث يتوقع أن تسجل 3.9% العام الحالى وأيضا خلال عام 2019 رغم ثلاثة تحديات تواجه العالم على رأسها السياسات الحمائية محذرة من أن التاريخ يشير بوضوح إلى الضرر الذى تلحقه قيود الاستيراد بالجميع، خاصة المستهلكين الفقراء، فهى لا تقود إلى زيادة ثمن المنتجات ومحدودية الخيارات المتاحة فحسب، إنما تؤدى أيضا إلى منع التجارة من القيام بدورها الأساسى فى دعم الإنتاجية ونشر التكنولوجيات الجديدة، ونتيجة لذلك، حتى الصناعات المحمية ستعانى فى نهاية المطاف.



### قمة أوروبية يابانية واتفاق للتجارة الحرة

امتدت آثارها لجميع دول العالم. ولا شك أن مسارعة الاتحاد الأوروبي لتوقيع اتفاقيات تجارية مع اليابان ومحاولة التوصل إلى تفاهات مع الصين تأتى للرد على تهديد ترامب بفرض رسوم جمركية إضافية على واردات بلاده من السيارات الأوروبية بعد رفضه استثناء منتجات الصلب والألمونيوم الأوروبية من الرسوم الجمركية رغم أنه منحها مهلة 6 أشهر قبل تطبيق القرار الأمريكى عليها، مع تلميحه بإمكانية الإعفاء بشرط التوصل لتفاهات تجارية لإعادة التوازن للعلاقات التجارية بين جانبى الأطلسي، وهى تفاهات يبدو أنها ستقتصر على بريطانيا فقط التى أعلن ترامب خلال زيارته للعاصمة البريطانية لندن منتصف يوليو الماضى استعداده لتوقيع اتفاق تجارى عظيم معها.

أما الصين فإن الحرب التجارية مع أمريكا على أشدها فبعد أن فرضت بكين رسوماً جمركية بنسبة 25% على سلع أمريكية تستورد منها بما قيمته 3 مليارات دولار فى رد فعل أولى على قرار ترامب الذى رد سريعا بتكليف الممثل التجارى الأمريكى دراسة سياسات وممارسات الصين التجارية، لتحديد كونها تنتهك حقوق الملكية الفكرية للشركات الأمريكية أو لا؟ مع فرض رسوم أخرى على قائمة ثانية من السلع الصينية بقيمة 34 مليار دولار لترد بكين

العالمى الصادر عن صندوق النقد الدولي خلال شهر يوليو الماضى أن يزداد زخم الاقتصاد الأمريكى بصفة مؤقتة على المدى القريب، ليبلغ معدل النمو 2.9% فى 2018 قبل أن ينخفض إلى 2.7% فى 2019. كما سيؤدى التنشيط المالى الكبير مع الطلب النهائى القوى بالفعل من القطاع الخاص إلى ارتفاع الناتج الأمريكى أكثر فوق مستوى النمو الممكن وانخفاض معدل البطالة إلى أقل من المستويات المسجلة فى الخمسين عاما الماضية، مما يخلق ضغوطا تضخمية إضافية. متوقعا انتعاش الواردات الأمريكية مع زيادة قوة الطلب المحلى، مما يزيد من عجز الحساب الجارى فى الولايات المتحدة ويوسع الاختلالات المالية المفرطة.

هذه الرؤية تتفق مع رسالة وجهها للرئيس الأمريكى مطلع مايو الماضى 1140 خبيرا اقتصاديا منهم 14 فائزا بجوائز نوبل حذروا فيها من مخاطر السياسة الحمائية مذكرين بموقف مماثل اتخذته 1028 خبيرا اقتصاديا عام 1930 حين حذروا الكونجرس الأمريكى من مخاطر إصدار قانون عرف باسم سموت هاولى طبق سياسات حمائية أدت لفرض رسوم جمركية على أكثر من 20 ألف سلعة كانت تستوردها أمريكا فى ذلك الوقت وهو ما تسبب وفق هؤلاء الخبراء فى نشوب أزمة الكساد العظيم وهى أول أزمة اقتصادية عالمية حيث



## حرب تجارية بين كبار المنتجين

بعد عقود من الحديث الغربى حول حرية التجارة وفتح الأسواق والاعتماد على استيراد المنتج ذى التكلفة الإنتاجية المحلية العالية، ذلك المنطق الذى قضى على العديد من الصناعات المحلية فى الدول النامية، يأتى الرئيس الأمريكى لينزع القناع عن وجوه كافة الدول الصناعية التى أغرقت العالم بمنتجاتها، فبعدما ظلت الولايات المتحدة خلال العقود الماضية ترفض الادعاءات بأن شركاتها تمتلك مزايا غير عادلة بسبب حجمها، ولكن بعد أن أخذت شركات الدول الناشئة وعلى رأسها الصين تكبر فى الحجم، بدأت الولايات المتحدة تطلق الادعاء بأن الحجم يعطى لتلك الشركات مزايا غير عادلة، وعلى عكس المعتقد الأوروبى بأن السياسة التجارية ليست لعبة فيها «خاسرون وفائزون» وأنها يجب أن تكون بلا خسارة.

التهديدات وغلقت أسواقها تجاه بعضهم البعض. وهنا يطرح التساؤل نفسه هل اتخاذ واشنطن إجراءات تجارية انتقامية على حد وصف ترامب، قد أتى ثماره بشأن تراجع العجز التجارى الأمريكى وهل تلك السياسات الحمائية قد تشكل مصدر قلق رئيسى، على مستقبل التجارة العالمية، فى ظل تأثير الدومينو؟

### مظاهر دق طبول الحرب التجارية

شدد الرئيس ترامب فى برنامجه الانتخابى على الشعارات الحمائية والدعوات لحماية العمال والمؤسسات الأمريكية، واصفاً منظمة التجارة العالمية بأنها «كارثة»، ودعت إدارته



أمل عبد اللطيف

amalabdellatif2006@gmail.com

عقابية من هؤلاء الشركاء على العديد من وارداتهم من المنتجات الأمريكية، وكذلك تتبادل الدول الصناعية

يرى الرئيس ترامب عكس ذلك، فتحت شعار «أمريكا أولاً» وفى ظل تزايد العجز التجارى الأمريكى تجاهل «ترامب» كافة التحذيرات من أن حرباً تجارية، إذا اندلعت، فستكون سيئة جداً للعالم برمته؛ حيث دق طبول الحرب التجارية على الشركاء التجاريين الذين يحققون فائضاً فى تجارتهم مع واشنطن، واصفاً تجارتهم مع الولايات المتحدة بغير المنصفة وغير العادلة، ومجيزاً إجراء مراجعات مرتبطة بالأمن القومى بمقتضى قانون للتجارة لم يجر تفعيله منذ عام 2001، وبدأ مسلسل فرض الرسوم التجارية وهو ما قوبل برسوم

إلى إصلاحات شاملة فى المنظمة، والتي تتهمها واشنطن بأنها تحابى دولا ناشئة على غرار الصين. وعلى مستوى المعاملات التجارية الثنائية، فمثلما كانت العقوبات الاقتصادية هى السلاح الأمريكى المصوب نحو أية دولة تتبع أى إجراء ترى واشنطن أنه يهدد الأمن القومى الأمريكى، أصبحت الرسوم الجمركية عقاباً لكل شريك تجارى لا يتفق مع واشنطن سياسياً، فلم يفلت حتى حلفاء واشنطن الأوروبيين من سلاح غلق الأسواق الأمريكية كرد عقابى لهم على عدم موافقتهم على العديد من التوجهات السياسية الخارجية لواشنطن كالمف الإيرانى وزيادة نسبة الإنفاق العسكرى لأعضاء حلف الناتو الأوروبيين، إلى تواصل الاتهامات وتبادل الدول فرض الرسوم الجمركية،

فرغم أن الشراكة الاقتصادية بين الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة، تعد المحرك الأكثر أهمية للنمو الاقتصادى العالمى والتجارة، حيث تمثل نحو 30% من تجارة السلع العالمية، وما يقرب من 40% من التجارة فى الخدمات، ونحو نصف الناتج المحلى الإجمالى العالمى. لكن على ما يبدو أن خروج بريطانيا (حليفة أمريكا الأبرز فى الاتحاد الأوروبى) من الاتحاد فى 2020، جعل مفاوضات «اتفاقية الشراكة فى التجارة والاستثمار عبر المحيط الأطلسى»، غير مغرية بالنسبة لواشنطن، لاسيما وأن ربع صادرات الولايات المتحدة إلى أوروبا من نصيب بريطانيا، التى تعد أكبر أسواقها فى مجال الخدمات على مستوى العالم.

وفى ظل تلك التطورات، صرح الرئيس ترامب بأن سياسة الاتحاد الأوروبى التجارية مع بلاده «غير منصفة إطلاقاً» معلناً فى مارس 2018 فرض رسوم جمركية على

صادرات الاتحاد من الصلب بنسبة 25% والألومنيوم بنسبة 10%، لتدخل حيز التنفيذ فى يونيو الماضى، وهو ما قوبل بإعلان المفوضية الأوروبية فى 20 يونيو 2018، أن الاتحاد الأوروبى سيطبق ابتداءً من 22 يونيو 2018، رسوماً جمركية بواقع 25% على مجموعة من المنتجات الأمريكية قيمتها 2.8 مليار يورو (3.2 مليار دولار). وهو ما قوبل بتهديد أمريكا بفرض رسوم على السيارات الأوروبية. ولم تقتصر الحرب التجارية للاتحاد الأوروبى مع الولايات المتحدة على فرض الرسوم الجمركية، بل قام الاتحاد الأوروبى بتقديم شكوى قانونية ضد كل من الصين والولايات المتحدة لدى منظمة التجارة العالمية فى الأول من يونيو 2018، بعد إعلان واشنطن فرض رسوم جمركية عقابية. كما تصاعدت اللهجة الانتقادية للعلاقات التجارية الأمريكية مع الصين، ففى ظل المخاوف جراء الإفراط فى الإنتاج الصينى، وما يتعلق بالأمن القومى والدفاع، حيث بلغت قيمة الواردات من الصين لأمريكا خلال العام 2016 نحو 463 مليار دولار، مقابل صادرات 116 مليار دولار، بعجز تجارى وصلت قيمته إلى 347 مليار دولار بنسبة 60% من إجمالى العجز التجارى الأمريكى. وقد اتهم الرئيس ترامب الصين فى تصريحات مباشرة، بسرقة أمريكا بسبب سياساتها التجارية وقال إن الصين تتلاعب فى عملتها، إضافة إلى تسببها فى خسائر الوظائف بأمريكا فى القطاع الصناعى. وإلى جانب الرسوم المفروضة على كافة الواردات الأمريكية من الصلب والألومنيوم، أطلقت واشنطن رصاصتها الأولى المباشرة لبيكين. ففى 6 يوليو الماضى فرضت رسوماً نسبتها 25 فى المائة على سلع صينية تبلغ قيمتها 34 مليار دولار. وردت الصين على ذلك

بفرض نسبة مماثلة على 545 منتج أمريكى، تبلغ قيمتها هى الأخرى 34 مليار دولار، وتتصاعد لغة التصعيد بين الطرفين، حيث كشفت بكين مؤخراً عن خططها الخاصة لفرض رسوم جمركية قدرها 60 مليار دولار على 5207 سلعة أمريكية، فى حال فرضت واشنطن الرسوم المُلوح بها؛ حيث كانت الولايات المتحدة تهدد باحتمال تشديد الرسوم الجمركية على 200 مليار دولار من البضائع الصينية المستوردة.

### هل أتت سياسات ترامب ثمارها؟

أفادت وزارة التجارة الأمريكية، أواخر يوليو الماضى، بأن الإجراءات التجارية الأمريكية «توتى ثمارها بشكل أفضل بكثير مما كان متوقعاً» وتوقعت أن يحقق سوق الولايات المتحدة أرباحاً بشكل كبير بعد إعادة التفاوض على ما وصفت بأنها «صفقات التجارة الفظيعة» بنجاح. ولكن بقراءة الأرقام، نجد أن السياسات التجارية التى قام «ترامب» بتبنيها لن تفعل شيئاً يذكر لخفض إجمالى العجز التجارى والعجز فى ميزان المعاملات الجارية للولايات المتحدة، لأن ذلك العجز مرتبط بإنفاق الولايات المتحدة الذى يتجاوز الدخل. فعلى الرغم من تراجع العجز التجارى للسلع والخدمات فى مايو 2018 بنحو 9.8 مليار دولار بالمقارنة مع يناير 2018، إلا أن وصول الميزان التجارى لعجز قيمته 43.05 مليار دولار فى مايو 2018 يعود بالميزان التجارى لمستوياته الطبيعية خلال العام 2017، ما يعنى أن ارتفاع العجز إلى 52.88 و55.53 فى شهر يناير وفبراير 2018 كان الاستثناء بالمقارنة بعام 2017، كما أن الواردات الأمريكية لم تتراجع حيث بلغت 258.38 مليار دولار فى مايو 2018 مقابل 238,595 مليار دولار فى مايو 2017.



## حرب تجارية بين كبار المنتجين

ولم يقتصر انعدام الأثر على الميزان التجاري، بل يطال الاقتصاد الأمريكي بشكل مباشر، ففرض الاتحاد الأوروبي والصين تعريفات جمركية على المنتجات الزراعية الأمريكية، سيضر بالمزارعين الأمريكيين، وستخسر الولايات المتحدة أكبر أسواق لتصريف منتجاتها خاصة من القمح وال فول الصويا. كما إن زيادة الرسوم على واردات الفولاذ أضرت بالعديد من الشركات التي تعتمد عليه كمادة أولية بعد ارتفاع أسعاره، وبالمثل في حالة فرض رسوم على السيارات الأوروبية، فالمصنعون الأوروبيون ينتجون 1.8 مليون سيارة سنوياً على الأرض الأمريكية، يتم تصدير ما نسبته 60 في المائة إلى خارج أمريكا، وتحديدًا إلى أوروبا ومناطق أخرى، وأي رسوم سيفرضها «ترامب» على السيارات وقطع الغيار ستكون بنتائج عكسية تتضرر منها أولاً المصانع الأمريكية، وبالتالي اليد العاملة هناك. وقد خلص

تقرير صادر عن معهد «بيترسون للاقتصاد الدولي» معنى بالشؤون التجارية إلى أن شن الحرب التجارية الشاملة سيدفع بمعدلات البطالة المحلية في الولايات المتحدة إلى 9 نقاط مئوية بحلول عام 2020 من واقع 4.9% المسجلة حالياً.

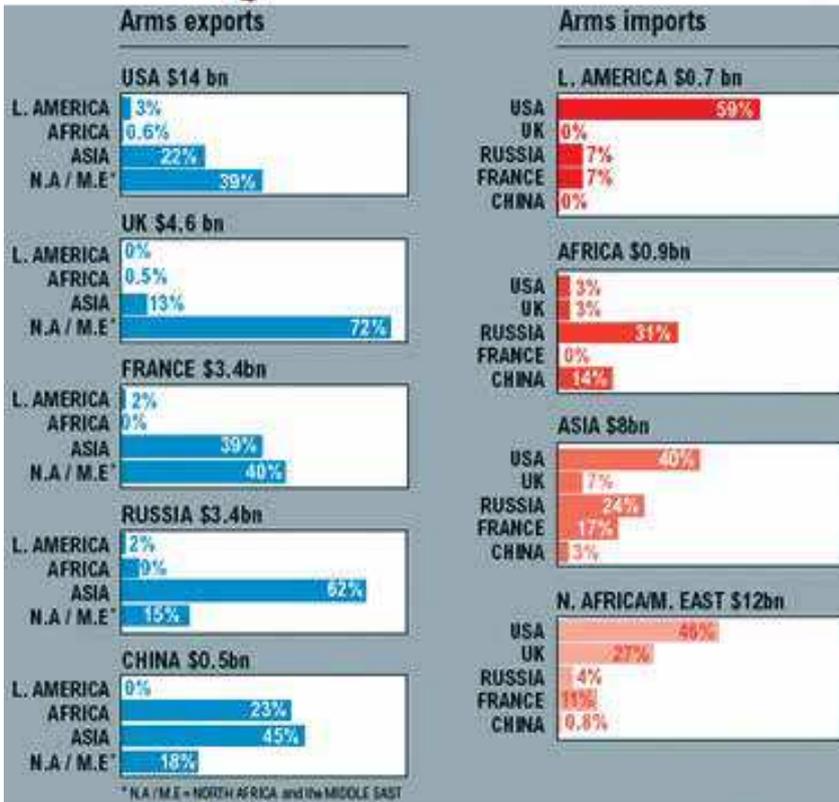
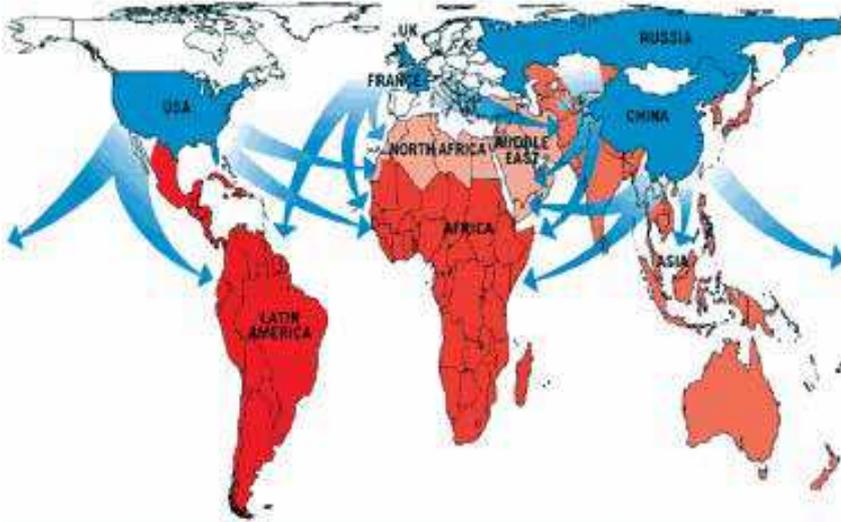
### مستقبل النظام التجاري..

#### وحرب النفوذ

فرغم تزايد الشكوك في قدرة منظمة التجارة العالمية على فض المنازعات وتحقيق العدالة التجارية وفق طرق عديدة، خاصة بعد فشل الاجتماع الوزاري الأخير للمنظمة في الخروج بوثيقة ترفض الحمائية التجارية وتدافع عن الدول النامية، كما فشل في الإعلان عن جولة مفاوضات جديدة وتسوية النزاعات. إلا أن الولايات المتحدة لن تجعلها تنهار لاسيما وأن الكثير من التحليلات تؤكد أن الانتقادات الأمريكية ما هي إلا مناورة للحصول على وضع وامتيازات أكثر، خاصة وأن مهمة منظمة التجارة العالمية هي تبسيط التجارة، وتسهيلها، وجعلها حرة

تنتقل بلا حدود جمركية، «وهذه كلها أمور حيوية للولايات المتحدة، كيف يمكن أن تدير ظهرها لها» على الأجل الطويل.

وفي نفس الوقت يعكس إعلان الصين تأييدها ودعمها للنظام التجاري متعدد الأطراف، أننا إزاء مرحلة من الأفول التدريجي للعولمة ذات الصبغة الأمريكية لصالح بزوغ نمط من العولمة ذات صبغة تشاركية بين كافة الدول المنتجة. ومن الواضح أن النظام الدولي يصر على أن تظل البلدان النامية في المنطقة الرخوة إنتاجياً حتى تظل مكاناً وسوقاً كبيراً مفتوحاً لعرض وبيع سلع ومنتجات الاقتصاديات الكبرى بصورة ضاغطة دون السماح بتدشين علاقة تبادلية تسمح بإنجاح تجربة الاعتماد المتبادل بين أسواق ومنتجات كل الدول على بعضها بصورة تسمح للاقتصاديات النامية بالنمو والتطور والمنافسة؛ حيث أصبح الإبقاء على ظاهرة الفقر في الدول النامية أمراً محكوماً عليها لضمان استدامة حاجتها إلى مساعدة الفاعلين في حقل العولمة،



فمنهج العولمة السائد الآن في المجال الاقتصادي يشير إلى أن نسبة 20% من السكان العاملين سيكفي للحفاظ على النشاط الاقتصادي الدولي، فمخمس قوة العمل ستكفي لإنتاج جميع السلع وسد الخدمات التي يحتاج إليها المجتمع العالمي. وأكثر من ذلك، فإن طبيعة الاستثمارات الأجنبية في الدول النامية تتسم بضاآلة قيمتها ومحدودية جدواها على مستوى التنمية الاقتصادية، فقد بين تقرير الاستثمار العالمي لعام 2017 الذي أصدره مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأنكتاد) أن الولايات المتحدة ظلت تمثل في عام 2016 أكبر متلق للاستثمار الأجنبي، تليها المملكة المتحدة. فيما احتلت الصين المركز الثالث، وظلت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الخارجة من البلدان المتقدمة ضعيفة. وقد انخفضت بنسبة 11 في المائة لتصل إلى تريليون دولار، الأمر الذي يرجع بصورة رئيسية إلى تراجع استثمارات الشركات الأوروبية متعددة الجنسيات. وعلى كل الأحوال، سيظل العالم الأقل نمواً سوقاً لترويج بضائع الكبار سواء أمريكا أو الاتحاد الأوروبي أو حتى الصين التي ترفع راية حماية الحقوق التجارية للدول النامية إلا أنها في الحقيقة تغرق أسواقهم بمنتجاتها بشكل تعجز منتجات تلك الدول على الصمود أمامها، ولكن في ظل إقدام النظام الاقتصادي العالمي على عصر جديد يمكن أن يطلق عليه «ثورة الإنتاج الرخيص»، حيث إن الاقتصاد الذي يتمكن من إحداث ثورة في كمية الإنتاج، تمكنه من إغراق الأسواق العالمية بمنتجات رخيصة الثمن، حتى وإن كانت أقل من ناحية المكون التكنولوجي بين منافساتها؛ سيصبح هو القوة الاقتصادية العالمية الأهم. على الدول الأقل نمواً الاقتداء بالنسق الفكري للنموذج التنموي الصيني،

بينت الأبحاث الاقتصادية بأن استفادة الدول السائرة في طريق النمو من تحرير المبادلات مرتبط أشد الارتباط بحصولها على وسائل تمكنها من الوصول إلى السوق العالمية بفضل بنيات تحتية مناسبة وخدمات جمركية ومصرفية فعالة كذلك إنتاج يتناسب مع السوق العالمية.. وأن تعلن عن احتفاظها بهامش سياسي كامل، لكي تتمكن من بلورة سياسات تنموية من صلب اختيارها.

القائم على كثافة الإنتاج الرخيص؛ حيث تشير إحصاءات الإيكونومست إلى اتجاهات نمو التجارة التي تتجه لصالح الدول الناشئة. وهنا لا يجب على الدول النامية أن تعول على غيرها، بل أن تعلن تكتلها وتصمد أمام العديد من الإغراءات التي تتقدم إليها لتقديم تنازلات تجارية وتعلن أنها لن تفتح الحدود على مصراعيها قبل أن تجتمع أولا شروط التنمية الاقتصادية داخليا، بحيث

# عماقة الاقتصاد العالمي عام 2050

عرض أحد الفيديوهات المعنونة 10 مدهشين على القمة AMAZING TOP TEN للتقارير التي أصدرتها شركة برايس ووتر هاوس آند كوبرز الأمريكية عن تنبؤاتها حول الإقتصاد العالمي، والتي تضمنت أنه في عام 2050 يتوقعون أن تشكل بعض الاقتصادات مفاجآت في وصولها إلى مراكز في الترتيب لعشر أكبر اقتصادات في العالم.

في الإقتصاد العالمي، ولكنها ستحقق قفزة ضخمة يسبب الانتاجية الكبيرة وتوافر المواد الطبيعية والتعداد الكبير للسكان.

المركز الثالث: الهند: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 28 تريليون دولار ورغم ان الهند مواردها الطبيعية ليست وفيرة، وأرضها صغيرة نسبيا فإن تعداد سكانها سوف يصبح الأكبر في العالم خلال العام القادم حيث سيصل إلى 1.5 مليار نسمة، ويحتاج الإقتصاد الهندي إلى نسبة نمو صغيرة ولكن سستمره ويشهد تصدير الهند إلى الخارج طفرة كبيرة.

المركز الثاني: الولايات المتحدة: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 34 تريليون دولار في عام 2050 ستكون الولايات المتحدة قد فقدت مركزها الأول لصالح الصين.

وقوة اقتصاد الولايات المتحدة يعود إلى ضخامة السوق الاستهلاكي بها بالإضافة إلى ريادتها التكنولوجية وقوتها التصديرية ومخزونها الضخم من الموارد الطبيعية وسوف تظل قوة اقتصادية عالمية لعدة قرون قادمة.

المركز الأول: الصين: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 05 تريليون دولار وسيكون أكبر بكثير من الإقتصاد الأمريكي.

وإذا تحالف الإقتصادان الصيني والهندي وتعاونوا من خلال الاتفاقات الاستراتيجية بينهما، فإنهما يصبحا ضعف قوة الإقتصاد الأمريكي، بما يعنيه هذا من تزايد أهمية كل من منطقتي المحيط الهادي والمحيط الهندي.



سفير عبدالفتاح عزالدين  
afmecaio@gmail.com

علاقتها القوية بجارتها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى القدرة الانتاجية العالية لاقتصادها.

المركز السابع: المانيا: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 5.7 تريليون دولار وهي دولة قوية اقتصاديا - خاصة منذ الخمسينيات من القرن الماضي، واستمرت في تحقيق نمو قوى جعلها الإقتصاد الثالث في العالم لعشرات السنين قبل أن تلحق بها الصين، ومن نقاط قوة الإقتصاد استخدام التكنولوجيا العالمية والصادرات المتنوعة إلى جميع أنحاء العالم.

المركز السادس: البرازيل: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 6.5 تريليون دولار ويتميز اقتصادها بالإنتاج الوفير وتعداد السكان الكبير ووفرة الموارد الطبيعية بالبلاد.

المركز الخامس: اليابان: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 6.8 تريليون دولار وقد كانت ثاني أقوى اقتصاد في العالم لعشرات السنين حتى تفوقت عليها الصين في عام 2010.

المركز الرابع: اندونيسيا: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 7.3 تريليون دولار وهي من مفاجآت الوصول إلى القمة لأنها حاليا تحتل المركز الـ 16

ومن المعروف أن القائمة «الحالية» لأكبر 10 اقتصادات في العالم هي كالتالي: الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والهند وإيطاليا والبرازيل وكندا. وهذا يعني أن معظم القائمة هي اقتصادات دول غربية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

ولكن تنبؤات الشركة الأمريكية الشهيرة تشير إلى أن هذه القائمة سوف تشهد تغيرات دراماتيكية وفقا لتقديرات إجمالي الناتج القومي الإجمالي الاسمي NOMINAL GDP أي على أساس إجمالي الناتج من السلع والخدمات للإقتصاد خلال عام، حيث يتوقعون أن يصبح ترتيب أكبر الاقتصادات العالمية في عام 2050 كما يلي: الصين والولايات المتحدة والهند واندونيسيا واليابان والبرازيل وألمانيا والمكسيك والمملكة المتحدة وروسيا.

وتبرز التقديرات أهم الأسباب وراء احتلال هذه الدول تلك المراكز المتقدمة فيما يلي بالترتيب التنازلي:

المركز العاشر: روسيا: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 5.1 تريليون دولار ويدعمها في هذا وفرة الموارد المعدنية والبتترول والغاز.

المركز التاسع: المملكة المتحدة: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 5.4 تريليون دولار وتعزى قوتها الاقتصادية إلى علاقاتها القوية مع الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرار نموها السكاني وعزلتها عن المشاكل الاقتصادية للقارة الأوروبية «لازالت تستخدم عملة مستقلة».

المركز الثامن: المكسيك: سيبلغ إجمالي الناتج القومي لها 6.5 تريليون دولار وترجع قوتها الاقتصادية إلى

## كوكبنا يعاني تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

إنه صيف حار جدا، إذ تواصل درجات الحرارة ارتفاعها المطرد عن معدلاتها خلال هذا الوقت من العام مسجلة رقم قياسي جديد وهو الأمر الذي ربما يتواصل العام المقبل أيضا. وفي وقت تعمل فيها أجهزة تكييف الهواء على حمايتنا من تلك الحرارة المرتفعة حتى إن كنت تمضي عطلتك الصيفية في الساحل، فإننا نذكرك بأن هذا الارتفاع الحاد في درجات الحرارة ما هو إلا وجه بسيط لظاهرة التغير المناخي.

### CLIMATE CHANGE



إذا ما هو التغير المناخي على وجه التحديد ولماذا أصبح يمثل قضية كبرى لكوكبنا؟ نيويورك تايمز تقدم لنا شرحا مفصلا لتلك القضية والمفاهيم الخاطئة المرتبطة بها.

#### حياتك

قد تظن أن ارتفاع درجات الحرارة بمعدل درجتين أمر غير ذي قيمة؟ ربما يتعين عليك مراجعة معلوماتك في هذا الشأن، ففي الوقت الذي يبدو حديث أحد علماء المناخ عن ارتفاع درجات الحرارة بواقع درجتين مئويتين مقارنة مع عام 1880 غير ذي قيمة بالنسبة لأشخاص مثلنا وخصوصا الذين لا يجدون ثمة فرقا بين 43 درجة مئوية و45 درجة مئوية، فإن هذا التغير الطفيف في درجات الحرارة له آثار كارثية على كوكب الأرض. فقد أثبت العلماء بالدليل الدامغ أن هذا الارتفاع الطفيف في درجات الحرارة تسبب في موجات من الاحتباس الحراري بالإضافة إلى الأعاصير والسيول التي أصبحت أكثر قوة من ذي قبل.

ما هي التبعات في المستقبل؟ بدأت الآثار الخطرة الناجمة عن التغير المناخي في بسط سيطرتها الفعلية على كوكب الأرض، ويشير الجدل المثار حول هذه القضية إلى مدى دلالة خطورة الموقف. وإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه، فإن الأمور قد تتجه نحو الأسوأ في غضون العقود الثلاثة المقبلة مع

حالة من الاضطرابات وارتفاع معدلات المياه في البحار وغرق المدن الساحلية. ولكن هذا لا يعني أن تلك الأمور لا يمكن احتواؤها. فتغير السياسات والسلوك المرتبط بالبيئة قد يؤدي إلى تحسن الأوضاع وإحداث الفارق.

لم تستوعب الأمر بعد؟ إذا كان الأمر كذلك، ربما يتعين عليك قراءة المزيد هنا، حيث نقدم الأسباب غير المتوقعة والتي تؤدي إلى تفاقم أزمة التغير المناخي والتي قد تؤثر عليك أنت بصورة شخصية.

ويبدو أن الوضع قد ازداد سوءا: فقد سمعنا جميعا عن أساليب قياس معدلات الاحتباس الحراري والتي تشمل معدلات ثاني أكسيد الكربون في الهواء وارتفاع معدلات مياه البحر وبكل تأكيد ارتفاع درجات الحرارة، ولكن هناك شيء آخر يثير مخاوف العلماء وهو ارتفاع درجات الحرارة في ليالي الصيف. ففي بعض المناطق بالولايات المتحدة، ارتفعت درجات الحرارة بالمساء لتصل إلى 38 درجة مئوية، وفقا لما ذكرته نيويورك تايمز، والتي حذرت في تقريرها أيضا من أن المعدلات التي ترتفع بها الحرارة في المساء تقترب من ضعف المعدلات التي ترتفع بها درجات الحرارة خلال النهار.

لماذا يجب أن تهتم؟ حسنا لسبب أساسي، ارتفاع درجات الحرارة خلال ساعات الليل قد يكون قاتلا. «المزيج

بين ارتفاع درجات الحرارة في النهار وأثناء الليل قد يكون قاتلا حقا، لأن الجسم لا يجد فرصة ليبرد خلال ساعات الليل»، حسبما تقول لارا كاشنج أستاذة علم الأوبئة البيئية في جامعة سان فرانسيسكو. كبار السن والمرضى والأطفال الصغار، مهددين بشكل خاص من موجات الحرارة المرتفعة في ليالي الصيف. وكذلك عمال الزراعة والبناء وغيرهم ممن يعملون في الهواء الطلق، والذين لن يعود في استطاعتهم تجنب الحرارة المرتفعة بالعمل في أوقات مبكرة أو متأخرة من اليوم.

ولمن يظنون أن أجهزة التكييف تحميهم من التغير المناخي، نقول إن هذا التفكير هو أحد أسباب الأزمة. مكيفات الهواء تصدر الهواء الساخن إلى الغلاف الجوي، وترفع من درجات الحرارة الخارجية. أثر الاستخدام الكثيف لمكيفات الهواء على استخدام الطاقة وعلى حرق الوقود الأحفوري المنتج لتلك الطاقة، لا يساعد إطلاقا على مواجهة التغير المناخي.

وفي أجواء شبيهة بأفلام «ماد ماكس»، ستكون هناك مناطق من العالم غير صالحة للحياة حرفيا بنهاية هذا القرن. وبطبيعة الحال، فإن أول مكان يتبادر إلى الأذهان هو منطقة الخليج. ووفقا لنماذج محاكاة حاسوبية أعدها باحثون بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، فإن منطقة الخليج



## كوكبنا يعاني تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

تستخدم لزراعة حبوب القهوة عالية الجودة ستكون غير صالحة بحلول عام 2050 ووفقا لدراسة حديثة فان تلك النسبة قد ترتفع إلى 88% في أمريكا اللاتينية.

كيف تواجه شركات القهوة الكبرى الأزمة؟ عدم اتخاذ الحكومة موقفا حاسما في تلك القضية دفع الشركات مثل ستاربكس بالتدخل لتأمين حصولها على احتياجاتها الضخمة من القهوة. في عام 2013، اشترت ستاربكس مزرعة بمساحة 600 فدان في كوستاريكا حيث تقوم بزراعة وتحميص البن العربي. وتستخدم الشركة هذه المزرعة كحقل اختبار للتهديدات التي تواجه القهوة بسبب التغيرات المناخية. ويقول باحثون إن في المستقبل القريب، سيضطر المزارعون إلى الانتقال إلى مناطق أكثر ارتفاعا عن سطح البحر كي يتمكنوا من زراعة البن، ولكن في مناطق لن يجد المزارعون أماكن ليذهبوا إليها. ويقول شولتز إن «هناك مناطق بالكامل مهددة بأن تصبح غير صالحة لمواصلة زراعة البن العربي».

**بعد أن نجحنا في نقل شعور**

الحارة في جنوب آسيا في صيف عام 2015 في وفاة نحو 3500 شخص، ومثل هذه الأحداث ستصبح أكثر تكرارا وشدة، وفقا للباحثين.

سياسيون في الهند يحذرون من كارثة وشيكة تهدد الصحة العامة في عدد من المدن الهندية، وفقا لتقرير معمق نشرته صحيفة نيويورك تايمز. يقول سوجاتا ساونيك الذي كان مسؤولا رفيع المستوى في وزارة الداخلية الهندية إن «تلك المدن ستصبح غير صالحة للمعيشة، إلا إذا قامت الحكومات المحلية بوضع نظم للتعامل مع هذه الظاهرة وتوعية المواطنين بها». وحتى الآن، فإن ردود الفعل غير كافية لمعالجة المشكلة.

هل ما زلت غير مقتنع بالخطر؟ ماذا عن احتمالية أن تفقد قهوتك الصباحية؟ التغير المناخي يشكل خطرا واضحا وحاضرا للغاية لمشروب القهوة الذي كان عنصرا أساسيا في حياة ملايين البشر في القرون الماضية، حسبما يقول هوارد شولتز الرئيس التنفيذي السابق لسلسلة مقاهي ستاربكس في تصريحات لمجلة تايم. نصف الأراضي حول العالم التي

ستكون أكثر المناطق حرارة في العالم بحلول عام 2100 كنتيجة للتغير المناخي. ومع ذلك، لا يتوقع العلماء والاقتصاديون حدوث كارثة في تلك المنطقة، نظرا للثروة التي تتمتع بها الدول الخليجية، علاوة على انخفاض عدد السكان، وانخفاض احتياجاتهم الغذائية.

المنطقة التي تشكل خطرا حقيقيا هي جنوب آسيا. يقول الفاتح الطاهر الأستاذ بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والمشارك في إصدار الدراسة إن «المناطق الأكثر تضررا في شمال الهند، وجنوب باكستان، وبنجلاديش يسكنها 1.5 مليار نسمة». وتظهر الدراسة أن نحو 2% من سكان الهند معرضين لمزيج خطير من ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة. ومن المتوقع أن ترتفع تلك المعدلات بنسبة 70% بحلول عام 2100 إذا لم يتم مواجهة هذا التغير المناخي. وتسببت الموجات



## الخطر إليك، ما الذى يمكننا فعله؟

العالم بأكمله يجب أن يعيد استخدام المخلفات بالطريقة التي تتبعها السويد. على مدار السنوات العديدة الماضية، أتقنت الدولة الإسكندنافية صناعة تحويل النفايات إلى طاقة. وبعد أن أصبحت النفايات الموجودة بالبلاد غير كافية لتوليد الطاقة اللازمة، أصبحت السويد تستورد النفايات بكثافة. وتقوم السويد بتدوير نحو 47% من مخلفاتها، وتستخدم نحو 52% أخرى من النفايات، مثل المعادن الخردة، ولوحات الدوائر الكهربائية، والمخلفات الزراعية، فى برنامج تحويل النفايات إلى طاقة، والذي ينتج الكهرباء من حرق النفايات. ولا يتبقى بعد ذلك سوى 1% من النفايات والتي ينتهى بها المطاف فى مكبات النفايات.

وربما تتساءل لماذا قد يستورد أحد القمامة؟ من منظور بيئى، يضمن شراء بعض من نفايات العالم اللانهاية إعادة استخدام المزيد منها، ما يعنى إن على الأقل نسبة ما من المليارى طن من النفايات لن ينتهى بها المطاف فى المحيطات أو الأنهار، أو فى أمعاء الكائنات البحرية. ومن ناحية اقتصادية، فإن بيع القمامة هو مكسب للطرفين فى معظم البلدان. ليس فقط لأن شحن القمامة إلى السويد يكون أحياناً أرخص بالنسبة للدولة من تكلفة التخلص منها فى مكبات النفايات، ولكن أيضاً لأن بعض منشآت تحويل القمامة إلى طاقة تدفع ما يصل إلى 43 دولار لكل طن من النفايات. فى عام 2014 فقط، صدرت دول مثل بريطانيا وإيطاليا حوالى 2.3 مليون طن من النفايات، وهو ما ترجم إلى نحو 100 مليون دولار من الإيرادات. فى مصر، تبدو إمكانيات إعادة تدوير النفايات كبيرة للغاية، خاصة الآن مع وضع الحكومة أخيراً تعريفة خاصة لمشروعات إنتاج الطاقة من المخلفات (1.03 جنيه للكيلووات ساعة). ومع وصول التعداد السكانى لنحو 100 مليون نسمة، فإننا على الأرجح ننتج مخلفات أكثر من أن نستطيع إدارتها. وهناك إمكانية لإعادة تدوير نسبة كبيرة

انبعاثات كربونية يتسبب فيها الزائرين القادمين إلى المنتجع بالطائرة. وحتى الآن تم جمع 8 ملايين دولار من خلال تلك الرسوم، وجرى توجيهها إلى تمويل مشروعات مستدامة مثل بناء توربينات رياح فى الهند، وزراعة المزيد من الأشجار فى تايلاند، وتوفير مياه الشرب النقية لآلاف حول العالم.

الطائرات التي تعمل بالطاقة الشمسية ستحدث فارقاً جذرياً: تعمل شركة إيرباص على إنتاج طائرة تعمل بالطاقة الشمسية وتستطيع التحليق فى الجو لـ 120 يوماً متواصلاً. طائرة زيفايير التي تسعى إيرباص لتصنيعها لن تكون طائرة ركاب، بل فى الواقع سيكون وزنها مقارب لمتوسط وزن الإنسان، وفق ما تقوله «بى بى سي». ولكن قدرة الطائرة على البقاء فى الجو لفتترات طويلة يعنى إمكانية الاعتماد عليها كمنصة للاتصالات أفضل وأسهل من الأقمار الصناعية. تقول صوفى توماس رئيسة برنامج زيفايير لدى إيرباص إن زيفايير لديها الإمكانية لإحداث ثورة على صعيد إدارة الأزمات، ويشمل ذلك مراقبة حرائق الغابات وتسرب النفط». ارتفاع درجات الحرارة يعنى

من تلك المخلفات، واستخدامها لإنتاج الطاقة، بل وحتى تصديرها.

المسؤولية البيئية ليست بالضرورة عبئاً مادياً. مؤخراً بدأت العديد من الشركات تبني مفهوم الاستدامة كأولوية لديها، من خلال تركيب أجهزة موفرة للطاقة، وتقليل إهدار الطعام، وترشيد استهلاك المياه. وبينما يبدو ذلك عبئاً مادياً، تتسارع الابتكارات لتخفيض تكلفة هذا التوجه الأخضر. تتحدث مجلة فوربس عن منتجات سينوفا، والتي تعطى مثلاً جيداً فى تحقيق الاستدامة مع كفاءة فى الإنفاق. من خلال إعادة تدوير البلاستيك والزجاج، واستخدام ألواح شمسية، وإنتاج الفحم الذى يستخدمونه فى الطهى، وإنتاج السماد من نفايات الفنادق. وعلاوة على ذلك، عينت المنتجعات خبيراً فى الهندسة البيئية للإشراف على بناء المنشآت والتأكد من عدم استخدام أسمنت فى بناء الغرف.

ويمكنك أيضاً تمرير التكلفة إلى العملاء: قامت منتجعات سينوفا بفرض رسم على الأثر الكربونى بنسبة 2% على الزائرين لتخفيض الانبعاثات الكربونية المباشرة وغير المباشرة فى نطاق المنتجع، ويشمل ذلك أى

## كوكبنا يعاني تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

انخفاض معدلات الإنتاجية: الإنتاجية على المستويين الشخصي والوطني تنخفض بشدة بسبب ارتفاع درجات الحرارة بشكل غير مريح، وفقا لموقع بيزنس إنسايدر. يمكن أن تبدو الفكرة غريبة في البداية، ولكن فلننظر فيها بعض الوقت: ما هو مدى ميل أي منا للعمل أو الدراسة أو أن يكون منتجاً بينما تصل درجة حرارة الطقس إلى 45 درجة مئوية؟ مع ارتفاع درجات الحرارة، يقوم الدماغ بقضاء مزيد من الوقت في التخلص من الحرارة الزائدة والعودة إلى حالة التوازن، وهو ما يتم ترجمته مباشرة إلى أداء أقل. وهذا التأثير واضح على المستوى الوطني - فقد أثبتت الدراسات أن الدول الأكثر دفئاً تكون الإنتاجية بها أقل وينخفض بها الناتج المحلي الإجمالي. ويرجع هذا الانخفاض جزئياً إلى تدهور إنتاجية كل فرد، في حين أن العناصر غير البشرية، مثل المحاصيل، يمكن أن تتضرر أيضاً نتيجة الطقس الحار.

الانحرافات في الأحوال الجوية يمكن أن تؤدي إلى ارتفاع وتيرة الصراعات، والتقليل من قدرتنا الإنتاجية: «لكل ارتفاع في الانحراف المعياري لدرجات الحرارة، يزداد عدد مرات النزاعات بين الأشخاص بنسبة 2.4%، بل إن الصراع بين المجموعات، كما في أعمال الشغب والعنف العرقي والغزو وعنف العصابات والحرب الأهلية، وغير ذلك من عدم الاستقرار السياسي ترتفع بشكل أكبر: بمتوسط 11.3% لكل ارتفاع في الانحراف المعياري في درجة الحرارة، وفقاً لما صدر عن المنتدى الاقتصادي العالمي. ويعتبر الصراع بين المجموعات أكثر تعقيداً لأنه يعني الإضرار بالإنتاجية على الصعيد الوطني.

## أموالك

التغير المناخي سيضر بمحففظتك أيضاً: إذا كنت تعتقد بأن التغير المناخي سيؤثر فقط على العالم الطبيعي والموطن البيئي للإنسان، فأنت مخطئ تماماً، إذ أن تأثيرات ذلك التغير ستضر ميزانيتك المنزلية أيضاً. ووفقاً لما جاء بموقع ناشيونال جيوغرافيك، من المتوقع أن تصل الخسائر الاقتصادية الناتجة عن موقف الإنسان اللامبالى تجاه العناية بالبيئة خلال العقد المقبل إلى نحو 360 مليار دولار سنوياً. إن التغير المناخي أمر واقع، وقد كان وسيظل له أثر مالى على كل جانب من حياتنا تقريباً. فهل لا زلت تعتقد بأنه لن يضر بك؟ موقع «يو إس نيوز» قدم قائمة ببعض النواحي التي يؤثر فيها التغير المناخي سلباً على محفظتك.

• صحتك: يميل النظام المناعي بجسمك إلى أن يضعف بسبب ارتفاع درجات حرارة الأرض. وينتج أيضاً عن التغير المناخي تغيير أنماط الرياح مما يؤدي إلى نشوب الحرائق بشكل متكرر وتزايد مستويات الأوزون مما يزيد من حالات الربو وأمراض القلب والأوعية الدموية.

• طعامك: من المتوقع أن يؤدي التغير المناخي إلى خفض نسب المحاصيل والماشية، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار الطعام.

• راتبك: إن خروجك من المنزل وتوجهك إلى العمل فى تلك الحرارة

الحارقة سيزداد صعوبة. ووفقاً لتقديرات وكالة حماية البيئة، سيتم فقد 1.8 مليار ساعة عمل جراء ارتفاع درجة الحرارة بحلول عام 2100، مما يؤدي إلى خسارة قدرها 170 مليار دولار فى الأجور.

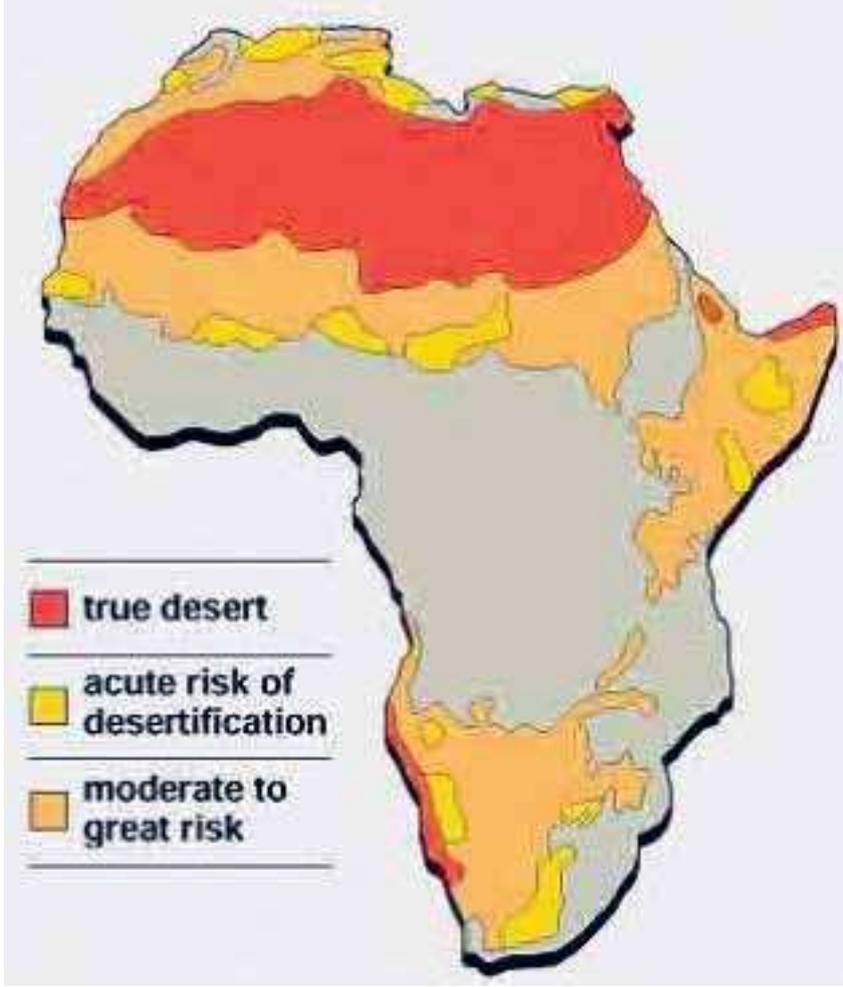
• فاتورة الكهرباء: ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الشتاء وارتفاعها بشكل أكبر خلال الصيف سيؤدي إلى زيادة استخدام مكيفات الهواء وارتفاع صافي تكاليف استهلاك الطاقة بنسبة تتراوح من 10 إلى 22%.

• وسائل النقل: إذ أن شبكات الطرق والبنية التحتية لدينا فى خطر دائم من التغيرات المناخية، فإننا سننفق أكثر على خدمات الصيانة والإصلاح، أو حتى استبدال السيارات بالكامل.

## عائلتك

الأسرة الأصغر هي أفضل مساعدة للبيئة: من بين جميع الأشياء التي يمكن للأجيال المقبلة فعلها لتقديم المساعدة لكوكبنا، يظل الأمر الأكثر فاعلية هو تكوين عائلة أقل عدداً. هناك الكثير من الأشياء الصغيرة التي يمكننا جميعاً القيام بها للتقليل من مساهمتنا فى تفاقم التغير المناخي. إلا أن ما سيكون له الأثر الأكبر هو الحد من الزيادة السكانية - فقد توصلت دراسة أجريت عام 2017 إلى أن طفل واحد أقل فى الأسرة، أكثر فاعلية 25 مرة فى خفض الانبعاثات الكربونية، مقارنة بالعيش دون سيارة، وفقاً لما جاء فى Population Matters موقع لا تتسرع بتوجيه أصابع الاتهام إلى الأسر ذات الدخل المنخفض والتي لديها العديد من الأطفال: «الأفراد فى العالم المتقدم لديهم التأثير الأكبر، لذلك فإن الأشخاص الذين يختارون أن يكون لديهم أسر أقل عدداً فى أغنى مناطق العالم سيكون لديهم أكبر تأثير إيجابى فوري... انخفاض الانبعاثات نتيجة قلة عدد الأشخاص الذين يولدون فى بلدان أكثر ثراء يسمح بالمزيد من التنمية





الاقتصادية في البلدان الأكثر فقرا دون زيادة إجمالية الانبعاثات».

وبمجرد أن تحظى بأطفال، علمهم الاحترام والاهتمام بالبيئة في سن مبكرة قدر الإمكان. يبدأ ذلك بالسلوكيات ونمط الحياة الصديق للبيئة الذي يتبناه طفلك وتصبح عادة لديه. بعض هذه العادات قد تكون مكلفة للغاية، مثل الاعتماد فقط على الأغذية العضوية، ولكن هناك تغييرات أخرى في العادات والسلوكيات يمكن أن تفعلها ببساطة لتصبح نموذجا إيجابيا لأسرتك. يقدم موقع فيلي فويس برنامج لإعادة التدوير في منزلك، يخفض استهلاك أسرتك من المنتجات البلاستيكية التي تستخدم لمرة واحدة، مثل الماصات وزجاجات المياه، وغيرها من الأفعال البسيطة المؤثرة والموفرة.

### أناقتك

التوجه الأخضر بكل الألوان: مع تزايد الوعي العالمي بالقضايا البيئية الملحة، أصبح من الطبيعي أن يكون الجيل الصاعد من مصممي الأزياء أكثر حرصا على تطبيق ممارسات الاستدامة. «من الفساتين الراقية المصنعة من أكياس القهوة وحتى الترتير المقطع من الزجاجات المعاد تدويرها، يحاول أحدث القادمين إلى عالم الأزياء أن يديروا ظهرهم إلى ماضي الصناعة الملوثة»، حسبما تقول وكالة رويترز، والتي أشارت إلى دراسة لمؤسسة إلين ماك آرثر تقول إن «أقل من 1% من الملابس يعاد تدويرها، ونحو نصف مليون طن من الألياف البلاستيكية الدقيقة تخرج من الملابس المغسولة سنويا، أي ما يوازي أكثر من 50 مليار زجاجة بلاستيكية». اضغط هنا لمعرفة المزيد عن «الأضرار الحقيقية للمواد البلاستيكية الدقيقة».

الوعي البيئي لا يقتصر فقط على الأسماء الصغيرة في عالم الأزياء. أديداس-على سبيل المثال- صنعت بالفعل وبكميات كبيرة أحذية مصنعة بالأساس من الزجاجات المعاد تدويرها. وتعمل الشركة أيضا تدريجيا على زيادة استخدام البلاستيك المعاد تدويره في منتجاتها على مدى السنوات الست

المقبلة، لتتوقف نهائيا عن استخدام «البوليستر البكر» والذي يدخل حاليا بنسبة 50% في المواد التي تستخدمها الشركة لإنتاج منتجاتها. وأعاد المصمم الإيطالي سلفاتورى فيراجامو إنتاج الحذاء الذي صنعه الشركة لنجمة «ساحر أوز» المطربة والممثلة الأمريكية الراحلة جودي جارلاند في عام 1932... ولكن بدلا من جلد الغزال استخدم المصمم خيوط الكروشيه العضوية، والمصبوغة بألوان طبيعية، ومبطنه من الجلد المصنع باستخدام تكنولوجيا اللايترتك، دون استخدام أي مياه أو انبعاثات كربونية في عملية التصنيع، وفقا لموقع ذا ناشيونال. وأعلنت شركات مثل «نايكي» و«إتش أند إم» و«جاب» و«بيربيري» مشاركتها في مبادرة عالمية لتقليل النفايات العالمية من خلال إعادة التدوير.

الحذاء الصديق للبيئة، فإن خبراء الصناعة يعتقدون أن الفارق في السعر بين البلاستيك الجديد سيتقلص تماما في السنوات المقبلة، مع تحول المزيد من الشركات نحو الموارد المتجددة، ومع زيادة قدرة الموردين على إنتاج مواد معاد تدويرها بكميات كبيرة، وفق ما ذكرته صحيفة فايننشال تايمز.

\*\*\*

منشور بترتيب خاص مع «انتربرايز» مع شكر وتقدير هيئة تحرير مجلة الدبلوماسي. نشرة يومية تصدرها شركة انتربرايز فنشرز ذات المسؤولية المحدودة - سجل تجارى رقم 83594.

www.enterprise.com

مقتطفات عن تقرير ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى

# بالحق في التنمية

مقدمة للولاية



 UNITED NATIONS  
HUMAN RIGHTS  
SPECIAL PROCEDURES  
SPECIAL RAPPORTEURS, INDEPENDENT EXPERTS & WORKING GROUPS

كُنس في يناير 2018 بواسطة مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق في التنمية. السيد/ سعد الفراجي



## أولاً: نبذة عن

مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق في التنمية  
**ما المقصود بمقرر الأمم المتحدة الخاص؟**

تم وصف المقرر الخاص بأنه «عيون وأذان» مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة وهو أيضاً بمثابة صوت مستقل يعينه المجلس للتحقق من «ولاية» محددة وإعداد تقارير بشأنها «تتناول عادة موقف بلد ما أو إحدى قضايا حقوق الإنسان» واعتباراً من 1 أغسطس 2017 توجد 44 ولاية ذات مواضيع مختلفة و12 ولاية خاصة بالبلدان.

يعد المقررون الخصوصيون بمثابة خبراء مستقلين – وبرغم تعيينهم من قبل المجلس إلا أنهم ليسوا من موظفي الأمم المتحدة ولا يتقاضون أجراً مقابل عملهم ولا تعكس آراؤهم بالضرورة رأى الأمم المتحدة أو وكالاتها أو الدول الأعضاء بها.

ما هي ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق في التنمية؟

يتولى المقرر الخاص المعنى بالحق في التنمية مراقبة القضايا التي تؤثر على الحق في التنمية والإبلاغ عنها والدعوة للترويج لها من جميع أنحاء العالم وهو مكلف بشكل صريح بالمساهمة في الترويج للحق في التنمية وحمايته وأعماله في سياق تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وإطار سيندای للحد من مخاطر الكوارث وخطة عمل أديس أبابا الصادرة عن المؤتمر الدولي الثالث لتمويل التنمية واتفاقية باريس بشأن تغير المناخ.

تم إنشاء هذا المنصب في سبتمبر 2016 بموجب قرار مجلس حقوق الإنسان رقم 14/33 ويمكن العثور على الولاية الكاملة للمقرر الخاص هنا.

## من هو المقرر الخاص الحالي؟

المقرر الخاص الحالي «والأول على الإطلاق» المعنى بالحق في التنمية هو السيد / سعد الفرارجي من مصر وقد بدأ ولايته في 1 مايو 2017 لفترة أولية مدتها ثلاث سنوات.

## كيف يعزز المقرر الخاص حقوقى ويحميها؟

يملك المقررون الخصوصيون عدداً من الأدوات تحت تصرفهم تساعد على أداء عملهم وتشمل:

التقارير المواضيعية العامة: يتعين على المقررين الخصوصيين تقديم تقارير سنوية إلى كل من مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة وتتناول هذه التقارير عادة تفاصيل أنشطتهم ونتائج الأبحاث حول موضوعات محددة وتشكل سجلاً مكتوباً لأعمال الولاية وتمثل هذه التقارير أدوات مهمة لتسليط الضوء على القضايا الملحة والاتجاهات العالمية في مجال حقوق الإنسان: وتتضمن عادة توصيات لإجراءات محددة ترمى إلى تحسين الوضع على أرض الواقع.

الزيارات القطرية: يحق للمقررين الخصوصيين أيضاً زيارة الدول بناء على دعوة من الحكومات حيث يعقدون مقابلات مع الحكومة والمجتمع المدني وآخرين لتقييم قضايا حقوق الإنسان المتعلقة بنطاق ولايتهم ويقدمون بعد ذلك نتائج هذه الزيارات – بالإضافة إلى التوصيات – في التقارير العامة المرفوعة إلى مجلس حقوق الإنسان.

استلام الشكاوى والتحقيق فيها: يجوز لأي فرد أو مجموعة أو منظمة مجتمع مدني أو كيان حكومي دولي أو هيئات حقوق الإنسان الوطنية تقديم شكوى بشأن انتهاكات حقوقهم مباشرة إلى أي مقرر خاص ويكون ذلك في المقام الأول عن طريق استبيان على الموقع الإلكتروني لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة. spsubmission. https://ohchr.org/ أو في حالة تعذر ذلك فعن طريق البريد أو الفاكس أو البريد الإلكتروني (urgent action@ohchr.org) ويفحص المقرر الخاص حينئذ هذه الشكاوى وقد يكتب طلباً رسمياً للحصول على المعلومات – يعرف باسم «الاتصال» – إلى

الحكومة المعنية وتعرض هذه الاتصالات والردود الحكومية على كل دورة عادية لمجلس حقوق الإنسان .  
يملك المقرر الخاص أدوات أخرى أيضاً تشمل عرض المساعدة الفنية إلى الحكومات وإجراء دراسات رسمية واستخدام منصة للمشاركة في التوعية والأنشطة العامة التي ترفع الوعي حول الحقوق وغيرها.

## هل يتمتع المقرر الخاص بأية سلطات إنفاذ؟

كلا لا يتمتع المقررون الخصوصيون بسلطات إنفاذ ملزمة قانوناً. ويعود للمجلس وهيئات الأمم المتحدة الأخرى والدول الأعضاء في الأمم المتحدة تقرير ما إذا كانوا سيتصرفون بناء على نصيحتهم ولكن وضعهم كخبراء في مجالهم يعطى تقييمهم أهمية وسلطة كبيرة وتمثل تقارير المقررين الخصوصيين أداة دعوة مهمة للمجتمع المدني الوطني لمتابعة وممارسة الضغط على الحكومات.

## ثانياً: الحق في التنمية:

### ما المقصود بالحق في التنمية ولمن ينتمي؟

يتعلق الحق في التنمية بتعزيز وحماية قدرة الأفراد على المشاركة في التنمية والإسهام فيها والتمتع بها – بما في ذلك التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية ويتصور أن «الإنسان» «يجب أن يكون موضوعاً مركزياً ومشاركاً ومنفتحاً في عملية التنمية. ولذلك لا يعد الحق في التنمية حقاً من حقوق الإنسان فحسب في حد ذاته، ولكنه أيضاً ضروري للتحقيق الكامل لجميع حقوق الإنسان الأخرى، ويدعو أيضاً إلى التوزيع العادل للمنافع الناتجة عن التنمية.

يعد الحق في التنمية حقاً فردياً وجماعياً على حد سواء، وهذا يعني أن الجماعات «علي سبيل المثال الدول والشعوب والأمم والمجموعات» تعد أيضاً من المنتمين من الحق في التنمية.

يتشابه الحق في التنمية بصورة كبيرة مع حق الشعوب في تقرير مصيرها وحققها في ممارسة السيادة التامة على كل ثرواتها ومواردها الطبيعية. ولذلك ينطبق الحق في التنمية على كامل سكان الدول والولايات.

### ما سبب أهمية الحق في التنمية؟

حقق العالم تقدماً رئيسياً في الحد من الفقر حيث تم انتشار أكثر من مليار شخص من الفقر المدقع منذ 1990 وعلى الرغم من هذا لا يزال هناك حوالي 800 مليون شخص يعيشون في فقر مدقع اليوم ويعانون من الجوع ولكن الأكثر مدعاة للقلق هو أن معدلات الفقر موزعة بشكل متفاوت للغاية على سبيل المثال: تواجه النساء والأشخاص الذين يعيشون في بلدان هشة أو متأثرة بالصراعات درجة عالية من التعرض للفقر، وقد يظل حوالي 35 في المائة من السكان في البلدان الأقل نمواً في حالة فقر مدقع حتى عام 2030 إذا استمر عدم المساواة.

يتناول الحق في التنمية القضايا العامة والهيكليّة والأسباب الجذرية للفقر وعدم المساواة والصراع وسوف يساعد تنفيذه الفعال على الحد من الفقر وعدم المساواة ومنع الصراعات وتعزيز التقدم، وعدم ترك أي شخص يتخلف عن الركب بحيث يستطيع جميع الأفراد والشعوب العيش بحرية ومساواة وكرامة والتمتع بسلام دائم.

### هل يتعلق الحق في التنمية بالتقدم الاقتصادي دون

سواه؟

لا، غالباً ما يتم إساءة فهم التنمية كعملية اقتصادية بحتة تقاس فقط عن طريق الزيادة في إجمالي الناتج المحلي وعلى الجانب الآخر يؤكد الحق في التنمية على عملية شاملة تتضمن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتضع الشعب – وليس الحكومات أو رجال الأعمال – في بؤرة الاهتمام.  
يتعلق الحق في التنمية أيضاً بإنشاء نظام اجتماعي ودولي

والشمول والمساواة وعدم التمييز - تركز على القانون الدولي الملزم قانوناً مثل ميثاق الأمم المتحدة والعهود والاتفاقيات الدولية بشأن حقوق الإنسان» علاوة على ذلك تمثل المبادئ مثل عدم التمييز وسيادة الدول أيضاً جزءاً من القانون الدولي العرفي الملزم لجميع الدول.

### **لماذا تم إنشاء ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق في التنمية؟**

تم إنشاء ولاية المقرر الخاص في سبتمبر 2016 لأن مجلس حقوق الإنسان رأى وجود حاجة ملحة لجعل الحق في التنمية واقعاً لكل شخص ومثل توقيت القرار - قبل العيد السنوي الثلاثين لإعلان الحق في التنمية مباشرة - فرصة فريدة للمجتمع الدولي لإظهار وتكرار التزامه بالحق في التنمية.

لاحظ المجلس أيضاً حاجة لدى المجتمع الدولي للسعى لزيادة قبول الحق في التنمية كجزء لا يتجزأ من الإطار الدولي لحقوق الإنسان ويحتل ذلك أهمية على وجه الخصوص في سياق تنفيذ خطط التنمية الرئيسية للأمم المتحدة على مدار العقد المقبل وما يليه بما في ذلك خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وإطار سيندائي للحد من مخاطر الكوارث وخطة عمل أديس أبابا واتفاق باريس بشأن تغير المناخ.

للحصول على المزيد من المعلومات حول تحديات أعمال الحق في التنمية انظر الجزء 3.

### **هل توجد هيئات أخرى تابعة للأمم المتحدة تعمل على الحق في التنمية؟**

نعم تم تكليف مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بتعزيز أعمال الحق في التنمية وحمايته وتحسين الدعم من الهيئات ذات الصلة في منظومة الأمم المتحدة لهذا الغرض. يتوافر المزيد من المعلومات حول عمل المفوضية السامية في ذلك الميدان عبر الموقع الإلكتروني لمفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

تم تكليف الفريق العامل الحكومي الدولي المعنى بالحق في التنمية - الذي تأسس عام 1998 - بمراقبة ومراجعة التقدم بشأن الحق في التنمية وتحليل العقبات التي تحول دون التمتع بهذا الحق وتقديم التوصيات حول كيفية تعزيزه بشكل أفضل من المستويات المحلية والدولية ويجتمع الفريق العامل مرة كل عام ويقدم تقارير سنوية إلى مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة. يتوافر المزيد من المعلومات حول «الفريق العامل» عبر الموقع الإلكتروني لمفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

يعمل أيضاً عدد من وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية الدولية بصورة مكثفة على قضايا التنمية بما في ذلك برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية «الأونكتاد» واتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ واللجنة الاقتصادية لأفريقيا والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» والمنظمة العالمية للملكية الفكرية ومنظمة الصحة العالمية.

يساهم المقرر الخاص في عمل هذه الهيئات بمفهوم واسع ولكن منصبه كخبير مستقل يسمح له بتناول الموضوع من منظور حقوق الإنسان في المقام الأول ويسترشد بمفهوم أن التنمية حق إنساني في حد ذاتها ويجب أن تحدث وفقاً لمبادئ حقوق الإنسان للجميع وليس مجرد النمو الاقتصادي فحسب ويتولى المقرر الخاص تقييم البرامج والسياسات ويقدم توصيات عملية حول كيفية جعلها أكثر شمولية وعادلة ومنصفة ونشاركية ومستدامة.

### **ثالثاً: تعزيز وحماية وإعمال الحق في التنمية:**

#### **دور المقرر الخاص**

**ما هي رؤية مقرر الأمم المتحدة الخاص لتعزيز الحق في التنمية؟**

يمكن فيه إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية بالكامل لجميع الأفراد والشعوب في جميع البلدان ويتعلق بإنجاز نتائج محددة كما أنه يتعلق أيضاً بتنفيذ عملية محددة للتنمية تسمح بإعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى الحقوق المدنية والسياسية والحريات عن طريق توسيع قدرات واختيارات الأفراد والشعوب لتحسين الرخاء وتحقيق ما يتمنونه.

### **ما هي مصادر نشأة الحق في التنمية؟**

جاء ذكر الحق في التنمية للمرة الأولى كحق مميز في عام 1966 عندما أشار إليه وزير خارجية السنغال آنذاك «دودو ثيام» في الجمعية العامة وربط ثيام الفشل في تلبية الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة بفشل الدول التي تحررت من الاستعمار حديثاً في حل اختلال التوازن الاقتصادي المتنامي بين العوالم النامية والمتقدمة.

على الرغم من ذلك فإن أسس الحقوق يعود تاريخها لما قبل تصريح «ثيام» يمكن العثور عليها في المواد: 1 و 55 و 56 من ميثاق الأمم المتحدة وتنص هذه المواد على أن العلاقات السلمية والودية بين الأمم تتطلب ظروف الاستقرار والرفاه - وهي كلمات تؤكد بوضوح على أهمية الحق في التنمية ويحظر الميثاق أيضاً التمييز ويمنح الأمم المتحدة الولاية لتعزز - من بين أشياء أخرى مستويات المعيشة الأفضل والتوظيف الكامل وظروف التقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاحترام العالمي لحقوق الإنسان. حصل الحق في التنمية على المصادقة الرسمية في إعلان الحق في التنمية الذي اعتمد من خلال قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 41/128 في 4 ديسمبر 1986 وقد عرف الإعلان الحق في التنمية بأنه حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف وبموجبه يحل لكل إنسان ولجميع الشعوب المشاركة والإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التي يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالاً تاماً.

عمل الحق في التنمية منذ ذلك الحين كقيمة إرشادية للعديد من الإعلانات والإطارات الدولية بما في ذلك إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية لعام 1992 وإعلان وبرنامج عمل فيينا وخطة عام 2030 وأهداف التنمية المستدامة وإطار سيندائي للحد من مخاطر الكوارث للفترة 2015 - 2030 وخطة عمل أديس أبابا الصادرة عن المؤتمر الدولي الثالث لتمويل التنمية واتفاق باريس بشأن تغير المناخ ومجموعة قرارات مجلس حقوق الإنسان ويشار إليه أيضاً في وثائق حقوق الإنسان الإقليمية الرئيسية في الأمريكتين وأفريقيا وآسيا وفي الميثاق العربي لحقوق الإنسان.

### **إعلان الحق في التنمية**

يحدد إعلان الأمم المتحدة المعنى بالحق في التنمية بشكل قاطع التنمية كحق ويضع الأشخاص في قلب عملية التنمية. أعلنت الوثيقة الرائدة التي اعتمدها الجمعية العامة في 4 ديسمبر 1986 هذا الحق غير قابل للتصرف فيه معلنة أن لكل إنسان الحق في المشاركة والإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التي يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالاً تاماً. تتمثل واحدة من النقاط الأساسية التي يركز عليها هذا الإعلان في أن السعي لتحقيق النمو الاقتصادي لا يشكل غاية في حد ذاته. بالأحرى، يجب النظر إلى التنمية باعتبارها عملية شاملة تهدف إلى تحسين رفاه السكان كافة ولجميع الأفراد على أساس مشاركتهم النشطة والحررة والهادفة في التنمية وفي التوزيع العادل للمزايا الناتجة عنها.

### **هل الإعلان المعنى بالحق في التنمية ملزم قانوناً؟**

كلا ولكن مبادئه الأساسية - مثل حق تقرير المصير والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ومستويات المعيشة الأفضل والمشاركة

الاتجاهات العالمية السلبية: يواجه تنفيذ الحق في التنمية العديد من التحديات الأخرى ذات الصلة بحالة عالمنا اليوم؛ الأزمة المالية والاقتصادية العالمية، وأزمة الطاقة والمناخ، والعدد المتزايد من الكوارث الطبيعية، والأوبئة العالمية الجديدة، وزيادة التشغيل الألى في العديد من القطاعات، والفساد، والتدفقات المالية غير المشروعة وخصخصة الخدمات العامة، وتدابير التقشف وغيرها من الإجراءات، وشيخوخة سكان العالم.

يوجد أيضًا طلب متنام على الموارد لإعمال الحق في التنمية - وهو طلب لم تتم تلبيةه إلى حد كبير، وقد يتسبب الارتفاع في النزاعات القومية والتوجه المتعلق بالابتعاد عن التضامن والتعاون الدولي في المزيد من الإضعاف للحكومة الدولية في هذا السياق، «ويؤدي إلى زيادة تقليص الموارد وقلة الاهتمام بإعمال الحق في التنمية». وسيطلب التصدي لتلك التحديات العالمية الجهد المركز من جميع أصحاب المصلحة ذوى المصلحة على جميع المستويات.

### كيف تتعامل خطة المقرر الخاص مع هذه التحديات؟

كخطوة أولية، يخطط المقرر العام لإجراء المزيد من البحث والدراسة لكل تحدٍ من التحديات المذكورة أعلاه، كما يخطط أيضًا للتالي:

العمل باتجاه تحديد وإزالة العقبات الهيكلية: العقبات الهيكلية التى تواجه تنفيذ الحق في التنمية كبيرة، ويمكن أن يلعب المقرر الخاص دورًا مهمًا فى العمل على إزالتها، وهو يخطط لفعل هذا عن طريق التقييم المنهجي لسياسات التنمية الوطنية والدولية، وتقديم التوصيات لتعزيز التعاون الدولي الفعال، ويعتزم أيضًا عقد مشاورات واسعة النطاق لاستكشاف الوسائل الممكنة للتصدي لهذه القضايا المستمرة.

تعزيز الحوار البناء: من بين الأدوات الأساسية لأى مقرر خاص أن يكون «داعيا للاجتماعات» - أى شخص يمكنه جمع الأشخاص معًا للتحديث وفهم وجهات النظر المختلفة والعمل على التوصل إلى حلول وللإضطلاع بهذا الدور يخطط المقرر الخاص لعقد حوار بناء مع الدول وأصحاب المصلحة الآخرين لتحديد وتبادل وتعزيز الممارسات الجيدة المتعلقة بإعمال الحق في التنمية، وسيركز هذا الحوار بشدة على كيفية استخدام الحق كقوة استرشادية لتنفيذ خطة عام 2030 وإطار سينداى وخطة عمل أديس أبابا واتفاق باريس بشأن تغير المناخ.

المساهمة بالتوصيات العملية: تم تكليف المقرر الخاص بالمساهمة في تعزيز الحق في التنمية في سياق تنفيذ خطة التنمية الشاملة للأمم المتحدة، وتحقيقًا لهذه الغاية، فإنه يخطط لتقديم توصيات واقعية وعملية حول كيفية إعمال الحق في التنمية على المستويات المحلية والدولية.

سوف توضع هذه التوصيات بالتشاور مع الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والمجتمع المدني والمجتمعات والمتنفعين المباشرين من برامج التنمية وأصحاب المصلحة الآخرين، ويفحص المقرر الخاص أيضًا العمليات المستخدمة لتنفيذ خطة عام 2030، مع الاهتمام بالتأكد من دمجهم لجميع المدخلات من أصحاب المصلحة ذوى الصلة.

يخطط المقرر الخاص لوضع مجموعة من المعايير لتقييم وقياس وإجراء مقارنة نوعية لما يمكن اعتباره ممارسات جيدة، فيما يتعلق بإعمال الحق في التنمية في سياق تنفيذ إطارات سياسة التنمية لما بعد عام 2015، ويعتزم جمع مجموعة من الأدلة التجريبية للممارسات الجيدة في تصميم وتنفيذ ومراقبة وتقييم البرامج المؤدية إلى إعمال الحق في التنمية وسوف يؤدي هذا إلى تزويد الدول بأمثلة للعمليات والقوانين والسياسات التى تضمن بالفعل مشاركة جميع قطاعات المجتمع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية - وأنه لم يتم إهمال أى شخص. التعاون مع الفريق العامل المعنى بالحق في التنمية: يخطط

خلال الأعوام الإحدى والثلاثين منذ إعلان الحق في التنمية، ناضل المجتمع الدولي لتجاوز المهاترات السياسية فيما يخص تنفيذها. وفى الوقت نفسه ينتظر مليارات الأشخاص التحسينات فى حياتهم التى يمكن أن يقدمها الحق فى التنمية.

يشعر المقرر الخاص بحاجة لإحياء عملية الدعوة لدفع التنفيذ العملى للحق فى التنمية، ولن تكون الأنشطة التجارية كالمعتاد كافية لتحقيق التقدم، ونحن بحاجة ملحة لتجاوز الجدل والانتقال إلى التنفيذ.

توفر خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة فرصة فريدة من أجل هذا، ويركز المجتمع الدولي بشدة على هذه الخطة - من أهداف التنمية المستدامة إلى اتفاقية باريس بشأن المناخ - ويتم ضخ كميات كبيرة من المال والموارد فى تعبئتها.

**«لا تتعلق التنمية بالنمو الاقتصادى فحسب. ولكنها تتعلق بمنح الأشخاص القدرة على عيش حياتهم بكامل إمكاناتهم».**

**ما سبب الأهمية الشديدة للحق فى التنمية لجدول أعمال ما بعد 2015؟**

يتلخص هذا فى المعنى الحقيقى «للتنمية». لا تتعلق التنمية بالنمو الاقتصادى فحسب. ولكنها تتعلق بمنح الأشخاص القدرة على عيش حياتهم بكامل إمكاناتهم، ولا تتعلق بملء حساباتهم البنكية، ويجب أن يكون قياس «نجاح» التنمية دقيقًا ومتعدد الأوجه ويرتكز على احترام جميع حقوق الإنسان. يرى المقرر الخاص أنه يجب الحكم على نجاح إطار التنمية لما بعد عام 2015 من وجهة نظر تحول التركيز بعيدًا عن المؤشرات الاقتصادية وتوجهه نحو الرفاه العام للأشخاص وإعمال حقوق الإنسان الخاص بهم. وعندما يستطيع الأشخاص فقط الوصول إلى التعليم، وعندما يسمح لهم بالعمل فى مهنة من اختيارهم وفى ظروف عمل لائقة وكريمة، وعندما يمكنهم الوصول إلى الخدمات المالية والرعاية الصحية والسكن وعندما يمكنهم المشاركة بشكل كامل وعادل فى تشكيل السياسات التى تحكم حياتهم، فإنهم يستطيعون تحقيق تنمية حقيقية ومستدامة، بعبارة أخرى فقط عندما يتم إعمال حقهم فى التنمية.

### ما التحديات الرئيسية لإعمال الحق فى التنمية؟

توجد العديد من التحديات، لكن المقرر الخاص حدد بصورة مبدئية ثلاثة عوائق رئيسية منحها أولية التعامل معها خلال فترة ولايته:

التسييس: بعد أكثر من 30 عامًا من اعتماد إعلان الحق فى التنمية، ما زالت الدول منقسمة بشأن تفسير الحق، ويوجد نقاش محتدم بشأن وضع التأكيد النسبى على لائحة الالتزامات الوطنية للدول مقابل اعتراضات المجتمع الدولى فى تعزيز بيئة تمكينية لإعمال الحق فى التنمية، وتوجد اختلافات فى الرأى بين الدول بخصوص معايير ومؤشرات قياس تقدم تنفيذ الحق فى التنمية. نتج عن هذه الاختلافات المفاهيمية افتقار إلى زخم كافٍ - وأرضية مشتركة - للإعمال الكامل للحق فى التنمية.

الافتقار إلى المشاركة: نتج عن الانقسام السياسى مستوى منخفض من المشاركة من جانب وكالات الأمم المتحدة والمجتمع المدني فى تعزيز الحق فى التنمية وحمايته وإعماله، وبالرغم من تطور مفهوم الحق فى التنمية وتضمينه فى بعض الصكوك الدولية والإقليمية والدساتير الوطنية، إلا أن المستوى العام لفهم ما يعنيه هذا الحق بالفعل والمشاركة فى تنفيذه منخفضان.

كان التقدم فى التنمية - فى نفس الوقت - متفاوتًا، لاسيما بالنسبة للأشخاص فى البلدان الأقل نموًا والبلدان النامية غير الساحلية والدول الجزرية الصغيرة النامية، بالإضافة إلى ذلك، يعرقل انخفاض مستوى الوعى بالحق فى التنمية بين المنظمات الشعبية جهود الدعوة.

وصول النساء والفتيات إلى التعليم وتمويل الأنشطة التجارية والرعاية الصحية والسكن وحتى الغذاء.

الشمولية: يشير تاريخ تنفيذ الأهداف الإنمائية للألفية إلى تقدم الأقليات والسكان الأصليين بمعدل أبطأ وإلى تفاقم عدم المساواة القائم. بينما استفاد آخرون من التدخلات، ونجد مصلحة لدى الشعوب الأصلية والأقليات والأشخاص ذوي الإعاقة والمجموعات المحرومة الأخرى في تنفيذ الحق في التنمية وينبغي عدم إهمالهم، وفيما يتعلق بتنفيذ ولايته، فسوف يدافع المقرر الخاص بشدة عن الدمج والمشاركة الفعالة لجميع المجموعات المحرومة في جميع المنتديات المرتبطة بالحق في التنمية والتنمية المستدامة.

الحق في التنمية والشباب: كان هناك 1.2 مليار شاب في العالم تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 عامًا في عام 2015، وبحلول عام 2030 وهو التاريخ المستهدف لأهداف التنمية المستدامة، من المتوقع أن يزيد عدد الشباب بمعدل 7 في المائة، ليصل تقريبا إلى 1.3 مليار شاب، ومن بين أكبر التحديات التي تواجه دولاً عديدة اليوم عدم كفاية الاستثمار في رأس المال البشري ومعدلات البطالة العالية بين الشباب. وفي حالة تزويد الشباب بما يكفي من التعليم والتدريب والوظائف، فإن النمو في أعدادهم حينئذ قد يكون مفيداً للغاية من أجل التنمية، وعلى العكس من ذلك، إذا كانوا عاطلين أو من أصحاب البطالة المقنعة، فإن العدد المتنامي للشباب سيشكل تحدياً لإنجاز التنمية المستدامة ويمكن أن يدل على زعزعة الاستقرار السياسي أو الاجتماعي أيضاً، ويتطلب الحق في التنمية المساواة داخل الأجيال وبينهم ويرتبط بشكل وثيق برفاه الأجيال الشابة والأجيال المقبلة، ومن الممكن أن يكون الشباب قوة إيجابية للتنمية عندما يتم تزويدهم بالمعرفة والفرص التي يستحقونها ليزدهروا، ويعزز المقرر الخاص العمل مع القادة الشباب في كل أنحاء العالم لضمان وضع وجهة نظرهم في الحساب ومن عدم إهمالهم.

الترباط وعدم تجزئة حقوق الإنسان: يؤمن المقرر الخاص بأن حقوق الإنسان والحريات الأساسية - بما في ذلك الحق في التنمية - عالمية وغير قابلة للتجزئة ومتراصة ومتداخلة، ويعني هذا أنه يجب إيلاء اهتمام متساو لتنفيذ وتعزيز وحماية جميع الحقوق؛ المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ويعني أيضاً أن احترام حقوق معينة والتمتع بها لا يمكن أن يبرر الحرمان من حقوق الإنسان والحريات الأساسية الأخرى، ويتيح اعتماد سلسلة من الالتزامات الدولية التوافقية بما في ذلك خطة التنمية المستدامة لعام 2030 - التي تعترف بشكل صريح بالحق في التنمية - فرصة لإعادة إحياء الحق في التنمية حيث يستحق نفس الاهتمام الذي تحظى به حقوق الإنسان الأخرى.

التعاون الدولي: يمثل التعاون الدولي في حل المشاكل الدولية أحد الأغراض الرئيسية للأمم المتحدة، على النحو المنصوص عليه في المادة 1 (3) من ميثاقها، علاوة على ذلك فإن الإعلان بشأن الحق في التنمية ينص بوضوح على أن الحق في التنمية لا يمكن إعماله بدون التعاون الفعال بين الدول، وبينما لا يستطيع المقرر الخاص إجبار الدول على التعاون، إلا أنه يستطيع حثها على ذلك، ولذلك فإنه يخطط لتقديم مساهمات مساعدة وبناءة للمساعدة في تشجيع التعاون الدولي وخلق بيئة دولية تسهل إعمال الحق في التنمية وجميع حقوق الإنسان.

#### المتابعة:

**اقرأ أحدث الأخبار والتقارير والتحديثات من المقرر الخاص على الإنترنت من خلال:**

<http://www.ohchr.org/EN/Issues/Development/SRDevelopment/pages/SRDevelopmentIndex.aspx>

المقرر الخاص أيضاً للمساهمة في عمل الفريق العامل المعنى بالحق في التنمية، مع وجود رؤية لاستخدام خبرته لدعم ولايته الإجمالية، مع الأخذ في الحساب مشاويرات وتوصيات الفريق العامل مع تجنب أي تكرار.

لعب دور تيسيري: للتصدي لتحدي التسييس، يرى المقرر الخاص أن دوره هو تيسير التعاون بين أصحاب المصلحة وبناء جسور بين المبادرات وأصحاب المصلحة والدول والقارات، ويعتبر هدفه الأسمى إنشاء منصات لتبادل الممارسات الجيدة والدروس المستفادة - وتوضيح هذه الممارسات الجيدة بطريقة واضحة وفعالة ومفيدة.

الاضطلاع بدور محفز: في وقت يتعرض فيه التقدم نحو الحق في التنمية للعرقلة بسبب الانقسامات، يأمل المقرر الخاص في العمل كمتحدث باسم الحق في التنمية، أو كمحفز للعمل الموحد وتعزيز التأثير، ويحتل هذا أهمية شديدة على وجه الخصوص فيما يتعلق بتنفيذ أهداف التنمية المستدامة، التي تؤكد على بناء مؤسسات فعالة وقابلة للمساءلة وشاملة وإعادة إحياء الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة.

أساليب عمل المقرر الخاص يتألف أساس عمل المقرر الخاص من الأنشطة المترابطة التالية:

(أ) تقديم التقارير السنوية بشأن الأنشطة المنفذة لتلبية ولايته إلى مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة، بما في ذلك الدراسات المواضيعية حول القضايا الرئيسية المتعلقة بالحق في التنمية، وتولى المقرر الخاص أيضاً إجراء دراسات متعمقة لإثراء هذه التقارير، وهو منفتح للاقتراحات من جميع أصحاب المصلحة فيما يتعلق بإجراء الدراسات المواضيعية خلال ولايته.

(ب) جمع وطلب وتلقى المعلومات من الدول والأطراف الفاعلة الأخرى ذات الصلة وتبادل المعلومات معها، بما في ذلك منظمات المجتمع المدني، حول المواقف أو الحالات المتعلقة بالحق في التنمية.

(ج) المشاركة في الحوار مع الدول الأعضاء من خلال الزيارات القطرية والوسائل الأخرى بهدف صياغة سياسات التنمية الدولية التي تسهل إعمال الحق في التنمية وتعزيز التعاون الدولي الفعال. (د) المشاركة في الحوار مع هيئات الأمم المتحدة ووكالات التنمية والمؤسسات التي تركز على التنمية والتمويل والتجارة الدولية لدعم وتضمين جهودها لدمج الحق في التنمية في عملها. (هـ) توحيد الجهود مع أصحاب الولايات - في إطار الإجراءات الخاصة - الآخرين العاملين على القضايا ذات الصلة.

ما المباديء التي سترشد المقرر الخاص في تنفيذ عمله؟ المشاركة والحوار والشفافية: يهدف المقرر الخاص إلى تنفيذ عمله بأسلوب تشاركي وتشاوري ومنفتح، ويعني هذا إشراك جميع أصحاب المصلحة ذوي المصلحة بفاعلية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث، وغيرها وسوف يستثمر المقرر الخاص الجهود الخاصة لتضمين جميع الأطراف الفعالة - خاصة المجتمع المدني وأصحاب المصلحة غير الحكوميين، بما في ذلك المجتمعات المتأثرة - في عملية التشاور.

منظور المساواة بين الجنسين: في نفس الوقت، لم تنجح جهود تنفيذ الحق في التنمية مع الدمج المجدي لمنظور المساواة بين الجنسين، وسوف يولي المقرر الخاص اهتماماً خاصاً بالبعد المتعلق بالمساواة بين الجنسين في عمله، لاسيما فحص كيف أعاققت القوالب النمطية الجنسانية والهيكل الأبوية التنمية لمجموعات محددة - النساء في المقام الأول والفتيات، وتتراوح مظاهر هذه المجموعة من القوانين التي تمنح وصولاً غير متساو إلى الأرض وغيرها من الموارد إلى سياسات التنمية التي تعرقل

## لن يتحقق الأمن النووي قبل التخلص من الاسلحة النووية

# المناطق الخالية من الاسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة

رغم أن جهود منع الانتشار النووي لم تحقق بعد نجاحاً كاملاً على مستوى العالم ككل، إلا أن دور المنظمات الدولية المعنية والمعاهدات ذات الصلة يظل أساسياً ولا يمكن التخلي عنه في مواجهات الانتشار النووي. احد هذه المسارات أنشاء مناطق خالية من الاسلحة النووية والاستناد الى الخطوط الاستراتيجية للأمم المتحدة التي ينبغي أن تسترشد بها الدول فى إقامة المناطق الخالية من السلاح النووي، والتي تم وضعها فى تقرير صدر بتوافق الآراء عن لجنة الأمم المتحدة لنزع السلاح عام 1999.

النفائات المشعة فى البحار ضمن تطبيق المعاهدة. يتضمن مجال تطبيق المعاهدة كل أراضي الأعضاء فى منتدى جنوب المحيط الهادى التى صدقت على المعاهدة، بما فى ذلك حدود البحر الإقليمى البالغ 12 ميلا. وتضطلع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتحقق من الامتثال، ويجب أن تقبل الدول الأطراف تدابير الضمانات الخاصة بالوكالة. ويمكن لمنتدى جنوب المحيط الهادى أن يجرى أيضا عمليات تفتيش موقعى وذلك بموافقة من ثلثى الدول الأطراف. وهناك ثلاثة بروتوكولات مرفقة بمعاهدة راروتونجا تتعلق بالدول من خارج المنطقة:

- يدعو البروتوكول الأول كل الدول التى لديها أراض فى جنوب المحيط الهادى إلى تطبيق أحكام المعاهدة التى تحظر نقل الأسلحة النووية إلى تلك الأراضى.

- يدعو البروتوكول الثانى الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم استخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد الدول الأطراف فى المعاهدة.

- يحظر البروتوكول الثالث على الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إجراء تجارب أو تفجيرات نووية فى أى مكان ضمن مجال تطبيق المعاهدة.

هذا، وقد وقعت فرنسا جميع البروتوكولات الثلاثة وصدقت عليها. أما الصين وروسيا والمملكة المتحدة، فقد وقعت فقط البروتوكولين الثانى والثالث، وصدقت عليهما، فى حين وقعت الولايات المتحدة جميع البروتوكولات الثلاثة

4 - معاهدة بيلندايا (معاهدة منطقة إفريقيا الخالية من الأسلحة النووية).

معاهدة متعددة الأطراف تنشئ منطقة خالية من الأسلحة النووية فى إفريقيا، فتح باب توقيعها فى 11 أبريل 1996 فى القاهرة، وهى تحظر تصنيع الأسلحة النووية وتخزينها أو حيازتها أو امتلاكها أو إقامتها على أراضى الدول الأطراف، كما تحظر صراحة بحث وتطوير الأسلحة النووية، وكذلك إجراء التفجيرات النووية.

تسمح المعاهدة لكل طرف بأن يقرر بنفسه ما إذا كان يسمح بعبور الأسلحة النووية فوق أراضيه أم لا، ويتضمن مجال تطبيقها جميع الأراضى التى تضم القارة الإفريقية، والدول الجزرية الأعضاء فى الاتحاد الإفريقى، بالإضافة إلى جميع الجزر التى يعتبرها الاتحاد الإفريقى جزءا من إفريقيا. ويتولى التحقق من الامتثال الوكالة الدولية للطاقة التى تدير الضمانات بالنسبة لجميع الأطراف، ويمكن للوكالة أن



سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

الأطراف إلى توافق فى الآراء.

تحظر معاهدة بنجوك على الدول الأطراف استحداث الأسلحة النووية أو تجربتها أو حيازتها أو امتلاكها، وكذلك تحظر استخدام أراضها من قبل دول أخرى من أجل أى غرض من هذه الأغراض. ويطلب من الدول الأطراف أيضاً إبرام اتفاقات فردية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بخصوص تطبيق الضمانات الشاملة. يتضمن مجال تطبيق المعاهدة الإقليم والمجال الجوى التابعين للأعضاء فى رابطة دول جنوب شرق آسيا، وكذلك مياهها الداخلية والإقليمية والأرخبيلية، والمناطق الاقتصادية الخاصة. وتضطلع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتحقق من الامتثال، وكذلك إبلاغ وتبادل وتوضيح المعلومات، وإرسال بعثات تقصى حقائق، ولتقديم المساعدة على تنفيذ المعاهدة. وقد تحال المنازعات بشأن التنفيذ على محكمة العدل الدولية، وقد تحال مسألة عدم الامتثال فى نهاية المطاف إلى الأمم المتحدة.

3 - معاهدة راروتونجا (معاهدة جنوب المحيط الهادى الخالية من الأسلحة النووية).

معاهدة متعددة الأطراف تنشئ منطقة خالية من الأسلحة النووية فى المحيط الهادى، وقعتها أعضاء منتدى جنوب المحيط الهادى فى 6 أغسطس 1985، وبدأ تنفيذها فى 11 ديسمبر 1986 ويقضى الانسحاب من المعاهدة توجيهاً إخطار مسبق فى غضون 12 شهراً وتحظر المعاهدة تصنيع الأسلحة النووية أو حيازتها أو إقامتها فوق أراضى الدول الأطراف، وكذلك إجراء تفجيرات نووية، وتسمح للدول الأطراف بتحديد الأنظمة بشأن نقل الأسلحة النووية عبر فضاءها الجوى ومياهها الساحلية، ويحظر أيضاً على الدول الأطراف إغراق

### أولاً: تجارب المناطق الخالية من الأسلحة النووية:

1 - معاهدة تلاتيلوكو (معاهدة حظر الأسلحة النووية بأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبى): هذه المعاهدات متعددة الأطراف تنشئ منطقة خالية من الأسلحة النووية فى أمريكا اللاتينية، وقد تم توقيعها فى 14 فبراير 1967 فى تلاتيلوكو بالمكسيك وأصبحت سارية المفعول فى أبريل 1968، ومدتها غير محددة، ويمكن للدول الأطراف أن تنسحب من المعاهدة بعد توجيهاً إخطار مسبق فى غضون ثلاثة أشهر. وتحظر المعاهدة على الأطراف تجريب الأسلحة النووية أو استخدامها أو تصنيعها أو إنتاجها أو حيازتها أو المشاركة فى الأنشطة الرامية لتحقيق هذه الأهداف. وتحظر على الأطراف أيضاً تخزين الأسلحة النووية أو نشرها أو امتلاكها. وينبغى أن ينحصر استخدام جميع المواد والمرافق النووية فى الأغراض السلمية

يتم التحقق من الامتثال للمعاهدة من خلال اتفاقات الضمانات الشاملة بين الدول الأطراف والوكالة الدولية للطاقة الذرية، كما تعقد وكالة حظر الأسلحة النووية فى أمريكا اللاتينية اجتماعات منتظمة بشأن أغراض المعاهدة وتشرف أيضاً على الامتثال. ويتضمن مجال تطبيق المعاهدة الإقليم والبحار الإقليمية والفضاء الجوى للدول الأعضاء. ولضمان احترام المنطقة الخالية من الأسلحة النووية أيضاً من قبل الدول التى لا تنتمى للمنطقة، ولكنها تمارس حقوقها السيادية على أرض المنطقة، فإن البروتوكول الأول من المعاهدة يقضى بأن تطبق هذه الدول الأحكام الواردة فى المعاهدة على أراضها فى المنطقة. ويدعو البروتوكول الثانى جميع الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إلى احترام اعتبار المنطقة غيرنووية وعدم استخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد الأطراف المتعاقدة. وقد صدقت جميع الدول الأعضاء على هذا البروتوكول.

2 - معاهدة بانجوك (معاهدة إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية بجنوب شرق آسيا): تنشئ هذه المعاهدة متعددة الأطراف منطقة خالية من الأسلحة النووية فى جنوب شرق آسيا، وقد وقعها فى 15 ديسمبر 1995 فى بنجوك وبدأ تنفيذها فى مارس 1997. ومدتها المعاهدة غير محددة ويقضى الانسحاب منها توجيهاً إخطار مسبق فى غضون 12 شهراً. ويعقد مؤتمر استعراضى للمعاهدة عادة بعد مرور 10 سنوات على بدء تنفيذها، وفى أى وقت من الأوقات بعد ذلك، ريثما تتوصل الدول

## المناطق الخالية من الاسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة

ترى القيام ببناء على طلب من اللجنة الإفريقية للطاقة النووية - بعمليات تفتيش ناتجة عن التقدم بأية شكوى. وهناك ثلاثة بروتوكولات مرفقة بمعاهدة بيلندايا لضمان احترام الدول غير الأطراف للمنطقة الخالية من الأسلحة النووية:

- يدعو البروتوكول الأول الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم استخدام الأسلحة النووية ضد أى عضو فى المعاهدة.
- يدعو البروتوكول الثانى الدول الحائزة على الأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم تجريب أو تشجيع التفجيرات النووية فى أى مكان ضمن مجال تطبيق المعاهدة.
- يخص البروتوكول الثالث الدول ذات الأقاليم التابعة لها فى المنطقة، ويقتضى منها أن تحترم الأحكام المحددة بالمعاهدة الخاصة باعتبار المنطقة خالية من الأسلحة النووية. وقد وقعت الدول المعنية الحائزة على الأسلحة النووية البروتوكولات الثلاثة.

### ثانياً: انظمة الضمانات من الاتحاد الأوروبي وأمريكا اللاتينية

- 1 - الاتحاد الأوروبي للطاقة الذرية اتفاق تم توقيعه كجزء من معاهدة روما (1957) لإنشاء نخام معنى بإدارة المواد النووية بهدف تشجيع تطوير استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية فى أوروبا. ويضم الاتحاد الأوروبي للطاقة الذرية مؤسستين رئيسيتين هما: إدارة الضمانات ووكالة التوريد.

تدير إدارة الضمانات نظام الضمانات التابع للاتحاد وتشرف من خلاله على كافة المواد النووية لدول الاتحاد غير الحائزة على الأسلحة النووية، كما تشرف على استخدام كافة المواد النووية فى الأغراض المدنية فى دول الاتحاد الحائزة على أسلحة نووية. وتمتلك وكالة التوريد اسماً كافاً المواد النووية المستخدمة فى الأغراض غير العسكرية والموجودة بحوزة بلدان الاتحاد، ولها الحق فى استعراض كافة مشتريات المواد النووية التى تنتج أو تستورد داخل منطقة الاتحاد الأوروبي.

كما يتبعين إشعار وكالة التوريد بجميع عمليات نقل المبادىء النووية والعقود المتعلقة بمعالجة أو تحويل أو تشكيل الخامات

أو المواد النووية الأولية أو المواد الانشطارية الخاصة. وفى حالة رفض الوكالة الموافقة على عقد ما، فبالإمكان إحالة قرارها إلى المفوضية الأوروبية التى يجوز الطعن فى حكمها أمام محكمة العدل الأوروبية. كما تؤدى وكالة التوريد دوراً فى التفاوض بشأن الاتفاقات الدولية وتنفيذها فيما يتعلق بتوريد الوقود النووى.

### 2 - نظام ضمانات الاتحاد الأوروبي للطاقة الذرية

نظام للتحقق من الامتثال أنشئ بموجبه معاهدة الاتحاد الأوروبي للطاقة الذرية لعام 1957، هدفه ضمان عدم قيام أعضاء الاتحاد الأوروبي بتحويل المواد النووية التى بحوزتهم لأغراض غير سلمية، وضمان الالتزام بأحكام المعاهدات ذات الصلة بتوريد المواد النووية لطرف ثالث. ويشتمل النظام على عنصرين هما: عملية الحصر وعملية التفتيش الموقعى. ويستتبع عملية الحصر حفظ

السجلات الخاصة بالخامات والمواد المصدرية والمواد والانشطارية الخاصة المستخدمة أو المنتجة، وحفظ سجلات نقلها.

والدول الأعضاء ملزمة بإبلاغ المفوضية الأوروبية بنوعية المفاعلات التى تشغلها واستخداماتها الرئيسية، ومستويات الطاقة الحرارية، وأنواع الوقود، والمخططات العامة للمنشآت، والعمليات التقنية المستخدمة. كما أنها ملزمة بتقديم تفاصيل عن مخزوناتها من المواد النووية وعمليات نقلها. ويتولى مفتشو الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية تنفيذ عمليات التفتيش الموقعى. ولا يحق للدول الأعضاء الاعتراض على المفتشين المعيّنين أو تأخير عمليات التفتيش. وفى حالة وجود اعتراض على عمليات التفتيش، يمكن للمفوضية الأوروبية أن تعرض الأمر على محكمة العدل الأوروبية، أو يمكنها أن تفرض عقوبات من أجل إنقضاء الامتثال بمعاهدة الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية. وقد أنشئ نظام ضمانات جديد فى عام 1975، وهو ينسق الأنشطة الرقابية بين الوكالة الأوروبية للطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية من أجل تلبية متطلبات معاهدة عدم الانتشار، المتمثلة فى إخضاع الدول الأطراف فى المعاهدة غير الحائزة للأسلحة النووية للضمانات الشاملة. ويتطلب ذلك إنشاء نظام حصر ومراقبة تابع للدولة، إلى جانب وجود ترتيبات بين الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية والدولتين الحائزتين للأسلحة النووية، الأوهما بريطانيا فرنسا. وهاتان الدولتان تخضعان لفئتين من الضمانات هما:

- الضمانات المشتركة بين الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية التى تشمل كافة المواد النووية المستخدمة فى الأغراض المدنية.

- الضمانات الخاصة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية التى تشمل فئة من المرافق المعروضة طواعية.

3 - الوكالة الأرجنتينية - البرازيلية لحصر المواد النووية ومراقبتها

هيئة منفذة أنشئت لإدارة النظام المشترك لحصر المواد النووية ومراقبتها، الذى اتفقت عليه الأرجنتين والبرازيل عام 1990 بغرض التحقق من استخدام كلا الطرفين للماد النووية فى الأغراض السلمية حصراً. وتتولى هذه الوكالة جمع المعلومات من كلا الطرفين حول مسائل تصميم المرافق النووية ومخزونات هذه المواد وما يلحق بها من تغييرات، إلى جانب عمليات نقل المواد النووية خارج هذه المرافق أو فيما بينها، هذا بالإضافة إلى قيام الوكالة بعمليات تفتيش موقعى.

وفى عام 1991، تم توقيع اتفاق رباعى فيما بين الأرجنتين والبرازيل والوكالة الأرجنتينية - البرازيلية لحصر المواد النووية ومراقبتها والوكالة الدولية للطاقة الذرية، ينص على قيام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتعاون مع الوكالة الأرجنتينية - البرازيلية بتطبيق الضمانات الشاملة على كافة المواد والمنشآت النووية التى هى بحوزة كل من الأرجنتين والبرازيل. وبموجب الاتفاق، أسندت إلى الوكالة الأرجنتينية البرازيلية المسؤولية الأساسية عن الضمانات. ويحق للوكالة الدولية للطاقة الذرية إجراء عمليات تفتيش موقعى لكل مرفق من المرافق النووية. ويتيح الاتفاق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، أيضاً، أن تطلب من أى الطرفين أن يمثل للنظام المشترك لحصر المواد النووية ومراقبتها، فى حال إعاقته لأى إجراء من الإجراءات المتعلقة بالضمانات. وفى حالة عدم تلبية الطرف للطلب، يمكن للوكالة الدولية للطاقة الذرية عرض المسألة على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

### ثالثاً: الخطوات العريضة اللازمة للبنية التحتية للمفاعلات النووية

1 -تسمح كافة المعاهدات الخاصة بالمناطق الخالية من الأسلحة النووية بالاستخدام السلمى للطاقة النووية، وفقاً للمادة الرابعة من معاهدة منع الانتشار النووى وهو بالتالى حق أصيل لكافة الدول الأطراف فى المعاهدة.

2 -من الأهمية بمكان تناول موضوع إقامة المفاعلات النووية لأغراض توليد الطاقة بمنتهى الحرص وبشكل علمى من خلال إجراء الدراسات والخطط الدقيقة الواضحة والأمنة لهذا الموضوع لما يحيط به من مخاطر متعددة الجوانب.

3 -مسألة التكلفة الاقتصادية المتوقعة للمحطات النووية وكيفية تمويلها وقدرة اقتصاديات الدول على تدبيرها دون الوقوع فى مصيدة القروض الخارجية، مسألة حيوية ومحورية فى هذا الصدد، حيث أن التمويل المطلوب لهذه المحطات مبالغ ضخمة حيث يصل ثمن المحطة إلى 8 مليارات دولار تقريباً، لأن المحطة تأخذ حوالى من 8 - 10 سنوات للتدشين، وبالتالي عملية التمويل مهمة جداً.

4 - الخبرة الفنية ليست فقط المساعدات الفنية وخبرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ولكن أيضاً الخبرة المؤسسية المرتبطة بها، بما فيها نقل التقنية وتوطينها وبالتالي لا بد أن يتم بلورة نظرة شاملة فى هذا المجال.

5 -أهمية دراسات الجدوى التى تسبق بناء المحطات، وتعد عنصراً حاكماً فى نجاح هذا البرنامج، لأنها لا بد أن تكون دراسة متعمقة ودقيقة. كما أن موضوع إدارة المحطات وصيانتها وضمان سلامتها وأمنها وسلامة الشعوب التى تقام فى وسطها هذه المحطات قضية مهمة تطرح نفسها بقوة.

6 -أهمية مراجعة الخبرات المتاحة لجهاز الأمن النووى فى مجال تقييم المواقع وتدريب كوادر على تطبيق معايير الأمن النووى الصادرة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإستكمال الخبرات المطلوبة لتقييم ومراجعة أمان مواقع المحطات النووية وتوفير الموارد الحديثة والاستعانة باستشاريين عند الحاجة لتقييم تقارير أمان المحطات النووى

7 -ضرورة المتابعة الوطنية الدقيقة للمسائل الخاصة بالأمن والأمان على ضوء اهتمام مصر بإطلاق برنامجها النووى السلمى، واتصال هذا المشروع الوطنى الطموح بالموضوعات المرتبطة بالأمن والأمان النووى، سواء السياسية أو الفنية. ومن هنا أهمية أن تواكب مصر هذه التطورات من أجل تعزيز وتطوير بنيتها الأساسية على المستوى الوطنى لحماية المواد النووية وأمن المصادر المشعة، ومواكبة التطورات الخاصة بأجراءات سلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها بما يتماشى مع المعايير الدولية.

8 -يتطلب إنشاء نظام للأمن والأمان النووى على المستوى الوطنى توفير الخبرة والدراسة الفنية والمعدات والبرامج الحاسوبية والمعدات المتخصصة ومعدات الاتصالات لتحديد الإجراءات والأجهزة ذات الصلة كما تعتمد أنظمة الحماية المادية على تشكيلات فعالة من النظم والإجراءات للتعامل مع المواقع المختلفة ومنها الكوارث الطبيعية والزلازل

### رابعاً: الوسائل المتطورة للتعامل مع النفايات

- 1 - يتم تخزين عناصر الوقود المستهلك (التي تم حرقها فى قلب المفاعل) فى صناديق فى الوعاء المساعد للمفاعل.
- 2 - يضمن نظام التبريد بقاء عناصر الوقود

المستهلك دون تلف .

3 - هناك نظام دقيق لإدارة المخلفات المشعة السائلة الناتجة عن مختلف نظم تشغيل المفاعل يشمل تصنيفها، وحجمها، والتخزين المؤقت لها .

4 - يتم تخزين النفايات الناتجة من الخلايا الحارة ومن معامل الكيمياء الإشعاعية في خزانات خاصة .

### خامسا: التحرك الدولي في مجال الأمن النووي

يحظى موضوع تعزيز الإجراءات الخاصة بالأمن النووي بقدر كبير من الاهتمام الدولي والإقليمي في المرحلة الراهنة في ضوء إعلان العديد من الدول عن نيتها إطلاق برامج نووية لاغراض سلمية، وإيضاً بسبب الآثار الوخيمة التي خلفها حادث فوكوشيما في اليابان في مارس 2011، مما دفع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعقد مؤتمر وزارى في يونيو 2011 في فيناتناول دعم الإجراءات الخاصة بالأمن النووي، كما عقد سكرتير عام الأمم المتحدة اجتماعاً رفيع المستوى الأمن والأمان النووي على هامش الدورة 66 للجمعية العامة في نيويورك في سبتمبر 2011 فضلاً عن عقد القمة الثانية للأمن النووي في مارس 2012 بـسيول بكوريا الجنوبية، « علماً بأن القمة الأولى للأمن النووي عقدت في واشنطن في أبريل 2010 بمبادرة أمريكية وبمشاركة 46 دولة من بينها مصر .

### سادسا: التعريفات النوية ذات الصلة

يتضمن اتخاذ عدة إجراءات وترتيبات للحد من سرقة مواد أو تقنيات أو معلومات الأمن النووي يمكن توظيفها في إنتاج سلاح نووى، وللرقابة على تجارة ونقل وحيازة المواد ذات الاستخدام المزدوج، بالإضافة إلى إجراءات لإحكام السيطرة على منافذ الوصول إلى المنشآت النووية .

ويتضمن إتخاذ الإجراءات الخاصة بسلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التي تقع فيها، وإجراءات التأمين اللازمة لمنع تسرب المواد الإشعاعية والإجراءات العلاجية في حالة حدوث التسرب وغير ذلك.

### سابعا: أهم العناصر اللازمة لتحقيق الأمن النوى

\* الحق في الاستخدام السلمى للطاقة النووية: التأكيد على أن معايير الأمن والأمان لا بد ألا يشكلا أى عائق أمام الحق غير القابل للتصرف فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية .

\* دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية: التأكيد على أن الوكالة تعد المنظمة الأساسية المنوطة بالتعامل مع المسائل الخاصة بالأمن والأمان النوويين، وأن المبادرات الدولية الأخرى فى هذا الشأن لابد وأن تبقى فى إطار طوعى دون إلزام على الدول، وأً تكون هذه المبادرات مكملة لعمل الوكالة وليس بديلاً عنها وأن تتسق مع قواعد الوكالة للأمان النووي ومعايير الأمن النووى .

\* بناء القدرات: التأكيد على محورية الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى مساعدة الدول الأعضاء وبناء قدراتها لتعزيز البنية التحتية الأساسية الخاصة بالأمن والأمان النوويين .

\* تبادل الخبرات العلمية والفنية بين الدول وخاصة مع الدول النامية وذلك لتعزيز المنظومة الدولية للأمن النووى .

\* التدريب على التعامل مع الكوارث: التأكيد على ضرورة تبادل الخبرات وتعزيز التعاون الفنى

فى مجال التدريب على مواجهة الكوارث النووية والتسريبات الإشعاعية .

### ثامنا: اتفاقية الأمم المتحدة للحماية المادية للمواد النووية

\* تتصل اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية على نحو وثيق بمشكلة الاتجار غير المشروع فى المواد النووية إذ أن على الدول الأطراف فى الاتفاقية الالتزام قانوناً بما يلى :

\* أن تجعل ارتكاب أفعال معينة « على سبيل المثال سرقة مواد نووية - التهديد باستخدام مواد نووية لإحداث اضرار » جرائم تستحق العقاب بموجب التشريعات الوطنية .

\* أن تقوم بتسليم أو محاكمة الأشخاص الذين ينسب إليهم ارتكاب أى فعل من هذا القبيل .

\* أن تقدم المساعدة لأية أطراف أخرى فى الاتفاقية فى حالة وقوع حادث .

\* أن تتعاون على استرداد واستعادة وحماية المواد النووية المسروقة .

\* ينبغى أن تتضمن النظم الحكومية للحماية المادية إجراءات تكفل تقليل احتمالات سحب مواد نووية بدون إذن . وكذلك توفير إجراءات سريعة وشاملة لتحديد أماكن المواد النووية المفقودة واسترجاعها لتقليل اثار التخريب إذا ما حدث.

### تاسعا: التشريعات والأطر القانونية الحالية فى مصر

\* قانون 59 لعام 1960 بشأن تنظيم العمل بالإشعاعات المؤينة والوقاية من اخطارها، وينظم استخدام المصادر المشعة الإدارة المأمونة لها . ويقتصر استعمال أو امتلاك المصادر المشعة فى الهيئات العاملة فى هذا المجال والتى تتوفر لها الشروط الرقابية . كما ينص القانون على عدم جواز استعمال الأشعاعات المؤينة إلا لمن يرخص له بذلك .

\* قانون الجمارك رقم 66 لعام 1962 وتعديلاته واللائحة التنفيذية له : ويتضمن أن كل بضاعة تدخل مصر أو تخرج منها يجب أن يقدم عنها بيان وأن تعرض على السلطات فى أقرب فرع جمركى وفقاً لما تحدده مصلحة الجمارك كما يجب أن يقدم للجمارك بيان تفصيلي « شهادة إجراءات » عن أية بضاعة قبل البدء فى اتمام الإجراءات ولو كانت هذه البضاعة معفاة من الضرائب الجمركية . ويجب أن يتضمن هذا البيان جميع المعلومات والايضاحات والعناصر التى تمكن من تطبيق الأنظمة الجمركية واستيفاء الضرائب عند الاقتضاء .

\* القانون رقم 188 لعام 1975 واللوائح المرتبطة به لمكافحة تداول المواد التى تدخل ضمن اسلحة الدمار الشامل بكافة انواعها . وينص القانون 188 لعام 1975 على أنه فيما يخص الأصناف التى تعتبر فى حكم المفروقات والمواد الخطرة والكيمياويات والمواد المشعة والنووية، يتم الإفراج عنها فقط بعد تقديم الموافقة أو الترخيص اللازم من الجهة المختصة وموافقتها عنها بعد تقديم الموافقة أو الترخيص اللازم من الجهة المختصة وموافقتها على الإفراج عنها .

\* قانون رقم 4 لعام 1994 بشأن البيئة ولائحة التنفيذية : حظر تداول المواد والنفايات الخطرة بغير ترخيص من الجهة الادارية المختصة وتشديد العقوبات فى حال أية مخالفة فى هذا الشأن / حظر تداول المواد والنفايات الخطرة التى يصدر عنها إشعاعات مؤينة بغير تُوخيص من هيئة الطاقة الذرية / حظر إقامة أى منشآت بغرض معالجة النفايات الخطرة إلا بترخيص من الجهة الادارية المختصة وجهاز شؤون البيئية . وذلك بالإضافة لحظر استيراد النفايات الخطرة أو السماح بدخولها أو

مرورها فى أراضى الدولة من غير ترخيص من الجهة الإدارية المختصة بمرور السفن التى تحمل النفايات الخطرة فى البحر الإقليمى أو المنطقة الاقتصادية الخالصة .

### عاشراً: التعامل مع مسألة الإرهاب النووى

وفى هذا الإطار، فإن تهديد الإرهاب النووى من خلال استخدام الأسلحة النووية أو المواد النووية، حتى وإن كان احتمالاً مستبعداً، يدفعنا إلى خلاصتين رئيسيتين :

\* إن مجرد وجود أسلحة نووية واحتمال استخدامها، ووجود منشآت نووية غير خاضعة لنظام الضمانات، يعد فى حد ذاته مصدر تهديد عالمى رئيسى .

\* الحاجة لضمان تدابير رقابية فعالة على الأسلحة النووية، حتى يتم التخلص منها ومن المواد النووية تماماً لضمان عدم الحصول عليها بشكل غير مشروع والاتجار غير المشروع فيها، وكذلك ضمان عدم النفاذ بدون رقابة إلى المنشآت النووية . ولذلك فان تحقيق أقصى درجات الأمن النووى لا يمكن الوصول إليه بدون التخلص التام من الاسلحة النووية، وفقاً للمادة السادسة من معاهدة الانتشار النووى.

### الخلاصة:

الإجراءات الوطنية الخاصة بتعزيز البنية الأساسية ذات الصلة

\* ضرورة المتابعة الوطنية الدقيقة للمسائل الخاصة بالأمن والأمان على ضوء اهتمام مصر بإطلاق برنامجها النووى السلمى، واتصال هذا المشروع الوطنى الطموح بالموضوعات المرتبطة بالأمن والأمان النووى، سواء السياسية أو الفنية ومن هنا أهمية أن تواكب مصر هذه التطورات من أجل تعزيز وتطوير بنيتها الأساسية على المستوى الوطنى لحماية المواد النووية وأمن المصادر المشعة، ومواكبة التطورات الخاصة بإجراءات سلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها بما يتماشى مع المعايير الدولية .

\* يتطلب إنشاء نظام للأمن والأمان النووى على المستوى الوطنى توفير الخبرة والدراسة الفنية والمعدات والبرامج الحاسوبية والمعدات المتخصصة ومعدات الاتصالات لتحديد الإجراءات والأجهزة ذات الصلة كما تعتمد أنظمة الحماية المادية على تشكيلات فعالة من النظم والإجراءات للتعامل مع المواقف المختلفة ومنها الكوارث الطبيعية والزلازل .

\* يوفر القانون رقم 7 لعام 2010 لتنظيم الأنشطة النووية والإشعاعية « وهو القانون الذى تم التصديق عليه أواخر عام 2010 ويتضمن إنشاء هيئة رقابية مستقلة فى المجال النووى ولكافة الاستخدامات السلمية » المظلة الشاملة لمستقبل النشاط النووى السلمى المصرى لأغراض الطاقة والتنمية .

\* يجب أن يكون هناك دعم خارجى للأنشطة النووية السلمية فى المنطقة والمشروعات ذات الصلة بما يعزز شفافية هذه الأنشطة. ويشمل ذلك البرامج الثنائية للمساعدة الفنية والبرامج التى تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

## البحر الأحمر والقرن الأفريقي وتهديدات المضائق الدولية

الوصف الجغرافي والاهمية الاستراتيجية للمضائق الدولية:

يعرف علماء الجغرافيا الطبيعية المضيق بأنه مياه تفصل بين اقليمين وتصل بين بحرين وأن يكون ضيق الإتساع، وقد تكون بطريقة طبيعيه وأن تكون مياه المضيق صالحه للملاحة الدولية، فضلا عن إعتبارها جزءا من أعالي البحار. وأن هذا الوصف الجغرافي ذو الطبيعة القانونية ينطبق على معظم المضائق والممرات الدولية المستخدمة في الملاحة الدولية. فضلا عن أن بعض المضائق الدولية له أهمية استراتيجية خاصة لحركة الملاحة الدولية مثل مضيق باب المندب الذي يفصل مياه وعالم البحر الأحمر عن مياه خليج عدن والقرن الأفريقي وغرب المحيط الهندي، ومضيق هرمز الذي يفصل مياه الخليج العربي عن خليج عمان وبحر العرب الذي هو جزء من شمال المحيط الهندي، ومضيق ملقا الذي يربط المحيط الهندي مع بحر الصين الجنوبي وعالم المحيط الهادي ويمر منه حوالي 80% من ناقلات النفط في طريقها من الخليج الى شرق وجنوب شرق آسيا، وأكثر من 50% من سفن شحن البضائع والتجارة الدولية، ومضيق سوندا الذي يصل أستراليا بجنوب شرق آسيا، ومضيق لومبوك الذي يربط أندونيسيا بعالم المحيط الهندي ودول جنوب آسيا، ومضيق جبل طارق الذي يصل عالم البحر المتوسط مع غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة وكندا، ومضيق البوسفور والدرنديل اللذان يفصلان البحر الاسود عن بحر ايجيه الذي يعد جزء من البحر المتوسط.

الحوافز والأغراض العسكرية والأقتصادية. كما أن التنافس الحالي هو صراع موانئ وجزر وقواعد عسكرية أي صراع بحري في الأساس طرفاه وأعمدته الرئيسية في المرحلة القادمة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تواجدها في قاعدة ديجوجارسيا العملاقة وكذلك جيبوتي والتسهيلات الأخرى في بعض دول المنطقة والطرف الأخر الصين من خلال قواعدها العسكرية الجديدة في المرافئ الرئيسية في جيبوتي وبعض دول بحر العرب وجنوب آسيا .

فلقد رصدت بعض مراكز الأبحاث لبعض القوى الإقليمية الكبرى في آسيا ظاهرة تنافس الوجود العسكري وتطوير القدرات البحرية لعدد من القوى الدولية في منطقة المحيط الهندي، ودلالات ذلك على الأستقرار الإقليمي كون المحيط الهندي معبر رئيسي لمسارات حركة التجارة الدولية ونقل موارد الطاقة. هذا فضلا عن المخزون الهائل من الموارد الطبيعية الغير مستغلة في قاع المحيط. ( ويظهر ذلك واضحا لإدراك هذه القوى لأهميه تلك الموارد بعد أقراراتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982 وظهور ما يعرف بالمناطق الأقتصادية الخالصة للدول وهي المنطقة التي تمتد لمسافة 200 ميل بحري من نقطة قياس البحر الأقليمي للدولة الشاطئية).

صعود الصين العسكري والأقتصادي في المحيطين الهندي والهادي وطرق التجارة البديلة:

وتتمثل الصين الصاعدة بقوة في الأقتصاد العالمي والتي جرى استبعادها طوال القرن العشرين عن منطقة المحيط الهندي والشرق الأوسط بسبب خلافات على الزعامة مع الولايات المتحدة والهند، فضلا عن طغيان عامل الجغرافيا، تتحرك الان بشكل سريع لبناء دور عسكري وأقتصادي



سفير د. عادل السالوسي

dr.adelesaloussi@hotmail.com

إلى الشرق، إلى أدراك هذه القوى للأهمية الأستراتيجية لذلك المحيط في رسم سياستها العسكرية والأقتصادية وذلك بحكم موقعه الجيوبوليتيكي في خريطة العالم، وأرتباطه بمضائق دولية بالغه الأهمية ( باب المندب - هرمز - ملقا ).

فمشهد التنافس بين القوى الدولية لذلك المحيط يختلف اليوم عن التنافس الإستعماري في أعقاب حركة الكشوف الجغرافية في القرنين 15,16 بل حتى التنافس الإستعماري في أعقاب الثورة الصناعية في أوروبا في القرنين 18,19 من حيث الأطراف المنخرطة فيه، فاليوم وعلى عكس الماضي لا يجري التنافس بين قوى وافدة من خارج المنطقة مثلما كان يحدث في القرن 19 بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، بل بين دول المحيط الهندي وشرق آسيا تارة وبين قوى وافدة من خارج منطقه المحيط الهندي وأن الأمر أصبح محاوله لكسب مواقع للنفوذ في شكل قواعد عسكرية، والحصول على تسهيلات للسفن والأساطيل الحربية من خلال القوة الناعمة والمتمثلة في تقديم

الممرات الدولية وتهديدات المضائق بين القانون والسياسة الدولية:

بالنسبة لأتفاقية جنيف عام 1958، أتمتدت الأتفاقية في جلسات مجمع القانون الدولي حكم محكمة العدل الدولية في قضية مضيق كورفو عام 1949، وأقرت في حكمها مبدأ حرية الملاحة في المضائق الدولية.

ثم تطور النظام القانوني للمضائق الدولية في ظل مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار عام 1982 ليميز بين ثلاثه أنواع من المضائق المستخدمة في الملاحة الدولية وهي :

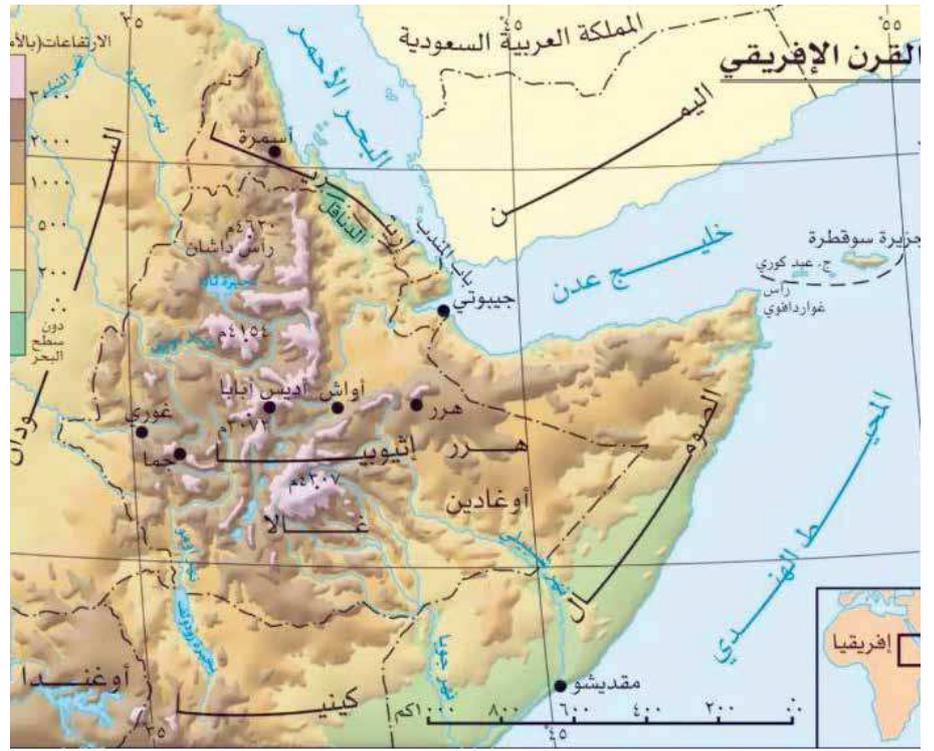
1. المضائق التي ينظم المرور فيها إتفاقيات خاصة ولا تخضع لأحكام إتفاقية قانون البحار لعام 1982.

2. الأتفاقيات التي يطبق فيها نظام المرور العابر، وأعتبرت الإتفاقية أن المقصود بالمرور العابر هو نظام وسط بين المرور البرئ والمرور الحر وهو الذي تمارسه السفن في أعالي البحار .

3. والنوع الثالث هو المضائق التي ينطبق عليها المرور البرئ حيث يكون المضيق جزء من البحر الأقليمي أو منطقة اقتصادية خالصة، ولا يجوز للدولة أن توقف حق المرور البرئ في المضيق، وينطبق عليها قاعدة حق تحليق الطائرات، وقاعدة مرور الغواصات طافية على السطح ورافعه أعلامها (وتنطبق هذه القاعدة القانونية على معظم المضائق الدولية الصالحة للملاحة ومنها مضيق باب المندب).

التنافس العالمي على غرب المحيط الهندي والمضائق الرئيسية الثلاث (بابالمندب، هرمز، ملقا):

لقد أدى تنافس القوى الكبرى والأقليمية في المحيط الهندي بسبب التحول التدريجي لمركز الثقل من الغرب



الشرق والغرب.  
البحث عن منظمة إقليمية للأمن والتعاون للبحر الأحمر والقرن الأفريقي: تمثل دائرة البحر الأحمر والقرن الأفريقي أهم ركائز الأمن القومي المصري والعربي، فهي تؤثر بشكل مباشر على أمن مصر وسلامتها وأقتصادها فلقد كان البحر الأحمر حتى وقت قريب بحيرة عربية، فكل الدول المطله عليه تقريبا دول عربية وبالمثل دول القرن الأفريقي جيبوتي والصومال أعضاء في جامعه الدول العربية. وتبرز أهمية الحفاظ على مضيق باب المندب في حماية الملاحة البحرية العالمية وخاصة سفن نقل البضائع والبتترول والغاز الطبيعي وهي تشكل أهمية اقتصادية لتأمين الممر الملاحي لقناة السويس بأعبارها شريان هام وجزء ثابت من مصادر الدخل القومي لمصر بالعملات الحرة، فضلا عن الأهمية المعاصرة لوقوعها على الجزء البحري الهام لطريق الحرير البحري الجديد للصين في اتجاهه إلى دول أوروبا.

لقد بات تأثير الازمة اليمنية مباشراً على الامن القومي العربي، فقد ادى استمرار الازمة منذ 2011 وحتى الان الى تأكل البنيان الاجتماعي وتماسك مؤسسات الدولة اليمنية، فضلا عن تردى الاوضاع الانسانية، وتنامى ظاهرة الارهاب والجماعات المتطرفة، بالإضافة الى تداعيات الازمة على الممر الملاحي لجنوب البحر الاحمر و مضيق باب المندب، وتبعات ما كشفت عنه الازمة من ازدياد النفوذ الإيراني و تدخله المباشر في الامن القومي العربي من خلال الحوثيين.

وجاءت كل هذه الاحداث المتلاحقة لتعيد إبراز أهمية موقع اليمن الجيوبوليتيكي من خلال موانئ الحديدة والمخا على البحر الاحمر ومضيق باب المندب، ومن خلال تملكها الجزيرة ميون مدخل ومفتاح البحر الاحمر، فضلا عن أهمية خليج عدن وموانئ حضرموت والمهرة على بحر العرب، وملكيته لارخبيل سوقطرة في مواجهة القرن الافريقي و ساحل شرق افريقيا بالكامل.

فتأمين دائرة البحر الاحمر والقرن الافريقي والحفاظ عليها تمثل أهمية خاصة لاستقرار امن الموارد المائية في هضبة الحبشة ومنطقة البحيرات العظمى الاستوائية، ويمكن السعي نحو التوصل الى اتفاق اقليمي لتأمين المنطقة بالكامل يضم الدول العربية المطله عليه، وبعض دول القرن الافريقي لدعم وتقوية الروابط والعلاقات الثقافية والاقتصادية والامنية فيما بين هذه الدول في شكل منظمة للأمن والتعاون الاقليمي.

بألمانيا عبر المحيط المتجمد الشمالي وهو الممر الجديد للتجارة الدولية الذي تتزعم الصين استخدامه بمقدار 2800 ميل بحري عن نفس الرحلة في حالة المرور بقناة السويس.

مصر والتاريخ السياسي للبحر الأحمر والقرن الأفريقي في القرن التاسع عشر : لقد كانت مصر متواجدة بقوة في المنطقة طوال القرن التاسع عشر يوم كانت موانئ البحر الأحمر ومضيق باب المندب والقرن الأفريقي من السويس شمالا وعيذاب وسواكن ومصوع وعصب وزيلع وبربرة بالقرن الأفريقي وهرر بالداخل الأنثيوي أملاكاً مصرية.

أن منطقة جنوب البحر الأحمر والقرن الأفريقي تشهد دائماً وخاصة بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام 1497 ثم حفر قناة السويس وأعدادها للملاحة الدولية عام 1869 احتداماً للمنافسة والصراع بين القوى الإقليمية والدولية، فقد ظهرت البرتغال في الفترة التالية لحركة الكشوف الجغرافية وأصبحت بالممالك في مصر في مطلع القرن 16، ثم ظهور بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في القرن 19، ثم القوى الدولية الجديدة في القرن 20 بعد الحرب العالمية الثانية وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ثم ظهور قوى دولية أخرى مع مطلع الألفية الثالثة وهي الصين واليابان والهند، وقوى شرق أوسطية صاعدة بسبب الصراعات علي الموارد والطاقة والممرات المائية وتأمين التجارة الدولية مثل إيران والمملكة العربية السعودية والأمارات العربية وتركيا ومصر بالطبع كدولة تمثل عناصر الأقليم التاريخية والجيوستراتيجية والاقتصادية من خلال ملكيتها لأهم منافذ التجارة العالمية في العصر الحديث ألا وهو قناة السويس بما تمثله من موقع استراتيجي للربط بين

ونفذ سياسي عملاق في المحيط الهندي عبر شبكة من القواعد العسكرية والبحرية حول ساحل المحيط الهندي في باكستان على بحر العرب، وبحر عمان، وصولاً إلى القرن الأفريقي.

فالصين تخطط حالياً لتجاوز هذه العقبات السياسية والجغرافية لخلق قناة مائية عبر بيرزخ كرايلا في تايلاند لربط المحيط الهندي وموانئ الصين الواقعه في بحر الصين الجنوبي وتجنب المرور في مضيق ملقا الاستراتيجي ( الأمر الذي سيؤدي في حاله تنفيذ هذا المشروع الى القضاء نهائياً على دولة سنغافورة ).

كما تعمل الصين حالياً على حفر قناة جديدة عبر أراضي نيكاراغوا لربط المحيطين الهادي والأطلسي في مقابل قناة بنما التي تسيطر عليها الولايات المتحدة وترتبط هي الأخرى المحيط الأطلسي بالهادي، ومن المتوقع أن ينتهي العمل بهذه القناة في عام 2020 ويمكنها مرور ما يصل إلى 25000 حاوية عبرها، ويعتبر هذا المشروع ذو أهمية استراتيجية لأن التمويل والتنفيذ صينيا بالكامل وبدعم روسيا الاتحادية وبعض دول أمريكا اللاتينية، الأمر الذي سيجعل الصين تتحكم في معبر مائي دولي على مشارف الولايات المتحدة.

كما تستخدم الصين حالياً الممر الشمالي الشرقي لآسيا أو طريق المحيط المتجمد الشمالي الذي أدى بفضل ظاهرة الاحتباس الحراري إلى ذوبان الجليد في القطب الشمالي وتقليل الزمن والوقود وتكاليف مرور سفن الحاويات عبر قناتي السويس وبنما. فبفضل الأحتباس الحراري أصبحت السفن الصينية قادرة على المرور عبر المحيط المتجمد الشمالي مختصرة الطريق إلى أوروبا، إذ ستقل مسافة الرحلة من شنغهاي بالصين إلى ميناء هامبورج

## مبادرة الحزام والطريق... طريق الصين إلى الريادة العالمية

كثيراً ما قرأنا وسمعنا عن طريق الحرير، ذلك الطريق التاريخي القديم، وظل الحديث عن هذا الطريق حديثاً تاريخياً عن فترة زمنية سابقة، ولم يكن من المتوقع أن يتم تناول هذا الطريق من قبل الرئيس الصيني في عام 2013 ليكون نواة ومحوراً لأهم وأحدث مبادرة أطلقتها الصين مؤخراً حملت اسم «مبادرة الحزام والطريق».

فكانت تزدهر أو تتراجع وفقاً للظروف في الصين، وبيزنطة، وبلاد فارس، وغيرها من المناطق والبلدان الواقعة على طول الطريق. وكانت هناك دائماً مسارات مُنافسة أو بديلة براً وبحراً لاستيعاب التجارة الأوروبية الآسيوية عندما تكون الظروف على طول طريق الحرير غير مواتية. ولهذا السبب، ينبغي النظر إلى السياق الجغرافي لطريق الحرير بمنظور واسع، بما في ذلك الطرق البحرية التي تربط اليابان وجنوب شرق آسيا بطرق التجارة القارية البرية.

### المحرك الأقوى لسياسات الصين

مبادرة الحزام البحري للقرن الـ 21 وطريق الحرير هي تلك المبادرة التي أطلقتها الصين عام 2013 حيث تم التركيز على السياسة الخارجية للصين، وعلى أن تُسخر لها كل قدرات الدولة في القطاعين العام والخاص. وهذه المبادرة ستشكل المحرك الحاسم والفاصل والأقوى لأهداف الصين وطموحاتها المستقبلية. وباختصار تقوم هذه المبادرة على أساس استخدام التفوق الاقتصادي للصين في الخارج وتصدير قدراتها القوية في مجال البنية التحتية إلى مناطق أخرى من العالم خاصة في أفريقيا وآسيا. وتتمحور المبادرة حول عدد من المحاور السياسية والاقتصادية على حد سواء، كما أن فكرة المبادرة تهدف إلى تحفيز التجارة والتبادل مع الدول المجاورة للصين لزيادة الصادرات الصينية لاسيما الهندسية منها. وتدوّل العملة الصينية، وخلق علاقات طيبة مع دول الجوار. وتهدف المبادرة بشكل رئيسي إلى تنمية غرب الصين من ناحية، وتعكس الاهتمام الصيني بالخارج في اتجاهات غرب الصين الأقل نمواً، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط، وأوروبا، وستكون الأولوية للغرب أي لأوراسيا؛ بسبب قربها من غرب الصين، ووفرة الموارد، والحاجة إلى استقرار إقليمي أكبر. واتجاه ثان نحو الشرق، أي جنوب شرق آسيا، نظراً لأهمية تجارتها مع الصين. واتجاه ثالث نحو الجنوب أي جنوب آسيا وأفريقيا. مع تطوير الطريق البحري. تغطي مبادرة الحزام والطريق 69 دولة،



### د. عدلى أنيس

أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب - جامعة القاهرة، وأستاذ جغرافيا الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية - الأنبا رويس

freeuni@yahoo.com

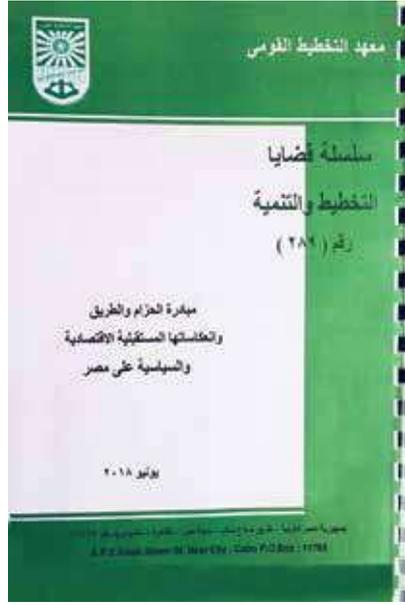
لم يكن طريق الحرير طريقاً لنقل السلع وحسب؛ ولكن من خلاله تم تبادل الأفكار والثقافات، وأيضاً استخدم لسفر وانتقال الأفراد.

جغرافياً يشير مصطلح طريق الحرير إلى شبكة من الممرات والمحطات التجارية والواحات والمراكز التجارية التي تربط شرق آسيا بالبحر الأبيض المتوسط. وعلى طول الطريق، ربطت مجموعة من الطرق الفرعية ذلك الطريق الرئيسي بوجهات مختلفة، ومن تلك الطرق الفرعية ذلك الطريق الذي يؤدي إلى شمال غرب الهند، وبالتالي إلى طرق أخرى في جميع أنحاء شبه القارة الهندية. ويعتقد عموماً أن شبكة طريق الحرير تمتد من نقطة في شرق العاصمة الصينية القديمة تشانجان (شيان حالياً) إلى نقطة النهاية الغربية في بيزنطة (القسطنطينية) وأنطاكية ودمشق وغيرها من الشرق الأوسط. وبعيداً عن هذه النقاط النهائية، قامت شبكات تجارية أخرى بتوزيع سلع طريق الحرير في جميع أنحاء العالم المتوسطي وأوروبا، وفي جميع أنحاء شرق آسيا. وعلى ذلك لا يمكن الحديث عن طريق الحرير في معزل عن أوراسيا (أوروبا وآسيا) كسياق جغرافي مكاني. وخضعت التجارة على طول هذا الطريق إلى الظروف الداخلية لبعض الدول والظروف الإقليمية بل والعالمية أحياناً؛

الصين ذلك المارد الذي يتقدم بخطوات سريعة بل بقفزات عالية على العديد من المستويات العسكرية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية. والمتتبع للشأن الصيني يجد أن بكين كادت أن تصل إلى هدفها بأن تكون أكبر قوة اقتصادية في العالم، لكن الصين تجيد التعلم من دروس التاريخ فهي لا تريد أن تكون نسخة مكررة من الولايات المتحدة، ولكنها ترفع شعار التعاون المفيد لها ولجميع الأطراف المتعاونة معها، وتقدم نفسها كنموذج مختلف عن الولايات المتحدة، نموذج لا يسعى إلى الاستئثار بالفوائد منفرداً بل يسعى لتقاسم الخير مع الجميع. ولتتبع أولاً طريق الحرير القديم ثم نتقل إلى مبادرة الحزام والطريق لنتعرف عليها وعلى الدول التي تشارك فيها ومن بينها مصر، ولنتعرف أيضاً على هيكل وبنية طريق الحرير الجديد وبعض من انعكاساته الاقتصادية والسياسية.

### إحياء طريق الحرير القديم

طريق الحرير هو ذلك الطريق التاريخي القديم الذي ربط منذ ألفى عام بين أجزاء من قارة أوروبا بالمناطق الواقعة بشرق وجنوب غرب آسيا عن طريق شبكة تجارية، وقد تم تأسيس الطريق خلال عهد أسرة هان (206 ق.م - 24م) بهدف تعزيز التجارة والثقافة بين الصين وآسيا وأفريقيا وأوروبا، ويمتد الطريق أكثر من 7000 كم. وقد عُرف مصطلح «طريق الحرير» في نهاية القرن التاسع عشر؛ على يد الجغرافي الألماني «ريتشهوفن» لوصف مجموعة الطرق التجارية التي تربط بين الصين والهند والعالم المتوسط من خلال آسيا الوسطى. ويفضل كثير من الباحثين استخدام صيغة الجمع (طرق الحرير) بدلاً من الصيغة المفردة؛ حيث إن الطريق يتكون من شبكة كبيرة ومتغيرة باستمرار من المسارات التي استخدمت لأنواع متنوعة ومختلفة من التبادلات التجارية والثقافية، وكانت أهم السلع بالطبع هي الحرير ومنها عرفت هذه الشبكة من الطرق باسم طريق الحرير؛ وأيضاً كان الاهتمام بنقل الحرير كونه سلعة جميلة وخفيفة الوزن وذات قيمة عالية.



فى عام 1945، عندما شكّل الاقتصاد الأمريكى نصف اقتصاد العالم. وربما بعد عقدين من الاضطراب فى «عالم متعدد الأقطاب»، قد تأتى الدورة الثالثة باكس سينيكاً أى التكامل والازدهار الصينى. إن إستراتيجية «الحزام والطريق» هى محاولة لتحديد معالم مرغوبة للصين فى المرحلة الجديدة من العولمة، وإيجاد سبل لتنفيذها العملى. والمبادئ الرئيسية لـ «العولمة على النمط الصينى» هى السلام والاستقرار والتعاون والتنمية والمنفعة المتبادلة، والأهم من ذلك، التنوع والعدالة. وتعتزم الصين الانتقال إلى المرحلة الجديدة لا من خلال هدم النموذج القديم، بل من خلال التحسن التدريجى نحو تعزيز حرية حركة السلع ورأس المال فى جميع أنحاء العالم. ويحتاج الاقتصاد العالمى، ولاسيما فى الدول النامية، إلى رفض النموذج الاقتصادى الليبرالى الجديد الذى أدى إلى زيادة عدم المساواة فى العالم. وتشير الدروس المستفادة من أمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية إلى أن الدول الوحيدة القادرة على الاستفادة الكاملة من العولمة هى تلك التى ظل نظام الدولة بها قوياً يقوم بالتنمية لصالح الشعب ولم يتبع الطرق الهادفة إلى تقليل التدخل الحكومى. إن «دعوة» الصين بأن «تقود» العولمة الجديدة أصبحت ملحوظة بشكل خاص على خلفية رفض قطاعات كبيرة من السكان والقطاعات الاقتصادية غير الراضية عن العولمة، أضف إلى ذلك فوز ترامب فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى. إذا هناك تحول عن سياسة الولايات المتحدة لحماية العولمة، بعدما كانت لعقود من الزمن أهم محرك للعولمة والتجارة الحرة، وبلا شك سوف تستفيد الصين بذلك، وأعتقد أنها على استعداد لالتقاط العصارى. ويتوقع الباحثون المزيد من الانعكاسات السياسية والاقتصادية لهذه المبادرة، ولعل البحث الذى شاركت فيه - مع مجموعة من الباحثين المتميزين من معهد التخطيط القومى - من أهم الأبحاث التى ألقى الضوء على الكثير من خصائص هذه المبادرة وآثارها الاقتصادية والسياسية، وأدعو القراء إلى الاطلاع على هذه الدراسة القيّمة التى نشرت مؤخراً ضمن «سلسلة قضايا التخطيط والتنمية» بمعهد التخطيط القومى وحملت عنوان «مبادرة الحزام والطريق وانعكاساتها المستقبلية الاقتصادية والسياسية على مصر».

وختاماً يظل التساؤل قائماً هل ستنجح الصين بما لها من قوة اقتصادية وبما لها من استثمارات ضخمة - ليس فى الدول النامية فحسب بل فى كبرى الدول الأوروبية - أن تحقق أهدافها وأن تنجح فى تحقيق نمو اقتصادى عادل وشامل فى الدول النامية.

القناة نقطة بداية لنقل المنتجات إلى مناطق أخرى من العالم، كما ستعد نقطة مقصد أو نهاية تستقبل الخامات ومستلزمات الإنتاج لمشروعات تنمية إقليم قناة السويس. إن نقل البضائع والأفراد ليس هو الهدف الوحيد للصين لكنها تدعم أيضاً نقل المعلومات والاتصال عبر أوراسيا، وهذا يشير إلى تطوير البنية التحتية للاتصالات، مثل الإنترنت فائق السرعة، وشبكات المحمول، وخدمات الأقمار الصناعية، وغيرها. والمكون الثانى المهم من مكونات مشروع الحزام والطريق هو التعاون الاستثمارى، إذ تدرس الصين انتقال شركاتها إلى المستوى الدولى (تصدير الخدمات ورأس المال) لخلق ظروف استمرار النمو الاقتصادى. ومن المجالات المهمة الأخرى للتعاون ضمن هذه المبادرة هو الزراعة، وذكر الجغرافيون الصينيون أن التعاون الزراعى الدولى المكثف فى أوراسيا سيضمن الأمن الغذائى للصين ويعطى دفعة لتنمية الزراعة فى الدول الأخرى. وفى معظم هذه الدول، تعاني الزراعة من انخفاض الكفاءة، وضعف المعدات التقنية والخبرة، وضعف الاستثمار. لذلك، بالنسبة لهذه الدول، ستكون الصين جذابة فى مجال التعاون الزراعى. ومن المتوقع أن يستغرق تنفيذ المشروع حتى عام 2049 وهو العام الذى ستحتفل فيه الصين بمرور 100 عام على إنشاء جمهورية الصين الشعبية.

إن حجم المبادرة التى طرحتها الصين لا يسمح بتجاهل أهميتها الجغرافية السياسية بالنسبة للاقتصاد العالمى ككل. وكثيراً ما يرتبط تشكيل المشهد الجيواقتصادى والجيوستراتيجى الدولى فى الجغرافيا بالتناوب بين تكامل ودورات التنمية الاقتصادية العالمية، واستمرت دورة التكامل العالمية الأولى - باكس برينانكا - من منتصف القرن التاسع عشر إلى عام 1914. وبدأت الدورة الثانية من التكامل العالمى باكس أمريكانا

وتضم أكثر من نصف سكان العالم (4.4 مليار نسمة)، وحوالى 30% من اقتصاد العالم، كما أن البنية الأساسية التى تحتاج إليها حوالى 5 تريليونات دولار أمريكى. ويوضح الشكل (2) أن مبادرة الحزام والطريق تستهدف بالأساس ثلاث قارات هى آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتضم الصين وروسيا ومنغوليا، وخمسة أقاليم جغرافية. ويشير معهد العلوم الجغرافية وبحوث الموارد الطبيعية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم، إلى أن دول «الحزام والطريق» تمثل 43% من مساحة الأرض (67.7 مليون كيلومتر مربع) و4.4 مليار نسمة و38.2% من الناتج المحلى الإجمالى العالمى (27.4 مليار دولار أمريكى). وفى ذلك، فمن الضرورى أن نأخذ فى الاعتبار الاختلافات الشاسعة فى الوزن الاقتصادى لهذه الدول. إن مفهوم «الحزام والطريق» له مكونه المحلى بالإضافة إلى المكون الدولى؛ ويمكن اعتباره أيضاً أداة للسياسة الإقليمية الصينية لحد من الفجوة بين المناطق الساحلية المزدهرة وبقية المناطق الحبيسة.

### كيف يتأثر حجم المرور فى قناة السويس؟

مبادرة الحزام والطريق هى مظلة كبيرة تضم تحتها مجموعة ضخمة حالية ومحتملة من البنية الأساسية سواء القائمة بالفعل أو المخطط لها، ويصاحبها مجموعة من الاتفاقات التجارية الثنائية والإقليمية لتطوير مجموعة كبيرة وواسعة وامتددة من الأصول منها الطرق والسكك الحديدية والموانئ والمطارات ومحطات الطاقة وخطوط أنابيب النفط والغاز ومعامل تكرير البترول ومناطق التجارة الحرة، فضلاً عن دعم تعزيز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والبنية التحتية المالية والتمويلية، وحتى عام 2016 تم رصد 250 مليار دولار لمشروعات تم إنشاؤها بالفعل أو تم الاتفاق على تنفيذها. ووفقاً لتقديرات الصين، يبلغ الطول الإجمالى للسكك الحديدية بالحزام والطريق 4542 كيلومتراً. ومن الأسئلة المهمة التى تحتاج إلى المزيد من البحث للإجابة عليها: هل سيؤثر النقل البرى والنقل بالسكك الحديدية عبر الحزام على حجم المرور فى قناة السويس؟ هل إنشاء خطوط بترول وغاز طبيعى لهذه المسافات الضخمة سيكون تأثيره سلبياً على قناة السويس؟ ويفترض الباحثون أن يتأثر حجم المرور فى القناة حال استخدام قطارات فائقة السرعة تعمل بمصدر طاقة رخيص بحيث تقل تكلفة النقل من خلاله عن النقل البحرى الذى يعرف بأنه أرخص أنواع النقل. أيضاً قد تؤثر أنابيب البترول والغاز على حجم المرور بالقناة، ومن ثم تصبح المشروعات التى تقام حالياً ومخطط لإقامتها مستقبلاً فى المنطقة الاقتصادية لقناة السويس هى العامل الفعال الذى يحافظ على أهمية القناة حيث ستكون

## نحو توثيق دقيق لتاريخنا المعاصر

يعرف قاموس كامبردج «المراجعة التاريخية» Historical Revisionism بأنها طرح أسئلة بالإضافة إلى محاولة تغيير معتقدات حالية فيما يخص أحداثاً وقعت سواء بالنسبة لأهميتها أو فيما يخص معناها.

Asking questions about and trying to change existing beliefs about how events happened or what their importance or meaning

ومما لاشك فيه أن العديد من الأحداث التي تتعلق بتاريخ مصر المعاصر، إذا اتفقنا على أن بدايته في أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية وبزوغ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي كقطبي العالم، تحتاج إلى محاولة مؤسسة علمية بغرض تقييمها ونقدها، وذلك بهدف تحقيق فهم أوضح لما تطورت إليه الأمور بعد ذلك.

Department of State

إذ صدرت الوثيقة كتقدير خاص للمخابرات الوطنية Special National Intelligence Estimate بتاريخ ٤ ديسمبر 1963 وعنوانها «برنامج الصواريخ للجمهورية العربية المتحدة وتبعاته على إسرائيل»، وتنقسم هذه الوثيقة إلى جزئين: الأول والمعنون «المشكلة» وينص على تقدير الاحتمالات الخاصة بتطور برنامج صواريخ الجمهورية العربية المتحدة على مدى الخمس سنوات التالية وانعكاسات ذلك بالنسبة لإسرائيل. والجزء الثاني المعنون بـ «الخلاصة» وبه نقاط يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - بحلول منتصف 1964 قد تتمكن الجمهورية العربية المتحدة من نشر بضعة صواريخ أرض - أرض قادرة على الوصول إلى إسرائيل، ولكن هذه الصواريخ قد لا تزيد حمولتها عن 500 رطل (حوالي 226.79 كيلوجرام) ومداه من 5 إلى 10 أميال ولن تكون لديهم رؤوس نووية وستكون قيمتها العسكرية ضئيلة.

2 - سوف تسعى الجمهورية العربية المتحدة على مدى الخمس سنوات القادمة لإنتاج صواريخ أكثر



سفير محمد أبو الذهب

mabouldahab1@gmail.com

أصحاب الخطوة الذين استأثروا بصور من مكاتبات ووثائق تم استخدامها لاحقاً في كتابات متعددة.

وأياً كانت الأسباب المختلفة فليس ذلك محل النقاش هنا، فلحسن الحظ أن المتاح من الوثائق الأمريكية والبريطانية المتعلقة بمصر منذ 1952 كثير ومتنوع. ولقد اخترت لهذا المقال وكنموذج للمراجعة التاريخية، الوثيقة رقم 380 من الجزء المعنون:

Foreign Relations of the United States, 1961-1963, Volume XVIII, Near East 1962-1963

والمتاح على موقع الإنترنت الخاص بمكتب المؤرخ بوزارة الخارجية الأمريكية

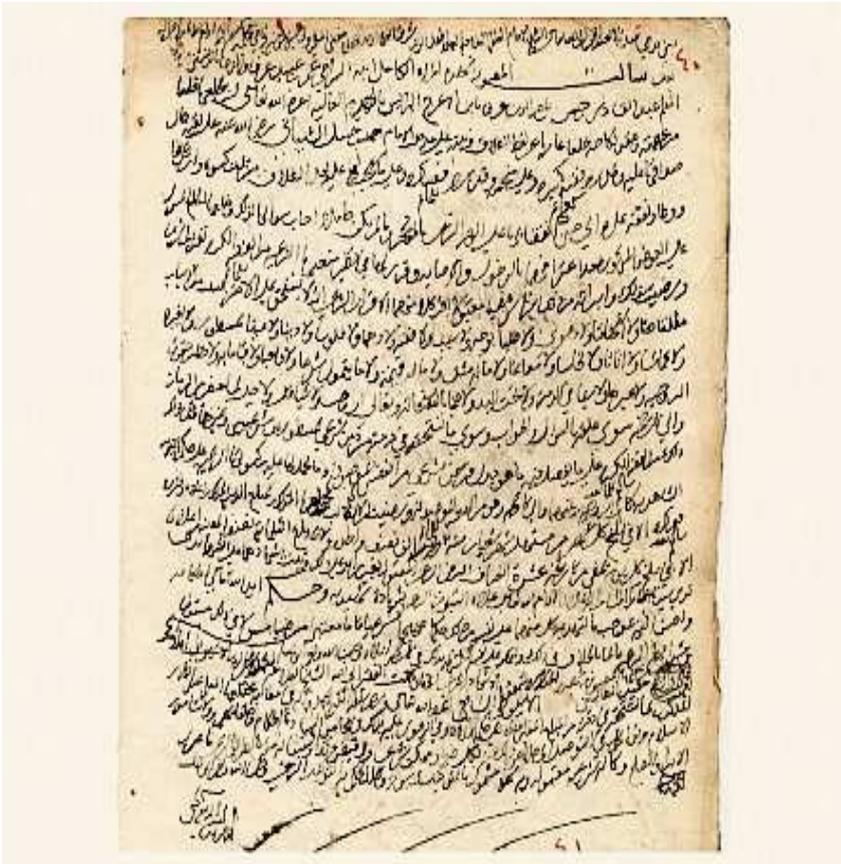
Office of the Historian,

وفي هذا الصدد فإن قضايا الجلاء والتنمية والصراع العربي - الإسرائيلي بالإضافة إلى العديد من التحديات الأخرى، والتي برزت كأولويات منذ يوليو 1952، بات من المهم تناولها في إطارها السليم والذي تعتبر المصادر الأولية الأساس العلمي لها.

فمن المتفق عليه أكاديمياً أن المصادر الأولية لأي بحث علمي تشمل الوثائق الحكومية الرسمية الخاصة بالموضوع الذي يتم بحثه، بالإضافة إلى آراء من عايشوا الحدث أو كتابتهم إبانه، هذا وتذخر الثقافة السياسية المصرية بمذكرات وشهادات عدة لكثير من السياسيين عن أحداث عايشوها وإن كانت السمة الغالبة أنها قد كتبت بعد تقاعد معظمهم عن مناصبهم الرسمية، ويستثنى من ذلك، أستاذنا القدير الراحل د. بطرس غالي، سكرتير عام الأمم المتحدة الأسبق ووزير الدولة للشئون الخارجية لسنوات طويلة، والذي تعد يومياته المنشورة في أجزاء عدة من الأهمية بمكان لأي أكاديمي مصري أو أجنبي. يبقى الجزء الأهم فيما يخص المصادر الأولية وهو الذي يتعلق بالمتاح من الوثائق الرسمية الحكومية المصرية والذي يعد محدوداً للغاية، اللهم إلا



أهمية التوثيق في حياة الامم



كفاءة إلا أن ارتفاع التكاليف وعدم كفاية وسائل الإنتاج ونقص العاملين الأكفاء سيحد من فاعلية ذلك.

3 - يدعى قادة إسرائيل أن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة على الرغم من عدم كفاءتها يمكن أن تؤثر تأثيراً خطيراً على معنويات إسرائيل وتعوق نظام التعبئة مما يمكن القوات التقليدية المصرية من اجتياحها. وبالنظر إلى عدم دقة ومحدودية حمولة هذه الصواريخ، فليس من المتوقع على مدى الخمس سنوات المقبلة أن تكون هناك نتائج خطيرة لأي هجوم صاروخي من هذا النوع.

4 - تعاقبت إسرائيل مع شركة فرنسية لتطوير 250 من صواريخها أرض - أرض وأن التقدم في برامج الأسلحة المتقدمة سيثير التوترات على كلا الجانبين وسيكون هناك خطر أن يقوم أحد الطرفين باتخاذ إجراء عدائي. نهاية الوثيقة.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الخصوص هو إلى أي مدى كان هناك إدراك مصري لتقديرات الجانب الأمريكي في هذا الشأن خاصة في المرحلة التي سبقت حرب 1967؟ وعلى أي أساس بنى التقرير نتائجه؟ وماذا كانت مصادر معلوماته؟ أخذاً في الاعتبار أن هناك فقرات محجوبة من التقرير لم يتم الإفراج عنها بعد. وأياً كانت التفاصيل الخاصة بذلك فإن إتاحة المراجع الأولية للباحثين ستمكن من الإجابة والتقييم الموضوعي في هذا الخصوص. ومما لا شك فيه أن صدور قانون حرية تداول المعلومات المزمع سيسهم إلى حد كبير في الإجابة عن ما سبق، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة نحو توثيق دقيق لتاريخ مصر بصفة عامة.

## المانيا والشرق الأوسط

منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق عام 1898

صدر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية في فبراير 2018 ترجمة لكتاب الماني بعنوان «المانيا والشرق الأوسط» منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 حتى الوقت الحاضر من تأليف رولف ستاينجر استاذ التاريخ المعاصر وترجمة د. لورنس الحناوي ومراجعة الدكتور رضوان السيد.

الحديث عنه سراً مع واشنطن تضمن «بأن ارسال شحنات أسلحة من أراضي المانيا الغربية ومن المخازن الموجودة على الأراضي الألمانية لأطراف النزاع هو أمر لا يمكن السماح به وان حكومة المانيا الغربية تنتظر من أمريكا وقف تسليم الشحنات من فوق أراضي المانيا الغربية ومنها بشكل كامل».

بعد ذلك تحدث الكاتب عن أزمة البترول وحرب الخليج وتحقيق الوحدة الألمانية وحرب العراق وعن الحرب الأخيرة أورد الكاتب عبارات غير متوقعة مثل «أما الانتقاد الحاد الذي طال الرئيس بوش فصدر عن المتحدث باسم الحكومة الألمانية أوفي - كارستن هيبير وهو الذي أبدى شكوكه الجدية حول أفق الرئيس الأمريكي في مقابلة له مع قناة 24 الإخبارية حين قال لقد لاحظنا المستوى الثقافي للرئيس السابق لأهم دولة كان متديناً بشكل استثنائي ولهذا السبب فإنه كان من الصعب التواصل معه».

ويختتم الكاتب بتعداد ما لم يورده في الكتاب عن أحداث معظمها وقعت منذ عام 2011 وتوضح أهمية الكتاب في:

1 - يتضمن تاريخاً كاملاً لتذبذب علاقات ومواقف المانيا من قضايا منطقة الشرق الأوسط منذ عام 1898 وحتى الآن.

2 - به سجل لآراء القوى السياسية المختلفة داخل المانيا وآراء بعض حلفاءها تجاه مشكلات المنطقة خلال تلك الفترة.

3 - الكتاب به عدد كبير من الصور الفوتوغرافية الوثائقية في كل فصول الكتاب السبعة.

الموضوعات والأحداث التي تناولها الكتاب هامة ومن خلالها يمكن تفهم العوامل التي تحكم السياسة الألمانية تجاه المنطقة والسياسة الألمانية تلعب دوراً هاماً في أوروبا والعالم.



سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecaio@gmail.com

لإسرائيل عملياً ويذكر الكاتب بنود ورقة عمل السياسة الألمانية في الشرق الأوسط والتي وقعت بعد 14 يوماً من الحرب. انتقل الكاتب لتناول العمليات التي قامت بها بعض المنظمات الفلسطينية ضد المصالح الألمانية مثل حادث أوليمبياد ميونخ في سبتمبر 1972 وحادث اختطاف طائرة لوفتهانزا في أكتوبر 1972 مروراً بحرب 1973 حيث مرت شحنات أسلحة أمريكية بالأراضي الألمانية مما اضطر الحكومة الألمانية إلى إصدار بيان سياسي عما جرى

استعرض الكتاب المؤلفات التي صدرت باللغة الألمانية عن علاقات المانيا بالشرق الأوسط واستنتج انها كانت تركز على فترات تاريخية معينة مثل فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية أو على موضوعات معينة مثل النفط وذكر «الشيء الذي يفتقر إليه لإتمام حلقات هذه السلسلة كان تقديم ملخص شامل وجامع لهذه الكتاب وهذا هو بالضبط ما يقوم به هذا الكتاب منطلقاً من الأبحاث التي ضمتها دفات الكتب الحديثة التي صدرت أخيراً» وقد صدر هذا الكتاب بالألمانية في عام 2015.

يبدأ الكتاب بعرض وعد القيصر فيلهلم الثاني بدعم فكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ورفض السلطان العثماني لهذه الفكرة.

يذكر الكاتب «وعلى الرغم من ان فيلهلم لم يكن يحب اليهود ولا الفلسطينيين فإن التعامل التجاري مع السلطنة العثمانية سار في طريق جيد حيث حصلت الامبراطورية الألمانية على امتياز بناء سكة حديد بغداد».

ثم عرض الكاتب لتحالف المانيا مع الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى ومحاولات إثارة الشعوب العربية ضد انجلترا عدوة المانيا وبعد ذلك عرض لاتصالات الحسيني مفتي فلسطين بهتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي وهرب الحسيني إلى برلين.

كذلك تناول سياسات الالمانيتين بعد الحرب العالمية الثانية تجاه المنطقة وتنافسهما كل من منطلق عضويته في تحالف عسكري معاد وكانت أهم التهديدات هي اعتراف بعض الدول العربية بألمانيا الشرقية بالإضافة إلى التعويضات الألمانية والأسلحة التي قدمتها المانيا الغربية لإسرائيل.

يتحدث المؤلف بعد ذلك عن حرب 1967 ويشير إلى أن الموقف الألماني المعلن كان محايداً علناً ولكنه مؤيداً



# مائة عام من الأدب الروسي

صدر كتاب مائة عام من الأدب الروسي: دليلك إلى الأدب الروسي في القرن العشرين عن المركز القومي للترجمة في يونيو 2018، وهو من تأليف فلاديمير أكيموف، وترجمة كل من الدكتور أنور محمد إبراهيم والدكتور على غالب محمد غالب ويقع في حوالى 560 صفحة من الحجم الكبير وهو مجهود ضخم فى الترجمة عن الروسية مباشرة والمترجمان من رواد الترجمة المباشرة عن اللغة الروسية.

الأمر الذى ظل دائماً غير قابلة للإدراك لكنه راح يشعر أكثر بوطأة العبودية الاجتماعية والروحية».

ويتحدث المؤلف عن فترة ما يسميه أزمنة الركود أى نهاية الستينيات وحتى الثمانينيات حيث ظهرت حركة ذاتية للروح الإبداعية فى أعقاب التوجه الليبرالى لخرشوف - وفى هذه السنوات حصل على جائزة نوبل كل من شولوخوف عام 1965 وسولجنستين عام 1970 وبرودسكى عام 1987.

وعن الأدب فى نهاية القرن العشرين يقول: «لا يزال الفنان المعاصر مطموراً تحت صخور الانفجار الذى لم يسبق له مثيل» ويرجح أنه سيستمر اتجاهان: أدب «الاستهلاك المحلى» وأدب «الأسئلة الخالدة» وبجانب هذا يعاد نشر الأعمال التى منعت فى الماضى وأعمال المهاجرين الروس وتأسست دور نشر جديدة كثيرة.

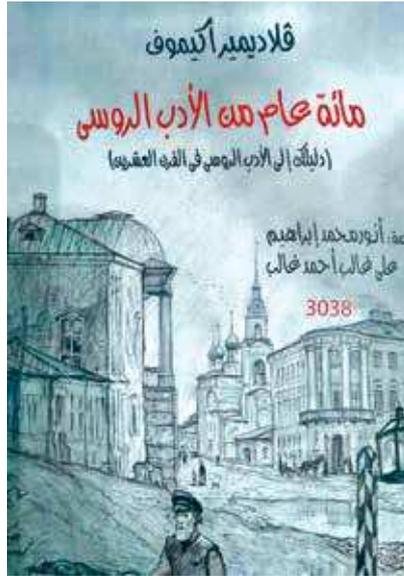
إن الكاتب يحلل وينتقد الاتجاهات الأدبية الروسية طوال قرن من الزمان وبين العلاقة بين السياسة والأدب وكيف حاول الكتاب الهروب من طغيان السياسة.

يعد هذا هو الكتاب المترجم الأول من نوعه باللغة العربية الذى يتناول تاريخ الأدب الروسى فى القرن العشرين الذى تميز بتغيرات هائلة فى روسيا، والذى تميز أيضاً بظهور عشرات الأسماء الأدبية التى لا نعرفها مثلما كنا نعرف كتاب العصر الذهبى أمثال تولستوى وبوشكين ودستوفسكى وتشخوف وكتاب العصر الفضى أمثال جوركى ويسنين.

هذا كتاب ودليل ضرورى لكل من يدرس أو يهتم بالأدب الروسى وهو باختصار كتاب ممتع وشيق وجاد.

عرض سفير عبدالفتاح عزالدین

afmecaio@gmail.com



كان أدباً موضوعاته التأمل واللقاءات والأحاديث فى تدبر الأمور اليومية والخالدة، ليس فى «الصراع من أجل» أو «الصراع ضد».

من هؤلاء الكتاب يورى كازاكوف وجورجى سيمينوف ويورى كوربانوف وغيرهم، ولا أعتقد أنه تم ترجمة أى من مؤلفاتهم إلى اللغة العربية.

وفى الفترة السوفيتية أيضاً يتناول الكاتب الأدب القومى الروسى «فلايد فى جميع الأزمان، ولدى كل الشعوب كان أولاً وقبل كل شئ أدباً قومياً»، ونلاحظ أنه على ما يبدو ولهذا السبب لم يتناول المؤلف الإنتاج الأدبى فى الجمهوريات السوفيتية لأنها كانت لشعوب أخرى غير الشعب الروسى. (رغم أن الاتحاد الروسى الحالى يتكون أساساً من العنصر الروسى والعناصر التركية).

وعن الحرب وفترة الانقاذ القومى فى 1941 - 1946 يقول الكاتب: «لقد جاءت معظم نتائج الحرب خادعة للشعب فى كثير من الأمور الأساسية، لقد خرج منها متوقفاً حدوث تغييرات عليه وعلى أرضه العزيزة لقد انتظر أن يتحرر من

يتناول الكاتب فى النصف الأول من الكتاب بنظرة تاريخية وتحليلية ونقدية الأدب الروسى من عام 1890 وحتى ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

أما النصف الثانى من الكتاب فيحتوى على دليل للكتاب الروس وأعمالهم ومصائرهم فى تلك الفترة ويختتم الكتاب بقائمة مراجع طويلة قام المترجمان بترجمتها إلى اللاتينية أيضاً. يرى الكاتب أنه يمكن تقسيم فترات الدراسة المتداخلة إلى: العصر الفضى، العصر السوفيتى، العصر الروسى الحديث ويدرس خلالها ثلاثة أنواع من الأدب وهى: الأدب الرسمى السائد، وأدب المنشقين داخل البلاد ولا تنشر كتاباتهم رسمياً، وأدب المهاجرين الروس الذين هاجروا لأسباب عديدة ولكنهم ظلوا يكتبون أدباً باللغة الروسية.

يحلل الكاتب تأثير التطورات السياسية على الأدب ودور الرقابة الحكومية والتيارات الفكرية والأدبية السائدة داخل كل فترة وعلى سبيل المثال كانت الحرب الروسية اليابانية وثورة 1905 فى روسيا سبباً فى اتجاه الأدباء إلى السياسة وتحولهم من النزعة الفردية التى ميزت الفترة السابقة لها، وظهر الاهتمام بالجماعة وتأثير الأدب على مسار الأحداث فى المجتمع.

ومثال آخر أن ثورة 1917 كانت تعنى هيمنة الدولة على الأدب فتم إغلاق الصحف البرجوازية، واضطر كثيرون إلى الهجرة إلى الخارج، ومن اضطروا إلى البقاء أخذوا يعبرون عن أنفسهم فى كتابات سرية.

يذكر الكاتب أنه خلال الفترة السوفيتية كان الأدب خاضعاً للتوجيه وللرقابة ويعكس النظرة الطوباوية للشيوعية العالمية. كان هناك ما أسماه المؤلف الأدب الهادئ غير المسيس الذى يتناول الإنسان الروسى البسيط فى الممارسة الطبيعية العادية بعيداً عن النموذج السوفيتى لأسلوب الحياة

## واحة الغروب

«واحة الغروب» تتناول موضوعاً عزيزاً على الكاتب: الصحراء. لقد تناول الكاتب موضوع الصحراء أكثر من مرة، فأبدع في وصفها، مثل رواية «الملك أنا جئت»، غير أن «واحة الغروب» مليئة بالأحداث والشخصيات والحوارات، التي يستعرض الكاتب من خلالها آراءه في المواقف السياسية والتاريخية المختلفة، وأبرزها موقفه من ثورة عرابي. «واحة الغروب» سلسلة من اللوحات التي يلعب فيها الضوء الذي تشوبه حمرة دورا مهمة، غير أن هذا الغروب يرمز في ذات الوقت إلى غروب العديد من الشخصيات والمواقف، سواء كانت تمثل غروب أفراد أو مواقف سياسية كانت سريعة الانطفاء، مثل ثورة عرابي..

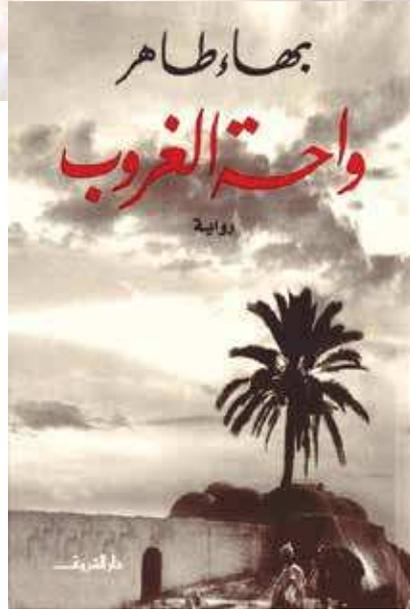
تتبدى هذه الأبواب وكأنها اعترافات، وهكذا تكتمل أمامنا صورة الشخصيات حتى ولو كانت ماهرة، في السيطرة على انفعالاتها وهي تتعامل مع باقى الأشخاص.. كاترين تفصح عن كل نواياها وخطتها في الحضور إلى مصر وسفرها للواحة. أما الإسكندر فهو يعترف عن أهدافه الحقيقية، وقد بعث فيه الكاتب الروح فقام بهذه الاعترافات.. يقول الإسكندر: غاية ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في عقيدتنا أن يصبح بطلاً، مثل هيرقل، أى خالداً، ولكن دون مرتبة الآلهة.. إن مصر وحدها هي التي تؤهل ملوكها. ثم يضيف وهو يسرد تفاصيل تأملاته: ماذا فعل اليونانيون بحريتهم (...). لم يتوقفوا عن الانقسام والقتال، حتى مدنهم كانت تبدد بعضها البعض (...). لكن ها هم المصريون، دامت دولتهم الآن آلاف السنين، مستقرة بسطوة الأرباب والفراعة والكهنة. ثم يستأنف وهو يتحدث عن أهدافه.. إنه لن يتوقف عن فتوحاته حتى ينجح في صنع عالم جديد تتحد فيه أجناس البشر وتتكلم لغة واحدة: اليونانية. ومن الدروس التي تلقاها من الكهنة المصريين أن «لا بد من إخافة العامة دائماً بالعقاب والعذاب على الأرض (...). يجب أن



سوسن رحى

غروباً مأساوياً. صور الكاتب من خلال هذه الأحداث مجتمعه، صورة الغرب الانتهازي الذي ينقب عن الآثار حتى يملأ متاحفه، وأبحاثه. إنها نظرة التعالي التي تكسو ملامح «كاترين» زوجته، قسوتها وموقفها من الشاويش إبراهيم الذي أصيب في حادث، بسبب إصرارها على اقتحام المعابد، إنها لا تعير اهتماماً لمشاعر ومعتقدات أهل الواحة ولا تأخذ في الاعتبار احترام خصوصيتهم، فالأنا الغربية تحرك مشاعرها وتصرفاتها. تنقسم الرواية إلى عدة أبواب وكل باب يحمل اسم إحدى الشخصيات فيقوم الكاتب بعملية سرد تكون بمثابة شهادة للشخصيات المختلفة والرئيسية.. ويتخلل هذا التقييم تصريحات للشخصية فتكشف الأهداف والنوايا الخاصة بها.

إنه يجسد انطفاء حياة شباب الواحة، الذين يحكم عليهم بالإعدام من شيوخ الواحة، في حروب لا معقولة يشنها هؤلاء الشيوخ، من وقت لآخر، وهم جالسون يشاهدون مصرع هؤلاء الشباب وكأنهم يشاهدون إحدى حلقات صراع العبيد مع الأسود في روما. الغروب يشهد أحداث مصرع مليكة، الطفلة، التي ما لبثت أن طرقت باب الشباب حتى حكم عليها بالإعدام من نساء الواحة، وقد ملأ قلوبهن حقد وغيره من هذه الطفلة الجميلة التي تبدو بأناملها فتصنع تماثيل وكأنها ورثت الأجداد. حكم عليها بالإعدام، فانهلن عليها ضرباً، حتى لفظت أنفاسها.. أما جريمته لأنها اخترقت قواعد الأرامل فتركت حجرتها قبل الميعاد المحدد لها، رغم أنهن على يقين من عذريتها فقد كان زوجها الشاب «عاجزاً». الغروب يرمز أيضاً لنهاية رحلة العذاب التي تعرض لها المأمور الذي دمره إحساسه بالذنب من موقفه تجاه ثورة عرابي، رغم أنه قد شارك في إحدى معاركها، فشل في حبه للثورة كما فشل في زواجه من كاترين ثم كان بزوغ حبه لأختها «فيونا». كان فراره للواحة من أجل النجاة بحياته، فكان غروبه



ما لبث أن انطفأ مثل «ثورة عرابي»، وطويت صفحاتها. إن ظهور فيونا قد كشف الصورة الحقيقية لكاترين، صاحبة الفكر الغربي المتعالي. تقول فيونا لأختها وهي تسخر من أنانيتها: «تعالى انظري إلى هذه الحضارة، وتقصد حضارة بريطانيا، المعجونة بالدم من أيرلندا إلى مصر إلى الهند إلى ما لا نهاية».

وتنتهى الرواية بانفجارات: فقد دمر محمود المعبد وهو يقول محدثاً نفسه: هذا هو المجد الذى يكشف لنا الإنجليز، لنعرف أننا كنا عظماء وأننا الآن صغار.. كما تنتهى الرواية بالتصالح النفسى الذى يشعر به محمود وهو يحتضر تحت الأنقاض. إن هذا النور الذى يغمر داخله، ما هو إلا لحظة انكشاف الحقيقة فوضحت الرؤية له.

ثم يضيف تفتت زواجنا مثل الرمال، ثم بددته مليكة. تعلق قلبه بفيونا، التى قال عنها الشيخ صابر: «عرفت فى حياتى أمثالها، فى كل دين وملة، مثلها يولدون وقد وهبهم الله السماحة وصفاء النفس». إن ظهور فيونا وسط هذا الضباب وهذه الأحداث الدامية، هذا الظهور الذى

يعبدونى فى الخوف «وبالخوف». وكانت النهاية المحتومة الموت، فيضيف: «نسوا جثمانى على سرير الموت فى القصر». يعود الكاتب إلى أحداث الرواية بعد التوقف مع الإسكندر الأكبر، وكأنه أراد بهذا السرد أن يتحدث عن تاريخ معاناة المصريين خلال العصور المختلفة، سواء مع الحاكم فى الداخل أو المستعمر الذى أتى وقد تسلح بالأدوات اللازمة للاستغلال. وتعود بقية الأحداث إلى مسارها الطبيعى حتى تصل إلى النهاية المحتومة، رحيل زوجة المأمور، الذى يقول محدثاً نفسه: «منذ جئنا إلى هذه الواحة انكسر شىء، لا أعرف ما هو.. انتهى هنا نهار علاقتنا إلى غروب فى هذه المحطة الأخيرة، إلى الأفق الغربى، كما وصفته، كاترين،

## لماذا كان ماركس على حق؟

فى إطار احتفال الكثير من الدوائر عبر العالم بالمرئية الثانية لميلاد المفكر والفيلسوف وعالم الاقتصاد السياسى الألمانى المولد والبريطانى الإقامة «كارل ماركس»، صدرت طبعة جديدة لواحد من الكتب المهمة التى تناولت فكر «كارل ماركس»، وكانت طبعته الأولى قد صدرت عام 2011. والكتاب بعنوان: «لماذا كان ماركس على حق؟» وهو من تأليف الأستاذ الجامعى البريطانى «تيرى إيجلتون»، وهو وإن كان فى الأصل أستاذاً فى الأدب الإنجليزى بجامعة «لانكستر» البريطانىة، فإنه أيضاً أستاذ النظرية الثقافية بالجامعة الوطنىة لأيرلندا فى جالواى.

مع ماركس وفكره، وذلك من أن «كارل ماركس» لم يكن معادياً للأديان فى حد ذاتها، بل إنه مجرد رفض توظيفها من قبل الطبقات الرأسمالية الحاكمة لتغيب وعى الإنسان من ناحية أو تزييف هذا الوعى من ناحية أخرى.

وأما الانتقاد الثالث لماركس وفكره، الذى يتصدى له المؤلف فى كتابه، فهو اتهام «ماركس» وفكره بالمثالىة، وهنا يشير المؤلف إلى التناقض الذى يقع فيه بعض منتقدى ماركس من الجمع بين اتهامه بالمادية المطلقة من جهة ثم اتهامه فى ذات الوقت بالمثالىة المطلقة وهى صفة مناقضة للصفة المادية. إلا أن المؤلف لا يتوقف كثيراً عند إبراز هذا التناقض، بل ينطلق لدحض القول بمثالىة ماركس وفكره. فهو يذكر فى هذا السياق بحقيقة أن «ماركس» ذاته له العديد من الكتابات التى امتلأت بالانتقاد للمثاليين، حتى من صفوف اليسار ذاته، سواء من المعاصرين له فى زمنه أو من السابقين عليه، وأنه اعتبر أن الأحلام الخاصة بالمستقبل، والتى لا تمت بصلة للواقع تضر البشر ومجتمعاتهم، خاصة الطبقات الكادحة منهم، أكثر بكثير مما تفيد أو تبعث على الأمل، خاصة وأنها فى النهاية تفشل ومن ثم تولد الإحباط لدى البسطاء من البشر، وعلى الجانب الآخر كانت مثالىة ماركس، بحسب المؤلف، من النوع الذى يسعى للربط بين الأهداف والغايات والمثل المطلوب تحقيقها أو الوصول إليها وبين ما هو موجود على أرض الواقع ومعاش وبين ما هو قابل للتحقيق.

وكان الانتقاد الرابع الذى تناوله المؤلف بالتفنيد متصلاً بالانتقاد السابق، وهو أن ماركس لم يفهم طبيعة النفس البشرية جيداً، وأنه تصور أن البشر يمكن فى مرحلة ما أن يكونوا مثاليين ومضحين



سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

كتابات ماركس نفسه، فيما بينهما. أما الانتقاد الثانى الذى تناوله المؤلف بالتمحيص من وجهة نظره، فهو القول بأن «ماركس» كان مؤكداً على الطابع المادى للإنسان والمجتمع ونافياً لوجود أو دور أو أهمية للاعتبارات الروحية والمعنوية والأخلاقية وغيرها من اعتبارات غير مادية، وفى مقدمتها بالطبع المسألة الدينية. وهنا، تمحور رد المؤلف وتفنيدته على العديد من المرتكزات، كان أولها نفى التفرقة بين المادى واللامادى، سواء داخل الإنسان الفرد من جهة أو بداخل المجتمع أو الجماعة التى يعيش فيها هذا الإنسان من جهة أخرى. فحالة الرفاه المادى التى من المفترض أن تتحقق خلال المرحلة الشيوعية من تطور البشرية، طبقاً لكارل ماركس، هى التى ستولد مجتمع الوفرة الذى بدوره سوف يتيح لمواطنيه الفرصة للتفرغ للتفكير والتأمل فى أمورهم المعنوية والأخلاقية والروحية، بعيداً عن تمحور حياتهم حول سعى لا ينتهى للحصول على ما يوفر احتياجات المعيشة الأساسية لهم ولأسرهم. أما فيما يتعلق بالمسألة الدينية، فيعيد المؤلف تأكيد ما شرحه تفصيلاً من قبل العديد من الكتاب والمفكرين والمحليلين المتعاطفين

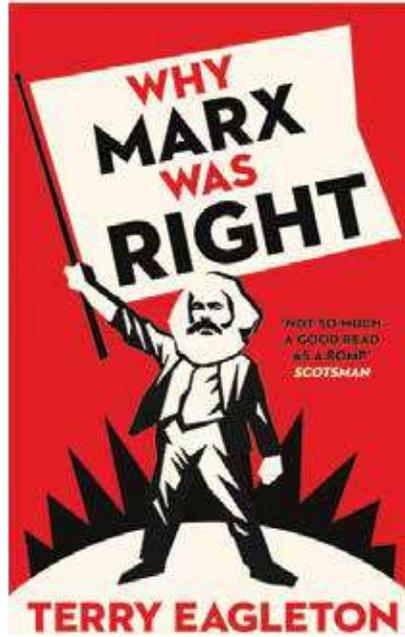
وكان المؤلف قد سجل فى مقدمة الطبعة الأخيرة أن برأيه توجد عشرة انتقادات رئيسية شائعة ضد كارل ماركس ومشروعه الفكرى، وأنه يسعى فى كتابه إلى الرد على تلك الانتقادات الأساسية وتفنيدها، مؤكداً أنه بالرغم من حالة شبه الإجماع على أن كارل ماركس هو المفكر الأكثر تأثيراً فى القرن العشرين، فإن من وجهة نظر المؤلف أيضاً أن ماركس مستمر التأثير فى القرن الحادى والعشرين وفى قرون قادمة، وإن كان التأثير يأتى الآن من زوايا بعضها جديد ومستحدث وبعضها الآخر معاد وقديم.

وأول هذه الانتقادات هو الدفع بأن ماركس اعتبر أن كل شيء فى الحياة يتمحور حول الاقتصاد، وتقليله من شأن، بل أحياناً إنكاره الوجود أصلاً، اعتبارات أخرى إنسانية أو معنوية أو روحية أو حتى سياسية واجتماعية وثقافية ولكنها تقع خارج نطاق الاقتصاد. وجاء رد المؤلف مرتكزاً على منطلقين: الأول هو إبراز حقيقة وحجم الدور الفعلى الضخم الذى يلعبه الاقتصاد فى حياة المجتمعات والشعوب، سواء كان ذلك من منظور تاريخى أو فى زمن «كارل ماركس» أو فى الوقت الراهن أو فى المستقبل، وتأثيره الكبير فيما حوله من مكونات أخرى لحياة الإنسان والمجتمع، أما المنطلق الثانى فكان به نفى لمقولة أن «ماركس» اعتبر الاقتصاد هو الاعتبار الحاكم لكل ما عداه فى عالمنا، حيث أبرز المؤلف هنا، مقتبساً من أقوال وكتابات ماركس ذاته أو من كتابات بعض «شراحته» ما يؤكد أنه كان يعطى اهتماماً كبيراً لاعتبارات أخرى، خاصة من خلال إبرازه جدلية العلاقة فى فكر ماركس بين البنية التحتية (الاقتصادية) والبنية الفوقية القانونية والقيمية والسياسية والثقافية والاجتماعية، والتأثير المتبادل، من واقع

الحضارى، أى أوروبا وامتداداتها الخارجية هي محور العالم ومركز الكون، وأن الماركسية بالرغم من رفعها شعار الأممية لم تنجح فى التخلص من هذه السممة التى اتسمت بها الرأسمالية. وترتبط بهذه المسألة نقطة ثانية ذات علاقة بها، وهى من الأمور التى تؤخذ أيضاً على الماركسية وصاحبها، وهو عدم اتخاذ موقف حاسم وواضح وقاطع تجاه الاستعمار الأوروبى للشعوب الشرقية. ودائماً ما يستشهد فى هذا السياق بأن «كارل ماركس» اعتبر على سبيل المثال أن الاستعمار البريطانى للهند قد يكون مفيداً لتلك الدولة الكبيرة لأنه يحولها من «النمط الشرقى للإنتاج»، كما أسماه ماركس، إلى المرحلة الرأسمالية، وبالتالي، بحسب افتراضات النظرية الماركسية، فإن هذا من شأنه أن يقرب بالهند من مرحلة الثورة الاشتراكية.

وبالإضافة إلى ما سبق فبالطبع يبقى، وبالرغم من كل شيء، موقف الماركسية تجاه كل من الدين والقومية والوطنية موضوعاً مستمراً فى إثارة الجدل والنقاش والخلاف، بل والتباين، وبلا حسم نهائى متوقع فى المستقبل المنظور، ولكن الأهم فى هذا السياق يبقى موقف الماركسية تجاه الأديان، وذلك نظراً للطابع الأسمى لكليهما ولذا فهما يتنازعان نفس الأرضية الجماهيرية اللامحدودة وذات الدفع العقائدى بامتلاك الحقيقة المطلقة.

والواقع أن الكتاب الذى عرضنا له يعتبر إسهاماً مهماً فى التأريخ والتوثيق للمفكر والفيلسوف الكبير «كارل ماركس» وأفكاره، وهو أمر مستحق بلا جدال فى الذكرى المئوية الثانية لميلاده، وأخذاً فى الاعتبار أهمية دوره وتأثيره، مع عدم تجاهل أن الكتاب صادر عن مؤلف أقر مسبقاً، وبأمانة علمية تحسب له، بانحيازه لماركس وأطروحاته الفكرية، كما أنه أبدأ لم يدع على مدار الكتاب اتباع منهجاً محايداً، ولكنه، وعلى الرغم من ذلك، اتصف بقدر كبير من الموضوعية فى غالبية أجزاء الكتاب، وكذلك بالاتساق الداخلى فى وجهات النظر التى طورها ودفعت بها. وأقول هنا «غالبية أجزاء الكتاب» عن قصد، نظراً لأنه فى القليل من الحالات استخدم وجهات نظر متباينة فى مواضع متعددة لدرء اتهامات مختلفة تناولت ماركس وفكره.



فى دولة صناعية متقدمة وليس فى حالة روسيا التى كانت فى أكتوبر 1917، عندما قامت الثورة البلشفية بها، دولة فى المراحل الأولى من الرأسمالية وكان ما زال موجوداً بها العديد من مظاهر المرحلة الإقطاعية، وأن الحالة الوحيدة التى توقع فيها ماركس قيام ونجاح ثورة اشتراكية فى دولة أوروبية غير متقدمة صناعياً هو أن تقوم ثورات اشتراكية تالية لها مباشرة فى بلدان صناعية متقدمة، مثل ألمانيا، لتدعم هذه الثورة الأولى وتوفر لها سبل البقاء والتطور، وهو الأمر الذى لم يحدث فى حالة الثورة البلشفية فى روسيا. ثم إن المؤلف ينتقل فى رده إلى نقطة تقليدية، ليس فقط من المدافعين عن الماركسية، بل من جانب المدافعين عن أية عقيدة أو أيديولوجية، وهو القول بأن فشل التطبيق كان لأخطاء فى التجربة وأن الفكر لم يطبق كما كان ينبغى أن يكون، ولذا يدفع بأنه يتعين عدم القفز من ذلك للتوصل لاستنتاج مفاده خلل النظرية ذاتها.

ونكتفى هنا بتناول هذه الانتقادات الخمس ورد المؤلف عليها، وننتقل إلى انتقادات أخرى لم يطرحها المؤلف وبالتالي لم يرد عليها أو تناولها ضمناً فى معرض رده على الانتقادات العشرة التى شملها كتابه.

وأولى النقاط التى نثيرها هنا هو الاتهام للماركسية بأنها أوروبية المنشأ والتركيز والاهتمام، وأنها، مثلها فى ذلك مثل الرأسمالية، تعتبر الغرب بمعناه

بصالحهم الخاص من أجل الصالح العام، واعتبر هؤلاء المنتقدون أن هذا الفهم يناقض طبيعة البشر وليس له سند من التاريخ الإنسانى. وهنا يعلق المؤلف بأن موقف هؤلاء المنتقدين إنما يعكس موقف الرأسمالية ومفكرها من البشر، متهماً النظام الرأسمالى بأنه هو الذى جعل البشر بهذا السوء من حيث فرض قوانين التنافس بأى ثمن وبلا حدود من جهة وتهميش من لا يقدر على الوفاء بقواعد اللعبة بشكل غير إنسانى من جهة ثانية. كما يضرب المؤلف أمثلة من المجتمعات السابقة على المرحلة الرأسمالية، أو حتى بعض الجماعات الإنسانية التى تعيش اليوم على هامش النظام الرأسمالى، والتى يضحى أفرادها عن رضا واقتناع بمصالحهم الخاصة من أجل الصالح العام، وذلك ليؤكد على أن هذه الخصال السيئة فى البشر تعاضمت وتضاعفت بسبب النظام الرأسمالى وإفرازاته. إلا أن المؤلف يذهب إلى خطوة أبعد من ذلك حين يؤكد أن «كارل ماركس» نفسه لم يفترض أن البشر ستتغير طبائعهم بمقدار مائة وثمانين درجة أو أنهم سيتحولون إلى ملائكة بمجرد قيام الثورة الاشتراكية ثم التحول إلى المرحلة الشيوعية، بل إن «ماركس»، ودائماً بحسب المؤلف، كان واقعياً إلى حد كبير فى توقعاته وبراجماتياً بدرجة كبيرة فى تصوره لما سيحدث فى هاتين المرحلتين، فهو أدرك أن التنافس فيما بين البشر سوف يستمر، ولكن ستحكمه الضوابط الجديدة التى سوف يضعها ويفرضها النظام الموجود فى تلك المرحلتين، وذلك حتى لا يتحول إلى أداة إفناء للبشر وهدر لأدبيتهم وإنسانيتهم، كما أن التفاوت بين البشر سوف يستمر ولن ينتفى فى هاتين المرحلتين، ولكن ذلك سيحدث لأن البشر متفاوتون فى احتياجاتهم أصلاً، وليس فقط فى قدراتهم أو إمكانياتهم.

والانتقاد الخامس للماركسية الذى يتعرض له المؤلف هو ذلك المعنى بفشل التجربة السوفيتية واعتبارها دليلاً على فشل النظرية الماركسية فى الأساس. والمؤلف يعبر بوضوح عن رفضه لهذا الانتقاد من جذور افتراضاته ومسلماته، حيث أنه يشير إلى أن تجارباً أخرى لتطبيق الماركسية كانت أكثر نجاحاً، وذلك مثل حالات الصين وفيتنام وكوبا وغيرها، ويدفع فى هذا السياق بطرح مكرر استخدمه مدافعون عن ماركس فى السابق وهو أن ماركس كان يتوقع أن تحدث الثورة الاشتراكية

## محطات في حياة سمير علام

يتناول هذا الكتاب ، أسرة مصرية تألفت على مدى تاريخها المشرف الثرى بالأعمال العملاقة ، التي مازالت تحكى قصة وفاء هذه الاسرة نحو وطنها ، وأصبحت مثل أعلى للإصرار على النجاح والجدية فى العمل المتميز .

ونجح مع الكاتب وصاحب السيرة فى شواطئ النجاح ودروبها المتعددة ومع رحلته التى انفردت دائما بالريادة ، وهى رحلة تستحق ان تروى ، لما لها فائدة لشباب اليوم والغد أيضا .

، الذى أحالها من ملكية خاصة إلى ملكية حكومية ، ولكن لم تنكسر عائلة علام. ولم يتغير طريق عائلة علام ، فظلت فى مواصلة الجهد والدأب لرفع اسم الشركة عاليا ، على مر العصور ، وظلت روح التحدى والإصرار للوصول إلى الهدف المنشود ، إصرار ودأب ، وتعب وسهر وعناء طويل من أجل تحقيق آمال ونجاحات أسرة وشركة جمعت بين المحبة والاحتراف فى العمل ، ذلك العناء الذى تجاهله كثيرون ممن آثروا الإكتفاء برؤية قمة الجبل ، دون اعتناء بجهود من واجهوا الصعاب لبلوغ تلك القمة . ويحاول الابن فى هذا الكتاب رسم بورتريه لتجسيد قيمة رحلة الاب العصامى وكيف شق طريق النجاح ليجعل من شركة علام قيمة وقامة فى مصر والعالم العربى فيقول :

( سارت أمور شركة والدى رويدا رويدا ، إلى أن جاء عام 1938 حيث كان ابى مع القدر على موعد ، ليبرز أسمه وأسم شركته فى عموم مصر. فالملك فاروق كان فى طريقه للاسماعيلية ، وأصيب فى حادث سيارة ، فتم نقله إلى أقرب قرية ، من منطقة القصاصيين ، ليخضع للعلاج ، فى اقرب عيادة طبية ، لكنها لم تكن مؤهلة لاستقبال حالة مثل حالة الملك فاروق ، فكاد أن يلقى ربه .... ونتيجة لهذا الموقف ، أمر الملك بسرعة بناء مستشفى فى ذلك المكان ، وكان ذلك اول صفقة لوالدى مع وزارة الصحة ، لبناء مستشفى القصاصيين على الطريق الزراعى الواصل من القاهرة إلى الاسماعيلية ) .

وكانت المكافأة حصول حسن علام على البكوية ، على هذا المجهود الكبير، وعمره خمسة واربعين عاما، وشملت عقود الشركة فى وقت مبكر ، إنشاءات ومبان متعددة ، منها محطة كهرياء دمنهور

### عرض: عادل عبد الصمد

، والمصاعب المرة التى واجهتنا فى مراحل متفرقة )

نشأ حسن محمد علام ( رحمه الله ) فى مدينة المنيا بصعيد مصر ، وورث العمل بمجال المقاولات عن جده محمد علام ، وانضم حسن علام لطبقة رجال الاعمال ، فى مقتبل عمره ، وأصبح نجما مرموقا فى مجال المقاولات ، خلال فترة زمنية بسيطة ، معتمدا فذلك على نفسه ، حيث توسع فيما تركه والده من أعمال ، وشملت فروع شركته أغلب محافظات مصر . حرص حسن علام على الجدية وحب العمل ومباشرة أعمال شركته بنفسه برغم تعدد أفرعها ، وأكتسب شعبية كبيرة وسط المهندسين والفنيين وعمال البناء ، نتيجة لخبرته الادارية والفنية التى اکتسبها فى مجال عمله

ويقول سمير علام :

( أضع شهادتى هنا ، وأسرد محطات من حياتى التى واكبت مراحل مهمة من تاريخ شركتنا ، بل من تاريخ وطننا الحبيب ، لا أبتغى شيئا أبعد من حقيقة ما عشت طيلة أكثر من ستة عقود فى محراب العمل ، فأندى أقول بصدق : أن السطور التى تحملها طيات هذا الكتاب ، ماهى إلا مشاهد كذت طرفا فيها ، عشت خلالها مابين انتصارات باهرة ، وأزمات عاصفة فوق تراب الوطن ، وخارج أرضه . )

وأكبر الصعاب والازمات التى واجهت عائلة علام التى شيدت شركة علام للمقاولات واحتلت مكانة متميزة فى مصر والعالم العربى ، تحولت من ملاك إلى موظفين ، بعد قرار تأميم الشركة فى ستينيات القرن الماضى

يتناول هذا الكتاب أسرة مصرية ، تعد من النخب المتألقة فى مجتمعنا ، ذات الإسهام البارز فى حياتنا ، يقدم ( سمير علام ) أحد ابنائها النابهين فى كتابه محطات فحياتى ) من خلال الحديث عن حياتها وأعمالها العملاقة فى عالم المعمار وعطائها الذى لم تستطع العواصف مهما كانت قسوتها ان تحجبها عن تنفيذ كل ما يسند إليها من أعمال تشرف بها الاوطان ، فنستدعى الصور المتناثرة من هنا وهناك ، لنقترب من حياتهم ، ونتعرف على ملامح عصرهم ، ونشاهد كيف كان التكوين الفكرى والثقافى لكل منهم ، وإلى أى المدارس ذهب هذه النخبة وعلى أى أساتذة تتلمذت الابناء لتواصل رحلة العطاء بنفس الهمة والنجاح؟

وماهى الفنون التى شكلت ذوقها وحسها الجمالى وكيف تغلبت تلك الاسرة على الصعاب لتحافظ على عظمة نجاحها . نضع هذه التجربة الثرية أمام الاجيال الشابة ، لعلها تكون هادية لهم وما أوجنا أن نقرأ ونتعرف على طريق التفوق والنبوغ ، طريق العمل الجاد المثمر الذى يكلل بالنجاح والتميز .

فهذه تجربة لها أهميتها ، لنخبة كافحت وناضلت وتفوقت فأصبحت لها بصمات مهمة فى عالم التشييد والهندسة المعمارية فى مصر وانحاء العالم العربى بل تعدت شهرتها عالمنا العربى. يسجل الكاتب وصاحب السيرة سمير علام ، فى كتابه قصة حسن علام الوالد العصامى فيقول :

قطع والدى حسن محمد علام ( رحمه الله ) طريقه فى عالم الإنشآت ، بشركته ( حسن علام للمقاولات ) منذ بواكير حياته إلى أن وافته المنية فى سبعينيات القرن الماضى . طيلة ذلك الطريق ، كنت واحدا ممن شهدوا كيف بنى والدى صرحه لبنة لبنة بإرادة لاتلين رغم التحديات الكبيرة

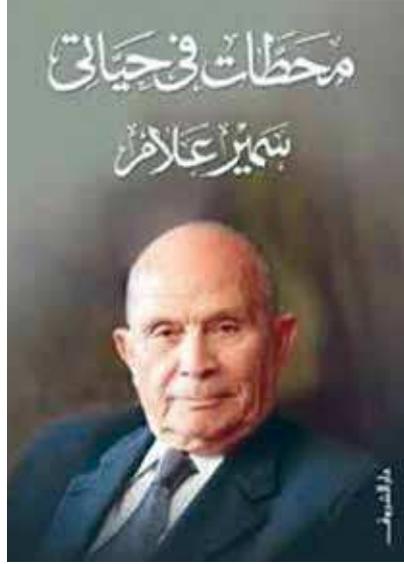
مختلفة ، فى هذا المجال ، وهو الامر الذى جعله يوجهنى للتركيز فى قطاع الطرق لأتعلم أدق تفاصيله ، وبعد التخرج أسند لى والدى مسئولية قطاع الطرق ، بكل ما فيه ومن فيه من خبراء ومهندسين مصريين وأجانب كبار لهم اسماؤهم فى المجال ، وقد كانت بدايتكأى موظفعاى جدا فى شركة والدى ، وهذا ما اوصلنى إلى منصب عالمفى مجال الطرق وهو نائب رئيس الاتحاد الدولى للطرق ومقره سويسرا .

وكان اول مشروع أدرته إدارة كاملة بنجاح مشروع مطار بلبس عام 1956 وعندما اسند للشركة تنفيذ كلية طيران بلبس وما بها من رصف ممرات للطائرات ، لم اتوقع ان اقف امام البطل الراحل الفريق مذكور ابو العز قائد القاعدة الجوية فى بلبس ....

وكان الفريق مذكور ابو العز ، يزورننى موقع العمل بالمطار ، من وقت لآخر بسيارة يقودها بنفسه ، بعد ان ينتهى من عمله الرسمى وبملاسه المدنية وكان يصمم على الجلوس بجوارى كوالد وكصديق ويطمئن على سير العمل ، وظل يتابع العمل بنظام حتى انتهى المشروع )

ومن المشروعات العملاقة مشروع اعادة رصف وتأهيل طريق القنطرة شرق - العريش هو ثان المشروعات التى اسندت لسمير علام قبل حرب 1956 وكان فريق حسن علام بعد الحرب ينفذ المشروع بدقة وبروح المقاتل الذى يرفض الانكسار ويصر على التحدى وإحراز النصر ، وكان سمير علام فى هذه الفترة يعمل طيلة 28 يوما فى الشهر ، يحصل على يمين راحة فقط ليجلس مع اسرته فى بداية حياته.فازت الشركة بتنفيذ مشروع طريق سفاجا - القصير - مرسى علم عام 1962 ولم تقصر شركة علام رغم قرار التأميم وقال الاب للبناء

( إنتم عارفين ان الفلوس مش كل حاجه ، والبلد بتمر بظروف صعبة جدا ، ولا بد ان نقف خلف قيادتها وندعمها بكل ما نملك ) فنقبل الجميع النصيحة بنفس راضية .وما احوجنا فى هذه الاوقات العصيبة وفى مرحلة بنا الوطن بجدية وهمه لا تلين الى مثل هذه النخبة المعطاءة والمخلصة للوطن لتمر مصر من مرحلة هى الاصعب فى تاريخها وتخطو بخطوات ثابتة طريق الصعاب وتصل الى برالامان والتقدم .



تلك الرحلات بمثابة دعائم وحصانة وطنية ضد أى تلوث فكرى أو ثقافى ... ) ومن المحطات التى كانت لها اهميتها فى حياة اسرة علام ، محطة صدمة التأميم وبمقتضاها نقل ملكية قطاع خاص فى مجال معين إلى ملكية الدولة . ويسجل سمير علام خواطره قائلا :

كان والدى وأشقائى مثل كل الذين بنوا أنفسهم فى تلك الفترة بالكفاح والعرق والصبر، حتى نجحوا فى اعمالهم بكل نزاهة وشفافية وشرف ، ولذلك كانت صدمتنا كبيرة جدا ، بسبب قرار التأميم ، لماذا ؟ لاننا لم نكن كما اشيع وقتها عن الذين طالهم التأميم بأنهم إقطاعيون استولوا على اموال الدولة اواراضيها او اشئ آخر ، فنشاط والدى كان معروفا للجميع ، كرجل عصامى فى مجال المفاوضات ، ويشهد على ذلك تاريخه الوطنى الناصح ، ولم يكن إقطاعيا ، ولم يستول على مال عام او خاص من احد . ... ) وظل والدى يعمل بكل اجتهاد حتى آخر يوم فى حياته ، كما لو ان الشركة مازالت ملكيته الخاصة وليست ملك للدولة ، وتشهد على ذلك أعداد جوائز كئوس الانتاج التى حصل عليها ، ....

وبعد وفاة والدى رحمه الله ، تولى شقيقى فهمى علام إدارة الشركة منذ تاريخ الوفاة عام 1976 وحتى عام 1983 ، ثم توليت انا بعد شقيقى منصب رئيس مجلس الادارة حتى عام 1995 ) ويستمر سمير علام فى تقديم محطات لها اهميتها لمن يريد ان يعرف طرق النجاح والتفرد فيقول :

( كان والدى يتابع اهتمامى بمشروعات الطرق ، وما بها من معدات

واول مصفاة لتكريرالنفطالمصريفى السويس ، ونالت الشركة سمعة وشهرة كبيرتين ، وبدأت الشركة تنافس الشركات الكبرى ، مثل شركة العبد باشا واحمد بكير وعلى ابراهيم باشا الذى أنشأ مبنى سنترال الاوبرا ومجمع التحرير. وخلال عدة اعوام ، اصبحت الشركة واحدة من كبريات الشركات ، فى مجال البناء ، جنبا الى جنب مع شركة ( المقاولون العرب - عثمان احمد عثمان ) واصبح لشركة علام دورها الوطنى الرائد فى دعم الاقتصاد المصرى .ويسجل سمير علام محطة لها اهميتها وهى محطة ( روضة اطفال المحلة ) ليصور لنا كيف كان التعليم فى المدارس الحكومية وما غرسته من معانى وسلوكيات لا يمكن تجاهلها ؟ ( كانت الروضة التى كانت تتبع

الحكومة ، فناء واسع ، يزدان بالاشجار الوارفة ، والزهور الجميلة النضرة ، حول بناء معمارى مميز ، وإننى أتذكر فى تلك السنوات البعيدة ، كيف كانت المدرسات فى تلك الروضة ، أمهات ومعلمات ، حريصات على اكتشاف مواهبنا ، وتوظيفها بالشكل المناسب ، وكيف كن يسقننا حب الوطن والانتماء بملاعق من أمومة صادقة ، فيقصص علينا سيرة أبطال المصريين والعرب ، مثل : صلاح الدين الايوبى ، وعمر المختار واحمد عرابى ومصطفى كامل ، حتى يغرسن فينا البطولة وقدمية الذود عن الوطن إذا تعرض للخطر ، كما كن يعلمننا الرسم والموسيقى ، فى أجواء تفيض بالمحبة والصفاء والصدق).

ويقدم صورة اخرى للمدارس الحكومية التالية للروضة قائلا :

( كنت أعشق مادة التاريخ ، بسبب مدرسها المبدع الأستاذ شرف ، ومادة الجغرافيا من اجل مدرسها الأستاذ قنديل ، فهاتان المادتان تمثلان لمصرنا الحبيبة قمة التفرد والتميز ، فمن يصدق ان فلاسفة الاغريق وعلماءها مثل افلاطون وارسطو وسقراط وفيثاغورث تعلموا على أيدي الفراعنة ، فى ( أون ) عين شمس حاليا اقدم جامعة على مستوى العالم ، ولا غرابة فأننى عشقت فيما بعد العمل فى التعمير رغم ان دراستى كانت بكلية التجارة ، وكذلك اكتسبت خبرة ومعرفة عن آثارنا من الاستاذ شرف ، فقد لنا جميعا والدا وصديقا ، وكان حريصا على اصطحابنا الى الاماكن الأثرية ليشرح لنا عظمة الأجداد الفراعنة على مدار التقلبات التاريخية التى شهدتها الأسرات التى حكمت المحروسة ، وكانت

خصصنا صفحات الرابطة للمعرض السنوي لرسومات عضواتنا، والذي أقيم للعام الثالث على التوالي بالتعاون مع وزارة الثقافة قطاع العلاقات الثقافية الخارجية حيث افتتحه د. حمدي أبوالمعاطي نقيب التشكيليين.

وقد أقيم المعرض هذا العام في الفترة من 15 إلى 28 أبريل، واستمر أسبوعين مما أعطى فرصة أكبر للزوار للمشاهدة والاستمتاع بالأعمال الفنية المتميزة بدعم مشكور من مدير المركز المصرى للعلاقات الثقافية الخارجية جمال فتح الدين.

معرض (عشر دقائق) اشتركت به عشر فنانات من زوجات الدبلوماسيين بأعمال مختلفة حظيت باستحسان وإعجاب جميع من شاهدها من فنانين ونقاد ومهتمين بالحركة الفنية.

ويسعدنا نشر بعض هذه الأعمال المشاركة في المعرض بأيادي السيدات:  
أميمة خطاب وماجدة الصباحي وريهام صلاح الدين وعلا الصيفي وهدى القونى ود. ميساء حماده ومها زاهر وهبة أبوسنة وأميمة جوهر ومنال متولى.





د. ميساء حماده



علا الصيفى



مها زاهر



اميمه خطاب



هدى القونى



ماجده الصباحى



هبه خورشيد



ريهام صلاح الدين

# الرسم بالألوان الزيتية

يعتبرُ الرسم واحداً من أهم الفنون التي يقبل عليها البشر، فهو فن جميل يظهر موهبة وإبداعاً لا نظير لهما من حيث القدرة على التخيل والتحكم باليد وتوظيف العناصر الفنية بعضها مع بعض، وهو من أكثر الفنون جمالاً وانتشاراً في جميع أنحاء العالم، وأحد مواد التعليم الأساسية بالمدارس في مختلف أنحاء العالم.

التي سيطرت على فنون عصر النهضة، فأبدعوا في تصميم الأزياء وتزيين الأثاث المنزلي وفي الرسم والتلوين على زجاج النوافذ. في تصميم الأزياء وتزيين الأثاث المنزلي وفي الرسم والتلوين على زجاج النوافذ.

وتعد الموناليزا أو الجيوكاندا واحدة من أفضل الأعمال على مر تاريخ الرسم، بدأها ليوناردو دافنشي عام 1503 وتم الانتهاء منها عام 1510، وأهم ما يميز اللوحة هو تقديمها لتقنيات رسم متقدمة لاتزال مستخدمة حتى الآن، وهي الإسقاط المتوسط للجسم بدلا من رسم الجسم كاملا الذي كان منتشرا آنذاك، والرسم المجسم، وتقنية الرسم المموه دون خطوط محددة إلى جانب تداخل الألوان.

وفي مصر، يعد متحف محمد محمود خليل بالحيزة أحد أهم متاحف الفنون التشكيلية الذي يحتوى على ما يزيد عن 300 لوحة زيتية ومائية وباستيل، ويضم أعمالا فرنسية لأعظم فناني القرن التاسع عشر (رينوار، فان جوخ، جوجان، كورو)، وتعد لوحة زهرة الخشخاش، ولوحة الحياة والموت، ولوحة ذات رابطة العنق من أهم الأعمال الفنية المعروضة بالمتحف.

أعرض هنا عدداً من اللوحات الزيتية التي قمت برسمها مؤخراً في إطار الإعداد لاحتفال سفارة مصر لدى ألبانيا بالعيد القومي والذي تم خلاله تنظيم معرض بعنوان «مصر... الحضارة والثقافة» ضم لوحات تعكس الحضارة المصرية وبعض جوانب التراث الثقافي المصري.

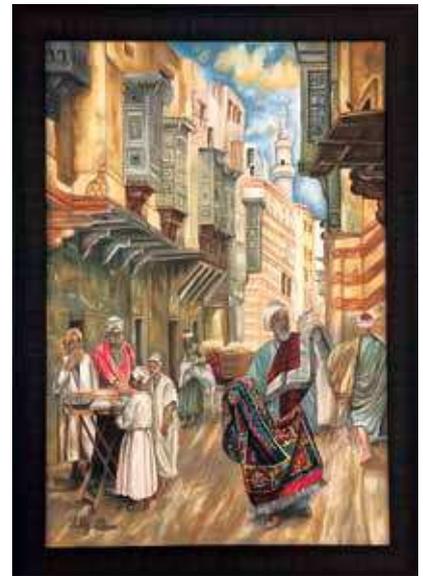


سالى سالم  
حرم السفير محمد خليل

الرسم بالألوان الزيتية هو أحد أشكال الفنون التشكيلية منذ أقدم العصور حيث عرفه قدماء المصريين والآشوريين واليونانيين، ولهذا الفن دور كبير فى تاريخ الحضارة والمدنية، وقد اشتهرت الألوان الزيتية في الأوساط الفنية منذ القرن السادس عشر الميلادي تم اكتشاف الألوان الزيتية من قبل الأخوين الهولنديين (هيوبرت وجان فان إيك) فهما أول من أتقن مزج الألوان بالزيت،

واللوحات المرسومة بالألوان الزيتية هي الأكثر وجوداً في المعارض والمتاحف الفنية. وينفرد الرسم الزيتي بميزة بقاء اللوحة المنفذة سنين كثيرة إذا أحسن اختيار السطح والألوان. وازدهر فن الرسم بالزيت أثناء فترة النهضة الأوروبية حيث اتجه الفنانون إلى تناول الموضوعات اليومية بعيداً عن الأجواء الدينية

ويتواجد عدة أنواع للرسم كرسم الطبيعة، ورسم البورتريه، والرسم بالفحم، والرسم بالماء، والرسم بالرصاص، والرسم بالألوان الزيتية، ولكل نوع أدواته الخاصة، وطريقته المختلفة في الرسم. أنطرق في مقالى هذا للألوان الزيتية، وهي عبارة عن معجون ملون بالزيت، وتتكوّن من ثلاثة ألوان أساسية: الأحمر، والأزرق، والأصفر، والألوان الثانوية التي يمكن صنعها عن طريق المزج بين الألوان المختلفة، ويمكن تخفيف أو تغميق درجة كل لون عن طريق إضافة اللون الأبيض للتفتيح أو زيادة كمية أحد الألوان المستخدمة. وتعدّ فرش الألوان من أهم الأدوات اللازمة للرسم، ولكل نوع من الألوان (مائية أو زيتية أو غيرها) فرش خاصة، فالألوان الزيتية تحتاج إلى الفرش المعتدلة في القساوة، حيث تتوافر الفرش بأنواع وأشكال مختلفة، ولكل شكل استخدام معين، فمثلاً الفرش ذات الرأس الصغير المدبّ تستخدم لتلوين النقاط الصغيرة أو المساحات الضيقة جداً، أما الفرش التي تأتي على شكل المروحة فتستخدم في رسم شكل الغيوم، وكذلك الفرش العريضة تستخدم في رسم الخطوط العريضة، وغيرها الكثير. كما يستخدم زيت خاص عند استخدام الألوان الزيتية، وهو زيت بذرة الكتان، حيث يُعطى الألوان لزوجة ومرونة، ويسهل عملية دمج الألوان مع بعضها، في حين يستخدم التربينتين في تنظيف الفرش والأدوات المستخدمة في الألوان الزيتية.





## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

# لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية (6)

الملك خوفو 2551 - 2528 ق.م

كان ومازال وسوف يظل الملك «خوفو» ومعجزته الهندسية مصدراً لكثير من الأقاويل والافتراءات والنظريات التي تفتقر في كثير من الأحيان إلى الأسانيد القوية التي لا ترقى إلى جعلها من الحقائق الثابتة حتى وقتنا الحالى.

تعمل بالدعارة لمساعدته فى إتمام هذا الهرم. وربما لم يكن هناك سوء نية من الكاتب اليونانى فيما قاله بقدر ما كان ذلك ترديداً لما سمعه من العامة الذين قابلهم عند زيارته لمنطقة الجيزة. جاءت شهرة الملك خوفو أساساً من إنجازاته المعمارية وفى مقدمتها بناء الهرم الأكبر والذى استغرق بناؤه أكثر من 20 عامًا واشترك فى إقامته أكثر من 20 ألف عامل، ويعتبر قمة المشاريع اكتمالا من حيث هندسة بناء الأهرامات



أ.د. محمد إبراهيم على  
وزير الآثار الأسبق

moibrahim53@gmail.com

على الرغم من الشهرة الواسعة التي نالها هذا الملك بسبب هرمه الشهير فإن معلوماتنا عن عصره تعتبر ضئيلة جدا كما أن ما لدينا من المعالم الأثرية التي بنيت عهده قليلة جدا. على أية حال، يمكن القول إن انتقال السلطة من أبيه إليه كان سلمياً لأن كبار مسئولى البلاط فى عصر أبيه احتفظوا بمناصبهم إبان حكمه.

خلال فترة حكمه التي امتدت لأكثر من 30 عاماً، أحكم «خوفو» السيطرة الكاملة على مناجم الفيروز فى سيناء ومحاجر الديوريت فى النوبة وبفضل هذه السيطرة استطاع أن يقيم مجموعته الجنائزية والهرم الأكبر فى الجيزة. ولما كانت إقامة مثل هذه الأبنية تتطلب الكثير من العرق والمعاناة والجهد فقد ارتبطت باسم هذا الملك سمعة سيئة للغاية، على عكس ما تمتع به والده سنفرى من سمعة. ووصلت تلك الأقاويل إلى آذان هيروdot عندما زار مصر حوالى 450 قبل الميلاد وأفاد بأن «خوفو» قام بإغلاق المعابد، وسخر رعاياه لإقامة قبره المرموق وجعل ابنته

«خوفو»، أو «خنوم خوفوى» (بمعنى المعبود خنوم يحميني) هو ثانى فراعنة الأسرة الرابعة، وهو بدون أدنى شك ابن الملك «سنفرى» والملكة «حتم حرس» الأولى. تولى «خوفو» حكم البلاد بعد موت أبيه وقد عرفنا من بردية تورين، والتي ترجع إلى الدولة الحديثة أن الملك خوفو حكم نحو 23 سنة، ولكن تغير هذا الرقم بعد العثور على النص المكتشف حديثاً بالصحراء الغربية والذي يثبت لنا أن الملك خوفو قد حكم من 30 إلى 32 عاماً.

لم يترك خوفو لنا إلا القليل من المعلومات المسجلة عن عهده. فجانبا هرمه فى الجيزة والذى يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع، لا نعرف له من آثار إلا القليل، ومنها ذلك التمثال الصغير المنحوت من العاج ويبلغ طوله حوالى الثلاث بوصات. وقد عثر عليه فلندرز بترى فى معبد خنتى امنتيو فى أبيدوس. ومن الجدير بالذكر أن تاريخ هذا التمثال مازال مثار جدل بين العلماء فمنهم من يرجعه إلى عصر خوفو ومنهم من ينسبه إلى الأسرة السادسة والعشرين.

أشارت آثار تلك الأسرة إلى تزوج الملك خوفو من أربع نساء هن «مريت - إيت - اس»، وهى الزوجة الرئيسية، وثلاث زوجات ثانويات هن: «حنوت - سن» و«نبت» أما الزوجة الرابعة فما زال اسمها غير معروف. وأنجب «خوفو» من «مريت - إيت - اس» عدداً من الأبناء أحدهم الأمير «كا - وعب» الذى توفى إبان حكم أبيه، وأنجب من الزوجات الأخريات عدداً آخر من الأبناء نذكر منهم «جدف رع» و«خع - اف - رع» (خفرع).



تمثال خوفو (المتحف المصرى بالقاهرة)

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

المصرية.

وكما ذكرنا بدأ تناول السمعة السيئة لهذا الملك جزئياً مع هيروdot (الذي زار مصر بعد 22 قرناً من وفاة خوفو) الذي كتب: «أولاً، أغلق خوفو جميع المعابد، ومنع تقديم القرابين، ثم أجبر المصريين للعمل من أجله... ووصل خوفو إلى درجة من الشر ونتيجة لافتقاره إلى المال، وضع ابنته في بيت من بيوت الفجور لكي تحصل له على الدعم المالي لإكمال بناء الهرم».

بالإضافة إلى ذلك، فقد جاء في بردية وستكار، «إن خوفو يعتبر فرعوناً قاسياً وغير عادل لشعبه على عكس والده، الفرعون سنفرو». وكان للسينما أيضاً نصيبها من المسؤولية في انتشار هذه السمعة السيئة لخوفو، عندما مثلت، في فيلم الوصايا العشر، تسخير العبرانيين خصوصاً في بناء الهرم ومجموعته الجنازية.

ولمناقشة هذا الأمر ففي البداية لا بد من التأكيد أولاً على ما أثبتته الأدلة الأثرية من تمتع الملك خوفو بتوقير واحترام كبيرين عبر التاريخ المصري وحتى في العصر المتأخر. فقد وصل مجموع الكهنة الذين ارتبطوا بعبادته

الجنازية إلى 67 كاهناً بعد أن كانوا 10 فقط خلال عصر الأسرة الرابعة، سبعة منهم كانوا أعضاء في العائلة المالكة. ثم أصبحوا 28 خلال الأسرة الخامسة. وهذا بالفعل عدد كبير بشكل غير عادي بالمقارنة مع عدد الكهنة الذين ارتبطوا بالعبادة الجنازية لأبيه الملك «سنفرو» خلال نفس الفترة فقد اقتصر العدد على 18 فقط. وكان للعبادة الجنازية تلك أهمية اقتصادية كبيرة دائماً حيث كرس لها جانب كبير من المنتجات الزراعية.

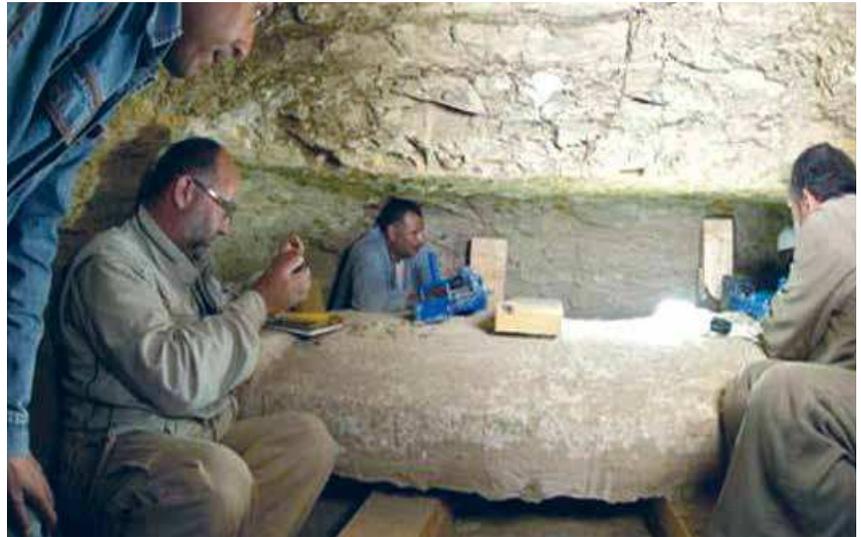
ومن ناحية أخرى فهناك ملاحظة مهمة وهي وجود عدد كبير من مقابر الأفراد حول الهرم الأكبر في الناحيتين الشرقية والغربية مما يعكس رغبة هؤلاء في الاستمتاع بتواجدهم بالقرب من قبر الفرعون ولكي يبعثوا معه. وبالإضافة إلى ذلك، وإذا تحدثنا عن الإسراف الاقتصادي في الأبنية فقد بنى سنفرو على الأقل ثلاثة من الأهرامات الكبيرة في ميدوم دهبور تصل أحجامها إلى أكثر من ثلاثة ملايين متر مكعب، ولم يوصف أبداً بأنه طاغية في العصور



الهرم الأكبر

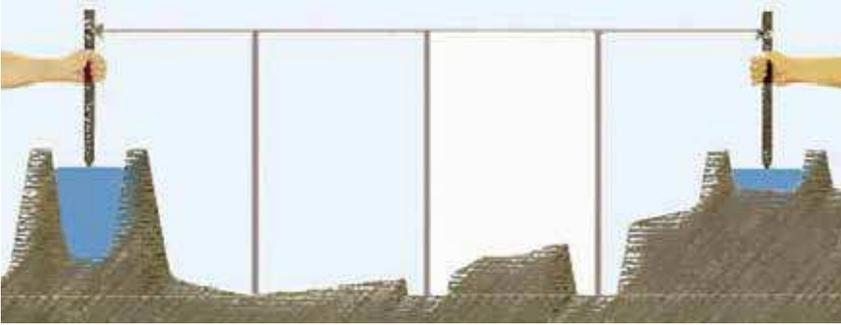


تمثال مهندس الهرم الأكبر "حم ايونو" متحف بيليزيوس "pelizaus" بألمانيا.



العمل في إحدى مقابر العمال التي كشف عنها دكتور زاهي حواس في الجيزة

صورة توضح وصول النيل وقت الفيضان إلى مشارف هضبة الجيزة  
الجيزة عام 1927



فكرة جعل قاعدة الهرم في مستوى أفقى كامل

المُستخرج من طُرة.

### طريقة بناء الهرم

بعيداً عما يثار بين الحين والآخر من ترهات عمّن قام ببناء الهرم الأكبر وكيفية البناء. فمن الثابت والمؤكد طبّقاً للأدلة الأثرية، وعلى رأسها اكتشاف زاهى حواس لمقابر العمال فى الجيزة، أن المصريين، وليس غيرهم، هم من قاموا ببناء مقبرة مليكهم.

أما فيما يخص طريقة البناء، فتوجد نظريات عديدة عن كيفية بناء الأهرامات، ولعل أكثر النظريات قبولاً تلك التى طرحها عالم أمريكى يُدعى «دوس دونهام Dows Dunham»، نتيجةً لعمله

يونكر فى عام 1912.

توفرت لدى هذا المهندس كل المقومات التقنية حيث قام «حم ايونو» ببناء الهرم بدقة تدعو للدهشة والعجب مستفيداً من خبرات كل من سبقه من مهندسين وحتى عصر سنفرو ومستخدماً أبسط الوسائل. وقد احتاج تشييد هذا الأثر، أكثر من مليونين، وثلاثة آلاف كتلة من الحجر الجيرى، وتزن بعض تلك الكتل نحو خمسة عشر طناً، وكانت أحجار قلب الهرم مقطوعة كالمعتاد من محجر محلى، يقع بالقرب من أبى الهول، بينما جُلبت كتل كساء الهرم من أفضل أنواع الحجر الجيرى

اللاحقة. كما أنه من المعروف قيام خوفو ببناء المعابد وليس إغلاقها وعلى وجه الخصوص بدأ بناء معبد حتحور فى دندرة، ووجد فى أساسات معبد المعبودة باستت فى «تل بسطة» عناصر للنصب التذكارى مسجل باسمه.

وعلاوة على ذلك ، فقد كشف زاهى حواس، الأمين العام للآثار المصرية فى ذلك الوقت عن مقابر الحرفيين والعمال الذين اشتركوا فى بناء الهرم وأثبتت هذه الاكتشافات عن أن هؤلاء العمال كانوا من المصريين وكان يتم تغذيتهم ورعايتهم بشكل جيد مما يدل على وجود نظام إدارى متمكن لهذا المشروع الضخم للسيطرة وحسن إدارة هذا الكم الكبير من العمال الذين تم إحضارهم من القرى فى جميع أنحاء مصر، وربما ليس بشكل دائم، للمساهمة فى هذا المشروع الدينى العظيم.

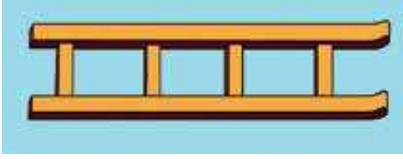
### الهرم الأكبر

شهد عهد خوفو الوصول إلى ذروة المعرفة فى علم الهندسة والعمارة وتجمعت لدى المهندسين فى عصره الخبرات التى تم اكتسابها على مر العصور السابقة.

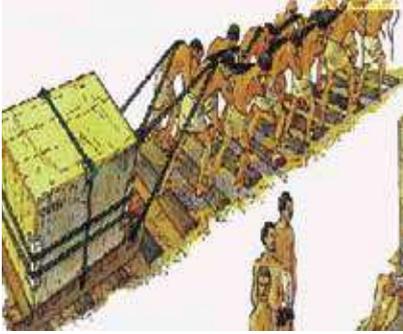
### المهندس والمشروع

بمجرد أن استقر خوفو على عرش مصر خلفاً لأبيه، اختار الملك الجديد، ربما بناء على نصيحة مهندسه المعماري «حم ايونو»، هضبة الجيزة لبناء مجموعته الجنائزية. وكان اختياراً رائعاً لما توفر للموقع فى العصور القديمة من مزايا كثيرة فهو يسيطر على كل الوادى أسفله كما كان الموقع فارغاً تماماً من أى أبنية أخرى.

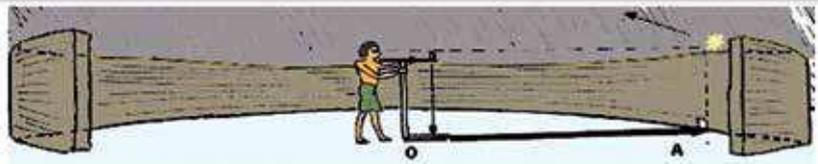
ولنتوقف قليلاً للحديث عن هذا المهندس الذى لا يقل فى عبقريته عن سلفه «أيمحتب» وزير الملك زوسر ومهندسه المعماري. كان «حم ايونو» واحداً من أفراد العائلة المالكة. وقد بنى لنفسه مصطبة واسعة (G 4000) فى الجانب الغربى للهرم الأكبر فى الجيزة. تم التنقيب عن هذه المصطبة وحفرها من قبل البعثة النمساوية الألمانية برئاسة عالم المصريات الألماني هيرمان



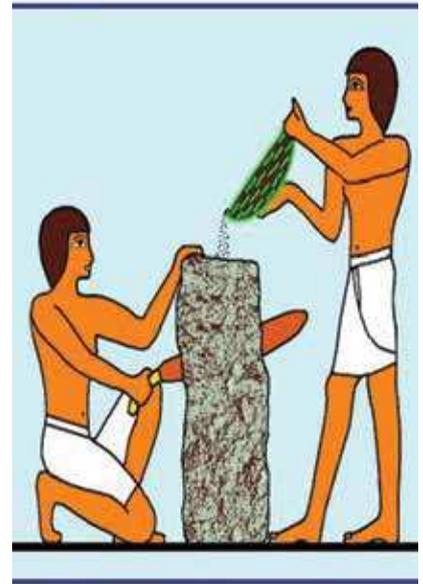
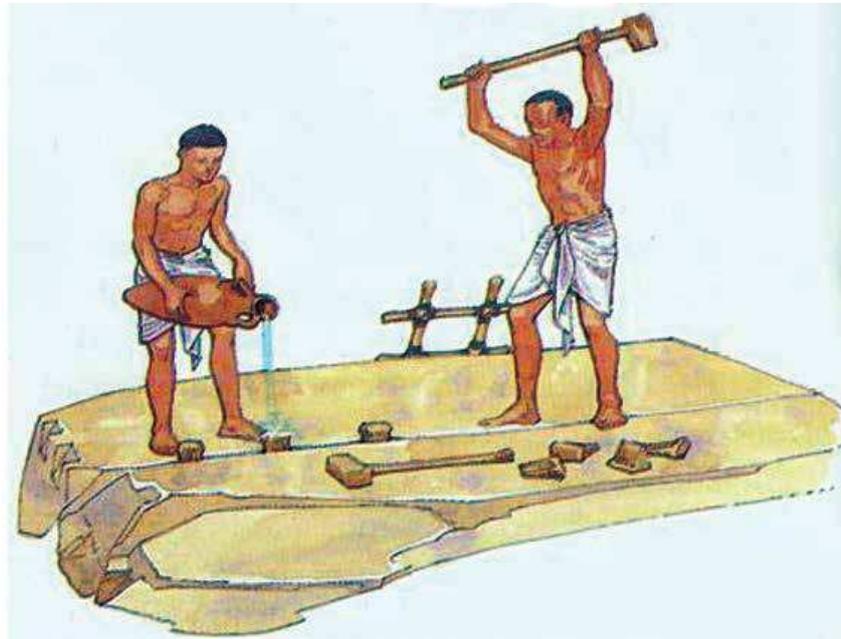
الزحافة التي كان يتم عليها نقل الأحجار



نقل الأحجار إلى موقع البناء بواسطة الزحافة



تحديد اتجاه الشمال الحقيقي



### طريقة قطع الأحجار

مترجمو تلك الأيام، للرحالة اليوناني هيرودوت. أشار عالم آثار آخر هو «اف. بيتري F.Petrie»، إلى أن مسألة تنظيم العمل لهي أمر مهم، تفوق أهميته تحديد العدد الفعلي للعمال، كما أشار إلى احتمال استخدام عمال مهرة باستمرار، للإضطلاع بأعمال المحاجر، وتجميع، وتركيب الكتل الحجرية، بينما كانت أعمال جر الحجارة إلى الموقع، أعمالاً موسمية، نفذها عمال الحقول، المتعطلين عن العمل الزراعي، حيث تغمر مياه الفيضان أراضيهم.

المنحدرات الأربعة في سحب الزلاجات التي تحمل كتل الحجارة، والمواد الأخرى، إلى الطبقة الجارية تشييدها، أما المنحدر الرابع فقد خُصص للأفراد الهابطين بالزلاجات الفارغة. ووفقاً لأطروحة هذا العالم، كان عدد العمال 2500 عامل فقط يعملون بكفاءة في موقع العمل، ومما لاشك فيه استخدام عدد أقل من العمال مع تقدم أعمال البناء، ولكن لا بد وأن عدد العمال الذين استخدموا في قطع ونقل الحجر كان عدداً كبيراً، غير أن هذه الأرقام لم تصل إلى المائة ألف، وهو الرقم الذي زعمه

### وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

في موقع الأهرامات بالجيزة، حيث طرح في نظريته، أنه توجد أربعة منحدرات من الحصى و(الدبش والرديم) والطين، تبدأ من كل جانب من أجناب قاعدة الهرم، بُنيت على السطح الخارجي غير المكسو بحجارة كساء الهرم، حيث تُمدد النهايات العلوية لتلك المنحدرات، كلما ارتفع البناء طبقة فوق الأخرى، وقد استُخدمت ثلاثة منحدرات من تلك

المياه، لتُملأ الخنادق مرة أخرى بالحجارة وقطع الصخور، ولتصبح المنطقة المستهدفة، منطقةً مستوية جاهزة لبدء عمليات التشييد والبناء، وقد أثبت وجود هذا النظام، شبكة من الخنادق وجدت غير مستكملة، على مسافة قريبة من الجهة الشمالية للهرم الثانى.

### 3 - تحديد نقاط الجهات الأصلية الأربعة

ينبغي أن تكون المساحة المُخطط اتخاذها قاعدة للهرم، أقرب ما تكون إلى شكل المربع الصحيح، حيث يجب أن يواجه كل وجهة من أوجه الهرم إحدى الجهات الأصلية. ولا بد وأن بناء الهرم قد استخدموا لهذا الغرض جرمًا سماويًا أو أكثر من جسم سماوى، حيث لم يعرف المصريون القدماء البوصلة المغناطيسية، ولكن يغمض علينا تحديد نوع تلك الأجرام والأجسام أو عددها، مما استخدم لتعيين تلك الجهات الأصلية، بيد أنها كانت كافية لتحديد أحد محاور تلك الجهات الأصلية، ومن ثم يمكن تحديد المحور الآخر باستخدام مربع مُعد لذلك. ولعل الأبنية الحالية، التي بُنيت أركانها بزوايا قائمة صحيحة، تثبت حتمية توفر أداة دقيقة مع مشيدى الهرم، لتحقيق تلك الغاية.

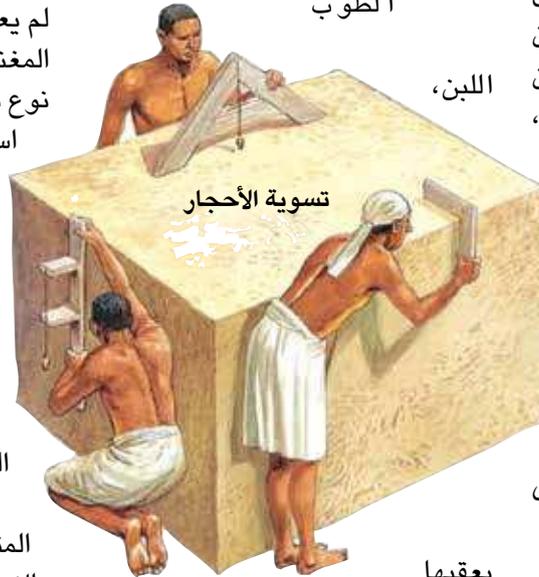
يمكن استقصاء المعلومات المتعلقة بالطرق المستخدمة، والاحتفالات الخاصة بالتشييد والبناء، من بعض النصوص التي يرجع تاريخها إلى أزمنة متأخرة، وتصطبغ بالصيغة الرسمية. ويظهر -على جدران بعض المعابد المصرية التي بُنيت إبان العصرين اليونانى والرومانى - الملك مُمثلًا وهو يعين حدود الجدران الخارجية الأربعة، بعد رصد موقع نجوم مجموعة الدب الأكبر، وكان من المعتاد استخدام بعض الأدوات لتحقيق تلك المسألة: وأول تلك الأدوات، أداة تُسمى «ميرخيت Merkheth»، تتكون من عمود أفقى ضيق، توجد عند أحد طرفيه كتلة صغيرة، تعلو مستوى العمود، ويوجد

من الترع والقنوات، أصبح المصريون خبراء بحق فى تقنية تسوية الأرض، ويمكن رصد هذه الدرجة الرفيعة من الدقة فى بناء هرم خوفو، حيث أن محيط الأساس والحدود الخارجية للقاعدة لم يصادف أى انحراف عن مخطط التسوية الفعلى، إلا بما يزيد قليلا عن خمس بوصات لا غير، وهو انحراف مقداره بسيط لا يمكن إدراكه إلى حد بعيد، بيد أن هذا المقدار الضئيل هو ما جعل الجانب الجنوبى الشرقى أعلى من الجانب الشمالى الغربى.

اعتمدت التقنية المستخدمة فى إعداد المنطقة المربعة الشكل، على الماء. فكانت المرحلة الأولى من التشييد هى إحاطة المساحة المربعة بجدار مبنى من

الطوب

اللبن،



يعقبها حفر

شبكة من الخنادق فى الصخر، لعمل عدد من الكتل المستطيلة، تأخذ شكل المصطبة، حيث تعمل هذه الخنادق على فصل بعضها عن بعض. وكان من المعتاد أن تملأ المساحة كلها بعد ذلك بالماء. أما المرحلة الأخيرة فكانت قياس المسافة من مستوى سطح الماء إلى قمة الكتل المستطيلة، حيث يحتم - أسلوب العمل - قطع زوائدها، لتصبح كلها متساوية وفى مستوى واحد، ومن ثم، عندما تصبح قمم هذه الكتل المستطيلة فى مستوى واحد يمكن أن تنصرف

لا يوجد تحت أيدينا أية وثيقة مصرية مباشرة تلقى الضوء على الطريقة التى استخدمها بناء الهرم، سواء فى التخطيط أو التشييد لبناء الهرم، وبالرغم من ذلك، فوفقاً للدراسات التى أجريت فى هذا الشأن، يمكننا تتبع تشييد مراحل البناء المتعاقبة.

### 1 - اختيار الموقع

لابد وأن اختيار موقع الهرم قد تم بعناية فائقة ليجاور العاصمة، ومن ثم، كان من المحتم اختياره ليقع فى الجانب الغربى من النيل، الذى اعتُبر بمثابة عالم الموتى، فهو مملكة «أوزيريس خنتى إمينتيو Osiris Khenty - Imentyw» أو (أوزيريس سيد أهل الغرب)، كما أن الجانب الغربى هو الموضع الذى تغرب فيه الشمس، كما كان من الضرورى أيضاً أن يكون مستوى الموقع أعلى من أقصى مستوى معلوم لديهم لفيضان النيل، على أن لا يبعد كثيراً عن النهر، فقد كان من المعتاد استخدام السفن فى نقل الأحجار من محاجرها، وهى اللازمة لكساء الهرم، والأبنية المجاورة له، كما يتعين أن تكون المنطقة المنتخبة، مسطحة قدر الإمكان، والصخر الأساسى فيها صلد صلادة كافية لدعم، وتحمل الوزن الهائل للإنشاء بكامله، ولا بد وأن يكون الموقع المُختار، خالياً من أى عيوب أو نزوع نحو التشقق.

### 2 - إعداد الموقع

عقب اختيار المكان المناسب، أصبحت المهمة الأولى هى تنظيف المنطقة المختارة، من الرمال وأى نوع من أنواع الدبش والرديم والحصى، لكى يتم تشييد البناء على صخر تأسيسى صلد، تلى ذلك أن بدأ العمال فى ضبط منسوب سطح الصخر، وتسويته، وكانت قطع الحجارة المتخلفة والمستبعدة من الموقع، يُعاد استخدامها إما لملء أى نوع من أنواع انخفاض مستوى الأرض، أو أنها تُنحى جانباً لاستخدامها فيما بعد.

نتيجة لخبرات المصريين السابقة فى إعداد أراضيهم للرى، باستخدام الماء الواصل إليهم من مياه النيل، عبر شبكات

الهرم المُدرج، فقد اعتُبرت كل مصطبة من المصاطب بمثابة منصة، بُنيت عليها أربعة منحدرات جانبية، مُشكلة طرقاتاً جانبية، كل طريقٍ مواجه لأحد وجوه الهرم، كما كانت تُبنى جسوراً ضيقة، مقابل أجزاء من وجوه الهرم، لم تكن تُغطيها الطرق المنحدرة، جزئياً أو كلياً، لتتيح موطناً، يسمح بتقدم العمل لمرحلة تالية، ولتُمكن البنائين من مناولة حجارة الكساء الخارجي، ولتيسر لهم المناورة بها، وبالخفض المتتالي لارتفاع هذه الجسور يمكنهم بدء أعمال الكساء للسطح المُعرض من الهرم، بينما الجزء العلوي من الهرم مازال تحت الإنشاء.

استُخدمت تقنية مشابهة لهذا الأسلوب في بناء الهرم الكامل، ولكن بدون إضافة جسور الموطى، تلك المستخدمة في بناء الهرم المُدرج. ووفقاً لهذه التقنية المستحدثة كان العمل يبدأ بمنحدر واحد في كل جانب من أجناب الهرم، ويواصل ميله إلى أن يصل مستوى الأرض، وكان طول تلك المنحدرات وارتفاعها يتزايدان بما يتناسب والزيادة في ارتفاع الهرم، وعندما يصل البناءون إلى قمة الأثر، يضعون عليه القمة الهرمية الشكل المصنوعة من الجرانيت. ولم يكن يظهر للعيان، الموجودين على مستوى الأرض، أى من الأجزاء الحجرية، التي أُقيمت بالفعل، وببساطة يمكن تحليل ذلك، إذ كانت المنحدرات تغطي الأوجه الخارجية للهرم بالكامل.

كانت مرحلة العمل الأخيرة هي تغطية البناء بالكامل، بكساء من أحجار الحجر الجيري المعتاد استخراجها من محاجر طرة، وكان من اللازم أن تُرص بميل نحو الداخل، في اتجاه قلب الهرم، بزاوية مقدارها 75 درجة، وكان من المعتاد أن يتم إنجاز عملية البناء تلك، مع إزالة المنحدرات، بداية من القمة، ونزولاً لأسفل.



موقع الحجر الجيري المحالي بجانب الهرم الثاني بالجيزة

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

اللبن، يوجه الشخص الراصد، الموجود في منتصف الدائرة، فرداً آخر، ليضع علامة على الجدار، تنطبق تماماً على الخط - الوهمي - الممتد بين الراصد والنجم (الشكل 40p)، ويتعين إعادة نفس العملية لحظة أفول نفس النجم، لتحديد اتجاه الغرب الحقيقي، ومن ثم يمكن تحديد الشمال الحقيقي بتنصيف الزاوية «p o q»، وللتأكد من صحة المسألة، يمكن تكرار العملية باستخدام عدة نجوم أخرى، بنفس الطريقة، وذلك قبل تفكيك الجدار.

### 4 - طريقة البناء

بعد أن يفرغ البناءون من كافة أعمال الإعداد والتجهيز، من تسوية مستوى القاعدة، وتوجيه الأجناب الأربعة في اتجاه الجهات الأصلية، يبدأون مرحلة أخرى من الإنشاءات.

### نقل الكتل الثقيلة

تحتّم على المصريين، الذين لم يعرفوا البكرة قبل عصر الرومان، أن يوجدوا الوسيلة السهلة والعملية لنقل الكتل الثقيلة ورفعها لأعلى، ومن ثم، فقد استخدموا أنواعاً خاصة من المنحدرات، المكونة من الطوب والطين، تدرج في الميل، بادئةً من أسفل، من مستوى الأرض، وصاعدةً في الاتجاه الأعلى، حتى تصل لارتفاع المطلوب.

لم يواجه المصريون القدماء أية مشكلة من المشكلات، أثناء تشييدهم

ثقب مستعرض، مثقوب في تلك الكتلة، كما يوجد أخدود عمودي، شق أسفل كل فتحة للثقب، وبدون شك كان الغرض هو رصد النهاية العلوية للخط العمودي. استنباطاً من معنى تلك الأداة (= المؤشر)، يتبين أنها استُخدمت لتقوم بعمل «ساعة الظل»، و«الساعة المائية»، و«الساعة النجمية»، وبمعنى آخر هي أداة لقياس ساعات الليل، بتحديد ارتفاع النجم فوق الأفق. كانت الأداة الثانية تُستخدم لمراقبة النجوم، وهي عبارة عن رافدة النخيل، بفتحة على شكل الحرف «V»، مقطوعة في النهاية الأخرى.

نتناول الآن الطريقة التي كانت تُستخدم لتحديد اتجاه الشرق الحقيقي، حيث كانت الخطوة الأولى هي بناء سور دائري من الطوب اللبن، قطره بضعة أقدام، يُشيد على القاع الصخري الذي تمت تسويته بالفعل لبناء الهرم، ويبلغ ارتفاع هذا السور ارتفاعاً يكفي لحجب الرؤية عن أى شخص يقف في منتصف الدائرة، عدا رؤية السماء، ثم يقوم شخص يقف في منتصف الدائرة برصد بزوغ نجم كالشمس، عبر فتحة الأداة المذكورة آنفاً، وفي اللحظة التي يظهر فيها النجم فوق الجدار المبنى بالطوب

كانت لدراسة الطب قواعد ملزمة في مدارس ملحقة بالمعابد

## مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة (4)

### الطب

يرجح العلماء أن الطب بدأ أول مرة عمليا عن طريق التجارب التي اقتضتها ضرورات الحياة اليومية، وكان يضاف إلى حصيلة التجارب ما يثبت فائدته ويستغنى عما يلحق الضرر، وكان هناك اعتقاد بوجود أرواح خبيثة تتسبب في وجود الأمراض، ولهذا كان الطب في أول أمره متصلاً ومتمشياً مع السحر. وقد كان الطبيب - في الغالب - يمارس أعماله الطبية بجانب بعض الأدعية والرقى لحماية المريض من الأرواح الخبيثة، ويمكن أن يعد هذا نوعاً من الإيحاء بالشفاء، إذ تؤكد النصوص المصرية القديمة أن لبعض الآلهة تأثيراً على أعضاء الجسم مثل الإله رع إله الشمس الذي اتخذ من الوجه مكاناً له، وحتحور إلهة الحب اتخذت العينين وأنوبيس إله التحنيط الشفتين وتحوت إله العلم مع باقي أعضاء الجسم.

كامل. وكما ذكر هيرودوت كان هناك طبيب للعيون وطبيب للرأس وطبيب الاضطرابات الداخلية، ومعروف أيضاً أنه كان هناك أطباء لعلاج الناس جميعاً وأطباء للجيش وأطباء للقصور الملكية، كما وجدت فئة من الكهنة يمكن أن يطلق عليها اسم أطباء العقاقير، وهم الذين تخصصوا في العلاج بالعقاقير وتلاوة الأدعية، كما وجدت طبقة أخرى تخصصت في اللوائف (أوت) أي المحنطين.

وقد لعبت الآلهة دوراً مهماً في الطب فهناك الإلهة إيزيس التي تهب الشفاء والتي أشفت ابنها حورس من كل جراحه وكانت مهتمة بشئون السحر وهي التي أشفت الإله رع من صداع الرأس، وهناك أيضاً الإلهة سخمت ربة الجراحة وحامية الجراحين، وهناك خنوم الإله الخالق حامى الحوامل والمختص بشئون الولادة، كذلك الإله أنوبيس رب التحنيط والعقاقير الطبية، ثم الإله تحوت رب العلم والحكمة ونسب إليه الإغريق اختراع الطب والصيدلة، وأخيراً هناك الطبيب المهندس أيمحوتب.

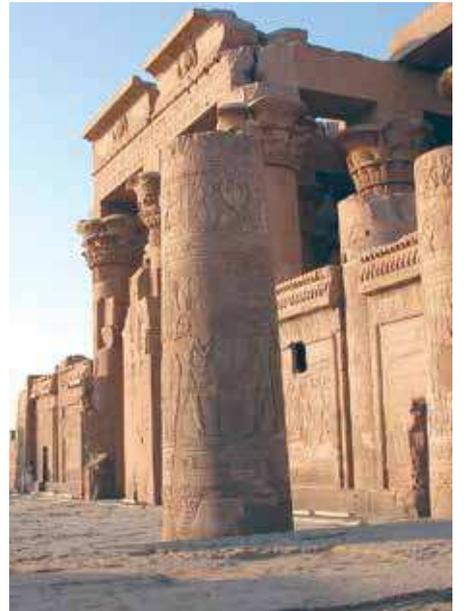
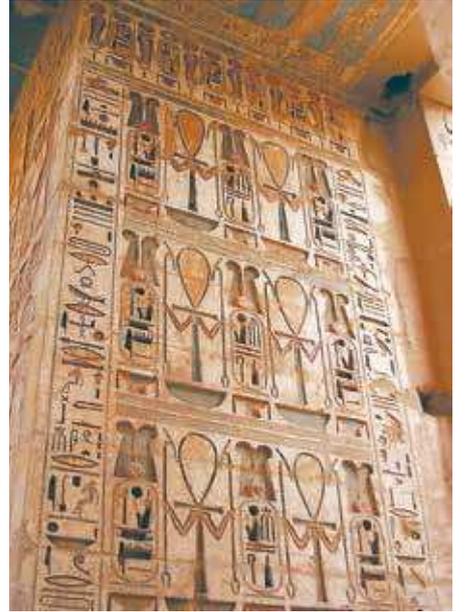
وقد انقسم العلاج عند المصريين القدماء إلى قسمين أولهما علاج ما هو ظاهر، وثانيهما علاج ما هو باطن، ويتمثل الأول في العمليات الجراحية البسيطة والكسور، ويتمثل الثاني في الأمراض الباطنية، ويتميز الأول بالخبرة



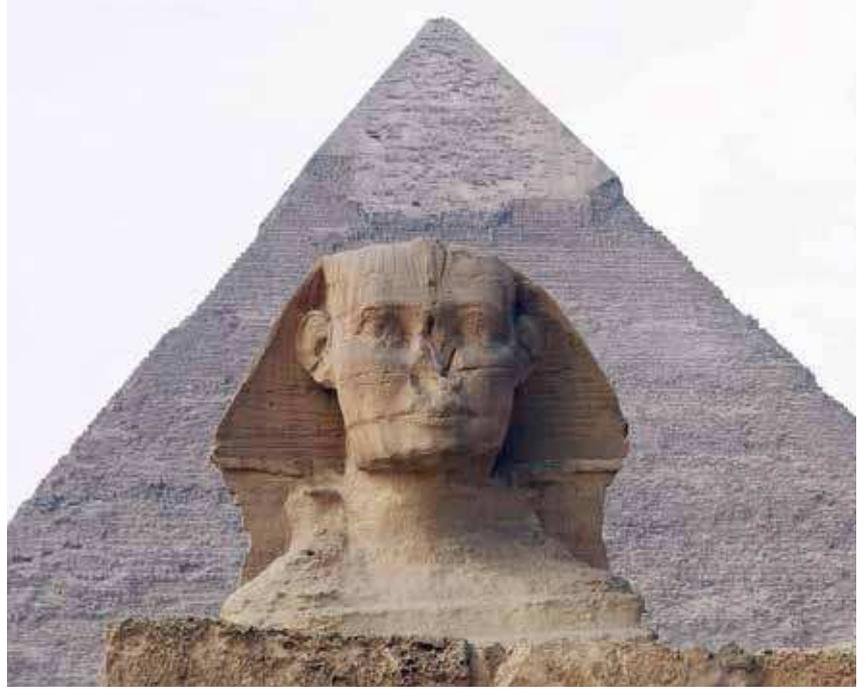
سفير محمد عهدى خيرت

makhairat@gmail.com

وقد أتت هذه الفكرة مع الأساطير الدينية، وهكذا أصبح الإله الذى يتغلب على الثعبان خير مصل له، والإله الذى يتغلب على العقرب خير دواء له. وكانت لدراسة الطب قواعد ملزمة حيث كانت هناك مدارس طبية وأغلب الظن أنها كانت ملحقة بالمعابد فى أون وسائس وغيرها. وقد عرفت مصر الأطباء المتخصصين منذ أقدم العصور، وأوضحت البرديات الطبية تخصصاتهم، ولعل من أشهر الأطباء المصريين «أيمحوتب» وزير الملك زوسر (القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد) والذى أله فى العصور المتأخرة، وأطلق عليه الإغريق اسم اسكليبوس إله الطب عندهم، وهناك أيضاً رئيس الأطباء «أيرى» (الدولة القديمة) الذى تخصص فى أمراض العيون، بمعنى أنه كان هناك تخصص



والرحمة، والقسوة مع المذنب، وكان هذا هو الإطار الذى يتحرك فيه الملك بين الناس وإذالم يحقق الملك الماعت فإنه لا يفقد فقط أهليته للألوهية، ولكن يفقد أيضاً أهليته فى الملك. وكما كان الملك يتمتع بقدسيته وهو حى فإنه كان يتمتع بنفس القدسية وهو ميت، فهو ملك الدنيا الثانية يحكمها وهو مسجى فى تابوته الموضوع داخل هرمه الكبير ومن حوله تسكن مجموعة كبيرة من رجال الدولة فى مقابرهم التى شيدها على شكل مصاطب حول هذا الهرم، وعندما اعتنق المصري



أجبرتها ظروفها الطبيعية على إيجاد حكومة تسيطر على شمالها وجنوبها تحت حكم ملك واحد هو سيد البلاد وملك الوجهين القبلى والبحرى. ولا يمكن الجزم بأن الملك المصرى قد تمتع بألوهية منذ أول التاريخ والدليل على ذلك أن أبطال الوحدة بين الشمال والجنوب قد أمضوا وقتاً طويلاً يحاولون تحقيقها بحد السلاح. وأغلب الظن أن تأليه الملك كان نتيجة لهذه الصعاب التى قابلت الوحدة فخرج الكهنة بفكرة تأليه الملك ورفع قدره بين الناس حتى يصل إلى المرتبة التى تعلو بمركزه كبشر ينتمى تارة إلى الجنوب وتارة إلى الشمال، ويعتقد أن ألوهية الملك لم تتحقق تماماً ولم توضع أسسها الثابتة إلا على يد زوسر أول ملوك الأسرة الثالثة، واعتبر المصريون ملكهم إلهاً يحيا بينهم على الأرض وهو من لحم ودم ولكن ينتمى إلى الآلهة فى السماء، هو «حورس بن أوزيريس» يتعالى فى مقامه بحيث لا يجب على فرد الشعب أن يرفع نظره إليه أو يلمس إصبعه جسده المقدس. إلا أن الملك الإله كان يتقيد فى سياسته بتعاليم «ماعت»، «ماعت» هى إلهة رمز إليها المصرى القديم إلى كل المثل العليا التى يجب على الحاكم أن يراها فى تنفيذ سياسته فى الحكم، وهى العدل المطلق والصدق الكامل

والملاحظة والمهارة، والثانى بالأدوية والعقاقير والسحر الذى اعتبر نوعاً من أنواع العلاج النفسى لإتمام عملية الشفاء.

### أبو الهول

يرجح أنه كان فى الأصل تمثالا للملك خع - ف - رع (2616 - 2578 ق.م) وأطلق عليه الإغريق اسم سفينكس. وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة اعتبره المصريون رمزاً للإله حور - أم - أخت (حورماخيس)، وظهر أثناء الحفائر عشرات من الألواح عليها اسم الإله الآسيوى بو حول أو حورون الذى ساواه الآسيويون بالإله المصرى، وتحور اسم بو حول إلى أبى الهول فى اللغة العربية.

وعندما اتصل الإغريق بمصر كان لهذا التمثال نصيب كبير من اهتماماتهم ونظروا إليه كرمز للغموض والأسرار، وكان الناس فى العصرين البطلمى والرومانى يقصدونه للزيارة ونقشوا كثيراً من النصوص على مخابيه يتساءلون عن سره الذى لا يريد أن يبوح به لأحد حتى أصبح اسمه مرادفاً للصمت.

### ألوهية الملك

كانت مصر من الأمم الأولى التى قامت حياة شعبها على التعاون والنظام، وكانت أيضاً أول الأمم التى



والقدمين وبعدها يلفون الجثة بأكملها بكفن يصل طوله إلى مئات الأمتار، ثم يحكمون اللفائف حول الجثة بأشرطة من قماش سميك تتخذ اتجاهات متعارضة، كما كان يتم عقب إخراج المواد الرخوية من الجسم ملء الفجوات داخل الجسم والرأس بمادة صمغية يستخرجونها من خشب الأرز، وكانت تملأ بلفائف من الكتان المغموس في مواد صمغية.

وقد كون المحنطون من أنفسهم طبقة معينة حتمت عليها طبيعة عملها أن تبقى منعزلة عن غيرها، وانقسمت إلى عدة مراتب منها المحنط العادي (أوت) ثم المحنط صاحب الختم والذي كان عليه أن يختم الجثة بعد تحنيطها وقبل البدء في عملية لفها في كنفها، ثم المحنط كاهن أنوبيس، ثم الرئيس العارف بأسرار التحنيط، ثم الكاهن المرتل الذي كان من واجبه القيام بترتيل بعض الصلوات المعينة في كل مرحلة من مراحل التحنيط، وكانت مهمته رئيسية لأنه كان يقوم بأداء الطقوس الجنائزية المتوارثة التي أجريت للإله أوزيريس، واعتقد المصري القديم أن التقصير في أداء تلك التراتيل يهدد صاحب الجثة في حياته الأبدية.

قدراً عظيماً من التقدم خلال عصر الأسرة الثالثة، ومن الأمثلة على ذلك أحشاء الملكة «حتم - حرس» والدة الملك خوفو التي عثر عليها محنطة. ولم يعثر حتى الآن على نصوص تسجل مراحل التحنيط المختلفة، إلا أن المؤرخ هيرودوت سجل وصفاً دقيقاً لهذه المراحل عندما زار مصر في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وقد ذكر أن هناك ثلاثة أنواع من التحنيط، الأولى اتبعت في تحنيط أوزيريس والتي تستخدم في تحنيط الملوك، والثانية أقل تكلفة والثالثة أقل من الثانية. والطريقة هي أن يقوم المحنطون بإخراج المخ من الجمجمة بألة معدنية لها طرف ملتوي، ثم يفتحون الجثة لإخراج ما تحتويه من عناصر رخوة ثم يقومون بغسلها من الداخل بنبيد البلح وسوائل ذات روائح عطرية، ثم يتم ملؤها بمسحوق المر وبمواد أخرى، ثم يقومون بوضع الجثة بكاملها في ملح النطرون لمدة سبعة أيام، وبعدها يغسلون الجثة غسلاً جيداً، ثم يلفونها في قماش الكتان بعد أن يغمسوه في سائل لاصق.

وقد أثبتت الأبحاث صحة ما ذكره هيرودوت، وزيد عليه أن المحنطين كانوا يلفون أصابع اليدين كل على حدة بلفائف رقيقة جداً، ثم يلفون اليدين

## مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة

عقيدة أوزيريس أصبح الملك هو الآخر أوزيريسا يحكم الدنيا الثانية كما حكم الدنيا الأولى، وإذا كان جسده المحنط هو الذي يبقى في الدنيا الثانية فقد اعتقد المصري القديم أن الملك يذهب إلى مكان ما في السماء ليعيش بين مجموعة الآلهة التي تعيش بها.

### التحنيط

عكف المصريون منذ بداية تاريخهم على دفن موتاهم في الصحراء، فكانت هي التي أوحى إليهم بفكرة الخلود بعد الموت فرمالها الجافة وحرارة طقسها جففت جثث الموتى تجفيفاً طبيعياً جعلت الإنسان يرى في الموت نوعاً من الانتقال إلى دنيا ثانية تمتاز بالحركة. ونظراً لاعتقاد المصريين أن المحافظة على الجثة هي الضمان الأول للتمتع بالدنيا الثانية وبالحياة الأبدية فقد لعب التحنيط عندهم دوراً رئيسياً وأعطوه كل عنايتهم وسخروا علومهم وخبراتهم للوصول به إلى حد الكمال. ولا يعرف بالتحديد متى بدأ التحنيط والأرجح أن ذلك يرجع إلى العصر العتيق، وقد بلغ التحنيط

## بولاق أبو العلاء

يُعد حى ”بولاق أبو العلاء“ من أعرق أحياء القاهرة ويقع على الجانب الشرقى للنيل. ومن أبرز العلامات بالحى المبنى الشاهق لوزارة الخارجية ومبنى الإذاعة والتليفزيون. ويسيطر هذان المبنيان على خط السماء والمنظر العام من النيل قبل وكالة البلح الشهيرة. وهناك أيضا مبان ضخمة مثل برجى مركز التجارة العالمى، وبرجى نايل سييتى، والبنك الأهلى المصرى، بالإضافة إلى أسواق تجارية وفنادق كونراد وفيرمونت.

عدة عواصم لمصر، منها الفسطاط التى أنشأها عمرو بن العاص عام 641 م فى فترة الخليفة عمر بن الخطاب على الجانب الشرقى للنيل وعلى النيل مباشرة بمنطقة مصر القديمة الحالية. بعدها أنشئت مدينة العسكر بواسطة العباسيين وظلت عاصمة لمصر من 752 إلى 870 م. أما القطنع فأنشأها أحمد بن طولون بين العسكر وجبل المقطم للشمال الشرقى من مدينة العسكر، وظلت عاصمة لمصر من 868-905 م. وبنى أحمد بن طولون جامعاً كبيراً سُمى باسمه وجواره بيمارستان للعلاج المجانى. بنيت القطنع على جبل يشكر الذى تقول الأساطير المحلية أن سفينة نوح رست عنده. وقد تحطمت مدينة القطنع تماماً فى القرن العاشر الميلادى ثم بنى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهـرة فى القرن العاشر الميلادى حيث كلف قائده جوهـر الصقلى الذى كان أرمنياً، ببناء مدينة القاهرة. وكانت الفسطاط



أ.د. راندا بليغ

أستاذة الآثار المصرية بجامعة المنصورة

randa.baligh@gmail.com

الجميلة. ويقال إن جزيرة الزمالك كانت تحمل اسم بولاق قديماً. ولفهم تطور المنطقة يمكننا أن نعود إلى زمن العصر الإسلامى المبكر فى مصر، وأيضاً إلى عام 1771م حين وقع ما يعرف بالطرح السابع للنيل، حيث زاد معدل الطمى فى منطقة بولاق وخلق مساحة من الأرض بالقاهرة لم تكن متاحة من قبل. فى بداية العصور الإسلامية أقيمت

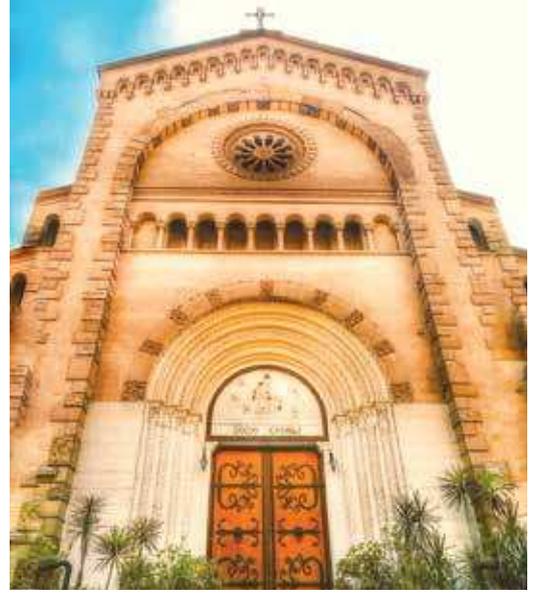
ويحده من الشمال شارع السبتية، ومن الجنوب شارع اسطبلات الطرق، ومن الشرق شوارع سيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور. ومن شوارعه الرئيسية الآن كورنيش النيل وشارع الجلاء، وشارع 26 يوليو (فؤاد سابقاً) وشارع رمسيس (الملكة نازلى سابقاً). ولكن ماذا عن تاريخ تلك المنطقة المهمة بالقاهرة. فنظراً للمتغيرات الجديدة بالمنطقة التى أدت إلى إزالة أجزاء كبيرة منها عند ما يعرف بمثلث ماسبيرو، نستعرض هنا هذه المنطقة ونشأتها وتطورها، والمواقع المهمة بها ونذكر معلومات بسيطة عن المناطق القريبة منها التى اتصلت بها عبر تاريخها حيث إن التقسيمات الإدارية الحديثة لم تكن موجودة وقت إنشاء الحى الذى ظل مرتبطاً بالقاهرة الخديوية أو الإسماعيلية لفترة طويلة.

### نشأة حى بولاق

يأتى اسم بولاق من الفرنسية Beau Lac بمعنى البحيرة



جامع سنَّان باشا بشارع السنانية

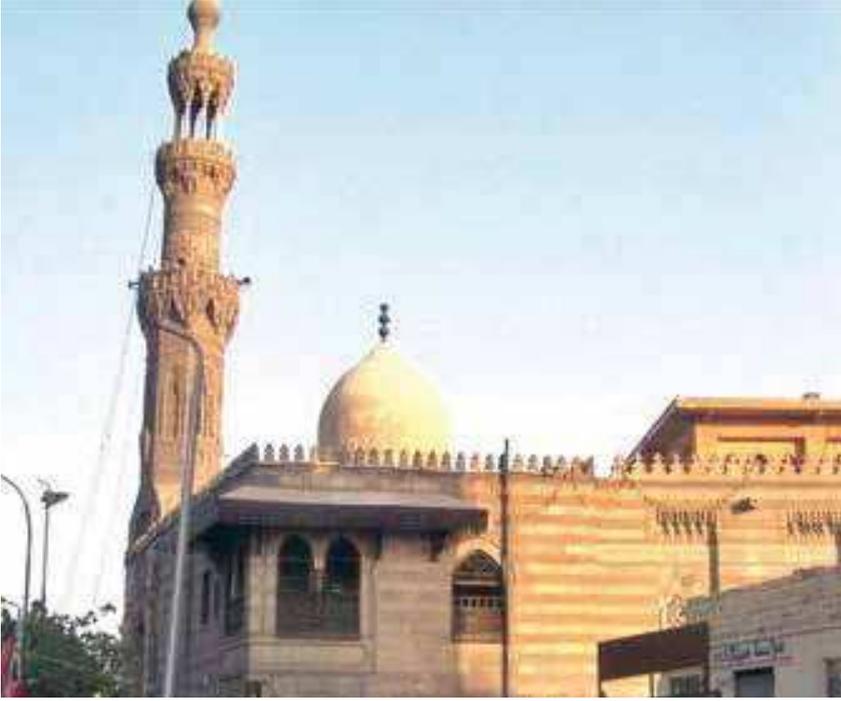


كنيسة العذراء سيدة الكرمل

الفرنسى Marcel Dourgnon والآن أنشأت الحكومة المصرية متحفين كبيرين للآثار هما متحف الحضارة NMEC بالفسطاط على الجانب الشرقى للنيل، والمتحف المصرى العظيم GEM بالجانب الغربى للنيل بالقرب من أهرامات الجيزة، وكلاهما بالقاهرة الكبرى التى تضم كلاً من محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية. ومازالت وزارة الآثار المصرية مستمرة فى إنشاء المتاحف فى كافة أنحاء الجمهورية. أما عن الخديو إسماعيل الذى افتتحت قناة السويس فى عهده، فيستحق أن نكتب عنه فى مقال آخر، فقد كان من أكثر من أضافوا لوضع وأهمية "بولاق أبو العلاء" بعد محمد على، ثم إنه من أكثر من أقاموا إنشاءات خالدة بمصر. فقد شيد الكبارى والقصور والتمائيل والمدن، وحديقة الحيوان بالجيزة. وإليه يرجع الفضل فى تنفيذ أعمال الجانب المصرى بمشروع إنشاء قناة السويس. إلا أن الأعمال الإنشائية التى قام بها ومن ضمنها دار الأوبرا القديمة التى حرق فى القرن العشرين، أدت إلى وضع مصر فى مأزق مالى حرج بسبب الديون المترامية، مما ساهم فى ازدياد النفوذ والامتيازات الأجنبية آنذاك. ولكن تظل منشآته شاهدة على عصر رقى لا ينسى. وقد تطورت المنطقة فى عصر الحملة الفرنسية على مصر بين 1798

الأبكية بقلب العاصمة. ثم نقلت لقلعة صلاح الدين حفاظاً عليها حتى أهدى الخديو عباس حلمى الأول مجموعة الآثار التى كانت آنذاك فى قاعة واحدة بالقلعة، للدوق النمساوى ماكسيميليان. وفى عام 1858م أنشئت مصلحة الآثار المصرية أثناء فترة حكم الخديو سعيد، وأقيم متحف للآثار المصرية بمنطقة "بولاق أبو العلاء" فى 1859م عندما تم اكتشاف كنز إيعح حتب. ثم حدث فيضان عال عام 1878م أغرق محتويات متحف بولاق. وتم نقل القطع لاحقاً فى 1889م لأحد قصور الخديو إسماعيل فى موقع حديقة الحيوان بالجيزة الآن حيث تنازل عنه الخديو للحفاظ على الآثار. ونذكر اثنين من علماء الآثار الفرنسيين الأوائل ساهما فى إنشاء مصلحة الآثار والحفاظ على الآثار ودراستها، وهما Auguste Mariette الذى أعطى لقب باشا وكان أول حرف فى اسمه "M" يزين سور المتحف الحالى بالتحريير حتى وقت قريب، كما نقلت رفاته لحديقة المتحف المصرى بالتحريير، و Gaston Maspéro الذى أعطى اسمه للشوارع والمنطقة حول مبنى الإذاعة والتليفزيون. ثم جاءت الآثار المصرية مرة أخرى إلى مقر الأنتيكانة بالتحريير أو ميدان الإسماعيلية قديماً، فاستقرت بالقرب من أول موقع جمعت فيه. وقد صمم متحف التحريير بواسطة المهندس

أقرب عواصم مصر الإسلامية للنيل وكان الميناء حينئذ فى المنطقة المعروفة بأثر النبى بالقرب من فم الخليج بمنطقة جنوب القاهرة. وقد بنيت جميع العواصم للشمال أو الشمال الشرقى من العواصم الأقدم حيث إن الرياح السائدة هى تلك القادمة من البحر المتوسط بالشمال حتى لا تتنفس المدينة الجديدة هواءً ملوثاً من العواصم الأقدم. وقد ظل هذا التقليد سارياً لوقتنا الحالى حين بنى مصر الجديدة للشمال من القاهرة الخديوية أو حى الإسماعيلية نسبة للخديو إسماعيل كما كان يعرف، وحتى التجمع الأول إلى الخامس والعاصمة الإدارية الجديدة. ونظراً لامتداد العمران دخلت العواصم الثلاث الأولى لمصر الإسلامية ضمن مدينة القاهرة. ويلاحظ أن أغلب العواصم لم تبني على النيل مباشرة. وكانت هناك موانئ نيلية مهمة، منها منطقة فم الخليج حيث كانت بداية القناة التى شقت منذ عصر الأسرة الثانية عشرة الفرعونية لوصول البحر المتوسط بالأحمر عن طريق فرع من فروع النيل. وكان هناك ميناء آخر مهم عند بولاق بالقرب من وكالة البلح. ولمتاحف الآثار المصرية تاريخ مرتبط بمنطقة "بولاق أبو العلاء"، فقد أنشئت هيئة الآثار 1835م على يد محمد على باشا. بعدها وضعت الآثار لفترة فى متحف صغير عند بحيرة



جامع السلطان أبو العلاء

المصريين المهتمين بالثقافة الإيطالية بمقر القنصلية الإيطالية، ومعهد دانتي أليجيري منذ سنوات)، ومصلة الكيمياء والجمعية المصرية للحشرات، ونادى القضاة، ونقابة الصحفيين بشارع عبد الخالق ثروت، فضلاً عن باب الحديد ومصلة الواورات.

ونظرًا لوجود الميناء النيلي المهم للعاصمة ببولاق بعد أن أخذ أهمية أكثر من ميناء أثر النبى، لذا كثرت الأسواق بمنطقة "بولاق أبو العلاء". وانتشرت الجاليات الأجنبية بالقرب من الميناء. وكان شارع رمسيس الحالى تقطعه قناة مياه. وكانت فترة الازدهار بالمنطقة التى تقع حول منطقة القاهرة الخديوية وشارع رمسيس والجلاء، بين النصف الأخير للقرن التاسع عشر، للنصف الأول من القرن العشرين.

### شارع 26 يوليو

يُعد من أهم الشوارع بـ"بولاق أبو العلاء" ويبدأ من حديقة الأزبكية، ويمر ببولاق ثم يعبر حاليًا النيل ويقطع جزيرة الزمالك ثم المهندسين، ويستمر كمحور 26 يوليو ليصل إلى مدينة 6 أكتوبر. الأهم أن اسمه فى الأساس كان شارع بولاق حيث إنه الشارع الذى كان يصل بولاق بالقاهرة الخديوية وجعل بولاق من أحياء القاهرة الرئيسية

لاسيما عندما أنشئت مصلحة الواورات أى السكك الحديدية.

وامتدت العمارات الفخمة والمباني على طول الطريق من الأزبكية لبولاق، مثال عمارة الجندول للموسيقار الشهير محمد عبد الوهاب التى أقامها فى مكان بار سان جيمس الذى كان الشاعر أحمد شوقى يرتاده، وعمارة شيكوريل التى أقيمت فى موقع بار الحلوانى الشهير آنذاك، "صولت". وكان بار صولت وبار المحروسة بمحاذاته، ملتحق الوجهاء أمثال عائلات المانسترلى ويكن، بالإضافة لبار بطرسبرج بالجهة المقابلة. كما أقيمت عدة فنادق ضخمة مثل فندق جراند هوتيل، وكلاريدج، وإيدن، وجلوريا، وكارلتون. وأقيم مبنى دار القضاء العالى، وأمامه عمارة كبيرة فخمة مزخرفة بزخارف جصية وقباب تعرف بعمارة لاجيفواز. وأقيم بالمنطقة سوق التوفيقية خلف دار القضاء العالى. أما عن شارع رمسيس ويعتبر على أطراف حى "بولاق أبو العلاء"، فكان به مقر الإسعاف، والجمعية المصرية للدراسات السياسية، وجمعية الشبان المسلمين، ومعهد الموسيقى العربية، ومعهد ليوناردو دافنشى للفنون والعمارة (افتتحت مدرسة ليوناردو دافنشى ببولاق للطلبة

و1802م، فبنى مهندس الطرق والكبارى الرئيسى بالحملة المعروف بـ Lepère طريقًا مستقيمًا بين الأزبكية وبولاق يمر على قنطرة المغربى التى كانت تعلق خليج الطويلة أو الخليج الناصرى القديم. وقد نمت المنطقة وازدهرت وصارت المركز التجارى والمالى للعاصمة فى فترة حكم محمد على الكبير بالقرن التاسع عشر. فقد أمر محمد على بتوسيع وتطوير الطريق لبولاق، وأنشأ بها ترسانة لبناء السفن إبان الحملة ضد الوهابية، كما أنشأ أول مطابع فى الشرق المعروفة بالمطبعة الأميرية ببولاق. وبنى المصانع والمسالك بالمنطقة الصناعية بالسبتية، كما أنشأ الدواوين فى المسافة بين بولاق وشبرا على النيل. ومن أهم ما أنشأ بها مصنع للورق كصناعة مكملة لاحتياجات المطابع الأميرية، ودار لسبك الحروف المعدنية بالمنطقة، فصارت جاذبة للمطابع وأنشئ بها حى الصحافة ببولاق إذ نجد مقر الجرائد اليومية الأساسية التى أمتت فيما بعد، كمباني جرائد الأهرام وأخبار اليوم والمساء. وأضيفت مدرسة صناعية ومسكن للمهندسين، بالإضافة لمصنع أقمشة كبير عرف بالمبيضة، حيث كان تبييض الأقمشة يتم باستخدام طرق حديثة آنذاك. وكثرت المصانع والمكابس بالحى الذى شهد عصره الذهبى بين فترة حكم محمد على، والخديو إسماعيل وخلفائه. ففى عصر الخديو إسماعيل تم ربط الإسماعيلية بحى الإسماعيلية من ميدان التحرير آنذاك، لشارع سليمان باشا وشريف (وكان يعرف بشارع المدابغ)، عن طريق شارع بولاق أو 26 يوليو الحالى. وفى عصر الخديو إسماعيل بدأ إنشاء كوبرى بولاق ليصل بولاق بالزمالك. وقد افتتح كوبرى "بولاق أبو العلاء" الذى اشتهر بكوبرى "أبو العلاء" فى 1912م أثناء فترة حكم الخديو عباس حلمى الثانى حفيد الخديو إسماعيل. وساهم الكوبرى ووسائل المواصلات كالترام فى ازدهار منطقة بولاق،

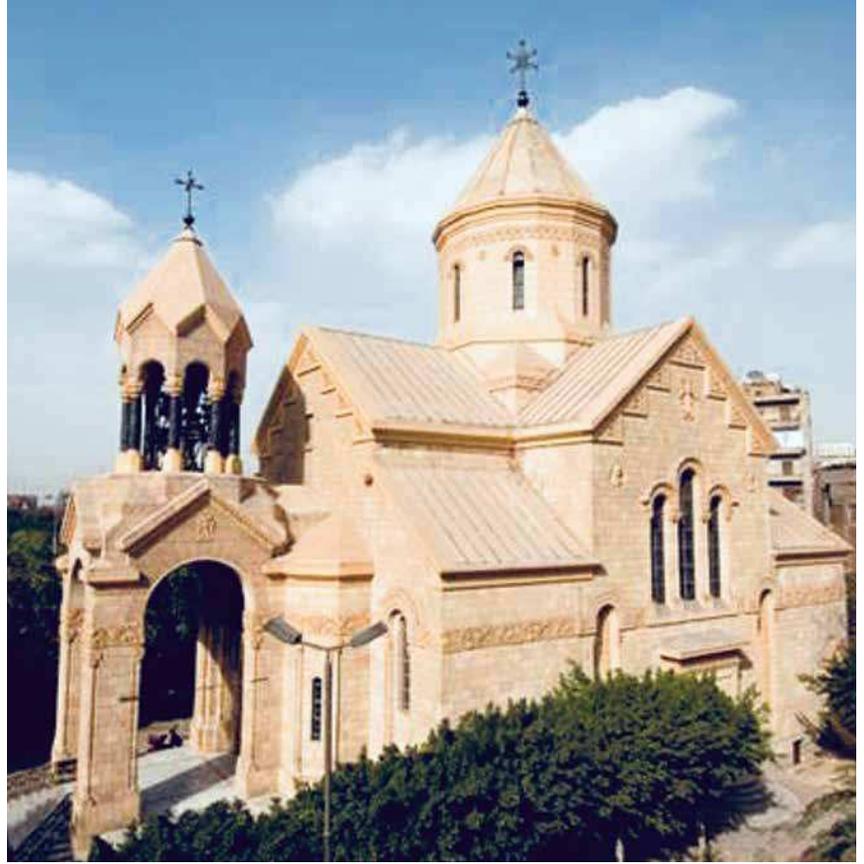
من النيل. وقد بنى الكوبرى القديم جنوب الكوبرى الحالى وكان يصل بين إمبابة بالبر الغربى وروض الفرج بالبر الشرقى للنيل ببولاق. وكان طول كوبرى إمبابة فى 1890 حوالى 490 متراً، تم نقل حوالى 170 منها لإنشاء كوبرى عبر النيل بدمياط. بعد أن تم فك كوبرى إمبابة القديم. وكان كوبرى إمبابة القديم يتكون من ست وصلات متصلة، ووصلة واحدة تتحرك على حاملها لتسمح بمرور المراكب المرتفعة. وكان عرض كل فتحة حوالى 21.5 متر. وكان هناك خط قطار واحد بالكوبرى القديم يحيط به من الجانبين ممران للسيارات والمشاة. وقد بدأت شركة مقاولات فرنسية فى بناء الكوبرى الحالى حوالى 1913م، ثم تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى، واستأنفت العمل حيث تم افتتاح كوبرى إمبابة الجديد فى 1925م. وكان أكبر ويتحمل أوزاناً أكبر للقطارات وبه خطان للقطارات وخطان للسيارات وخطان منفصلان للمشاة.

### كوبرى دمياط

عندما ظهرت الحاجة لبناء كوبرى ليصل بين شقى دمياط تم نقل بعض أجزاء من كوبرى إمبابة الذى تم تفكيكه إلى دمياط. وبنى كوبرى دمياط بين 1927 و1929م وأضيفت له أجزاء جديدة كمرات إضافية للمشاة. واحتوى كوبرى دمياط القديم على الجزء المتحرك لكوبرى إمبابة مع حوالى ثلاثة أجزاء أخرى. وقد بيع كحديد خردة لمقاول فى التسعينات من القرن العشرين مقابل 70.000 جنيه مصرى. وتنبه محافظ دمياط آنذاك لذلك وهو مهندس معمارى، فأعاد الكوبرى ثم قام بتصميمه ليكون امتداداً للمكتبة العامة بدمياط وفيه قاعات اجتماعات ومؤتمرات وكافيتريات ليكون بمثابة مركز ثقافى وحضارى. وللأسف تم إهماله بعد 25 يناير وبانتظار أن يعاد تأهيله.

### مدرسة كالوسيديان الأرمنية

انتقلت مدرسة كالوسيديان الأرمنية لمنطقة بولاق على شارع الجلاء بالقرب من مطلع كوبرى أكتوبر الحالى بالتحريك فى 1907م، واحتلت مساحة كبيرة هناك حتى بيعها وهدمها فى



كنيسة الأرمن الأرثوذكس بشارع رمسيس

الكوبرى كحديد خردة فى تسعينيات القرن العشرين مما أثار موضوع ضرورة الحفاظ عليه كأثر. وظل كوبرى ”بولاق أبو العلاء“ يربط بين الزمالك وبولاق منذ 1912 حتى 1998م عندما تم تفكيكه. وهو يرقد الآن مفكوكاً على كورنيش النيل أسفل كوبرى الساحل حيث تم استبداله بكوبرى 15 مايو. ولا يزال كوبرى ”أبو العلاء“ فى انتظار إعادة إقامته على البر ليكون مركزاً ثقافياً وملتقى للفنانين على غرار كوبرى دمياط الذى أعيد استخدامه كمركز ثقافى، ثم أهمل بعد يناير 2011، وفى انتظار إعادة تأهيله للقيام بدوره الثقافى بمحافظة دمياط.

### كوبرى إمبابة

أما كوبرى إمبابة القديم الذى صممه إيفل وبنى حوالى 1890/1892م، فكان أول كوبرى يسمح بمرور القطارات فوقه بين القاهرة والجزيرة حيث يبدأ خط قطارات الصعيد، كما تم وصل بولاق بالجزيرة عن طريق ترام كان يعبر للجانب الغربى

التجارية والصناعية. بعدها عرف باسم شارع فؤاد. وكان الملك فاروق يمر كثيراً فى مواكب سيارات مكشوفة فى هذا الشارع المتسع الفخم من النيل للأزبكية.

### كوبرى ”أبو العلاء“

وهو كوبرى معدنى كان يصل جزيرة الزمالك بمحافظة الجيزة. تم تصميمه وإنشائه بواسطة المهندس الفرنسى النابغة ألكسندر جوستاف إيفل (1832 - Alexandre Gustave Eiffel - 1923م)، الذى صمم برج إيفل وصار رمزاً لمدينة باريس، وتمثال الحرية الذى صار رمزاً لمدينة نيويورك الأمريكية. وقد صمم إيفل الذى اشتهر بمنشآته المعدنية، كوبرى ”بولاق أبو العلاء“ وكوبرى إمبابة (حوالى 1892/1902م) الذى تم نقل جزء منه لدمياط وعرف بكوبرى دمياط، بالإضافة إلى عدد من الفنارات المعدنية أشهرها فنار البرلس. وكان كوبرى ”أبو العلاء“ يفتح من أعلى لمرور المراكب العالية التى كانت تبحر من أقصى جنوب مصر للشمال. وقد بيع



مستشفى الجلاء التعليمي

يناير 2011م، وذلك للدور البارز الذي تلعبه الإذاعة. وقد بنى المبنى الحالي بين أغسطس 1959م وتم افتتاحه في 21 يوليو 1960م. ويقع موقف الأتوبيس النهري الرئيسي بالعاصمة أمام مبنى الإذاعة والتليفزيون بشارع ماسبيرو. ويعود هذا لاسم عالم الآثار الفرنسي الشهير جاستون ماسبيرو الذي كان رئيساً لمصلحة الآثار المصرية. أما الإذاعة فكانت سابقة للتليفزيون، وظلت لسنوات تصل لأبعد المناطق وأبسط الفئات حيث كان الكثير من البسطاء يعتمدون عليها، خاصة بعد ظهور وانتشار الراديو الترانزيستور الذي كان يوفر المعلومات الأساسية والترفيه لكافة فئات الشعب. واشتهرت الإذاعة ببث حفلات كوكب الشرق أم كلثوم في الخميس الأول من كل شهر، كما اشتهرت ببرامج كثيرة مثل "من الجاني"، و"أغاني وعاجباني"، و"كلمتين وبس" للفنان الراحل فؤاد المهندس الذي كانت شقيقته السيدة صفية المهندس، رئيسة للإذاعة المصرية.

### مبنى وزارة الخارجية

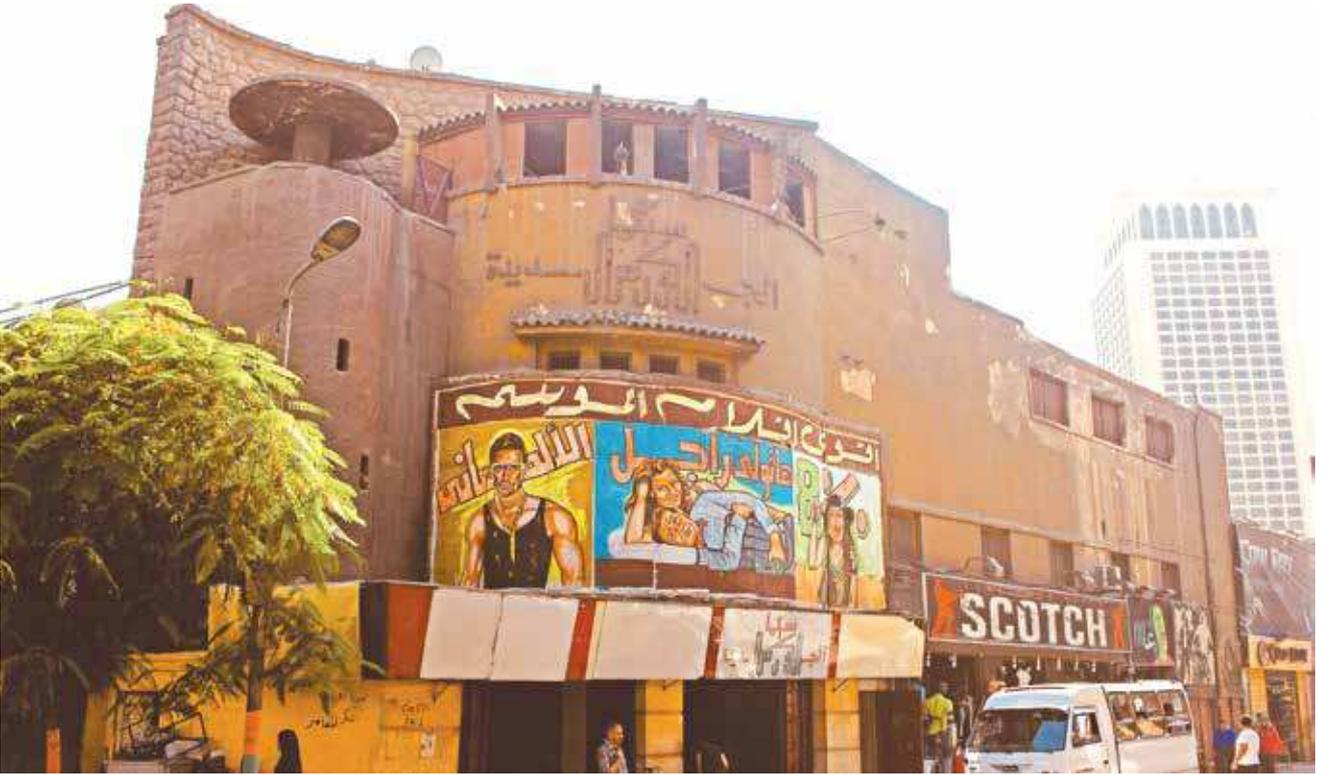
يُعد مبنى وزارة الخارجية ببولاق هو أحدث مقارها حيث تنقلت بين ميدان الإسماعيلية أو التحرير، ثم شارع النيل بالجيزة بالقرب من كوبري عباس، إلى أن انتقلت للمقر الحالي ببولاق الذي تم افتتاحه في 1994م بعد أن قامت شركة المقاولون العرب بتنفيذه. وهو مبنى شاهق الارتفاع من الأسمنت مقام على 4800 متر مربع

بمعرفتهم لعدة لغات مما كان يفيدهم كثيراً في سوق العمل بعد التخرج. ولاحقاً بنيت حضانة تابعة للمدرسة بشبرا. وكانت المدرسة تفخر بنسبة تخرج مائة بالمائة بين الطلاب، كما كانت نسبة المعلمين للطلاب بها حوالي 1 لـ 12 لضمان جودة التعليم. واشتهرت المدرسة بأنشطتها المختلفة الخارجية. وفي السبعينيات من القرن العشرين بنى جزء من كوبري 6 أكتوبر بالتحرير على موقع المدرسة، مما أدى لهدم المبنى الأساسى للمدرسة، وظل مبنى ثانوى وجزء من الملعب الرئيسى أو فناء المدرسة. ومؤخراً بين 2017 و2018م، تم هدم الجزء المتبقى من المدرسة ببولاق ضمن عمليات التطوير وإزالة العشوائيات بمنطقة مثلث "بولاق أبو العلاء" التي قامت بها محافظة القاهرة بالتعاون مع صندوق تطوير العشوائيات بوزارة الإسكان. وقد حظيت المنطقة بنصيب من العشوائيات كان من ضمنها عزبة القروذ التي أزيلت في الثمانينات من القرن العشرين، وعشش الترجمان. فتاريخياً نعلم أن اسطبلات الطرق كانت مقامة للجنوب من مبنى وزارة الخارجية الحالي ببولاق بشارع اسطبلات الطرق، وبها أيضاً مقر جمعية الرفق بالحيوان.

### مبنى الإذاعة والتليفزيون

يعود المبنى للسبعينيات من القرن العشرين. وتكفل معماره المميز وبرج الإذاعة بجعله من معالم القاهرة، وكان التليفزيون يعتبر بمثابة نافذة على العالم، لذلك كان البرنامج المعروف باسم "نافذة على العالم" من أقدم برامج. وقد استمر التليفزيون بقناته الأساسية لسنوات كثيرة مهيمناً على الإعلام، حتى انتشرت القنوات الخاصة والفضائيات بأنواعها. وأضيفت قناة الثالثة في حقبة الثمانينات من القرن العشرين، تلتها عدة قنوات أخرى للدلتا والصعيد والإسكندرية حتى صار عددها ثمانى قنوات. وكانت القنوات تعمل في مواقت محددة، ثم يفصل الإرسال ويظهر تشويش على الشاشة حتى الصباح حين كانت القنوات تفتتح بتلاوة القرآن الكريم قبل بث البرامج المتنوعة. وقد اهتمت القيادة السياسية بتأمين مبنى الإذاعة والتليفزيون، لاسيما في

الألفينات من القرن الحادى والعشرين. وكان مقر البطريركية الأرمنية بها لوقت طويل بعد إنشائها. ووقت يناير 2011م تم نقل الطلبة منها إلى مدرسة كالوسيديان نوباريان الأرمنية بمصر الجديدة نظراً للاعتبارات الأمنية ولوقوع المدرسة بالقرب من ميدان عبد المنعم رياض. وهناك صورة للمبنى الرئيسى للمدرسة ببولاق فى 2008م. ويعود تاريخ المدرسة إلى 1854م عندما تم إنشاؤها كروضة أطفال ومدرسة للمرحلة الابتدائية فى البداية، وكانت مرتبطة بالدراسات الإكليريكية وملحقة بإحدى كنائس الجالية الأرمنية. وحملت فى الأول اسم مدرسة خورينيان على اسم مؤسسها المؤرخ موسيس خوريناتسى. وفى 1897م حملت اسم مؤسسها جاربند آغا كالوسد، فصارت تعرف بمدرسة كالوسيديان. وتبرع نوبار باشا وهو أرمنى الأصل، بمعظم أراضى المدرسة الأرمنية بموقع بولاق المركزى فى قلب المدينة بالقرب من المتحف المصرى بالتحرير. ويستحق نوبار باشا وقفة خاصة حيث كان رئيساً لوزراء مصر لثلاث فترات ما بين 28 أغسطس 1878 و12 نوفمبر 1895م، وكان أول رئيس نظار أو رئيس وزراء فى عصر الخديو إسماعيل. كان نوبار باشا يمتلك أراضى متنوعة بمصر تربو على 2060 فداناً. وكان الهدف من بناء المدرسة هو عمل مدرسة للجالية الأرمنية يدرس فيها الأرمن لغتهم وتاريخهم ويشبعون فيها عاداتهم حتى يحتفظوا بهويتهم وتراثهم الذى يعتزون به كثيراً، مع اشتهارهم بوطنيتهم المصرية فى الوقت ذاته. وكان الانضمام للمدرسة يعتمد على إثبات الأصل الأرمنى على الأقل من جانب أحد الوالدين. وكانت الدراسة باللغة الإنجليزية والفرنسية والأرمنية والعربية، ولغات أخرى أوروبية كلغات إضافية. واستمرت المدرسة فى التطور حتى وصلت للمرحلة الثانوية وكانت تعد الطلاب للدراسة بالجامعات المصرية. وكان بها مقررات للمواد الاجتماعية لتأهيل الطلاب. ولذلك اشتهر الأرمن



### سينما الكورسال على بابا

مترو الأنفاق. وكانت سينما على بابا أو الكورسال تتميز بإعلانات أو "أفيشات" الأفلام المرسومة بألوان صارخة ورسم رديء، كما كانت تقدم أفلامًا من مواسم سابقة. وقد قام النجم السينمائي أحمد مكي بعمل فيلم أسماه "سيما على بابا" وهو مقسوم إلى قصتين وفيلمين مختلفين في إشارة صريحة لآخر سينما ترسو في مصر حيث كان العرض يقدم على الأقل فيلمين بنفس التذكرة، وأحيانًا ثلاثة أو أربعة أفلام بنفس الحفلة. وقبلها كانت سينما فاتن حمامة وبعض سينمات المحافظات تقدم مثل تلك العروض. إلا أن إزالتها خسارة لمعمارها المميز ولكنها جزءاً من التراث السينمائي بمصر حيث يسمح للبسطاء بالترفه، كما كان استهلاك الطعام والشراب وحتى السجائر مسموحًا به بشكل أكبر لمرتابيها.

#### المطابع الأميرية

أنشأ محمد على الكبير المطابع الأميرية ببولاق في 1820/1821م، بعد أن أرسل بعثة إلى ميلانو بإيطاليا في 1815م تحت رئاسة نيقولا المسابكي، لتعلم أساليب الطباعة. وأنشئت المطابع الأميرية بـ"بولاق أبو العلاء" وكان

اسمًا مثل "ميناء البصل" بالإسكندرية يدل على أن محصول البصل كان يصدر من هذا المكان في فترة زمنية معينة فسمى المكان باسمه. وكان هناك فيلم سينمائي شهير باسم "وكالة البلح" بطولة نادية الجندي ومحمود ياسين من إنتاج عام 1982م عن قصة لأديب جائزة نوبل نجيب محفوظ وإخراج حسام الدين مصطفى. وتعرض لصراعات كبار التجار بالوكالة، ثم محاولاتهم للاتفاق على تحديد أسعار بعض السلع.

#### سينما الكورسال - على بابا

أنشئت سينما الكورسال في أربعينيات القرن العشرين بواسطة بعض الأجانب. وكانت من أقدم وأكبر السينمات بمصر إذ كانت تسع حوالي 700 فرد. وأقيمت بشارع 26 يوليو وكانت تذكرتها بـ 2.5 قرش. وكانت تحمل لقب "آخر سينما ترسو" في مصر، مع العلم بأن ترسو من اللفظة الإيطالية "ترتزو" بمعنى ثلاثة، أي درجة ثلاثة، وعلماً بأن الدرجة الأولى بالإيطالية هي "پريمو" أي واحد. ثم تحولت سينما الكورسال إلى سينما على بابا. وللأسف فقد أزيلت سينما على بابا مؤخرًا في 2018/2017م ضمن أعمال إقامة خط

بارتفاع 143م، و42 طابقاً، منها 39 فوق مستوى الأرض، وفوقه مهبط للطائرات الهليكوبتر بأعلى المبنى. وقد أقيم المبنى بالمنطقة التي كانت تعرف بـ"الحطابة". ويحتوي على أشكال زخرفية على هيئة زهرة اللوتس وهي من الرموز الفرعونية المعروفة، حيث كانت زهرة اللوتس تصور على جدران المقابر والتوابيت واللوحات والمتوفى يستنشقها كدليل على البعث وكأنه يعيد بها روحه وحياته.

#### وكالة البلح

تعتبر وكالة البلح من أشهر معالم بولاق. وتبدأ بعد مبنى وزارة الخارجية على كورنيش النيل، وتمتد للداخل في عدد من الأزقة والحواري الضيقة حيث يباع فيها كل شيء تقريباً، وإن اكتسبت شهرتها الحالية من بيع الأقمشة والماني فاتورة بأنواعها، والحديد الخردة وقطع غيار السيارات، والملابس المستعملة. ولا يعرف أحد بالمنطقة تاريخها بالتحديد، لكن وجودها بهذا المكان كان مرتبطاً بالميناء النيلي. ففي كتابة التاريخ يعتد المؤرخون دائماً بالتراث الشفهي وبأسماء الأماكن، فالاسم في حد ذاته قد يدل على أشياء كثيرة. فمن المؤكد أن

فضلاً عن المدرسة الإيطالية بمقر القنصلية، ويقال إن شارعاً بمنطقة القنصلية عرف بشوارع المدرسة الإيطالية. وكان هناك عدد كبير من التجار الإيطاليين بالمنطقة، لذا كثرت الكنائس اللاتينية بالمنطقة. ومن ضمنها كنيسة ودير العذراء جبل الكرمل للرهبان الفرنسيين كان بشوارع الوابور الفرنسيين المتفرع من شارع 26 يوليو أمام السينما القديمة (على بابا)، وكنيسة كور دو إيسوس ساكروم بشوارع عبد الخالق ثروت. وكان هناك عدد من المدارس كذلك حيث كان عدد الجالية حتى خمسينيات القرن العشرين حوالى 3600 نسمة. إلا أن الاعتداء الإرهابى 11 يوليو 2015م أدى لانسحاب الإيطاليين من المنطقة وإغلاق النادى الاجتماعى والمعهد. ولم يبق الآن سوى مدرسة الفرنسيين سكان بميدان التحرير وشارع محمود بسيونى وكانت مرتبطة بالإيطاليين أيضاً لكون الرهينة الفرنسية إيطالية المنشأ. وقد اشتهر المركز الترفيهى أو النادى الإيطالى الذى أغلق بمطعم من أفضل مطاعم مصر، وكان يؤمه عليه القوم والممثلون بجانب أفراد الجالية الإيطالية مما كان يضيف رونقاً على المنطقة بأسرها.

### الكنيسة الإنجليزية بالإسعاف

اللافتة الموضوعية على الباب تحمل اسم "الكنيسة الإنجليزية بالإسعاف"، لكن البعض بالمنطقة يعرفونها ككنيسة سانت جوزيف أو القديس يوسف. ويقال إنها وقت إنشائها كانت تخدم الفرنسيين والألمان الإنجليين، إلى أن استقل الألمان الإنجلييون بكنيسة منفصلة. وقد بنيت فى 1913م وتجددت فى 2003م. وقد ظلت الكنيسة حتى 1975م فى خدمة الجالية الفرنسية، حيث بنيت بالطوب الأحمر وبطراز معمارى له جزء علوى مثل الشكل الهرمى أو الجمالونى المدبب ككنائس فرنسا وسويسرا. ولكن مع انحسار الجاليات الأوروبية فقد خصصت الكنيسة لخدمة المصريين الإنجليين مؤخراً. وتعد فى معمارها وقلة زخارفها من أبسط الكنائس المتبقية بالمنطقة، كما أن الطائفة لا تتبع نظام الكهنوت ولا يرتدى القساوسة زياً محدداً بل يرتدون



إحدى المركبات الملكية بمتحف المركبات الملائق لوزارة الخارجية

يقع فى شارع عدلى، معبد "شعار ها شمائم" أو بوابة السماء، حيث بنى هذا المعبد فى 1899م فى موقع مركزى وراق بقلب العاصمة بتمويل من عدة عائلات يهودية كبيرة. وكان معبداً لطائفة الربانيين السفرديم. وكان يوسف أصلان قطاوى باشا من أكبر المساهمين كما تدل لوحة بداخل المعبد. وكان قطاوى باشا وزيراً للمالية فى أوائل القرن العشرين بحكومة زيور باشا. وقد ساهم بدرجة كبيرة فى إرساء قواعد بنك مصر مع طلعت حرب، كما قام بدور كبير فى كتابة دستور 1923م. وقد زخرف المعبد بشعار النخلة المثمرة التى قيل إنها تمثل شجرة الحياة وهى من الرموز الأساسية ليهود الشرق. أما النجمة السادسة التى يطلق عليها نجمة داوود فلم تنتشر كثيراً إلا فى القرن العشرين، بينما كان شعار الـ "مانورا" أو الشمعدان المميز هو الأكثر انتشاراً. والآن قد تقلص عدد طائفة اليهود الذين لم يغادروا مصر لحوالى ست سيدات مسنات تبعاً للقائمين على الطائفة، وما زال أفراد الطائفة من المصريين يمارسون فيه الشعائر بينما يذهب أغلب اليهود غير المصريين لمعبد المعادى.

### الجالية الإيطالية فى بولاق

ارتبطت منطقة "بولاق أبو العلاء" بالإيطاليين، فكان بها مقر القنصلية الإيطالية، والنادى الإيطالى،

## بولاق أبو العلاء

أول إنتاجها قاموس مصرى إيطالى صدر فى 1822م. واشترى الخديو اسماعيل الطابعة وعادت للدولة فى عصر الخديو توفيق. وبعد ثورة 1952م قام الرئيس عبدالناصر بإنشاء الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية فى 1956م وألحقها بوزارة الصناعة. ومن أهم إصداراتها الجريدة المصرية التى تحتوى على التشريعات والقوانين وتصدر كل خميس، وجريدة الوقائع المصرية، أقدم الجرائد الحديثة وتصدر يومياً عدا يوم الجمعة والعطلات الرسمية. وقد أنشأت الهيئة مبنى حديثاً فى الجهة المقابلة بالنيل بمنطقة الوراق فى إمبابة، كما أن الطابعة الأثرية معروضة الآن بمكتبة الإسكندرية. ونظراً لوجود مصانع الورق والطباعة وغيرها من الصناعات المكتملة للطباعة ببولاق، فقد استمرت المنطقة فى اجتذاب المؤسسات الصحفية مثل جرائد الأهرام وأخبار اليوم. وحالياً يوجد المبنى الرئيسى للهيئة المصرية العامة للكتاب على كورنيش بولاق بجوار فندق كونراد، كما أن دار الكتب والوثائق المصرية ملاصقة تماماً لهيئة الكتاب حيث كانت دار الكتب والوثائق تابعة لهيئة الكتاب حتى عام 1993م.

### المعبد اليهودى



المعبد اليهودى بشارع عدلى "شعارها شماميم"



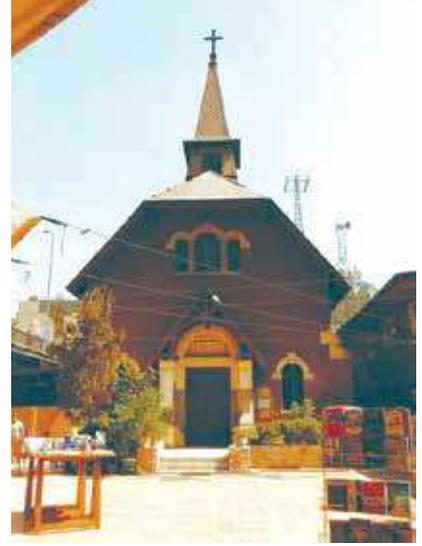
سوق الأقمشة بوكالة البلح

لبناء كنيسة. وقد قام الأمير فريدريك ويلهلم بوضع حجر الأساس للكنيسة التي كانت بشارع المغربى قبل أن يصبح الإمبراطور فريدريك الثالث. وفى 1907م قامت الطائفة الإنجيلية البروتستانتية ببناء تلك الكنيسة ومعها مدرسة ومسكن، وبدأت الصلاة بها منذ 1911م. ومؤخراً فتحت الكنيسة أبوابها للاجئين الأفارقة. وتتكون الكنيسة من أربعة طوابق، بالطابق الثانى منها أرغن كبير أثرى. وتتميز الكنيسة بعشر نوافذ من الخشب والزجاج الملون، وعشر دوائر زجاجية ملونة بالسقف. وعند الباب الداخلى تمثالان عند أعمدة،

والمساعدة فى حل المشاكل، وغيرها من الخدمات للاجئين. ويرجع مبنى الكنيسة لعام 1908م وهى أيضاً كنيسة صغيرة الحجم مثل الكنيسة المقابلة البروتستانتية أيضاً ولكن بها حديقة أكبر تقلصت كثيراً بسبب العمران.

#### الكنيسة الإنجيلية الألمانية

بالقرب من مبنى جريدة الأهرام بشارع الجلاء وعنوانها 2 شارع الجلاء. فى عام 1869م منح الخديو إسماعيل قطعة أرض بشارع المغربى، وهو شارع عدلى الآن، للألمان والسويسريين الذين استقدمهم لمشروع قناة السويس،



الكنيسة الإنجيلية بالإسعاف

الملابس العادية.

#### مطرانية الأرمن الكاثوليك

هناك مطرانية لطائفة الأرمن الكاثوليك فى 36 شارع صبرى أبو علم بحى عابدين. بنيت الكنيسة فى 1926م ثم تم عمل تجديد لها عام 2002م. ويقوم المطران الحالى كريكور كوسا بعمل صلاة سلام بصفة شبه دورية لكل الديانات والطوائف ويحضرها عدد من مشايخ الأزهر وممثلون عن الطوائف المسيحية الأخرى. وكانت هناك مكتبة كبيرة بالمطرانية تم نقلها لكنيسة الأرمن بمصر الجديدة لصعوبة ركن السيارات فى وسط المدينة.

#### كنيسة سان أندروز

أو القديس أندراوس المتحدة بالإسعاف، وتقع فى 38 شارع 26 يوليو عند تقاطعه مع شارع الجلاء ومحطة مترو عبد الناصر. وتتميز باستقبالها لكل الطوائف والجنسيات بترحاب للتعبد. وهى مرتبطة بكنيسة إسكتلندا واللغة الغالبة عليها هى الإنجليزية وهى لغة القديس الرئيسى الذى يعقد صباح الجمعة فى العاشرة. وتركز الكنيسة منذ عام 1978 تقريباً على مساعدة اللاجئين وتقيم معارض دورية بمقرها لمنتجات اللاجئين وأشغالهم اليدوية لحوالى خمس مجموعات مختلفة، منهم السودانيون والنيجيريون والعراقيون. وتشمل رعاية اللاجئين تعليم الأطفال وتوفير وجبة للأطفال ولبن، ومساعدة الكبار فى عمل منتجات لبيعها

## بولاق أبو العلاء



كوبرى إمبابة



مدرسة الفرانسيسكان بالتحيرير

أحدهما للقديس فيليب ميلانشتون الذى بنى كثيرًا من المدارس الألمانية لمن لا يملكون الإمكانيات للتعلم، والآخر لمارتن لوثر مؤسس الطائفة الإنجيلية والذى نادى بإصلاحات دينية.

### كنيسة العذراء جبل الكرمل

وتقع بشوارع الوابور الفرنساوى (رقم 7) المتفرع من شارع 26 يوليو، وبها مبنى ملحوق للرهبان الفرانسيسكان، وهى طائفة إيطالية الأصل كاثوليكية المذهب أنشأها القديس الإيطالى فرانسيس الأسيزى فى القرن الثالث عشر الميلادى. أنشئت الكنيسة بين 1926-1929م بواسطة الجالية المالطية التى كانت مقيمة بـ"بولاق أبو العلاء"، وهى تتبع كنيسة روما ويشرف عليها الآباء الفرانسيسكان. كانت اللغة السائدة بها هى الفرنسية حتى عام 2003م. بنيت الكنيسة على شكل صليب وبها 39 عاموداً، عدد الضربات التى تلقاها المسيح. وفى 2003م بدأت الصلاة فيها أيضاً بالعربية للأقباط الكاثوليك، وتعد من أكبر وأفخم كنائس بولاق ويدل حجمها ومعمارها والرخام الكثير المستخدم على ثراء ونفوذ الجالية الإيطالية فى مصر، خاصة بولاق، فى أوائل القرن العشرين.

### كنيسة الروم الأرثوذكس

بجوار مبنى الأهرام، كنيسة كونستانتين (قسطنطين) وهيلينا، وتتميز بطراز معمارى فريد وزخارف كثيرة وبها برج ساعة (معطلة حالياً). وعلى الجانب الآخر من مبنى جريدة الأهرام هناك مبنى آخر يتبع الكنيسة وبه برج ساعة آخر. وقد تعذر الحصول على معلومات عن الكنيسة التى يبدو أنها مهجورة، لكن أهل المنطقة يطلقون عليها كنيسة اليونانيين. وتعانى طائفة الروم الأرثوذكس من تراجع أعداد الجالية اليونانية، فاضطرت مؤخرًا لبيع عدة كنائس تم هدمها، منها كنيسةتان مميزتان بالمنصورة. إلا أن كنيسة الجلاء هذه بمعمارها المميز وزخارفها ستكون إزالتها خسارة كبيرة إن تم ذلك. ونأمل ألا تزال تلك الكنيسة لطرازها

المعمارى الأثرى المحب ونقوشها الكثيرة.

### كنيسة القديسة دميانة

تعرف فى المنطقة بكنيسة القديسة دميانة، لكنها غالباً مكرسة على اسم القديسة الشهيدة دميانة والأربعين عذراء. وقد أضيف لها مبنى آخر هو كنيسة جميع القديسين. وكنيسة دميانة تتبع طائفة الأقباط الأرثوذكس، وتقع فى 2 شارع العدوية البرانى المتفرع من شارع الصحافة بالقرب من مبنى الأهرام. وأنشئت فى 1905م فى عصر البطريرك أو البابا كيرلس الخامس. وكانت القديسة دميانة قديماً ابنة مرقس حاكم إقليم البرلس، ولها دير كبير عامر حالياً بالراهبات فى برارى بلقاس بشرق الدلتا. وقد اشتهرت بكونها من أوائل من أنشأ بيوتاً للعذارى كما كان يطلق على الرهبانيات النسائية، كما أنها عادة ما تصور مع الأربعين عذراء، عشرون على

كل جانب حيث استشهدن معها.

### كنيسة كوردى إيسو ساكروم

Cordi Iesu Sacrum أو كنيسة قلب يسوع المقدس، وتقع أمام نقابة الصحفيين وعنوانها 3 شارع عبد الخالق ثروت. وكان القس دانيال كومبونى قد طلب قطعة أرض بتلك المنطقة من الخديو إسماعيل لإنشاء معهدين للطلبة السودانيين المسيحيين. وهى كنيسة تتبع الكاثوليك اللاتين أو الرومان وهى من أكبر وأفخم الكنائس بالمنطقة.

### كنيسة الأرمن الأرثوذكس

بشارع رمسيس، كنيسة القديس جريجوريوس المستنير، وتقع فى 179 شارع رمسيس. وقد صممها المهندس ليفون نافيليان، ومولها بوغوص نوبار باشا. وهى مميزة بمعمارها ذى الصبغة الأرمنية الواضحة فى شكل القباب. وبها تسعة أجراس ومكتبة ومركز طبى، وتعد من أكبر الكنائس بمنطقة وسط القاهرة

عامّة.

### كنيسة سان جوزيف

وتقع بشارع محمد فريد أمام بنك مصر. وتتبع الرهبان الفرنسيين الكاثوليك ولهم دير بها. أنشئت الكنيسة في 1950م وتم تجديدها حوالي 1996م، وهي مميزة بمعمارها الذي زين بشكل المشهر وهو صفوف بيضاء أفقية تقطعها صفوف حمراء أو طوبية اللون، وبفنائها تمثال للقديس فرانسيس الأسيزي، مؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية، وملحق بها قاعة النيل ومقر المركز الكاثوليكي للسينما الذي يلعب دورًا مؤثرًا في الحياة الثقافية في مصر. وحاليًا يقيم الراهب بطرس دانيال المسئول عن المركز السينمائي بالكنيسة، حفلًا موسيقيًا سنويًا في وقت أعياد الميلاد، صار الآن لشهرته وجودته يعرض على كثير من القنوات التلفزيونية مثال قناة روتانا.

### جامع "أبو العلا"

يعد جامع السلطان "أبو العلا" من أهم معالم المنطقة وأشهر جامع كان بها يومًا ما، بدليل أن اسم "أبو العلا" صار يرمز للمنطقة كلها. كان الشيخ الصالح حسين أبي على المكنى باسم الشيخ "أبو العلا" الذي توفي في 1486م، من أصحاب الكرامات. وقد سمي أيضًا بالسلطان "أبو العلا" رغم أنه لم يكن سلطانًا ولا حاكمًا، لكنه لقب أطلقه عليه مريدوه حيث كان بمثابة سلطان للأولياء كما تقول اللافطة بباب الجامع. وكانت له خلوة في زاوية صغيرة على النيل بمنطقة "بولاق أبو العلا" الحالية التي عرفت باسم الشيخ لاحقًا. وكان من مريدوه تاجر كبير هو الخواجه نور الدين على البرلسي الذي أوصاه الشيخ بالاهتمام بخلوته وتكبيرها. فبنى هذا الجامع على طراز المدارس المتقاطعة الإيوانات المنتشرة في العصر المملوكي، وألحق به ضريح وقبة دفن فيها الشيخ أبو العلا فيما بعد. ودفن بالجامع عدة مشايخ آخرين في عصور لاحقة، منهم الشيخ أحمد الكعكي المتوفى في 1545م والشيخ مصطفى البولاقى الذي توفي في 1846م. ويعد المنبر الخشبي من النماذج الشهيرة للخشب المطعم في عصر المماليك الجراكسة. وعليه نص يذكر اسم صانعه على بن طنين.



كنيسة كوردي إيسو ساكروم

### جامع سنان باشا

يُعد جامع سنان باشا ثاني أقدم جامع أنشئ في العصر العثماني، وأكبر مسجد أثرى في "بولاق أبو العلا". وكان سنان باشا واليًا لمصر مرتين في القرن السادس عشر الميلادي بين 1867 و1871م، وبنى مسجده على النيل مباشرة في بولاق بين 1567 و1571م، وتحطمت آخر أسواره الخارجية عام 1902م. ويقع بشارع السنانية بمنطقة السبتية بحى "بولاق أبو العلا". ونظرًا لضيق المسافة لقربه من النيل، فلم يخطط المصمم المعماري لفناء كبير أمام المسجد، وله ثلاثة إيوانات في الجهات الشمالية والجنوبية والغربية. وتبلغ أبعاد المسجد 35 في 37 مترًا ويبلغ قطر القبة 15 مترًا، وبنيت من الداخل بالأجر أو الطوب الأحمر وبها ست عشرة (16) نافذة.

وتوجد مزولة من القاشاني بالجهة الجنوبية الغربية للمسجد أنشأها حسن الصواف في 1862م. وأنشئ الجامع على الطراز العثماني لذا نجد أن مؤذنته التي تقع في الجانب الجنوبي الشرقي وبها شرفة ومستويان تفصلهما شرفة دائرية، على شكل القلم الرصاص تبعًا للطراز العثماني في عمارة المآذن. وهناك عدة ملحقات بالجامع منها بيت للقهوة وحمام أثرى. وقد قام بعض الأشخاص بتحويل الحمام الأثرى إلى فندق ضمن التعدادات التي تتم في بعض الأحيان، ثم استردته الآثار في الألفينيات وهو مغلق منذ ذلك الحين.

### جامع القاضي يحيى

يعتبر جامع القاضي يحيى أقدم جوامع منطقة "بولاق أبو العلا" حيث بنى في عصر دولة المماليك الجراكسة. بناه القاضي زين الدين يحيى سنة

سنوات وتعطل العمل بالترميمات منذ يناير 2011م. ويقول حارس المتحف أن سائحاً ألمانياً جاء للمتحف قبل غلقه وقال إن جده كان يروى له أنه كان يحمل لقب "صانع المركبات الملكية" فى عصر الملك فؤاد الأول، وأنه كان يحفر اسمه بجزء خفى بالعربات. وتؤكد السائح بالفعل من صحة الرواية عندما عثر على اسم جده، مما يثبت أيضاً أن ملوك مصر كانوا يقدرّون الصناعة الألمانية للمركبات.

### مبنى محطة مصر

تقع محطة مصر بمنطقة عرفت فى السابق بمنطقة باب الحديد حيث يقال إن بوابة حديدية كبيرة كانت بالمنطقة. وفى عصر الرئيس عبد الناصر تم نقل تمثال رمسيس الثانى الضخم من ميت رهينة أو منف بالجيزة أمام المحطة، مع إضافة نافورة تنبثق عند قدمى التمثال. ومنذ ذلك الحين عرف الميدان وشارع الملكة نازلى سابقاً بميدان وشارع رمسيس. وفى عصر الرئيس مبارك تمت تسمية الميدان والشارع ومحطة المترو باسم الرئيس مبارك. وبعد 25 يناير 2011م سميت محطة المترو بمحطة الشهداء، بينما ظل سكان القاهرة يطلقون على الميدان والشارع اسم رمسيس. وظل اسم باب الحديد مرتبطاً بالمحطة، خاصة بعدما قدم المخرج المصرى العالمى يوسف شاهين فيلم "باب الحديد" الذى صور بمحطة مصر بالقاهرة. وكان فيلم "باب الحديد" من بطولته مع هند رستم وفريد شوقى.

وتعد السكة الحديد ثانى أقدم سكة حديد عالمياً، حيث أقيمت فى إنجلترا بين عام 1789م - 1830م وأقيمت فى مصر فى 1853م. ويرجع مبنى محطة مصر لهذا التاريخ حيث أعد لافتتاح السكة الحديد. وكان أقدم خط سكة حديد فى العالم يربط بين ليفربول ومانشستر بإنجلترا. وقد ارتبطت مانشستر ارتباطاً وثيقاً بمصر حيث كانت مصانع القطن هناك تعتمد على القطن المصرى طويل التيلة. وقد أنشأ السكة الحديد بمصر حفيد الإنجليزى الذى اخترع القطارات. أما عن خطى القطار والمسافة بينهما وعرض عربات القطار فحسبت تبعاً للمقاييس القديمة المرتبطة بعصر الرومان، وهى مسافة اثنين من الخيول



محطة مصر ( باب الحديد )



باب الحديد من روائع المخرج العالمى يوسف شاهين

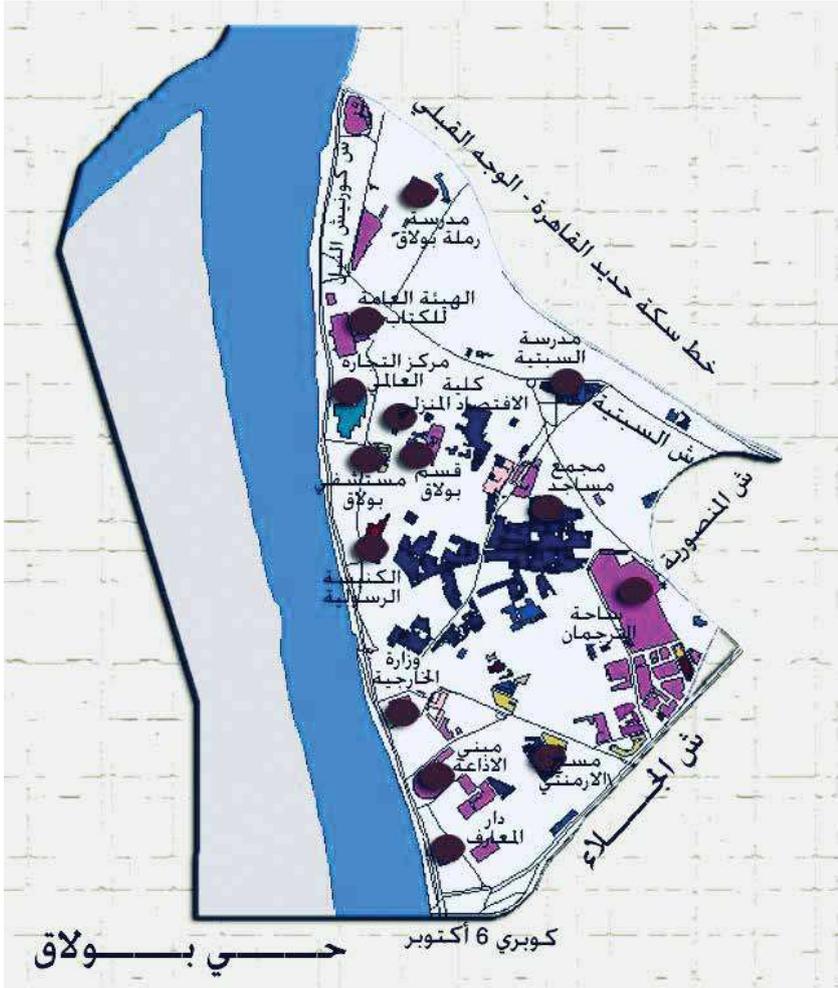
لوزارة الخارجية وبالقرب من مسجد "أبو العلاء". وكان فى الأساس مبنى مصلحة الركائب الخديوية التى أنشأها الخديو إسماعيل بأواخر فترة حكمه. وعرفت لاحقاً باسطنبولات الخاصة الملكية، أو اسطنبولات الملك كما كان المارة يسمونها. ويتميز المبنى المطل على شارع 26 يوليو بنقوش بارزة لرؤوس خيول غاية فى الروعة. وتحول المبنى إلى متحف المركبات الملكية وبه حوالى 78 عربة منها 22 عربة جاءت كهدايا للأسرة العلوية من عصر الخديو إسماعيل لعصر الملك فاروق. وكان به مكان لعربات القطار، واستراحات للسائقين والعاملين. وللأسف أغلق المتحف للترميم منذ أكثر من عشر

### بولاق أبو العلاء

1449م أيام السلطان قچمق. وعرف بجامع المحكمة حيث تحول إلى مقر للمحكمة من القرن السادس عشر لعصر محمد على. وبه أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة بثلاثة أروقة، وفناء مكشوف. وتقع المئذنة إلى يسار الباب الغربى ولم يبق منها الآن إلا قاعدتها ودورتها الأولى. وحدث تعدد خطير على الجامع إذ احتله أحد التجار لتخزين الخردة، ومنع المصلين ومفتشى الآثار من دخوله لسنوات.

### متحف المركبات الملكية

ويقع بشارع 26 يوليو مجاوراً



خريطة عامة لبولاق أبو العلا



تصور تخيلى لتطوير مثلث ماسبيرو

لخط المترو الجديد الذى يجرى إنشاؤه. وتدور مخاوف أهل المنطقة حول قلقهم من إزالة أجزاء أخرى ضمن مخطط المنطقة العمرانى. ولكن المؤكد أن شكل المنطقة سيختلف كثيراً فى السنوات القادمة.

لم يتم بعد الإعلان عن تفاصيل المخطط الخاص بمنطقة "بولاق أبو العلا"، إلا أن تكهنات أهل المنطقة تدور حول تشييد مراكز تجارية، ومكاتب إدارية وفنادق ومساكن فاخرة فى أبراج، وحدائق، ومحطة تحت الأرض

متجاورين. وتوجد أقدم قاطرة فى العالم الآن فى مصر وهى معروضة بمعبد الكرنك الشهير بالأقصر، وهى قاطرة صغيرة الحجم جلبت لتستخدم فى أعمال الحفائر بالمعبد. وكان هناك متحف للسكة الحديد بمحطة مصر على رصيف رقم واحد، لكنه أغلق أبوابه ولم يفتح بعد أعمال التجديدات التى تمت بالمحطة بعد يناير 2011م. وكان المتحف يحتوى على عدد من القطارات النادرة التى كانت تعمل بالفحم والبخار، وعدد من عربات القطارات.

### مستشفى الجلاء التعليمي

يرجع مبنى المستشفى بتقاطع شارع الجلاء مع شارع 26 يوليو لعام 1934م فى عصر الملك أحمد فؤاد الأول الذى كانت المستشفى باسمه. بعدها سميت بمستشفى الأوقاف، ثم مستشفى الجلاء. والعنوان هو 41 شارع الجلاء ويعرفها الشعب باسم مستشفى الجلاء للولادة لتخصصها فى أمراض النساء والأطفال والتوليد. والمبنى نفسه من الطوب الحرارى الأحمر.

### فتوات بولاق

اشتهر سكان بولاق الأصليون بالشهامة والإقدام. وقاوم أهل بولاق الحملة الفرنسية، كما عرف حي بولاق بحى أولاد البلد الفتوات. وكان الفتوة فى النصف الأول من القرن العشرين شخصاً قوياً شهماً، يدافع ببوته عن الضعفاء. بعدها تحولت الفتوة إلى شيء أقرب للبلطجة قوامه التلميح بالعنف مقابل إتاة دورية نظير الحماية، علماً بأن عدم دفع الإتاة يؤدى للعنف من جانب الفتوة البلطجى وأعوانه. ومن فتوات بولاق الذين اشتهروا فى القرن العشرين إبراهيم كروم فتوة السبتية، وسلامة صبرى بمنطقة الفرنساوى. وهناك فيلم مشهور إنتاج 1981م باسم "فتوات بولاق" بطولة فريد شوقى ونور الشريف وإخراج يحيى العلمى. وبالإضافة للفتوة، اشتهر حي بولاق بمطاعم الفول والطعمية، وبمخابز عرفت بإنتاج السميط، الذى يشبه pretzels ويصنع من عجينة طرية. واعتاد البائعون الجائلون أن يأخذوا السميط المميز من بولاق ليبيعه على كورنيش بولاق والكبارى مع البيض المسلوق والجبن.

### مستقبل حي بولاق

## بوغوص بك يوسفیان 1768-1844

يعتبر بوغوص بك يوسفیان (أو الترجمان أو الخواجة) المؤسس الحقيقي للخارجية المصرية في العصر الحديث، كما يعتبر من جانب آخر المؤسس المحوري للجالية الأرمنية بمصر، وذلك لدوره في تشجيع العديد من أبناء جلدته للهجرة والاستقرار بمصر وبناء المؤسسات الخاصة بهم، استناداً للمكانة السامية التي وصل إليها خلال فترة حكم محمد على الذي اعتمد عليه في إدارة ملفى التجارة والسياسة الخارجية، لمواهبه وإمكاناته الدبلوماسية واللغوية والإدارية المتميزة.

يجيد اليونانية والإيطالية والفرنسية، إلى أن أصبح أول ناظر للخارجية المصرية لدى ترأسه لديوان التجارة والأمور الأفرنكية عام 1826، وظل في هذا المنصب حتى وفاته عام 1844.

وتولى بوغوص خلال توليه منصب نظارة الخارجية العديد من المهام، كان أهمها: إدارة شؤون رعاية الدول الأجنبية المقيمين بمصر، والتعامل مع القناصل الأجانب في مصر والذين كانوا في أغلبهم مقيمين بالإسكندرية، مما ترتب عليه أن نقل بوغوص مقر إقامته للإسكندرية، بالإضافة إلى مهمة توجيه أوامر محمد على إلى وكلائه (الكاتخدا) في الخارج للحصول على مختلف احتياجات الوالى الحربية أو الاقتصادية أو التعليمية، أو لتلبية متطلبات الباشا الشخصية.

ونجح بوغوص خلال فترة توليه حقيبة السياسة الخارجية في أداء مهمته بنجاح منقطع النظير، حيث احتفظ بعلاقات ودية مع جميع الدول الأوروبية، وأدار المفاوضات المعقدة مع الباب العالي والقوى العظمى خلال أزمتهى 1833 و 1840 بمنتهى الاقتدار، مع نجاحه في تقويض معاهدة بلطة ليمان التي أبرمت بين بريطانيا والدولة العثمانية عام 1838 بهدف القضاء على النظام الاقتصادي لمحمد على. وتم وصف بوغوص بتاليران الصغير (وزير خارجية نابليون المحنك)



مستشار ناجى غابية

naguighaba@hotmail.com

المنحة»، وكان القواس الذى أمر بقتل بوغوص حاضراً، واعتقد أن الوالى تساوره الشكوك نحوه ويريد التأكد من تنفيذه لأوامره، فأرتمى تحت قدميه طالباً الرحمة، فسأله: «لم الرحمة؟»، فأرتجف القواس وأقر بأنه لم ينفذ الأوامر، فصاح محمد على: «بوغوص حى؟ اذهب وأحضره حالاً، وإلا دفعت رأسك ثمناً لرأسه» وتم استدعاء بوغوص، ومنذ ذلك الحين لم تمر أى سحابة سوداء لتعكر صفو الثقة التى رسخها بوغوص فى نفس سيده. وفى 5 يونيو 1819م أصدر محمد على أمراً موجهاً لبوغوص لنفى الرعايا الأجانب العاطلين عن الزراعة والتجارة والمشبهين إلى بحر برة (خارج البلاد) ومكاتبة القناصل بذلك، ليصبح بذلك مسئولاً عن ملف العلاقات الخارجية نظراً لقدرات الحاجة المالية وإجادته لعدة لغات، فإلى جانب التركية والأرمنية، كان

ولد بوغوص بأزمير، وكان فى بداية حياته المهنية ترجماناً (مترجم) للقنصلية البريطانية فى مسقط رأسه، ثم ألحق للحملة العثمانية التى توجهت لمصر فى عام 1801 لطرد الفرنسيين منها، كترجماناً للصدر الأعظم (الوزير الأول)، ويعود بعدها بسنتين إلى مصر مع على باشا بوغول الملقب بالجزائرى أحد الولاة العثمانيين المعينيين لحكم مصر. ويذكر نوبار باشا نوباريان (نجل شقيقة بوغوص) فى مذكراته: أن بداية معرفة محمد على بخاله كانت بعد فترة قليلة من تنصيبه والياً على حكم مصر، وكان بوغوص أو الخواجة (كلمة تعنى السيد فى العمل) رئيساً لخزانة جمارك دمياط، وعلى إثر مناقشة بينه وبين محمد على فى بعض الأمور المالية استشاط الأخير غضباً منه، وصاح قائلاً: «فليسق من قدميه»، وكانت إشارة كافية لقواسيه لإعدامه، فتقدم أحد القواسية بسرعة لتنفيذ الأوامر، ولكن القواس كان تركياً مديناً بمعروف لبوغوص، فتظاهر بأنه يقوده إلى شاطئ النيل لإلقاء جثته بعد إعدامه، إلا أنه أخذه إلى منزل مهجور حيث اختبأ وعاد ليخبر محمد على بأن أوامره قد نفذت.

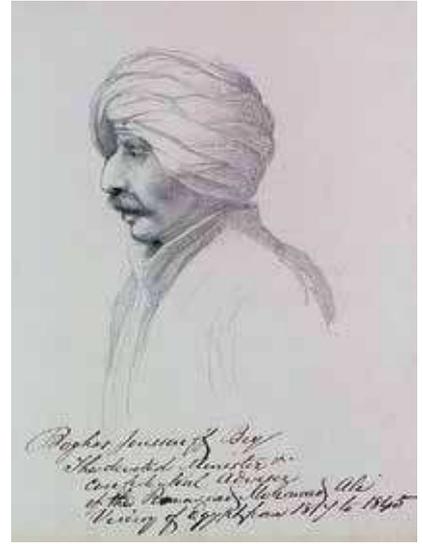
وبعد فترة وجيزة مر محمد على بضائقة مالية فى رشيد واحتاج بشدة إلى النصيحة، قائلاً: «رباه، لو كان بوغوص هنا لأنقذنى من هذه



شاهد قبر بوغوص بك في الحديقة المتاخمة للكنيسة الأرمنية بالإسكندرية، من الرخام على طراز الباروك



لوحة زيتية لبوغوص بالمبنى الإداري كاتدرائية الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية



مدخل المدرسة الصناعية الأرمنية بالإسكندرية، وتحمل اسم بوغوص تكريماً له من قبل الجالية لهبته أرض المدرسة والكاتدرائية من أملاكه الخاصة



تمثال نصفى لبوغوص (Buste) من البرونز، يتوسط بهو النادي الإجتماعى الأرمنى بالإسكندرية



الكاتب مع الأب جريجور موراديان مطران الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية وفى الخلفية صورة مؤسس الخارجية المصرية والجالية الأرمنية بمصر

هناك، أما المبعوثون الى انجلترا فقد اصدر محمد على امرأ الى ابنه ابراهيم بأن يجرى اختيارهم بواسطة بوغوص، وان يقيموا فى بيت «بريجز» صديقه كى يتعلموا فن البحرية لديه، وبذا استفاد محمد على من العلاقات الشخصية لبوغوص يوسفیان. ويتضح مدى أهمية بوغوص لدى الباشا أنه فى أعقاب وفاة الرجل عام 1844، علم الوالى بعد يومين أن مراسم دفن بوغوص لم تتم بالشكل الرسمى واللائق به، فإجتاحتته نوبة غضب وأمر بإخراج الجثة من القبر وإعادة إجراءات الدفن باحتفال يشهده كبار الموظفين الذين لم يشاءوا أن تحاط جنازة ذمى باحتفالات رسمية.

ويقال أنه صاحب الفضل فى إدخال فاكهة اليوسفى لمصر وعرفت باسمه منذ ذلك الحين (اليوست أفندي). كما كان بوغوص مسئولاً عن تنظيم البعثات التعليمية إلى أوروبا، فأسفرت اتصالاته مع أصدقائه الأوروبيين عن استبعاد الدويلات الإيطالية لإنتشار أنظمة الحكم الاستبدادية فيها وتعصبها دينياً ضد المسلمين، ولكنه أثر فرنسا التى اتسمت بتسامحها مع الغرباء ومؤسساتها التعليمية ذات المستوى الرفيع، فضلاً عن مناخها الصحى، وقد اختار بوغوص عدداً كبيراً من اعضاء بعثة 1826 الى فرنسا (البعثة الأولى)، وكان منهم أربعة من الأرمن، وظل بوغوص ينظم البعثات إلى أوروبا، ويتراسل مع المشرفين والمسؤولين

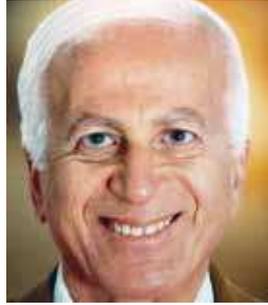
حيث اعتبره العديدون ممن أرخوا لعصر محمد على - كرينيه قطاوى - أنه أهم موظف حكومى فى إدارة محمد على، وأنه لم يشاركه فى هذه الأهمية إلا عثمان نورالدين الذى كان مسئولاً عن الأوضاع الداخلية. ولم تقتصر مسئوليات بوغوص على صعيد العلاقات الخارجية، فكان له دور كبير فى صنع القرار الاقتصادى لمحمد على، حيث أن جميع المسائل والمشكلات المالية والتجارية التى واجهت محمد على أوكلها بلا استثناء الى بوغوص للبت فيها وحلها، ويكفى دليلاً على ذلك أن الوالى قد اصدر أوامره فى 1825 بضرورة اخذ رأى بوغوص قبل الاقدام على بيع أى محصول، بل واستشارته فى كل سلعة تصدر الى الخارج أو تستورد منه.

## مفاعل الزمن الجميل لتخصيب الخيال

من قال إن الزمن الجميل عبارة عن ورد بلا أشواك، أفراح بلا آلام، عذوبة بلا عذاب، ماء ورد بلا ماء نار، نسيم بلا عواصف، زبيب بلا زعابيب، ههددة بلا زلازل، دغدغة بلا صفعات، فراشات بلا عناكب، بلابل بلا خفافيش، غزلان بلا خراثيت، عسل بلا علقم؟؟  
من قال إن الدنيا دائماً ربيع والجو بديع قفل لى على كل المواضيع؟

أحادية البُعد، إنما التباين بين الجنة والنار فى معظم الديانات هو الذى يُعلى من حرية الاختيار ويدربنا على تحمل المسئولية.

ومن أجمل اللوحات فى تاريخ الفن التشكيلى «روضة النعيم» للمصور الهولندى جيروم بوش التى رسمها فى القرن السادس عشر وهى مع ذلك تفوق فى عصريتها مخيلة فنان السريالية «سلفادور دالى» فى القرن العشرين واللوحة معروضة فى متحف برادو فى مدريد ولم تتح لى مشاهدتها حتى اليوم ولكن صورتها تزين جدران غرفتى منذ ثلاثين عاما ومازلت كلما تأملتها اكتشفت فيها دلالات وتفاصيل كانت خافية على من قبل! وهى عبارة عن 3 لوحات تربيتيك متصلة تمثل النشأة الأولى ثم الفردوس والجحيم فتضع المشاهد أمام مفترق طريقيين لا ثالث لهما: كأن الخروج من أحدهما دخول فى الثانى.. ولم يستنفد مؤرخو الفن



سفيرد. محمد حسونة

mohammad.eternitynow@gmail.com

ما الذى يتبقى من أجمل الأغاني المصرية إذا نزعنا منها الشجن؟ إن كل لوحات فان جوخ مفعمة بأقصى درجات التوتر ومع ذلك فهى جميلة بل إن القلق واليأس أصبحا من ملامح الحدائث الفنية ولا يعنى ذلك النواح واللطم وإنما تجاوز المعاناة والأحزان والأشجان ومهما بلغت قسوة الواقع أو مرارة الوقت وبشاعة التضخم وشناعة الفساد ومأساة البطالة أو حتى مصيبة الاحتلال فإن القدرة على الحلم تظل هى طوق النجاة ثم حشد الطاقات وشحذ العزائم لترجمة هذا الحلم إلى واقع أجمل هو طريق الخلاص.

من قال إن الإبداع مقصور على المتاحف؟ كلا إنما التحرير إبداع وتقرير المصير إبداع والانتخابات النزيهة إبداع وقتل الطغاة والإرهابيين إبداع والعشق إبداع فى إبداع.. بل إن مجرد التنفس قد يتحول إلى إبداع!!  
وليس شارع المعز بنموذج الإبداع الوحيد فى القاهرة ولا حارات الجمالية التى أبهرت نجيب محفوظ فالإبداع يتفتح فى حركة الحياة قبل أن يكمن فى الكتب بل إن تذوق شهد الرضا فى لحظة الموت قد يكون ذروة الإبداع!!!  
والحمد لله إن رؤية الأبد أيضاً ليست

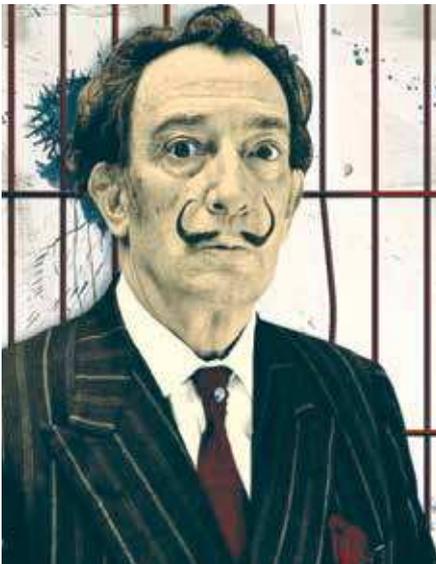
كلا فتحلى كل المواضيع فتح فتح فتح!!!

كلا إنما يكمن جمال الزمن فى هذه التباينات بشرط أن تتناسق وتتوازن أو حتى تتصارع مع احترام وحدة الكل كمنظومة المعجزات التى تكون الجسد الواحد: إن تنويعات البهجة وأطياف الشقاء تثرى دلالة الساعة وتضاعف قيمة الدقيقة وتصلق ياقوتة اللحظة!

إن جمال الزمن ليس فى الهروب من الصراعات ولا فى غض الطرف عن الظلم أو السكوت على المنكر أو تجاهل العدوان، كما أنه لا يعنى تأجيل الصراعات ولا الاكتفاء بموقف المتفرج وإنما معناه التحيز للحق والتصدى للظلم ومحاولة تغيير الواقع حتى لو فشلت فإنه لا يرادف بالضرورة الزهو بالنصر وإنما يرادف بذل كل شىء فى سبيل إحقاق الحق والشهود على الحق وقول الحق وتكريس كل نفس من أجل أن يسود العدل ويسطع الحب!

أى أنه النقيض المطلق لكل أشكال الطناش: الذاتى والقومى والدولى!  
بل إن أجمل ما فى الزمن هو التحدى إذا تحول من مجرد رد فعل إلى إستراتيجية وتخطيط طويل النفس يتموج بين الخيال والواقع بين تشخيص أمراض الوجدان وعلاجها من خلال جهد منظم ومتصل لتحقيق هدف إنسانى سام ابتغاء لوجه الله الأعز الأكرم أو لتدبير انقلاب فى السلوك من الاستهلاك إلى الإنتاج ومن الاستجداء إلى الكرامة ومن التزوير إلى تحكيم الضمير!

وجدير بالذكر أن إيقاظ الضمير مشروط بتحدى الذات: فمن العبث أن ندعى الثورية أو نزع عمير الأرض دون بناء الإنسان والنهوض بالوجدان وإصلاح القلوب ومجاهدة النفس فى كل لحظة.



سلفادور دالى

تفسيراتها حتى اليوم.

أما دالي فقد سعدت بزيارة بيته ومتحفه في مدينة فيجيراس الأسبانية ومازالت لوحاته تتحدى الخيال بغوصها في اللاشعور وقدرته على استخراج أجمل الدرر رغم ما يعلق بها من شوائب كابوسية تلامس الجنون! وقد تمت ترجمة سيرته الذاتية إلى العربية بعنوان «يوميات عقبى» كما امتد خيال دالي إلى ابتكار سلسلة من العطور وقنيناتها. والخيال الخلاق ليس ترفاً ولكنه من أهم ثمار الصوفية لاسيما لدى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي وهو المطلوب لتجديد الخطاب الديني ذلك أنه ما من وصول إلى مقام الإحسان بدونه: «اعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإن يراك».

إننا في أمس الحاجة لتاريخ الفن كله بل لمنظومة الفنون بأكملها كي ندرك معنى «كأنك».. كما أننا نحتاج لكل شمس الكون لتخيل ولو «فرفوتة» من عظمة «نور على نور»!!

وربما كان سر هذه العصرية المتجددة يكمن في التموج بين السكينة والتوتر وفي هذا التوازن بين الصفاء والعتاء فرهافة الفنان تجعله يتعذب أشد العذاب من كل ما يهين الإنسان في أى مكان على هذه الأرض وفي نفس الوقت فإن فرحة الإبداع التي تغمره تفوق في حد ذاتها كل متع الدنيا!! ومن أكثر الكتب التي يعاد نشرها

بصفة دورية بمختلف اللغات كتاب «النبى» لجبران خليل جبران الذى لخص فيه بحثه الطويل عن الحكمة كما أن المعرض الذى أقيم لأول مرة عام 2000 لرسوماته أثبت تكامل مواهبه الأدبية والتشكيلية بما يماثل جمع الشاعر الإنجليزي وليام بليك بين الموهبتين والذى يصعب إنكار تأثره به.

وكلنا نذكر قصائده الرائعة التى خلدها فيروز «اعطنى الناي وغنى» و«سكن الليل» و«المحبة» و«أطفالكم ليسوا لكم أطفالكم أطفال الحياة»، إلخ.. ولقد أتحت لى زيارة مسقط رأسه فى «بشرى» فى جبال لبنان حيث يعتبر جمال الطبيعة بؤرة للإلهامات تتوهج فيها المشاعر ولا يقل عن جبران عبقرية روائى المهجر ميخائيل نعيمة صاحب كتاب «مرداد» وإن كان أقل شهرة منه ورغم الكثافة الرمزية التى تميز أسلوبه فإن الفيلسوف كثيراً ما يطغى على الأديب وهى نفس الإشكالية التى شابت أعمال أديبنا المبدع إدوار الخراط التى نجح فى تجاوزها خلال روائعه الأخيرة بوصوله إلى ذلك التوازن المعجز بين الشعور واللاشعور.

وربما كان المهجر أيضاً قدر الروائى الليبى الفذ إبراهيم الكونى الذى توغل فى أساطير الطوارق حتى أصبحت الصحراء بحضورها الجليل بطله كل رواياته. وفى ظل ثورة الاتصالات وطفرة المواصلات لم يعد للمهجر أو المنفى



من أشهر لوحات دالي

نفس المعنى الذى كان له فى الماضى، فالفنان قد يحمل وطنه كله بأحزانه وأفراحه فى قلبه: ولو حللتم دمه لوجدتم فيه تموج أنهاره وحفيف نخيله وأنين ربابته ونايه وشذى زهوره وحلاوة ثماره بل واسم معشوقه.. ولو حللتم خلاياه لوجدتم رفيف نوارسه وشجو كروانه، صدى جباله وهدير شطآنه، صفاء عسله ولذعة توابله ونفحات بخوره، بل وصورة معشوقه.. ولو حللتم نخاعه لوجدتم جوهر عقيدته وحقيقة يقينه بل وتوحيد معبوده.. ولو حللتم مداده لوجدتم فيه دفقات جديدة من دمه إلخ.. كما ان الفنان من ناحية أخرى قد يشعر بالمنفى وهو داخل وطنه.

فالجمل الحقيقى ليس لعبة مسلية ولا جنونا وديعا وإنما يتضمن جرعة من الخطر تزعزع أمرك الواقع وتخل استقرارك فهو ينتزع مقاومتك لأنه يخاطب ذاتيتك الحميمة وكأنه قد خلق لك وحدك، يحضك على التخلّى عن حسابات الربح والخسارة ويحفزك على المخاطرة حتى تبصق على كل أشكال الخوف!!

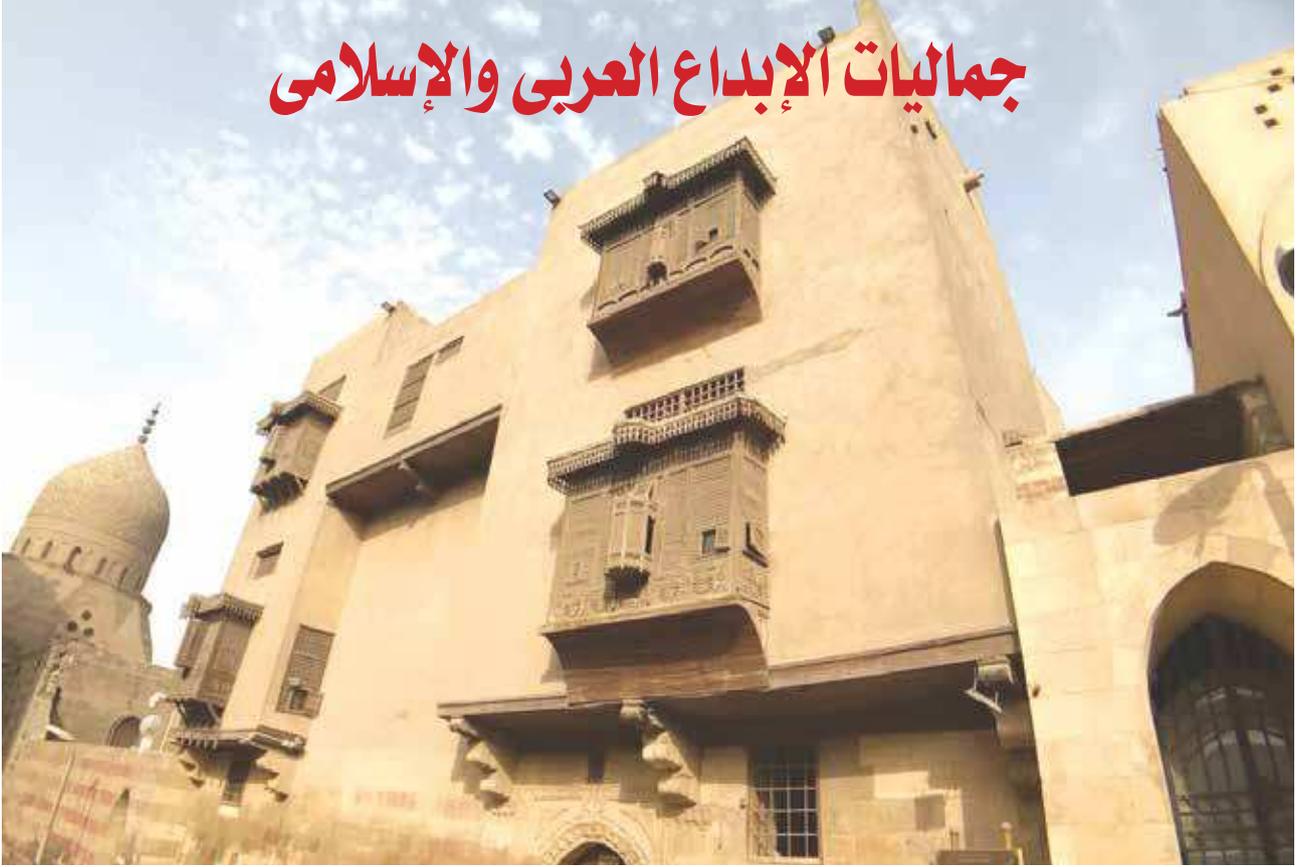
إن الزمن الجميل مفاعل لتخصيب الخيال وتغيير الوجدان نحو الأرقى والأسمى والأرهب!!

فالفنان بطبعه متمرد لو احترم التقاليد بحذافيرها وتكبل بالقوانين حرفا حرفا ولو تقيد بالأعراف لما ابتكر شيئا!!

وهكذا فإن مسئولية الفنان تحته على استقطار الرحيق من التجارب والمحن والألق من القلق وتجاوز النكسات والنكبات وتنقية الزمن من مختلف التلوثات وتطهيره من العوادم المتنوعة كأنه سيفون يميظ القبح من الوجود أو طوفان مصغر يزيل الزيف من الحياة ويبشر بعهد جديد يصبح فيه الأجل والأبهى والأصدق والأنفس متألقا على الدوام!!

فيستشرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ويعانق إيقاع الزمن فيراقص اللحظة بين مرأتين متوازيتين: الأزل والأبد..

## جماليات الإبداع العربى والإسلامى



قبل أن يتسع مفهوم العمارة اصطلاح القدماء على تعريف العمارة، فى جانب منها، بأنها عقود الأبنية وكيفية إحكامها وطريق حسنها، كبناء الحصون المحكمة، وتنضيد المنازل البهية، والقناطر المشيدة وأمثالها، وأحوال كيفية شق الأنهار وإنباط المياه ونقلها من الأغوار والنجود ونحوها، وذكر ابن خلدون (ت 808هـ) أن صناعة البناء أول صنائع العمران الحضري وأقدمها .

بن يحيى التلمسانى (ت 776هـ) كتابه سلوك السنن إلى وصف السكن، مخطوط، باريس، وفى المادة اللغوية لكلمة (سكن) ما يدل على أهميتها، وكذلك فى ورودها فى القرآن الكريم، وقد تعددت أسماء المنازل قديماً، وتحدث ابن سيده تفصيلاً عن الدور وسماتها وأسمائها وآثارها، وما فيها وحولها، وما يسقف منها.

### تأثير وتأثر

أفاد الفن الإسلامى من فنون الحضارات السابقة، واستوعبها بطريقته؛ فتأثر بالفن الساسانى فى الإمبراطورية الفارسية تأثراً كبيراً، وبخاصة بما كان فى قصور الساسانيين، وما عرف من فن النحت، وتشكيل المعادن، حيث كانت فنون ذلك العصر تتوزعها مدرستان: المدرسة

باتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى فى المدن، وخصص باباً للسكن والبناء فى مقدمته عنوانه فصل الإشارة إلى أمهات الصنائع، كما تحدث المسعودى (ت 346هـ) فى مروج الذهب، وابن الأثير (ت 630هـ) فى الكامل، وتحدثت كتب الرحلات كالوطواط (ت 718هـ) فى موسوعته مباحج الفكر ومناهج العبر فى القسم الخاص بالجغرافيا، وتحدث ابن قتيبة (ت 276هـ) فى عيون الأخبار فى باب البناء والمنازل، وتحدث أبو جعفر البرقى الكوفى (ت 274، أو 284هـ) فى كتابه المحاسن، وابن عبد ربه (ت 328هـ) فى العقد الفريد وغيرهم فى: زهر الآداب وثمر الألباب، والموشى أو الظرف والظرفاء، والمستطرف فى كل فن مستظرف، وخصص أحمد

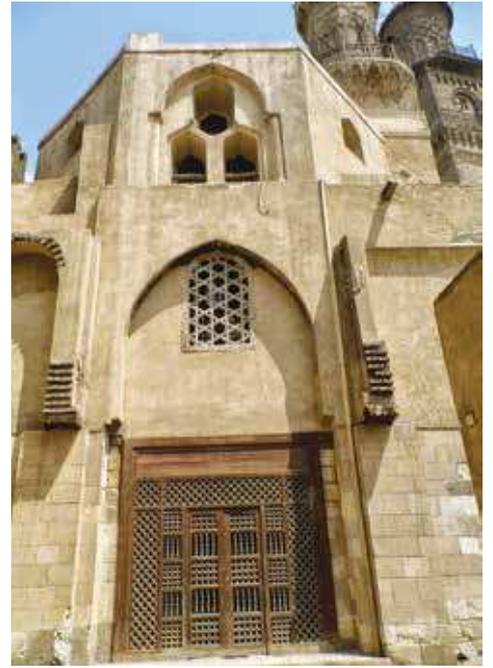
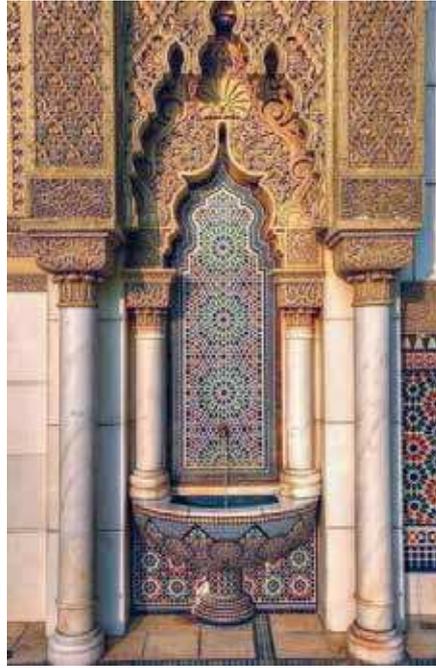


أ.د. يوسف نوفل

شاعر وناقد

أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس

youssfnofal@yahoo.com



وذلك كما فصل القول الدكتور عبد المنصف سالم نجم في كتابه تاريخ الفن والعمارة، المؤلف 2008.

وقد اهتم المتخصصون من الباحثين، والمستشرقين بجماليات الفنون الإسلامية، وكان من ذلك: اهتمام المعارض الأوروبية، ومنها معرض ميونخ للفن الإسلامي سنة 1910، وازداد الاهتمام بدراسة تلك الفنون، التي عبرت إلى أوروبا من خلال معابر عديدة على رأسها الأندلس وصقلية والبلقان عن طريق الحجاج والتجار والمغامرين، على تعدد مجالاتها.

### الزخرفة الطينية

اقتترنت الزخرفة المرسومة والمجسدة والبارزة: واقعية، وأسطورية منذ القدم بالمباني الطينية، وبخاصة في المناطق السهلية، منذ حضارات ما قبل الفخار، حيث زخرفة الكهوف، ثم المباني، مع التلوين بالأصباغ النباتية والمساحيق، من ذلك ما نجده على سبيل المثال في حضر موت، حيث مدينة تريم، وحيث قصور الأثرياء، وحيث يوجد نحو عشرين قصراً طينياً بها زخارف يونانية، ورومانية، حاملة ثقافات البحر المتوسط، وبرز رسامون ومهندسون، على نحو ما ذكر حسين أبو بكر العيدروس في مقاله زخرفة المباني الطينية في حضر موت، تضم الجزيرة العربية العديد منها، ومقال فن الفخار والخزف ذوق وجمال واحتراف، للدكتورة أمينة عبد الله سالم على.

والكتابية، والجامات المزخرفة بحبات مستديرة من اللؤلؤ، والفسيفساء، والعقود، والأعمدة، والتخطيطات المنتظمة، والمتممة، وعمارة المساجد، كما سنفصل في موقعه.

هذا التفاعل، والتداخل مع التراث جعل الفن الإسلامي بقدر ما هو متأثر مؤثراً، فرأينا كيف أثرت العمارة الإسلامية في عمارة الكنيسة الأوروبية في العصور الوسطى، تأثيراً مباشراً أو غير مباشر، حصرها الدكتور عبد المنصف سالم نجم، وبخاصة في القرنين: الحادي عشر، والخامس عشر الميلاديين، وبخاصة في الأندلس، وصقلية، حيث طور الأوروبيون ما أخذوه عن العرب، وذلك عبر طرق الحجاج، والرحالة، والحروب، وبخاصة الصليبية، والأسر، والتجارة، ومن مظاهر ذلك التأثير في عمارة الكنائس، تأثير المثدنة على أبراج النواقيس الأوروبية، واقتباسهم العقود المدببة في تكوين القبو المدبب والمتقاطع، وفي تزيين النوافذ الدائرية المعقودة، واقتباسهم عقدة الفرس، والعقد المفصص، والتأثير في نوافذ الكنائس والأعمدة المدمجة والمخلقة التي تشكل روافع الكنائس الأوروبية، واقتباسهم البريجات، والشرفات المسننة، تتويجا للكنائس، وتأثرهم بالقباب والأقنية الإسلامية، وتوظيف الحجر المشهر والرخام الأبلق، وتزيين الوجاهات بالمقرنصات، والتشكيل بالخط العربي،

العراقية فيما بين النهرين، والمدرسة الفارسية في بلاد فارس «إيران»، حيث تجلى الفن في القصور الملكية، والعمائر، وفن النحت، والنقوش، والتماثيل، والمشغولات المعدنية من: عملات، وأطباق، وطاسات، وأباريق، وتماثيل، وزخرفة، وفي صور الطبيعة، والطيور، والحيوانات، والحياة اليومية، والخرافية، وغيرها مما أضافه إلى ما ورثوه من فنون سابقة هيلنستية، وبيزنطية، كما تأثر الفن الإسلامي بالفن البيزنطي» نسبة إلى مدينة بيزنطة»، وذلك في عصر الفنون من رمزية، وقد تجلى في فن المنسوجات القبطية، وما فيها من زخارف.

وكذلك تأثر بالفن القوطي، وما عرف فيه من معالجة الأسقف، والنوافذ، والفتحات، والعقود المدببة، والأعمدة المركبة من جملة أعمدة، وزخارف المشبكات، والنحت، والزجاج المعشق بالجص، أو بالرخام، ومن هنا نشط التفاعل بين الفنون السابقة، التراث العربي القديم منذ حضارة معين وسبأ وحُمير من بلاد اليمن، والحيرة والغساسنة في الشمال، وعاد وثمود والأحقاف، من ناحية، والفنون الإسلامية، من ناحية ثانية، وأتى ثماره، منذ العصر الأموي، والعباسي، في العمارة الإسلامية من: القصور، والقباب، والأقنية، والحنايا، والشرفات، وتصوير مناظر الطبيعة، والزخرفة، ورسم الطيور، والزخارف النباتية،

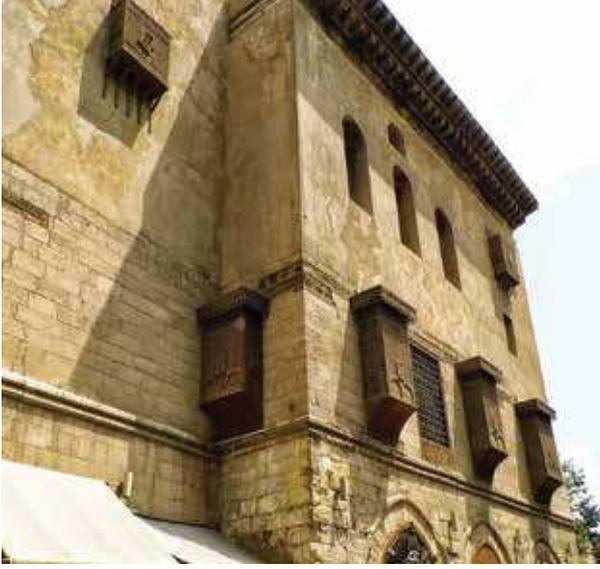


## جماليات الإبداع العربي والإسلامي

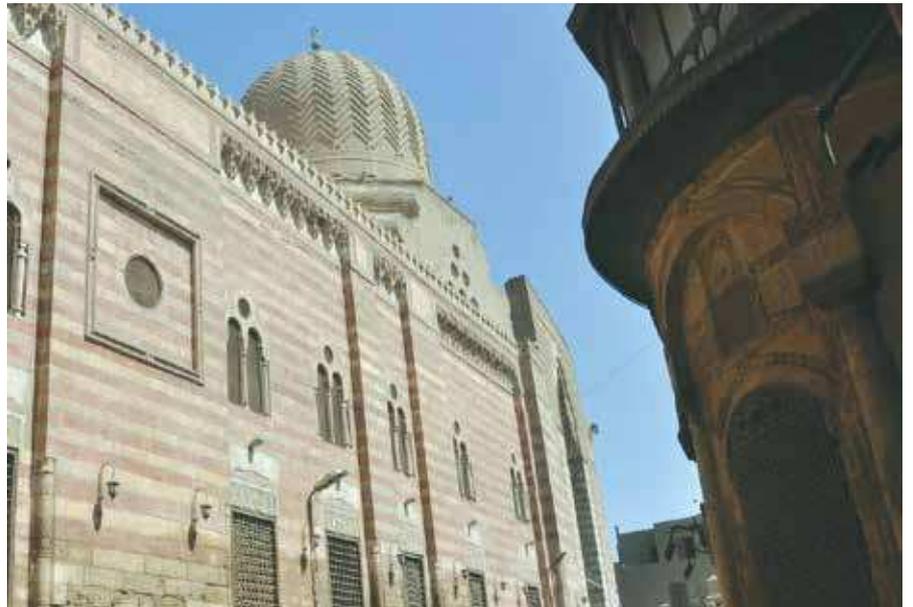
### جماليات الفن المعماري الإسلامي في المشربية

تمثل المشربية المظهر الجمالي، والزينة الأصيلة في البيت الإسلامي، وهي الجزء البارز عن مستوى السمت السائد للحوائط والجدران المطلة على الشارع من البيوت، أو على الفناء الأوسط للمنازل، زيادة في مساحة الأدوار العليا منها، وهي من كلمة مشرفية، مع تحريف لحرف الفاء، حيث تشرف منها النساء مختبئات، أو هي من مادة «شرب»، حيث أواني الشرب، حيث القلل الفخارية المبردة، ثم اتسع مفهومها ليشمل كل الأجابة الخشبية ذات الزخرفة القائمة على الخرط، في فتحات النوافذ، أو فيما يفصل بين أجزاء المبنى المخصص للرجال، وللخرط التي تصنع من أجود الأخشاب، صناعة ماهرة- امتداد تاريخي قديم، لدى اليونان، والرومان، وفي البيوت والكنائس القبطية، ثم طورها الفنان المسلم، وخلع عليها الطابع الإسلامي البهيج، وذلك في واجهات العمارة الإسلامية من منازل، ومدارس، وسبل، أو أسبلة، وبخاصة في العصر المملوكي، حيث ظهر القاطوع الخشبي المنقول من مدرسة السلطان حسن إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وفي





مجموعة المشربيات فى منزل زينب خاتون، وفى منازل القاهرة، ورشيد، وفوذة، فى العصر العثماني، وفى العمارة الحجازية، مع اختلاف التسمية، حيث الروشن، أو روشان، تحريفاً للكلمة الفارسية «روزن»، أى النافذة، أو الشرفة، وتجلى ذلك فى مدن: المدينة المنورة، وبنبع، وجدة، والطائف. وفى اليمن تجلت فى مدينة صنعاء، وما حولها، حيث عرفت اليمن المشربيات الخشبية فى القرن السابع عشر الميلادى، تأثراً بالفن العثماني، حيث عرفت بالشبابيك التركية، كما عرفت فى مدينة القدس، وغيرها من مدن فلسطين، وكذلك مدن أخرى كالمنامة، والمحرق فى البحرين، وطرابلس بلبنان، وسواكين بالسودان، وفى المغرب، وتصنع من خشب الزان، والأبانوس، والأرز، بفتح الهمزة، والجوز، والنبق، والبلوط، والتوت، والجميز، وهكذا صارت المشربية من الملامح الفنية الجمالية الإسلامية، بذلك أقر الرحالة، والمستشرقون، والفنانون، وكتبوا ورسموا، ومنهم إبيرتس دافن، وديفيد روبرتس، وإدوارد وليم لين فى كتابه المصريون المحدثون وعاداتهم، وأرثر ميلفيل، فى لوحته داخل البيت العربى. وقل مثل ذلك فى الأماكن المكتشفة فى وادى النطوف فى فلسطين، وفى المريبط بسوريا، فى الألف السابع قبل الميلاد، حيث الاعتماد على الزخرفة على الحجارة، والاعتماد على الخط واللون.



## زرافة محمد علي في موكب قطر الندى

تناقلت وسائل الإعلام خبر الفتاة الأمريكية التي نجحت في اصطياد زرافة سوداء نادرة وقتلتها، خلال رحلة برية في أفريقيا. وأثار هذا التصرف ردود أفعال غاضبة وساخطة، على هذا التصرف المتدني المتوحش. وهذا التصرف الغريب والذي يجسد صورة متخلفة، لفتاة أمريكية ما هو إلا انعكاس لعنصرية عمياء طفحت على نفسية تلك الفتاة.

ألف حكاية وحكاية، وتتبع الكاتب هذه الزرافة، منذ وقوعها فريسة في أيدي الصيادين في سنار بالسودان، ثم نقلها إلى الإسكندرية، وركوبها البحر من الإسكندرية إلى مرسيليا، ومن مرسيليا حتى وصولها إلى باريس، وكيف استقبلها الفرنسيون، وأصبحت هذه الحكاية التي يربطها خيط واحد، هي مدخل الحديث عن حضارتين، وطرائف الحياة في الشرق والغرب، مصر وفرنسا. نحن أمام صورة تستحق أن نتأملها بدقة ونشاهد من خلال سيناريو رحلة الزرافة، حدثاً تاريخياً تم تقديمه في صورة جذابة، زرافة نادرة في موكب ملوكي رهيب لمسافة 550 ميلاً من مرسيليا إلى باريس كما لو كان موكب أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون وهي من أشهر النساء اللاتي لقبن بقطر



عادل عبدالصمد

adelabdelsamed@yahoo.com

وأحد العقول التي اعتمد عليها محمد علي والشهير بخفة دمه وذكائه ويدعى دروفيتي، علم أن أحد أعيان السودان واسمه موكر بيه أرسل إلى محمد علي زرافتين صغيرتين، فنصح محمد علي بإهداء ملك فرنسا شارل العاشر أروع وأجمل الزرافتين، ولم تكن فرنسا قد شاهدت زرافة حتى هذا التاريخ، وقرر محمد علي إهداء الزرافتين إلى فرنسا وبريطانيا وطلب من القنصلين أن يختار كل منهما زرافته بالقرعة، وبعد أيام كتب القنصل الفرنسي دروفيتي إلى وزيره الرسالة التالية:

«أنا سعيد بإعلام سعادتكم أن القرعة على الزرافتين، كانت من حظنا، فقد حصلنا على الزرافة القوية والنشيطة، أما تلك التي جاءت من حظ بريطانيا فهي مريضة ولن تعيش طويلاً»، وفعلاً ماتت زرافة بريطانيا بعد أشهر من هبتها.

وزرافة محمد علي، هي بطلة قصتنا من خلال حكايتها المثيرة والتي سجل حكايتها الكاتب الأمريكي مايكل لين، وأصبحت تلك الزرافة أسطورة لها

وهذه الصورة الشاذة استوقفتني لأسترجع صورة أخرى عكسها، في مطلع النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذلك الزمن الذي هو رمز للاتصال الأوروبي بالشرق، زمن انبهار الغرب الذي شبع من واقعية الحضارة الغربية بسحر الشرق اللاهب لخيال المغامرين وقصصه الجميلة، صورة تجسد أحد فصول الالتقاء بين الشرق والغرب الذي لم يتوقف منذ قيام الثورة الفرنسية عام 1797.

صورة أول زرافة وصلت باريس، في زمن الشغف الغربي بالشرق، وهو جزء من أثر الحملة الفرنسية على مصر، التي فتحت ذهن محمد علي على القيام بتحديث مصر، ربما لأسباب حربية، أو أسباب حضارية، وفتح مجالات العلم والتنوير والصناعة واستخدم لتنفيذ مشروعه، الجنود السابقين والمبشرين، والتجار وحتى المغامرين، وحاول محمد علي الاستفادة من النتائج العلمية التي نتجت عن الحملة، ومن رجالها، واعتمد محمد علي، على مجموعة من العقول، منهم الأرمني والإيطالي والفرنسي وكان أحدهم ذلك القنصل الفرنسي، من أصل إيطالي برنارديون دروفيتي الدبلوماسي والتاجر والذي كان يجيد تنفيذ رغبة الطبقة الأرستقراطية في أوروبا، الشغوفة بحضارات الشرق.

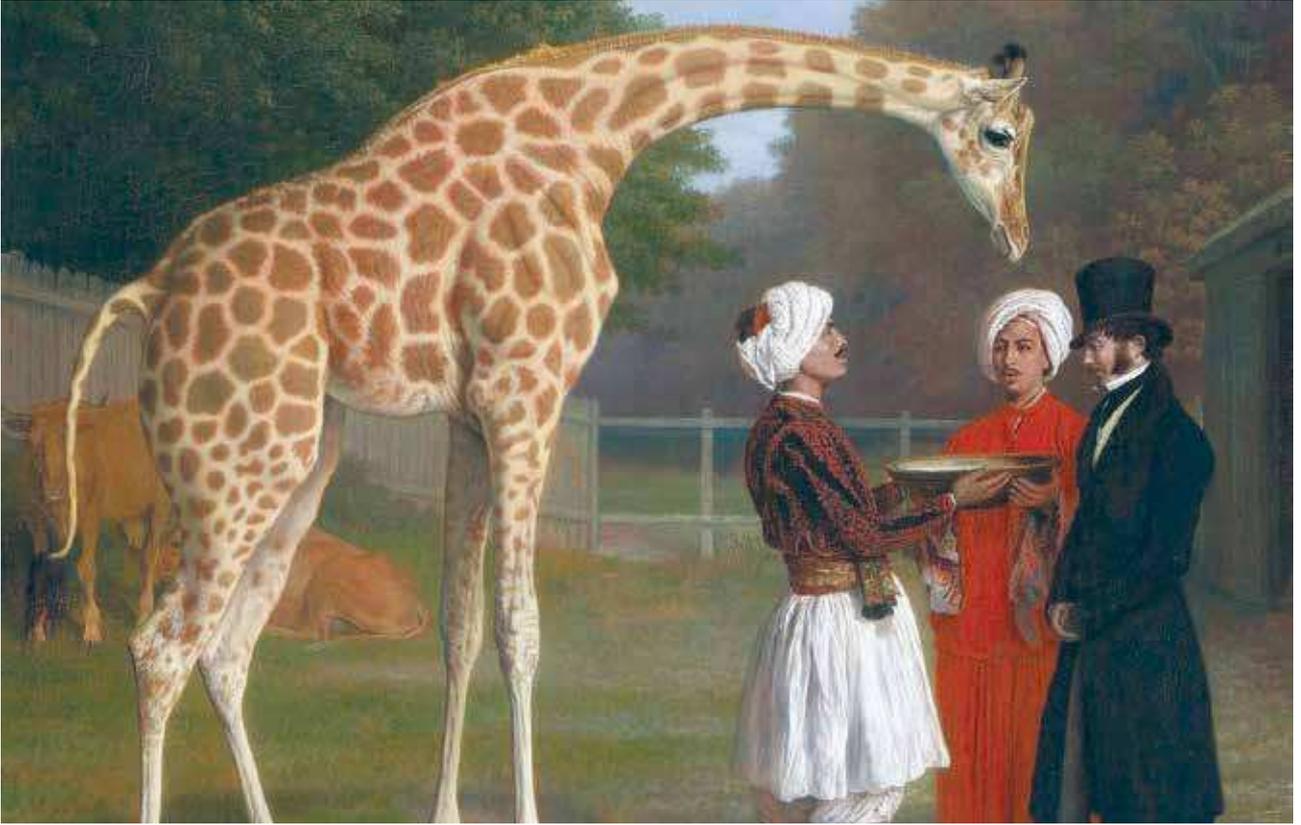
### محمد علي أهدي

### زرافتين لفرنسا وبريطانيا

وحكاية تلك الزرافة مثيرة وشيقة، تحمل كل عناصر الدراما البشرية ونسجها بين الخيال والواقع، كإحدى حكايات ألف ليلة وليلة، تبدأ بالواقع الذي يؤكد أن القنصل الفرنسي في مصر



محمد علي باشا



الأهمية الملكية للزرافة برفع العلمين المصرى والفرنسى وأضاف المراسم العسكرية التى أداها جنود الجنرال بواييه جلاً وعظمة على الوداع من الإسكندرية.

وشهد يوم الثلاثاء 21 أكتوبر 1826 أول موطين قدم للزرافة فى فرنسا، واستؤجر الصيادون واستخدم قاربهم المرة تلو الأخرى، فى نقل الزرافة والظبيان والبقرات الثلاث الحلوب وحصان الجنرال بواييه من السفينة، خارج مرسيليا، ثم غادرت الزرافة مع حسن وعطير تحت حراسة مشددة، وتأهب السيد سالز وزملاؤه فى دراسة الزرافة الشابة من رأسها حتى قدميها، ووصفت التقارير الزرافة المصرية بالأفريقية الجميلة، وابنة المناطق المدارية، وتهافت كل سكان مرسيليا على رؤيتها. وفى 28 نوفمبر 1826 كتب أساتذة وإداريو المتحف الوطنى للتاريخ الطبيعى فى باريس والذى كانت الحيوانات الملكية جزءاً منه فى امتنان وفضول بالغين لحاكم مرسيليا: «إن الحيوان الذى أرسله باشا مصر، إلى الملك واحد من أسعد ما استطعنا أن نحوزه، فثمانية عشر قرناً لم تر

النيلية ثم على السفن الشراعية بالبحر حتى وصلت إلى الإسكندرية، فى أوائل صيف 1826، وعلى مسافة ألفى كيلو متر من موطن ميلادها. أمضت الزرافة ثلاثة أشهر فى ساحة قصر محمد على المطل على البحر الأبيض المتوسط، ومع نهاية سبتمبر رتب دروفيتى لنقل الزرافة من الإسكندرية ونظم استقبالها فى مرسيليا. وكلف نقل الزرافة والفريق المرافق لها على السفينة، أى دى دوى فراتيللى، خزنة فرنسا 4500 فرنك أى 750 دولاراً أمريكياً فى ذلك الحين.

### تكريم لم يحظ به حيوان من قبل

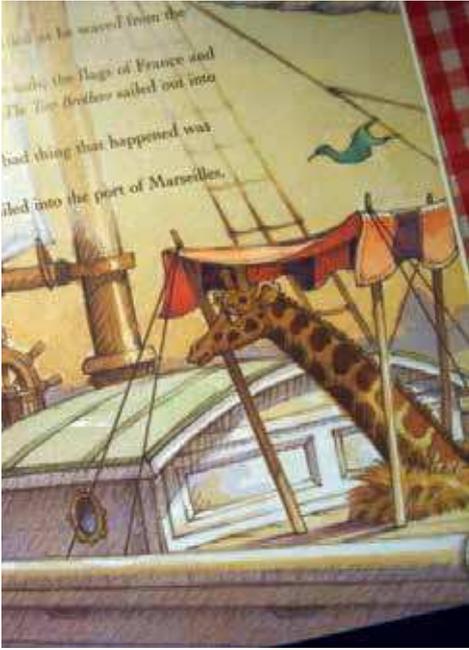
كلف حسن وعطير بمصاحبة الزرافة طوال الرحلة وتضم حاشية الزرافة، ثلاثة أبقار حلوب وظبيين أرسلهما دروفيتى مع الزرافة وأرسل ابن أخيه ليقوم بمهمة الترجمة لحسن الذى لا يمكن الاستغناء عنه. وصنعت فتحة فى سطح السفينة الشراعية، تسمح للزرافة بالوقوف أسفلها مباشرة، وغطيت حافة الفتحة بالقش لحماية رقبتها، من أية إصابة عند اضطراب البحر، وغطيت الزرافة بغطاء أشبه بالكنافاه لحمايتها من الشمس والمطر، وحظيت بتكريم لم يحظ به حيوان من قبل، وأبرزت السفينة

الندى فى تاريخ مصر، ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر الأبهة والعظمة حين تزوجت من الخليفة المعتضد بالله. ارتبطت أسطورة الجميلة الأفريقية التى سلبت عقول ووجدان الباريسيين بموكب وزفاف قطر الندى.

فى عام 1826 بدأت رحلة الزرافة الصغيرة، فوق الجمال وعلى المراكب



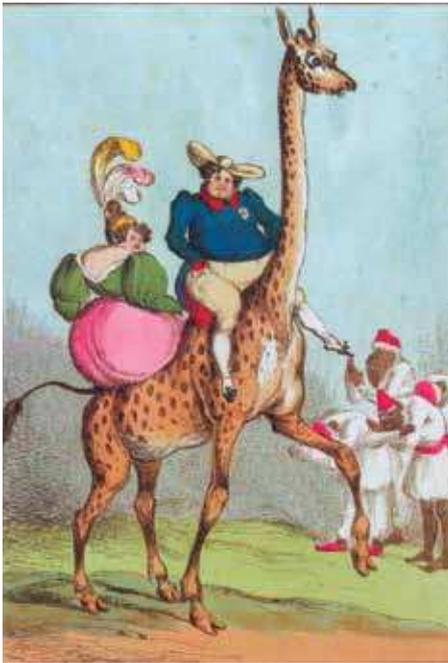
برناردينو دروفيتى قنصل عام فرنسا فى مصر



الزرافة في طريقها الى فرنسا



خط سير رحلة نقل زرافة محمد علي باشا من مصر الى فرنسا



سنة ١٨٢٧م بعث محمد علي باشا زرافة إلى ملك بريطانيا كهدية حيث لم تكن معروفة في أوروبا

مغطى بالحصر ومدفأة بواسطة موقد. وعاصرت الزرافة كلاً من الملك شارل العاشر والعالم جوفرو ولويس فيليب إمبراطور فرنسا وماتت في بداية عام 1845 عن واحد وعشرين عاماً وحنطت، واحتلت مكاناً مرموقاً في قسم الطبيعيات من متحف حديقة.



جوفرو سانت هيلير المعروف بنظريته حول توازن الأعضاء ليكون على رأس موكب الزرافة، وتابعت القافلة السير، ومرت بجموع غفيرة كانت تزداد عدداً في كل مدينة وقرية تمر بها، وسار الموكب وسط أبهة فاخرة، وجنراتل زينوا صدورهم بالريش، واعتلوا سهوات الخيول وتقدموا الموكب، أساتذة المتحف وأعيان الجامعة، حملوا عصيهم ذات الرؤوس الفضية وشعارات وظائفهم الثقيلة، واعتاد الأطفال شراء كعك الزرافة، أما البنات فقد صففن شعورهن على شكل تسريحة الزرافة. وتم وضع الزرافة في حديقة النباتات في إناء زجاجي مخصص عادة لنباتات البلاد الحارة، ثم أفرد لها مكان خاص

## زرافة محمد علي في موكب قطر الندى

أوروبا المتحضرة واحدة منها» وفي جو الاحتفال بالزرافة، بدأ حاكم مرسيليا وزوجته في ترتيب حفلات عشاء منتقاة، في شكل أمسيات على شرف الزرافة. وكانت الزرافة التي حصلت على الجنسية الفرنسية ابنة شهرين، قصيرة القامة تم ترويضها على تناول اللبن، حيث كانت تحتاج إلى خمسة وعشرين لتراً من الحليب يومياً. وعندما حل الربيع، وتحسن الطقس بدأت رحلة الزرافة إلى باريس سيراً على الأقدام للقاء الملك شارل العاشر، وتم تكليف العالم الشهير

# إذاعي من الستينات وداعاً أحمد سعيد

رحل في صمت وهدهد صاحب الصوت المدوي ولعله صاحب أعلى صوت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.. رحل أحمد سعيد الذي عبأ صوته جيلاً كاملاً ليس في مصر وحدها ولكن في العالم العربي من المحيط إلى الخليج.. جيل كامل استقبل الصباح كما استقبل المساء بصوته يستهل ويختتم برامج صوت العرب وهو يقول: «هذا صوت العرب الناطق بكلمتكم.. المعبر عن وحدتكم من قلب الأمة العربية المجيدة من القاهرة».

وجبال الأوراس في الجزائر وعلى شواطئ القناة وفي بورسعيد وفي غزة.  
ثم جاءت الكوبة الكبرى في عام 67 فبعد التصعيد الهائل الذي قاده أحمد سعيد بصوته وبعد بيانات النصر التي أذاعها في الساعات الأولى للحرب ظهرت الحقيقة المفجعة ومعها انتهت مصداقية أحمد سعيد وصوت العرب.

صب الجميع جام غضبهم على أحمد سعيد وحملوه مسئولية النكسة ونسوا أنه كان إعلامياً يذيع ما يأتيه من بيانات من القيادة.. نسى الجميع نبل الفكرة التي تحدثت باسمها تحرير الوطن العربي وإخلاؤه من القوات الأجنبية والنفوذ الأجنبي وتحقيق الوحدة العربية.

ماتت الفكرة ومات الأمل في الخامس من يونيو عام 67 ومن المفارقات أن يموت أحمد سعيد في الخامس من يونيو بعد 51 عاماً من النكسة وكأن هذا اليوم كان تاريخ موته المعنوي والمادي ولعله مات مئات المرات كل يوم وهو يرى كل ما عاش من أجله ينهار وقد تشرذم العرب وتقاتلوا وعادت الجيوش الأجنبية والنفوذ الأجنبي والقواعد الأجنبية.

ولعله من المفارقات أيضاً أنه في نفس الأسبوع الذي مات فيه أحمد سعيد وقع واحد من أبرز وأشهر إعلامي اليوم عقداً مع شركة عربية بعدة ملايين من الدولارات فيظهر الهوية الساحقة بين إعلام أمس الداعم للقضية الذي يعمل من وازع الإيمان والفكر وبين إعلام اليوم الذي يعمل من أجل جذب الإعلانات التجارية حتى صار عبداً لها.. في يقيني أن أحمد سعيد الذي لم يتلق في حياته أكثر من بضع مئات من الجنيهاً ما كان ليقبل أن يعمل لصالحه منظمة من المؤكد أنها حاولت استقطابه مثل صدام حسين ولو عرض عليه الملايين لكن مثل أحمد سعيد لم يكن قابلاً للبيع.

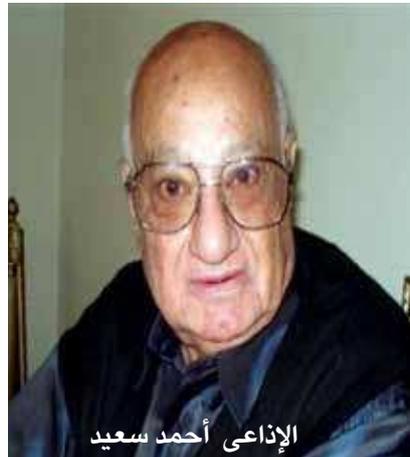
لقد طرح أحمد سعيد «أمجاد يا عرب أمجاد» نشيداً للعرب ولكن بعد أن تقزمت آمال وأحلام العرب فإن هناك من يريد أن يطرح نشيد «مسكين وحالي عدم» نشيداً للعرب اليوم.



سفير محمد عبد المنعم الشاذلي

أن الثوار أذاعوا بياناً بتدمير موقع للجيش الفرنسي فنظم الجيش مؤتمراً صحفياً في الموقع ليثبت كذب البيان الذي بث من خلال إذاعة صوت العرب فما كان من الثائر إلا أن هاجم الموقع رغم خطورة ذلك حتى لا تكون إذاعة صوت العرب كاذبة.

ثم كانت معركة إغلاق القواعد الأجنبية في هويس وبنزرت وعدن وكان صوت أحمد سعيد حافزاً ومعيناً للمحاربين. نعم كان الصوت عالياً وكانت النبرة حماسية ولعل المعلومات لم تكن دائماً دقيقة ولكن كان هذا سمة من سمات العصر فمن يذكر مبالغات أحمد سعيد لا يذكر مبالغات محطة صوت أمريكا التي كانت تبث من رودس وأن الشهداء كانوا يتساقطون في معسكر كرتير في عدن



الإذاعي أحمد سعيد

وبالنسبة لي ولعدد كبير من جيلي أرى أنه من الظلم أن نقيم أحمد سعيد على أنه إعلامي فحسب.. فقد كان أحمد سعيد رجل ثورة ورجلاً من جماعة أرادت أن تنفث روح النهضة والتغيير في الأمة العربية.. جاء ومصر ومعظم الدول العربية تخضع للاستعمار.

اختير هذا الشاب وهو لا يزال في أواخر العشرينيات من عمره لرئاسة إذاعة جديدة قدر لها أن تكون من أهم وأمضى أدوات مصر لتنفيذ استراتيجيتها الرامية لتعبئة الشعوب العربية لمحاربة الاستعمار وتحقيق الوحدة العربية فكان مثالا لما يمكن أن يحققه الشباب إذا مكن وإذا أعطى الفرصة لتحقيق طموحاته.

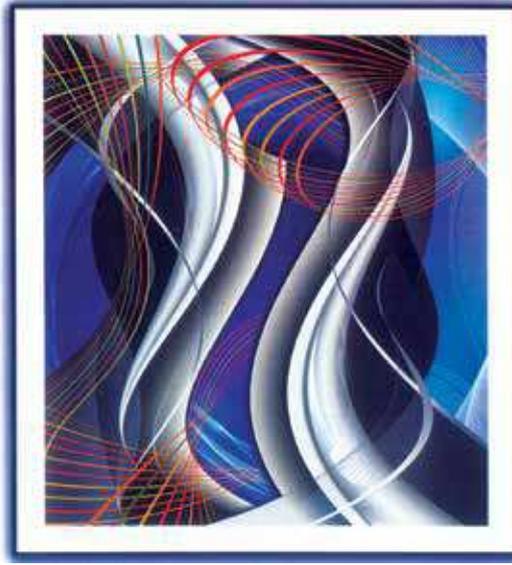
ما أن تولى الشاب الذي يملؤه الحماس مسئوليته في عام 1953 حتى بدأت المعارك الكبرى التي خاضتها مصر من واقع مسئوليتها العربية.. كان أولها صدام مع الولايات المتحدة التي طرحت مشروع إيزنهاور، لملء ما أسماه بالفراغ في الشرق الأوسط بحلف بغداد، وأعلنت مصر معارضتها للمشروع ورفضها للأحلاف. وكان لصوت العرب وأحمد سعيد دور السابق في إفشال المشروع وإجهاض الحرب ثم سقوط العرش العراقي، وتبع ذلك قيام الوحدة بين مصر وسوريا، وطرده الأردن القائد العسكري البريطاني للجيش العربي الأردني، ثم دور مصر في إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية بعد شهور قليلة واختيار فؤاد شهاب رئيساً للبنان رغم تفضيل الولايات المتحدة لخيار آخر في وقت كان الأسطول السادس الأمريكي مرابطاً على سواحل لبنان.

ثم كانت معارك التحرر في الاستعمار البريطاني في الجنوب العربي والفرنسي في الجزائر التي أذاعت البيان الأول لثورتها من صوت العرب.

ولعل من القصص التي تبين مدى تأثير أحمد سعيد على الثوار قصة الثائر الجزائري الذي لقب نفسه باسم الكولونيل صوت العرب والذي حكى لي سفير للجزائر



## الفنانة د. رانيا علام (الى أين)

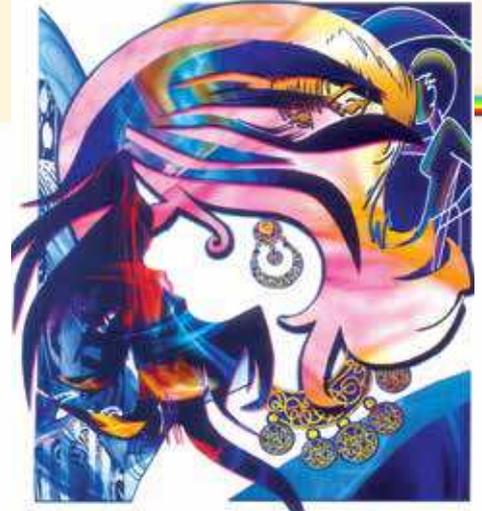


بموضوعاتها المتنوعة فى الرؤى والفكر المتنوع الاتجاهات التى تعبر عن الواقع والخيال والفلسفة والحيرة والتفأول وغير ذلك من مفردات المخزون الوجدانى لها الذى تغلفه الأنغام الموسيقية الروحانية التى تدفع المتلقى للغوص فى أعماق الواقع بألوانه الرمادية التى ترفض اللونين الأبيض والأسود أو الانطلاق إلى الفضاء سعياً للراحة والهدوء وراحة البال وابتعاداً عن الضجيج والصراخ على سطح الأرض الذى يفرز الصراع والظلم

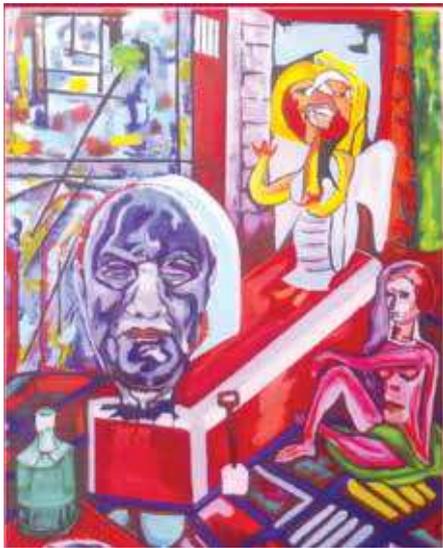
معارض فردية، وشاركت فى 56 معرضاً جماعياً دولياً ومحلياً، وحصلت على العديد من الجوائز والدروع والتكريمات ومنها أوسكار صالون النسجيات الأول، والمهرجان العربى للتميز الإعلامى كما شاركت كعضو لجنة تحكيم للفنون التشكيلية للأطفال بوزارة الثقافة، وشاركت فى تنظيم المعارض التشكيلية وكتابة العديد من المقالات الصحفية فى مجال الفنون. لقد استوقفتنى كثيراً غالبية اللوحات

أقامت الفنانة د. رانيا علام خريجة كلية الفنون التطبيقية والحاصلة على درجة الدكتوراة من نفس الكلية وتتمتع بعضوية كل من نقابة المهندسين ومصممي الفنون التطبيقية والجمعية الأهلية للفنون الجميلة والجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية وكذلك مجلس إدارة اللجنة الوطنية المصرية للمجلس الدولى للمتاحف، وشاركت فى العديد من المؤتمرات العلمية للفنون فى مصر والأردن، وسبق لها أن أقامت 5

## الفنان بكر الشعراوى (بين الخيال والواقع)



والتزييف والعداء والاستخفاف بالعدالة والقيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية والحضارية وكذلك القيم الجمالية التي أحاط بها الخالق الإنسان الذي كرمه للاستمتاع بها طوال رحلة حياته. رأيت في محتوى اللوحات المشقة في محاولة الفنانة الانطلاق من الغوص فى ظلمات الأعماق تارة ثم الانطلاق إلى الفضاء الأكثر ضوءاً تارة أخرى وأرجو لها التوفيق فى مزج النقيضين ودفع سحابة الظلام للاختفاء لاستقبال أضواء الفجر المشرق بكل الخير والقوة ورفاهية الإنسان المصرى الشامخ الذى أضاء بالأمس عقول البشرية.. أقول وبعد أن تجولت مع الفنانة فى الرحلتين أن الإنسان المصرى الذى يتمنى.. ويحلم.. ويتوقع.. عليه مسئولية. وأمام الله عليه السعى والعمل والبناء والتصدى لأدوات الشر ومصادره حماية للوطن والمواطن بالإضافة إلى تعميق الوعي وتحقيق الوحدة الوطنية لبناء الغد الأكثر إشراقاً وهو قريب وياذن الله وتحت القيادة الوطنية التى وهبها الله لمصر.. وأعود إلى سؤال الفنانة.. وأقول إن الإجابة عند الله سبحانه الرحمن الرحيم.. له ما فى السموات والأرض وهو الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء..هو الواحد الأحد.. الذى يمتلك حروف الإجابة وبالخير ومن أجله بالسلام والأمان وهو على كل شئ قدير. كل التحية والاحترام والتقدير للفنانة المتألقة .



أقام الفنان بكر الشعراوى معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات الزيتية فى قاعة زياد بكير (المكتبة الموسيقية بدار الأوبرا) وكان موضوع المعرض (بين الخيال والواقع) وقد افتتح المعرض الدكتور مجدى صابر رئيس دار الأوبرا. والفنان حصل على ليسانس الحقوق جامعة القاهرة عام 1983 ومارس مهنة المحاماة وكذلك صناعة السينما وخاصة فى مجال الأفلام الروائية وهوأيتيه الفن التشكيلى. والفنان يقيم ويعمل فى أستراليا ودرس (دورة) للفن التشكيلى فى أستراليا وشارك فى تصميم الجدران لمحطة مترو الأنفاق فى نيويورك، وعمل فى مجال تدريس الفن والرسم والألوان للأطفال فى أستراليا وشارك فى العديد من المعارض الفنية والأعمال الروائية والأدبية.

ولقد رأيت فى إبداع الفنان القانونى الطاقة الإيجابية فى التفوق فى مجال الإبداع الفنى بداية فى فن البورتريه بصفة خاصة وكذلك فى مجال المدرسة التعبيرية والرمزية وقد تعرفت على الفنان أثناء افتتاح المعرض وأدركت أن هوية الإبداع الفنى التشكيلى هو

عطاء سخى من الله للإنسان ويؤكد ذلك أن أعظم الفنانين العالميين لم يدرسوا الفن التشكيلى، وأن الكثيرين منهم قد تفوقوا على الفنانين الحاصلين على أعلى الدرجات العلمية فى مجال الإبداع ممن يتولون أعلى المناصب الوظيفية فى هذا المجال.

كل التقدير والتحية للفنان القانونى بكر الشعراوى الذى يمثل حركة الفن التشكيلى المصرى فى استراليا.

## دبلوماسية الرياضة: مونديال 2018

شهد مونديال روسيا مفاجآت متنوعة واهتماماً كبيراً على مختلف المستويات وفي معظم دول العالم كما برزت فيه دروس وعبر وظواهر منها ما هو جديد وغير ذلك، ومن واقع اهتمامي الشخصي واهتمام أسرتي وخدمتي الدبلوماسية في سفاراتنا في بريطانيا وبلجيكا وروسيا وهي دول تعشق كرة القدم يمكن قول ما يلي:



سفير د. يوسف الشراوي

yelsharkawy@yahoo.com

### قضية الهجرة واللاجئين:

أعاد ذلك المونديال تسليط الضوء على قضية الهجرة واللاجئين وسياسات الاتحاد الأوروبي وعمليات التوطين اللازمة وفقاً لقواعد القانون الدولي ذات الصلة خاصة مع تزامن ذلك مع غرق مركب محملة بالمهاجرين هجرة غير شرعية بالبحر المتوسط قبالة السواحل الأوروبية. ولقد نجح الرئيس الروسي نجاحاً كبيراً في الإعداد وتنظيم وإدارة هذا المونديال بالاشتراك مع الاتحاد الدولي لكرة القدم الفيفا من الناحية الأمنية والاقتصادية واستثماره سياحياً بدرجة كبيرة ووضع نظام تأشيرات وتسهيلات قنصلية أثناء فترة المونديال. كما لعب المونديال دوراً على صعيد تدعيم علاقات روسيا مع دول الاتحاد الأوروبي حيث لم تقاطع دول الاتحاد الأوروبي هذا المونديال على الرغم من الخلافات بين الجانبين بسبب أزمة القرم وقضايا أخرى بل وساهمت في تعميق علاقات الرئيس بوتين الشخصية مع الرئيس الفرنسي ماكرون الذي شارك في حضور مباريات لفريق بلاده.

إن من الدلائل على نجاح روسيا أمنياً في تنظيم المونديال هو تعامل جهاز الأمن الروسي بالدقة والسرعة والكفاءة مع واقعة اقتحام فتيات للشوط الثاني

إن روسيا الاتحادية في ظل قيادة الرئيس بوتين قد أثبتت أهمية الدبلوماسية الرياضية بشكل عام ودبلوماسية كرة القدم بوجه خاص في تحسين العلاقات بين الدول على كافة المستويات وقد تمكن الرئيس بوتين من تحقيق نجاح روسيا في المجالات الأمنية في ظل تنظيم العديد من المباريات في مراحل مختلفة ما بين جروزني عاصمة جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي في إطار روسيا الاتحادية، وسان بطرسبرج العاصمة الثقافية، وموسكو العاصمة السياسية وغيرها كما شارك بعض رؤساء الدول مثل الرئيس الفرنسي ماكرون ورئيسة كرواتيا في حضور بعض المباريات النهائية. وأضحت لعبة كرة القدم تلعب دوراً رئيسياً في العالم العربي وأفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأمريكا الشمالية منذ أن قام البريطانيون بنشرها في العالم منذ عام 1314. ويلاحظ أن حوالي 80 في المائة من الفريق الفرنسي المكون من 23 لاعباً بمن فيهم اللاعبين الاحتياطيين من ذوى الأصول الأفريقية خاصة من الجزائر والمغرب والسنغال ومالي والكاميرون وأنجولا. يشير ذلك إلى نجاح سياسة الاستيعاب والمساواة والاندماج الفرنسية خاصة في مونديال عام 1998 الذي حصلت فيه فرنسا على كأس العالم لكرة القدم للمرة الأولى في تاريخها.

واتصالاً بذلك فإنه يلاحظ أنه في الوقت الذي شهدت فيه فرنسا فرحة عارمة بالحصول على الكأس هذا العام 2018 بمساهمة فعالة من جانب لاعبين عرب وأفارقة إلا أن بعض المناطق الفرنسية قد شهدت احتجاجات صاخبة من جانب بعض الأفارقة المقيمين هناك احتجاجاً على ما وصفوه بتهميشهم وتردى أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية خاصة في باريس وليون وبوردو.

من مباراة فرنسا وكرواتيا والتي تم ملاحظتها عبر شاشات التلفزيون حيث تمكن الأمن الروسي من إخراجهم بسرعة انتشار قوات الأمن بشكل رائع لمنع تكرار ذلك، ولعبة كرة القدم أصبحت عاملاً مؤثراً غير أيديولوجي على مستوى العالم وفي داخل الدول نظراً لما تحظى به من تأييد وحماس شعبي وأضحت تقوم بدور في صناعة الشخصيات والتأثير كقوة ناعمة في التأثير عبر الدول وإثارة روح الحماس والتنافس والتضامن الشعبي غير الأيديولوجي بصرف النظر عن اللون والجنس والدين. ومنهم من أصبح عضواً في البرلمان، وجورج وايا الذي أصبح رئيساً للجمهورية في انتخابات ديمقراطية في ليبيريا مؤخرًا. كما أن بعض الدول بدأت تلجأ إلى اللاعبين للاستعانة بهم في حملات مكافحة المخدرات ومنع الشباب من استهلاك وإدمان المخدرات مثلما تمت الاستعانة باللاعب المصري الدولي محمد صلاح بوصفه قدوة ونموذج أخلاقي يحتذى به. وبالنسبة لكرواتيا فقد لعب المونديال دوراً كبيراً لها على مستوى العالم خاصة مع وصولها إلى الدور النهائي أمام فرنسا بل وصار الكروات محل تقدير الكثير في دول العالم والذين تحمسوا في التأييد لصالحهم لأنهم استطاعوا تحويل الضعف إلى قوة وأصبح اسم كرواتيا يتردد في كل مكان وهي الدولة التي يقدر عدد سكانها بأقل من خمسة ملايين نسمة وأصبحت رئيسة كرواتيا معروفة للعديد من محبي الفريق الكرواتي في العالم كما ساهم تواضع رئيسة كرواتيا وسلوكها الحضاري ومشاركتها فريقها في الدعم المعنوي والتأييد في روسيا. وفيما يتعلق بالفريق الياباني لكرة القدم في المونديال فقد أعطت مشاركته دروساً في اللعب النظيف وفي الأخلاق الرياضية وقد مكن ذلك السلوك الفريق



لمصر في كأس العالم كانت عام 1934 ومن أبرز اللاعبين حينذاك مختار التيتش الذي أطلق اسمه تقديراً له على مسمى النادي الأهلي الرياضي، ومحمد لطيف الذي أضحي معلقاً رياضياً كبيراً، وعبد الرحمن فوزي وقد حصل هذا الأخير على لقب أفضل جناح أيسر في كأس العالم عام 1934، وانتقل لاعبان مصريان إلى أندية بريطانية كما احترف اللاعب إسماعيل رأفت في فرنسا وشارك في تصفيات كأس العالم التي استضافتها فرنسا 1938. وأظهرت ما يمكن أن نسمة بحالة محمد صلاح العديد من قصص النجاح المصرية في الخارج واستمرت في نفس الوقت في المحافظة على جذورها الأصيلة في مصر من خلال العطاء الذي تقوم به وتظل حالة محمد صلاح مرتبطة بنبوءة الرياضي وأخلاقه الرفيعة وشخصيته البسيطة وحبه لأسرته وقريته ومصر الغالية. اتصالاً بذلك ينظر إلى صلاح أحياناً على أنه المسجل للأهداف والمنقذ لفريقه وهي ظاهرة أقتصر النظر في دراستها وأهمية العمل بنهج وروح الفريق، مع أهمية دراسة تسويق البطولات الرياضية ومسألة البث وقواعد المنافسة والاحتكار واقتصاديات قنوات الرياضة وقياس فعاليتها والاستثمار الرياضي وصناعته كأداة مهمة من أدوات القوة الناعمة لمصر ووسيلة للترويج السياحي وتوفير فرص عمل في إطار التخطيط العام ومنظمة بناء القوة الشاملة والدولة الحديثة التي يقودها ويتولى رئاستها السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي وإنجازات البنية التحتية العملاقة الناجحة وبناء قناة السويس الجديدة وغير ذلك.

مصر إمكانيات أخرى ضرورية من طرق ومواصلات وشركات اتصالات واستادات رياضية في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والسويس وبرج العرب ويمكن البناء عليها من خلال وضع خطط مرمية بدقة، مثلما نجحت مصر في بناء قناة السويس الجديدة ومشروعات عملاقة تتعلق بمجالات متنوعة في البنية التحتية، لبناء استادات جديدة ومنشآت رياضية متنوعة وفقاً للمعايير الدولية المطلوبة، وقد أصبح لدى مصر عناصر رياضية عالمية وعالية المستوى مثل محمد صلاح وغيره محترفة في أندية عربية وأوروبية وغيرها. وفي رأيي أن الأمر يتطلب لتنفيذ ذلك وضع استراتيجية علمية محددة وتوفير وسائل تنفيذها المالية وغيرها بجدال مرمية تتضمن رفع المستوى الرياضي خاصة على صعيد بناء القدرات البدنية والثقافية والفنية عالية المستوى إلى جانب تنفيذ ما يلزم من أجل بناء الطالبات والطلبة في المدارس والجامعات وتدشين الأكاديميات الرياضية اللازمة مع وضع القواعد والآليات القانونية اللازمة. وإنني على ثقة في ضوء ما قدمته من مؤهلات ومقومات والتخطيط العلمي أن تتمكن مصر من تنظيم مونديال العالم لكرة القدم في العقد القادم، مع أهمية توفير تجربة مشاركة المنتخب المصري في مونديال روسيا وسبل الاستفادة من ذلك المونديال والدورات العالمية السابقة في هذا الشأن أيضاً من أجل تحقيق الهدف المطلوب.

تجدد الإشارة في هذا الشأن إلى أن أول مونديال لكرة القدم قد انطلق في أوروبا عام 1930، وأن أول مشاركة

الياباني من التأهل للربع النهائي في هذا الشأن على السنغال وذلك من خلال الاحتكام لمعيار البطاقات الصفراء بهدف تحديد من يتأهل لدور الثمانية بعد تعادل اليابان والسنغال في النقاط والأهداف ولهذا أصبح الفريق الياباني لكرة القدم هو أول منتخب يتأهل للدور التالي بفضل سجله الرياضي النظيف. ومن اللافت للنظر مشاركة منتخب دولة أيسلندا التي يقدر عدد سكانها بأقل من نصف مليون نسمة في المراحل الأولى لمونديال روسيا ولها نجاحات دولية بالنسبة لفريق كرة اليد.

إن العالم في مجال منافسات كرة القدم أضحي يخرج من هيمنة الدول العظمى كروسيا والتي تشكل نظرياً مجلس الأمن الدولي الكروي للعالم دائماً وهي البرازيل والأرجنتين وبريطانيا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال وأصبحت هناك دول صغيرة تعشق كرة القدم وتتأثر من خلالها تأثيراً كبيراً في المجال الكروي وصناعته العلمية والتجارية والاستثمارية والنفسية من خلال علومها الكروية وعلم النفس الرياضي واستخدام المناهج العلمية والإدارة الحديثة وأخلاقيتها الرياضية النظيفة. ولعبت التكنولوجيا الحديثة دوراً كبيراً في 2018 عن ذي قبل من خلال تقنية تتبع أداء اللاعبين بكافة أشكالها فضلاً عن استخدام تقنية الفار من جانب الحكم في بعض الأحيان كي يتخذ قراراً رشيداً.

إن نجاح الدول الصغيرة وقدراتها على التحدي وامتلاكها قدرات بدنية ومعنوية ونفسية كبيرة ومؤهلات علمية وفنية ومنظمة إدارية قد مكنتها الدخول في مراحل متقدمة لكأس العالم لكرة القدم وإن ذلك يمثل أثر الاقتداء أمام دول عربية وأفريقية وآسيوية أخرى للتأهيل لكأس العالم والمنافسة على الدخول في المراحل المتقدمة والنهائية ولم يعد لتلك الدول أن تبحث عن عذر مثل دعوى حالة الفقر أو عدم وجود موارد للتأهل والحصول على كأس العالم.

### وضع استراتيجية علمية

إن مصر قدرات يمكن أن يتم تطويرها لاستضافة كأس العالم على التراب المصري والذي سيضم ٤٨ منتخباً وإن من مؤشرات ذلك خبرات مصر السابقة في تنظيم القمم العالمية لملوك ورؤساء الدول والحكومات بالدقة والتأمين اللازمين فضلاً عن الانضباط والإدارة الدبلوماسية والموضوعية والفنية والإعلامية والثقافية لذلك، ويتوفر لدى

## معرض فني للإحياء بصورة سياسية

تجرعنا هزيمة 1967 بمرارة، لكننا لم ننكسر رغم قسوتها. هذا كان حال المصريين (كنت وقتها سكرتيراً ثالثاً بسفارتنا في بودابست) ولم يكن أمامهم من سبيل سوى استجماع قواهم، وترميم ما تحطم منها، استعداداً لاستئناف الحياة متطلعين لاسترداد ما فقد ومحو عار الهزيمة النكراء.

والفنان السكرتير الثاني محمد نجيب مصطفى، وبدأنا وضع الترتيبات مع السفير عزالدين رفعت مسئول النشاط الثقافي بالنادي الدبلوماسي الذي كان خير سند لنا، وتوجهنا للقاء مدير مكتب وزير الخارجية السفير محمد رياض لتقديم الدعوة لوزير الخارجية محمود رياض ليفتح المعرض.

صادفت الفكرة قبولاً وحماساً من السفير محمد رياض الذي أوضح لنا أن افتتاح المعرض يوفر فرصة سانحة ستساعد من الناحية السياسية داخلياً وخارجياً، فصورة وزير الخارجية المصري وهو يفتتح معرضاً فنياً سيعطى صورة إيجابية تعكس الثقة بالنفس وتظهره يمارس نشاطاً ثقافياً واجتماعياً وليس منكباً فقط على عمله الدبلوماسي والسياسي.

تم الافتتاح في مايو 1970 بحضور وزير الخارجية محمود رياض بنادي وزارة الخارجية، وهكذا قدر لمعرضنا الفني أن يلعب دوراً في معركة الصمود السياسي، وعندما أسترجع تلك الصورة من أرشيف الذكريات أشعر بزهو وغبطة كبيرين، فقد أسهم معرضنا الأول بالنادي الدبلوماسي بدور (مهما كانت ضآلة هذا الدور) في رفع المعنويات، وترسيخ صورة وزير الخارجية الواصل من نفسه في الفترة التي كانت تستعيد مصر خلالها ما فقدته من قوة، وتعيد ترتيب أوضاعها من أجل معركة الثأر والانتصار التي وقعت لاحقاً في أكتوبر 1973.



سفير يسرى القويضي

ykouedi@yahoo.com

عام 1968 نقلت إلى ديوان الوزارة بالقاهرة وكانت ظروف النكسة جاثمة على قلوبنا، بسبب احتلال إسرائيل لجزء عزيز من بلادنا، واندلاع حرب الاستنزاف وما صحبها من غارات شنتها الطائرات الإسرائيلية على عمق مصر، وكانت سلوتي الشخصية الوحيدة أن أخلو بنفسى، فى غير أوقات العمل، لأمارس الرسم والتصوير.

تجمع لدى فى عام 1970 مجموعة من اللوحات، فطرات لى فكرة إقامة معرض مشترك مع زميلين دبلوماسيين، الفنان السكرتير الثانى عصام حنفى،

انشغلت وزارة الخارجية بمسئوليتها فى إدارة المعركة الدبلوماسية التى خاضتها مصر لإزالة آثار العدوان. ولم تكن المهمة هينة أو يسيرة، وقد شهدت من موقعى بسفارة مصر فى بودابست جانباً من تلك الجهود، ومنها الجولة التى قام بها وزير الخارجية محمود رياض لدول أوروبا الشرقية، وتبعها بجولات أخرى لدول غرب أوروبا، هذا بخلاف تواجده شبه الدائم فى أروقة الأمم المتحدة بنيويورك، ما بين مجلس الأمن والجمعية العامة، ليشرح الأوضاع فى مصر، ويحشد التأييد لموقفها. مرت علينا أعضاء السفارات المصرية بالخارج أوقات صعبة ثقيلة، كان علينا التغلب عليها، وتجاوزها بكل السبل المتاحة، متطلعين لمستقبل أفضل لبلدنا الحبيب، فبعد أن كنا نسير منتفخي الأوداج، منفوشى الريش نظن أننا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط، كما أفهمنا قادتنا، شعرنا بمهانة شديدة، وخيبة أمل وعدم ثقة فى أشياء كثيرة.

لقد فاضت الدموع من عيني لأول مرة وأنا رجل ناضج، عندما سمعت خطاب التنحي للرئيس عبد الناصر يوم 9 يونيو 1967، ولم يكن بكأى حزناً على تنحيه، وإنما حزناً على الوضع المؤسف والمهين الذى وضع فيه بلدى. وأعتقد أن كثيراً من المثقفين تولد لديهم نفس الشعور.

لما انتهت خدمتى بسفارتنا فى بودابست



## لا تنه عن خلق وتأتى مثله

يقول الشاعر «لا تنه عن خلق وتأتى مثله.. عار عليك إذا فعلت عظيم».. وأكتفى بأن أقول «عيب عليك» لأن كلمة «عار» شديدة نوعاً ما.. وأياً ما كان الوصف، فإن كثيراً من الناس هكذا يفعلون.. يدينون تصرفاً ما لشخص ما، ثم إذا بهم يفعلون نفس الشيء الذى أدانوه لغيرهم.. ولا يطرف لهم جفن..

عهودهم «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين» فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون\* فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون» (التوبة 75-77).. وهناك أمثلة لمن ينكر على الآخرين أشياء يأتيها هو نفسه، كأن ينعى على شخص كذب عليه أو نصب عليه أو تحايل عليه، وينعته بأقبح الصفات، ثم يتكشف أنه يفعل نفس الأشياء، وربما بصورة أكثر فجاجة وأشد نكراً مما أدان به الآخرين.. وهناك مثل شعبى يجسد هذا المعنى يقول «أسمع كلامك أصدقك، أشوف أمورك أستعجب» (!).

الإنسان إما أن يكون محترماً بينه وبين نفسه، وكذلك بينه وبين الناس أو لا يكون.. والاحترام لا يتأتى من فراغ، أو من منصب، أو من ثروة.. هذه كلها لا تأتي بالاحترام، وإنما باحترام الإنسان لكلمته، وألا يكون منافقاً أو كذوباً، أو «ألباناً» (بالعامية)!!

أبعدنا الله عن أن نكون ذوى وجهين، وأن يكون لنا وجه واحد، نقابل به الناس، ونقابل به خالقنا، ونختلى به مع أنفسنا.. آمين.



سفير د. فتحي مرعي

الكذب فيما قال، والمدى الذى ذهب إليه بين ما قاله وما عساه يظمره، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

الرجل ليس بشكله أو بمظهره، وإنما باحترامه لكلمته، وهناك مثل ألمانى يقول «الرجل كلمة» أى أن «كلمته واحدة» كما يقول الناس عادة.. وأن أفعاله لا تناقض أقواله بل تصدقها.. هذا الشخص الذى ظاهره كباطنه، يعيش فى سلام مع نفسه، لأنه ينسجم معها ولا يناقضها، مواقفه واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وهذا يريحه ويريح من حوله لأنهم يثقون فى كلمته ووعوده، ويعلمون أنه لن يخلف وعداً قطعه على نفسه، وقد قال الله فيمن يخلفون وعودهم أو

والله جل جلاله يشير إلى هذا العيب فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون\* كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» (الصف 2-3) أى يا أيها الذين آمنوا لأى غرض تقولون بألسنتكم ما ليس فى قلوبكم؟ تقولون شيئاً وتفعلون عكسه أو تعملون خلافه، أو تضمرون شيئاً يختلف عما تظهرون.. إن الله تعالى يحب أن يكون المؤمن ظاهره كباطنه.. هذا هو المؤمن الحق، وليس الإنسان المخادع، الذى يدعى الكرم وهو شحيح، أو يدعى الصدق وهو كذوب، أو يدعى الصراحة وهو مداور مناور، أو أنه يحفظ العهود والوعود وهو يخلفها ولا يقيم لها وزناً.. مثل تلك الصفات تطعن فى صدقية الشخص، وما إذا كان يمكن الوثوق بما يقوله أو بما يعد به.. وهذه نقيصة لدرجة أن الله تعالى يقول فيها «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» أى أن الله يبغض هذا الفعل بل يمقته أشد المقت.. والذى يتصف بذلك يقول عنه الناس إنه شخص «ذو وجهين» لا يمكن أن تأخذ كلامه على وجهه الظاهر.. بل تفتش فيه وتبحث وراءه، لتبين مواطن الصدق أو

## شيء من الشعر عند الدبلوماسيين

لعل الشعراء من الدبلوماسيين العرب قد مزجوا أعمالهم بالأدب والشعر، وظهر كثير منهم في بعض العواصم العربية والإسلامية في العصر الحديث، منهم الشاعر اليمني عبدالله بن يحيى العلوي السفير الأسبق للإمام أحمد حميد الدين في منظمة الأفرآسيوى بالقاهرة في أواسط الخمسينيات، حيث انعقد المجلس وبعد أن أدلى كل سفير بكلمته، طلب الشاعر العلوي من أمين المجلس إلقاء كلمته شعراً فطرح الأمين الطلب على أعضاء المجلس الذين استلطفوا ذلك فوافقوا فبدأ الدبلوماسي اليمني الكلمة الشعرية حتى قوله:

وكانت في الوفود غينية  
كأنها من حسننا مصرية  
ترمقها العيون بالتوالى  
وبالأخص من سفير مالى

\*\*\*

قال الراوى: إن واقع الجلسة كان كما قاله العلوي شعراً إذ دَوَّى المكان بالتصفيق تلطفاً واستحساناً!! حيث فوجئ الجمع بمثل هذه الكلمة الدبلوماسية التي ألقيت شعراً في جلسة كان الإمتاع من الشاعر اليمني الدبلوماسي عبدالله بن يحيى العلوي؛ قد ملأ الأسماع وجعل مثل ذلك قولاً شعرياً يذاع!

فالبيان اللغوي عربيُّ الناصية فيقال للأديب أو الشاعر أوتى ناصية البيان! أى ألهمه الخالق الفصاحة في القول والبيان فيه!! لذلك نجد أن العربية هي اللغة الشاعرة كما قال الأديب عباس محمود العقاد! فتمتزج فنية القول مع فصاحة الإلقاء، الشيء الذى يؤكد ما عرف ببحور الشعر التي اكتشفها العبقري العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ يوم دخل سوق النحاس لسمع دقة الرنة من الذى كان يضرب النحاس فاستقر في سمع الخليل وعقله ميزان أو بحر الشعر! على مقتطفات أو تفعيلات إلخ.. ولم يقل أحد من النقاد أو غيرهم بوظيفية الشعراء العملية أو أن الشاعر لا بد له من عمل وظيفي، فالشعر تعبير عن مشاعر وصاحبه شاعر إنساني لذلك نجد من الشعراء العامل والطبيب والمهندس في حياتهم العملية والدنيوية لكسب الرزق اليومي! أما الشعر فهو نتاج الشاعر المعنوي وقرينته الشعرية هي الموهبة الوجدانية، ومجازياً يقال عن ديوان أو دواوين الشاعر، الأعمال الكاملة.

### فاروق صالح باسلامة

#### كاتب وشاعر يمني

ومن الشعراء الدبلوماسيين عمر أبو ريشة من سوريا، وعمر بهاء الدين الأميري السفير السوري السابق ما قبل حكم البعث لكنه ترك السفارة وهو يقول:

نزعوا السفارة من يدي  
فمضيت مرفوع الجبين  
لم يرتفع شأنى بها  
ورفعتنا في الرافعين

\*\*\*

وتأمل هذا الشموخ العالى من شاعر دبلوماسي أو من دبلوماسي شاعر!! ترك النظام ذا البوق ليرتفع بعمله لا بمثل هذا العمل هو مرتفع لذلك قال:  
لم يرتفع شأنى بها ورفعتها في الرافعين!

\*\*\*

أما الشاعر السعودي حسين عرب، فكان قد شغل وزيراً للحج سنة 1960م لمدة ثلاث سنوات واضطر أن يترك هذا العمل كتقاعد مبكر فقال:

تقاعدت، عن عبء الوزارة راغباً  
وغادرتها، من قبل سن التقاعد  
وما استكبرت نفسي، بلمع بريقها  
وما الكبر من طبع العقول الرواشد  
ومن أنا؟ إن أكبرت نفسي بمنصب  
كبير، أعانى منه كل الشدائد  
ومن يحمل العبء الكبير، أمانة  
فهتمته الكبرى، بلوغ المقاصد

\*\*\*

ثم يستطرد قائلاً عن المنصب الوزاري:  
توقد إحساسى، بها وبجهدنا

فأجهدت نفسي، قائماً غير قاعد  
كبار قضاياها وكل صغارها  
أجاهدها، مسترسلاً، كالمجاهد  
أكابدها، حتى أقضت مضاجعي  
وناء بها جسمي، وأعيت سواعدي  
وأسرعت لم أعثر، ولكن صحتي  
تداعت، حتى وسدتني وسائدي  
ولم أحتجب خيراً، على أى قاصد  
ولم أرتكب شراً، على أى كائد  
وقد صنعت أخلاقى، وأرضيت

خالقى

وحسبى منها ذاك، والله شاهدى

\*\*\*

وعلى طول هذه القصيدة فهى تشرح التجربة العملية فى الحياة خاصة فى منصب وزارى شاغله أديب شاعر كحسين عرب الراحل منذ بضع سنين فى مكة المكرمة. وثمة آخرون شعراء وأدباء أمثال هؤلاء الذين ألممنا ببعض مواقفهم الشعرية فى أعمالهم الدبلوماسية والسياسية كالدكتور عبدالوهاب عزام والأستاذ يحيى حقى والشاعر حسن عبدالله القرشى. والأديب غازى القصيبي والشاعر أحمد عبدالجبار والشاعر محمد باخطمة، إلى آخر من هنالك من الدبلوماسيين الشعراء والأدباء الدبلوماسيين العرب فى المشرق والغرب.

## مصارعة الثيران فى صيف أسبانيا

# مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام الواحد

كتب أمير الصحافة من مدريد إلى آخر ساعة فى 14 سبتمبر 1949 أى منذ قرابة السبعين سنة، فى العدد 777 من مجلته عن مصارعة الثيران فى أسبانيا التى هى أشبه بالأهرام وأبى الهول ومقبرة توت عنخ آمون ودور الآثار فى مصر، أى أنها الشئ الذى يجذب السائحين.. وأول ما يحرص السائح على مشاهدته فى أسبانيا.

عمله فى 112 حفلة، ولا تزيد الحفلة على ساعتين اثنتين!  
وإذا مشيت فى الحساب إلى النهاية وجدت أنه يربح نحو ألف جنيه فى الساعة الواحدة!  
ولكن مصارع الثيران يدخل حلبة المصارعة وهو يحمل حياته على كفه!.. خطر الموت - وأى موت- مائل فى كل لحظة!

عثرة قدم.. أو أقل هفوة فى نقل القدم.. أو تقديم ساق قبل أخرى.. أو فى لفطة الرأس.. أو فى قياس المسافة بين الثور الهائج وبينه.  
أقل هفوة... وإذا بالثور الهائج فوقه ينطحه بقرنيه... ويبقر بطنه!.. أو ينفذ بقرنيه من الظهر إلى الصدر.. أو يغرغز أحدهما فى عنق الطوريرو!  
ومن هنا كان أول درس يتلقاه مصارع الثور هو (إن أول غلطة لك هى آخر غلطة لأنك لن تعيش بعدها لكى ترتكب غلطة أخرى)!

### أشهر مصارع

ولا يزال القوم هنا يتحدثون عن مانوليتى أشهر مصارع ثيران عرفته أسبانيا فى العشرين عاماً الأخيرة وكيف لقي مصرعه فى لحظة النصر!  
كان مانوليتى يربح فى العام الواحد أربعين ألف جنيه بسعر القطع الحالى.. ونحو سبعمائة ألف جنيه بسعر القطع فى العام الماضى يوم لقي مصرعه تحت قدمى ثور!  
وكان مانوليتى لا يزال فى الثانية والثلاثين من عمره... يوم مات!  
نزل مانوليتى إلى حلبة المصارعة



شريفة محمد التابعى

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com

مواسم مختلفة فى المدن المختلفة.. تماماً مثل مواسم الأوبرا والتمثيل!  
فكما أن الفرقة القومية مثلاً فى مصر تمثل شتاء فى القاهرة وصيفاً فى الإسكندرية فإن حفلات مصارعة الثيران تقام فى مدريد مثلاً بين مايو وسبتمبر وفى أشبيلية بين أواخر أبريل وأوائل مايو وفى غرناطة فى شهر يونيو وفى بامبلونا فى يوليو.  
وأما فى سان سباستيان - المصيف الرسمى للحكومة الأسبانية- فإنها تقام ابتداء من منتصف شهر أغسطس.  
وأشهر مصارعى الثيران الآن هم لويس ميخل دومنجوين، وباكيو يونيوز، وباريتا، وروفيرا، وهذا الأخير يبلغ دخله فى العام نحو مائتى ألف جنيه، وهو يعمل تسعة شهور فقط ويستريح بقية العام.  
ولا يحسبن أحد أنه يعمل كل يوم طيلة هذه الشهور التسعة، ذلك لأن حفلات مصارعة الثيران تقام ثلاث مرات فقط فى الأسبوع.  
أى أنه يربح المائتى ألف جنيه عن

وتحرص مصلحة السياحة فى مدريد على الإعلان بكافة وسائل الدعاية عن حفلات مصارعة الثيران وأسماء أبطال المصارعين وهى تنشر صورهم فى صحف أمريكا وأوروبا وتحيطهم بهالة من الإعجاب! .. وتوحى بنشر مختلف القصص والنوادر عنهم تماماً ما تفعل إدارات الدعاية فى شركات هوليوود عن كبار كواكب السينما.

بل لعل مصلحة السياحة فى أسبانيا لا تعنى بالدعاية لمتاحف الفن العديدة وحفلات الرقص الأسباني أو المواكب والمواسم الدينية فى أشبيلية أو مراقص الباسك وحفلاتهم كما تعنى بالدعاية لحفلات مصارعة الثيران!

وقد يدخل وزير أسباني إلى مطعم عام فلا يلتفت إليه أحد! ولكن إذا دخل أحد مشاهير مصارعى الثيران - ويسمونه (طوريرو) لا (طوريادور) كما يكتبها خطأ معظم الكتاب - إذا دخل مطعم ما أو حفلة ما تلتفت إليه الأ نظار وأسرعت إليه حسان الحفلة ليحظين منه بكلمة أو ابتسامة!

هم إذن - هؤلاء (الطوريروس) - جمع طوريرو- أشبه بكبار كواكب السينما، بل هم أعظم مقاماً فى أسبانيا إذا قيس المقام بوفرة الأرباح.. وقد يدesh القارئ إذا عرف أن الطوريرو العادى أى الذى لم يبلغ بعد مرتبة الأبطال لا يقل دخله فى العام الواحد عن خمسة ملايين بيزيتا أى خمسين ألف جنيه!

### مواسم المصارعة

ولمصارعة الثيران فى أسبانيا

ذراعاً أو ساقاً!

### تكافؤ الفرص

ومع جسامته الخطر الذي يواجهه مصارع الثور فإننى أعتقد مع ذلك أن مصارعة الثيران هى نزال أو صراع ليس فيه مروة ولا شهامة - إن جاز هذا التعبير- إذ ليس فيه تكافؤ للفرص.

الخطر على الطوريرو جسيم نعم، ولكنه قد ينجو..

أما الثور فإنه يدخل الحلبة وهو مقضى عليه بالموت!

ليس هناك إذن تكافؤ فى الفرصة أمام (الطرفين)..

باب النجاة مفتوح دائماً أمام المصارع..

أما الثور فليس أمامه سوى باب الموت.

وقد يتغلب الثور على مصارعيه من الطوريرو إلى الميتادور والبيكادور..

وقد يقضى عليهم واحداً بعد الآخر.. ولكنه مع ذلك لن ينجو، لأن آخرين

يحلون فى الحال مكانهم.. ولا يزالون بالثور حتى يقضوا عليه!

وهو بعد هذا وذاك مشهد فظيع يحبس الأنفاس ويحطم الأعصاب! ولقد

عجزت أنا عن مشاهدة الحفلة حتى النهاية.. وانصرفت بعد نصف ساعة فقط بعد أن سجلت فيلماً سينمائياً

وغادرت الحفلة والثور الثالث مثخن بالجراح والدماء تسيل من ظهره وعنقه

على جلده الأسود اللامع.. وفى ظهره ست حراب مغروزة... والطوريرو -

وكان روفيرا- يحاوره قبل أن يقضى عليه نهائياً ويغرز فى عنقه سيفه

المدبب القصير!

### رياضة عربية

ولقد كان المعتقد إلى أوائل القرن الماضى أن مصارعة الثيران (رياضة)

أسبانية الأصل إلى أن تبين أنها عربية الأصل!.. وأن العرب هم الذين بدأوها

ولقنوها للأسبانيين.. وفى متحف Prado فى مدريد قاعة



### مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام الواحد

تهوى بالسيف تغرزه فى عنق الثور.. كان الثور يغرز قرنيه فى جنبه! وسقط الاثنان معاً!.. سقط الثور ومصارعه!

وحملوا مانوليتى إلى المستشفى وفتح عينيه فى حشرة الموت وسألهم... لم يسألهم عن زوجته ولا عن طفليه.. ولا عن أمه وأبيه، بل سألهم: - ولكن.. هل مات الثور؟

قالوا: نعم.. مات! وارتسمت ابتسامة الرضا فوق شفتى الطوريرو البطل ولفظ نفسه الأخير!

وبكته أسبانيا من أقصاها إلى أقصاها.. ولا تزال صورته الفوتوغرافية تباع حتى اليوم وتعلق فى صدر المطاعم والمقاهى والأندية!

والواقع أنه يندر أن يموت أحد من مصارعى الثيران حتف أنفه فمعظمهم يلقى منيته مبكور البطن أو مهشم الأضلاع! والسعيد الحظ بينهم من يترك العمل بعد أن يجمع ثروة طائلة ويفقد

- وهى مستديرة ومساحتها نحو فدان - نزل وهتاف عشرات آلاف المعجبين يشق الفضاء.

وتغلب على الثور الأول.. ثم الثور الثانى، فلما كان الثور الثالث... وقد وصل مانوليتى إلى المرحلة الأخيرة ورفع سيفه القصير المستقيم لكى يغرزه بضربة واحدة فى عنق الثور.. ترددت يده.. ربما جزءاً من ثانية!

ولعله التعب! أو لعلها الشمس المتوهجة.. أو لعله صياح حناجر خمسين ألف متفرج وهتاف إعجابهم الذى يصم.

ولكن يد مانوليتى ترددت جزءاً من ثانية.

وهذا التردد الذى لم يدم أكثر من لمح البصر كان كافياً! فبينما كانت يده



الأقل، ولكنني كنت أريد أن أسجل فيلماً سينمائياً لمصارعة الثيران وأضمه إلى مجموعتي من الأفلام!

وكان الحر شديداً - بل حر القاهرة في يوليو أو أغسطس هو النسيم العليل بالنسبة لحر مدريد- ومع ذلك... وبالرغم من شدة الحر فقد امتلأت مدرجات مبنى المصارعة ويسمونه (سراى الثيران Plaza de Toros) إلى آخرها ولا يقل عدد المتفرجين عن خمسين ألفاً... وأجرة الدخول تتفاوت بين عشر ومائتي بيزيتا بخلاف الضريبة وهي 10%.

والبيزيتا تساوى الآن قرشا صاغا أى أن إيراد الشباك من الحفلة الواحدة يبلغ أكثر من ستين ألف جنيه!! وليس هناك سقف للمبنى أى أن المدرجات والحلبة مكشوفة تماما ومن هنا تختلف أسعار الأماكن حسب وقوعها في الظل أو في الشمس... وقربها أو بعدها عن الحلبة.

وبدأت الحفلة في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين بنفخ

(الأسود) إشارة إلى جنون جويا أو (الفن الأسود) إشارة إلى قلم الفحم الذي رسمت به الصور، وبين هذه الصور رسم لا يزيد طوله على 30 سنتيمتراً وارتفاعه على 20 سنتي وهو يمثل حلبة مصارعة الثيران... وقد وقف فيها المصارعان - والطوريرو والميتادور- وكلاهما عربي.

وكلاهما كان يرتدى القفطان العربي وعلى رأسه العمامة الكبيرة، وإنسى لأعجب - ومن مقتضيات فن مصارعة الثيران الخفة المتناهية التي ما بعدها خفة والرشاقة في الحركة والثوب الملتصق بالجسد والساقين حتى لا تعوق ذيلوله وحواشيه حركة المصارع- إنى لأعجب كيف كان الطوريرو العربي بعمامته وقفطانه ذى الذبول يستطيع محاوره الثور ومصاولته ومداورته!

### حفلات المصارعة

وذهبت إلى إحدى حفلات مصارعة الثيران وأنا أعلم أنني سأشهد شيئاً تتقزز منه النفوس.. أو نفسي أنا على

بالدور الثاني خصصت لبعض الرسوم والصور التي رسمها الرسام الأشهر جويا في (العهد الأسود) وبعضهم يسمونه (الفن الأسود).

ويعتبر جويا من أشهر وأكبر رسامي العالم، وبعضهم يغالى ويضعه في مرتبة واحدة مع ميخائيل أنجلو ورفائيل وتيسيان- وعلى كل حال فإن جويا يعد بين طليعة الرسامين الأسبان.. وقد اشتهر ونبه ذكره في أواخر القرن الثامن عشر وتوفى في الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

وجاء يوم سئم فيه جويا رسم صور الملوك والأمراء والعظماء.. وزهد في حياة النعيم فانصرف عن جو المدينة والترف إلى.. الشعب وراح يرسم صورا مستمدة من حياة الشعب.

ولكنها كانت صورا أوحى بها خيال مريض!.. بل إن بعضهم يقول إن جويا كان أصيب بلوثة أو بما يشبه الجنون!.. كما إن هذه الصور جميعها رسمت بالقلم أو الفحم! لا بالزيت والألوان. ومن هنا كانت التسمية (العهد

## مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه في العام الواحد

الأبواق.. نفخاً ذا نغم خاص مثير!

### الموكب

ودخل من باب واسع في صدر الحلبة موكب الطوريرو يتقدمه الطوريرو نفسه ومن خلفه الميتادورس وعددهم ستة، ومن خلف هؤلاء البيكادورس على ظهور الجياد وعددهم أربعة..

وفى مؤخرة الموكب البغال والقائمون عليها ومهمتهم جر الثور السريع من قدميه إلى خارج الحلبة. وطاف الموكب بدائرة الحلبة، والجمهور - أى عشرات الألوف - تصفق وتهتف لروفييرا وتقذفه بالزهور..

ثم انسحب الجميع وعادوا من حيث دخلوا، وبقي فى الحلبة الطوريرو والميتادورس وقد توزع هؤلاء فى جوانب الحلبة...

ونفخت الأبواق مرة ثانية.. وفجأة.. فتح باب فى جانب من الحلبة.. وانفلت منه ثور!

وجال الثور بنظره فى جوانب الحلبة، ثم وقف كالمأخوذ!!.. ولعله وهج الشمس أو هذه الجموع المحتشدة أو صياح الآلاف.

وظل الثور لحظات واقفاً يجول بنظره.. إلى أن تقدم منه الميتادور - أحد الميتادورس الستة- ولوح أمامه بمحرمته الحمراء- والمحرمة هنا ترجمة للكلمة الأسبانية Cape - واللون الأحمر كما هو معروف يهيج الثور ويستفزها ولهذا السبب تجد جميع جدران حلبة المصارعة قد طليت باللون الأحمر..

وما أن تقدم الميتادور ولوح بالحمرة الحمراء.. حتى ثار الثور وزمجر ثم اندفع نحو الميتادور ورأسه منحني إلى أسفل يريد أن ينطح

الميتادور.

ولكن الرجل بقى فى مكانه لا يتحرك حتى أصبح الثور على قيد خطوتين منه أو أقل ثم..

وهنا فن المصارعة ورشاقة المصارع.. ثم نقل الميتادور قدما وراء قدم واستدار نصف خطوة واحدة.. فإذا به قد تنحى عن طريق الثور الهائج..

وإذا الثور ينطح بقرنيه الهواء! واندفع الثور فى طريقه ثم عاد واندفع إليه ميتادور آخر.. ثم ثالث ورابع.. وهلم، وكل منهم يلوح بالحمرة الحمراء أمام عيني الثور.. وكل منهم يستفز الثور ثم يفلت منه برشاقة، ودامت هذه العملية نحو خمس دقائق، وكان هياج الثور قد بلغ تمامه!

### البيكادور

وهنا نفخت الأبواق مرة أخرى ودخل البيكادورس على ظهور الجياد.. وقد أمسك كل منهم بإحدى يديه برمح طويل وباليد الأخرى أمسك بعنان الجواد... أما الجياد فقد عصبت عيونها حتى لا ترى الثور، وأسدلّت على جانبيها عروض من الجلد السميك تحميها من قرون الثور حين يلتحم معها... ولكن يحدث أحيانا أن تكون نطحة الثور من العنف والقوة بحيث تقلب الجواد وفارسه أرضا كما حدث مرتين فى هذه الحلقة!

وتقدم ميتادور بمحرمته يحاور الثور حتى استدرجه نحو البيكادور ورفع البيكادور رمحه وغرز سنه فى ظهر الثور... ثم سحب الرمح وهو يقطر دما!

وإذا الثور يهجم على البيكادور.. تدافع نحوه الميتادورس بمحارمهم الحمراء يستدرجونه نحوهم بعيدا عن البيكادور.

وتكررت هذه العملية مرة أخرى ثم نفخت الأبواق..

وكان الثور هنا فى أشد حالات الهياج... وقد بدأ يهن قليلا... وتقل

سرعته فى الجرى.

ودخل الحلبة ميتادور وقد تخلى عن محرمته الحمراء وأمسك بكلتا يديه حربتين قصيرتين لا يزيد طول كل منها على 70 سنتي.

وحاور الثور وداوره ثم بحركة رشيقة وثب فى الهواء وبنفس الحركة غرزهما فى الثور وتركهما مغروزيين. وهو عمل شديد الخطورة يتطلب خفة قدم وثبات نظر ويبدأ قوية كالحديد!

ودار الثور حول نفسه وهو يخور ويزأر.. ألما! ويحاول أن ينفذ عن عنقه هاتين الحربتين المغروزيين.. وهذا الدم يسيل على جوانبه بغزارة.. ودخل ميتادور ثان... وغرز حربتين أخريين...

ثم ثالث... حتى بلغ عدد الحراب المغروزة ستا!

### ونفخ فى الأبواق...

#### المرحلة الشاقة

وتقدم الطوريرو من الثور.. وهذه المرحلة هى أشق وأخطر مرحلة فى مصارعة الثور..

وتقدم وقد أرخى المحرمة الحمراء على طول ذراعه اليسرى.. يستفز بها الثور ويحاوره، بينما أمسك بيده اليمنى سيفه المستقيم القصير! وخلا الميدان إلا من الطوريرو والثور.

والطوريرو البطل حقا معبود الجماهير حقا والذي يستحق الإعجاب حقا.. هو الذى يطيل فى محاورة الثور- أو فى عذاب الثور هذا وهو ثابت فى مكانه.. تستطيع أن ترسم حوله دائرة محورها متر واحد لا يتعداها!

يقلب محرمته أمام الثور فيندفع الثور، ولكنه ينقل قدما وراء قدم ويدور حول نفسه... فإذا به وراء الثور... أو إلى جانب الثور... ولكنه ليس أمام قرنى الثور..

هذا والدماء تسيل من جروح الثور العديدة.. ويسقط الثور ضعيفا... ثم



الحلوى والسجائر التي يلتقطها أحد الخدم وهو يعدو وراءه. وكثيراً ما تكون بين هذه الزهور والهدايا (رسالة غرام) قد لفت حول ساق وردة!.. وفي الرسالة اسم الحساء المعجبة... وعنوانها أو رقم تليفونها... أو موعد للمقابلة!

\*\*\*

وبعد فترة استراحة قصيرة ينفخ فى الأبواق.. ويدخل ثور ثان.. وهكذا! وعدد الثيران التى يصارعها الطوريرو فى كل حفلة ستة. ولكننى انصرفت بعد الثور الثانى وقبيل الإجهاز على الثور الثالث.. لأن أعصابى لم تعد تحتل مشهد الصراع بين الحياة والموت. وغادرت الحفلة فى الساعة السابعة والرابع.. مع إنها تدوم إلى الساعة التاسعة مساء.. والشمس لا تغرب هنا فى أسبانيا فى شهر يوليو قبل الساعة العاشرة!

يهاجم. ودورة أو دورتان سريعتان حول الثور... ثم هجم سريعاً.. ثم تراجع أسرع.. ثم مفاجأة تذهل الثور! ... وإذا بالسيف قد غاص فى عنقه حتى المقبض!

ويدور الثور المسكين حول نفسه.. أو قد يتقدم نحو الطوريرو يريد الانتقام.. ولكنه كان أصبح

### أضعف من أن يستطيع حراكاً!

وأخيراً يسقط الثور... ويتمدد.. ولكنه لا يزال رافعاً رأسه وكأنما يودع نور الشمس! هذا والأبواق ينفخ فيها... والجماهير تصفق...

وتدخل البغال.. ويتقدم أحدهم ويضرب مؤخرة عنق الثور بقبضة يده... فيرتخى رأس الثور وترتبط قدماه بحبل وتشده البغال إلى خارج الحلبة.. ثم يدور الطوريرو وهو شبه يعدو حول جوانب الحلبة ليتلقى تحيات الآلاف شاكرًا برفع يديه، وتقذفه الجماهير بالزهور وأحياناً بهدايا

ينهض وهو أشد هياجاً من قبل! إنها الحياة!.. والثور يحس بغريزته أنه صراع حتى الموت! ويقف الثور... ويحرق لحظة فى الطوريرو.. كأنما يريد أن يغافله وينطح! ولكن الطوريرو... أخف قدماً منه..

وتدور هذه العملية نحو خمس دقائق.. وصياح عشرات الألوفا يصم الأذان! وهتافهم... وضجيجهم كلما أتى الطوريرو بحركة بدعية أعجبتهم! ثم ينفخ فى الأبواق..

### الإجهاز على الثور

ويتقدم الطوريرو ليجهز على الثور...

وكانما الثور يحس بأن هذه هى الخطوة الأخيرة... وتنعكس الآية - وما أعجب غريزة الحياة- فإذا بالثور حريص على أن لا يقترب من الطوريرو.. بل يقف موقف الدفاع وقد حنى رأسه، وقرناه إلى أعلى.. مستعداً لنطح من يقترب منه! وعلى الطوريرو.. أن يتقدم وأن

